نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم

أنزه الله وأسبحه، وأسأله [1] التوفيق وأستمنحه.

حامداً له تعالى بأسمائه، على جلائل آلائه ودقائق نعمائه.

حمداً تتعطر مجاري الأنفاس بنفحة من نفحاته، وتتدفق بحار الأفكار برشحة من رشحاته.

وأصلي ذلك – مادمت أنطق بكلام – بصلات صلاة وأتم سلام، على من أبدع منشئ الوجود إنشاءه على أحسن فطرة وأجملها، ونظم به عقد الدين بعد نثره فدعا لأتم ملة وأكملها.

الذي أوتي جوامع الكلم، ولم ينطق عن الهوى، فاقتفى أثره عصابة ماضل أحد منهم باتباعه ولا غوى [2].

المبعوث في زمن هتفت فيه مصاقع العرب على منابر البلاغة، وقيدت شوارد المعاني في [3] الأسماع بسلاسل الذهب فلم يبلغ أحد بلاغه.

فأبطل سحرها المبين، متمسكا بحبل الله المتين، وجاءها بالعقد الذي تحلى به الزمان العاطل، والحق الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه الباطل.

والروض الذي تتفجر عيون البلاغة عن أصول معانيه، وتتدفق مياه البراعة عن فصول مبانيه.

ونزه أسماعها في حديقة حميت بشوكة الإعجاز، فلم تلمس ورودها أيادي [4] إياد [5] ولا أنامل [5] الحجاز [6].

---

(1) في ج: «وأستنيله»، والمثبت في: ا، ب. (2) في ج: «هوى»، والمثبت في: ا، ب.
(3) ساقط من: ج، وهو في: ا، ب. (4) في ج: «أيدي»، والمثبت في: ا، ب.
(5) في ب، ج: «وأنامل»، والمثبت في: ا. (6) ساقط من: ج، وهو في: ا، ب.

فلله وبالله ذلك المفحِمُ المعجز ، الذى أعْيَى على الواصف المُطْنب والموجِز .
لا برحَتْ الصَّلواتُ النّاميات فى كل أوان ، تُحيِّى مرقَدَه الشريف ما تعاقب المَلَوان .
ثم أحيِّى آله الكرام ، وأصحابَه ذوى الاحترام ، بما يناسب رُتبتَهم [١] السامية ، من هذه التحية الزَّكيّة النامية ، وعليهم رحمةُ الله وبركاته .

وبعد :
فإنى من [٢] منذ ألقيتُ الألواح ، وميّزتُ بين الصّباح والمِصباح .
جعلتُ الأدبَ لناظِرِىَ مَلْمَحا ، واتّخذتُه لفكرى من بين المعارف مطْمَحا .
وكنتُ أعُدّه لصحائف الشَّمائل عنوانًا ، وأرتّب لبيْت قصيدِه فى بدائع المآثر ديوانًا .
وأشِيم من آفاقه بَوارقَ السَّحَر ، وأشمّ من أرْدانه روائحَ الشِّحر [٣] .
فارتشف [٤] منه ماهو أشفَى من الشّفاء ، وأشتف ماهو ألذّ من الرَّحيق فى مزاجه .
وأنا من الابتهاج به [٥] كما التقى الغديرُ بالزَّهْرة ، ومن التملّى به كما تقابلت الثُّريّا بالزُّهَرة .
فطالَما وردتُ منه ما صفَى من الأمْواه ، وبسَطتُ حِجْرى لالتقاط دُرره من الأفْواه .
وعكَف طرْفى فى محاريب دفاتره ، ورشَف [٦] يراعى ماءَ الحياة من ظلمات محابره .

(١) فى ب : « رتبهم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٣) الشحر ، بكسر أوله وسكون ثانيه : الشط . وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان . وهو يعنى العنبر الشحرى ، الذى ينسب إلى هذا المكان . انظر معجم البلدان ٣ / ٢٦٣ .
(٤) فى ا : « فارتشفت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٦) فى ج : « وشف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

هذا وغصن شبابي غضٌّ وريق [1] ، وثنايا مدامي غضٌّ وريق .

وأنا أجري في طَلَق الصِّبا [2] طَلْق الصِّبا [2] ، وأذهب في نَيْل البغية مذهبا مذهبا .

فكم ليلة نادمتُ فيها الأماني ، ووفى لي في جنحها بالضمان زماني .

فتناولتُ أحاديثَ كالأرياق [3] ، نظمتُها كالعقود تلوح من الأرياق [4] .

وذلك في مسقط رأسي ، ومشتعل ذؤابة نبراسي .

خِطّة السرور والفرح ، ومحلّة القِدْح [5] والقَدَح .

ومَنى الأماني ، ومغنى الأغاني .

وقِبلة القَبول ، وشَمْلة الشَّمول .

البلدة الفيحاء دمشق ، الطيّبة [6] العَرْف والنَّشْق .

لا زال خفّاق النسيم يلعب بعذبات [illegible] ، وهطّال السحاب يراوح دِمْنتها ويغاديها .

وحيّى الله أعزّاها الذين بهم [illegible] ، ونجومَ أفقها الذين بصحبتهم ارتقيتُ .

أديبهم يهتزّ له الأدب [illegible] معاطفه ، وأريبهم يمدّ به [7] النّدى بساطَ عواطفه .

يرمون عند هدر الشقاشق [8] في [9] حدق البيان ، ويصيبون بالكلم الرواشق غرضَ التبيان .

ويتنافسون من السحر في المناظم ، وما يتصرفون فيه إلا على ذائقة الأعاظم .

---

(١) شجرة وريقة : كثيرة الورق . (٢) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

(٣) الأرياق : جمع الريق ، بكسر الراء ، وهو الرضاب وماء الفم .

(٤) ريق القميص ، بالكسر : ما أحاط بالعنق منه .

(٥) القدح ، بالكسر : اسم السهم قبل أن يراش ويركب نصله .

(٦) في ج : « طيبة » . والمثبت في : ا ، ب . (٧) في ج : « له » . والمثبت في : ا ، ب .

(٨) الشقشقة ، بكسر الشين : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه .

(٩) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

من بدائعَ لو عثر عليها سَحَرةُ موسى لَتابُوا ، وروائعَ لو اُطّلع عليها المصوِّرون لعدلوا عن نَهْجِهم وأنابُوا .

وما منهم إلا مَن بطَش فيما انتحى بباعٍ بَسيط ، ولم يزَل عن موقفِ الصّواب مقدارَ فَسيط[1] .

وكان بَقِيَ للشّعر خَصاصَة[2] فاستظْهروا على سَدِّها ، وأُنْشوطَة[3] استنهضوا هِمَمَهم لشَدِّها .

صَنيعُهم[4] صَيَّر الزمانَ من تقصيرِه في وَجَلٍ ، وأظنّه أطلعَ الوردَ في خدِّ الربيع إشارةً لما عنده من الخَجَل[5] .

فوسَمْتُ[6] في نحارِهم السَّفائن ، واستخرجتُ من محاسنِهم الدَّفائن .

واجتنيْتُ من ثَمَراتِ خواطرِهم كلَّ يانعٍ مُسْتَطاب ، وحشَوْتُ صدفةَ أذْني من تلك اللآلئِ الرِّطاب .

وملأتُ السَّمعَ منهم كلامًا يحسُد القلبُ عليه الأُذُنا

لكنّي لم أقضِ من رُؤْيتِهم مَطْمعًا ، حتى غرَبوا هم وشمسُ الفضلِ معًا .

فعاينْتُ الوجودَ دونَهم كالنّهار بلا شَمْس ، وعاينْتُ الأمرَ ولا هُمْ كالرّاحة بلا خَمْس .

وفقَدتُ بهم الوَطَرَ الذي شايَمْتُه ، والأملَ[7] الذي على الوفاء والرّعْي للذّمم بايَعْتُه .

---

(١) الفسيط : المفروق ، وقلامة الظفر . القاموس (ف س ط) .
(٢) في ج : « خصاصته » ، والمثبت في : ا ، ب .
(٣) الأنشوطة : عقدة يسهل انحلالها ، كعقد التكة . القاموس (ن ش ط) .
(٤) في ج : « صنيرهم » ، والمثبت في : ا ، ب .   (٥) في ج : « خجل » ، والمثبت في : ا ، ب .
(٦) في ا : « فرست » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٧) في ج : « والأمر » ، والمثبت في : ا ، ب .

فلم أَلبث حتى كرِهتُ الثَّوَى ، وتحرَّكتْ عزيمتى لِدَاعِى النَّوَى .

فانضيْتُ لجهة الرُّوم العَزْم ، وأدخلتُ على حرْفِ العِلَّة عاملَ الجزْم .

"فِعْلَ أمرئٍ جَدَّ جِدُّه ، وما رأيُه إلّا فى مَفْخَرٍ يستجِدُّه"[1] .

فإنَّ فى الانْتِقال تَنْويهاً لخامِلِ الأقْدار ، ولَوْلاه لم يَكْتَسِ البدرُ خِلْعَةَ الأبْدار .

وكذا الدُّرُّ ضائِعُ الحسنِ فى البَحْـ ـرِ فإنْ بانَ عنه راقَ جمالَا[2]

ومِياهُ البِحارِ مِلْحٌ فمهما حَمَلتْها السَّحابُ عُذْنَ زُلالَا[3]

فدخلتُ أمّهاتِ بِلادِها دورَ الخِلافة ، واستقرَيْتُ آخراً بقُسْطَنْطِينيَّتِها ، لا زالت مَصُونة مِن كلِّ آفة .

والدَّولةُ إذ ذاك بالكلِمةِ الغالِبة تنْطِق ، والدُّنيا تَتَوَشَّح بتلك الحِمايةِ وتَنْتَطِق .

والأيامُ مُقْسِطة ، والأنامُ مُغتبِطة .

والزمانُ كلُّه نَهار ، والمنازلُ كلُّها أزهار .

ومِلكُ الزَّمان السلطان محمدٌ ، ختَم اللهُ بتأمينه ، مُذ صافحت آفاقَها أسِرَّةُ جبينه .

حدَّثتْ عن الحياةِ الخضِرةِ جَنَباتُها ، واستحال زُمُرُّداً وزَبَرْجداً نَباتُها .

---

(١) يشير بهذا إلى قول الباخرزى ، فى مقدمة دمية القصر ١/٨ : «فعل امرئ جد فى طلب العز جده ،

وما رأيه فى عسْجد يستفيدُه ولكنّه فى مفْخَر يستجدُّه »

والباخرزى أخذ قوله هذا من أبى الطيب ، حيث قال :

ومـا رغبتى فى عسجد أستفيدُه ولكنها فى مَفْخر أستجِدُّه

ديوان المتنبى : ٥٤ .

(٢) فى ب : « أحسن الدر » ، وفى ج : « أحسن البدر » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ب ، ج : « صرن زلالا » ، والمثبت فى : ا .

والأفئدةُ بطاعته تَدِين ، وقد تَهَنَّى بمكانه الدُّنيا والدِّين .

ورأيتُ أستاذِى الشيخ محمد بن لُطْف الله[1] الذى توجَّهتْ بكُلِّيَّتى إليه ، وأوقفتُ أملِى مُذ أنا يافِعٌ عليه .

وهو مَقْصِدُ الواصِف والمادِح ، ومُلْهِجُ لسانِ النّاطِق والصّادِح .

وقد استوفَى مِن الصَّدارةِ تمامَ العِزَّة ، وأوفَى[2] شَرَفُه على[3] كلِّ الأعِزّة .

وكان للأدب ممن[4] تلافَى ذَمَاه[5] ، وروَى بِبِشْرِه ظَمَاه .

فأصبحت حَسَناتُ الدهرِ به موْفورة ، وسيِّآته بوجوده مغفورة .

وانفضتْ لديه عَلائقُ التّرحال[6] ، ورَفْرفتْ عليه آمالُ الرِّجال .

مِن كلِّ من اتَّخذَ الأدبَ مَفْخراً يُرْغِم به أنوفَ[7] المُفاخِرين ، والثّناءَ الجميلَ مُدَّخَرا ، وهو لسانُ صِدْقٍ فى الآخِرين .

فسـاقيتُهم بحَضْرته كُئوسَ مَوَدّة أصْفَى من الماء ، وتلقَّيتُ منهم كلَّ نادرة تَفضحُ نُجُمَ السَّماء .

ثم لمّا قضَى الله موتَ الأستاذ ، برَّد الله حُفْرتَه ، ونوَّر بنُور الغُفْران غُرّتَه .

قَضاً منه سبَق فى بَرِيَّتِه ، وسوَّى فيه بين آدمَ وذُرِّيَّته .

---

(١) محمد بن لطف الله بن زكريا ، الشهير بشيخ محمد العزتى .

ولد فى صفر ، سنة تسع وثلاثين وألف ، وكفله عمه شيخ الإسلام يحيى بعد وفاة والده ، واعتنى به ، فقدمه إلى علماء عصره ليقرأ عليهم .

اشتغل بالتدريس والقضاء ، واستقر فى الذروة العالية من قضاء عسكر ، ورئاسة العلماء ، وجمع من الكتب ما لا يدخل تحت حصر حاصر .

توفى ثالث عشر شوال ، سنة اثنتين وتسعين وألف .

خلاصة الأثر ٤ / ١٣١ ــ ١٤٢

(٢) فى ا : « ووافى » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٤) فى ب ، ج : « من » ، والمثبت فى : ا .

(٥) فى ا « ذماه » ، وفى ب : « ذمامه » ، والمثبت فى : ج ، وجاء مسهلا ليوافق الفاصلة الآتية . والذماء : بقية الروح .   (٦) فى ا : « الرحال » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) فى ا : « أنف » ، والمثبت فى : ب ، ج .

رأيتُ الدهرَ قد عانَدنى فى الدِّيارِ والأحْبابِ ، وكسانِى الشيبَ[1] قبل أن أعرِفَ مقْدارَ حقِّ الشَّبابِ[2] .

وقد وَلَّتْنى الثلاثون أذْنابَها ، وصَبَّت علىَّ المصائبُ ذِنابَها .

وغاب هِلالُ الصِّبا فى مغارِبه ، وألقيْتُ حبلَ الصِّبَا على غارِبه .

بعد ما كان ذَرْعِى عن همومِ الأَثَرِ خاليا ، وحالِى ببَرْدِ العيشِ حالِيًا .

فرَمَيْتُ الشَّامَ بعَزْمةِ المُنْتاب[3] ، وقد رَضِيتُ من الغنيمةِ بالإياب .

فجئتُها فى عصرٍ ذهب رُواؤه ، وفرَغَ من المعارفِ إناؤه .

وعَضُد[4] الأدبِ هَيِّض[5] ، وثَمْدُه[6] بعد هُنَيْئة غَيِّض .

حتى تقلَّصتْ ذيولُ ظِلالِه ، وبكتْ عيونُ المُنَى على أطْلالِه .

والناسُ إمّا ساكتٌ ألْفًا ، أو ناطقٌ خَلْفًا .

ولزِمتُ كِسْرَ البيت ، وسكنْتُ سكونَ المَيِّت .

مُتكفِّفًا بما فى يدِى ، ومستدْفِعًا ليومِى وغدِى .

وأنا فى الدنيا الموصوفةِ بالنضارة ، من جملةِ النظَّارة .

أرْمُقُها يَمْنةً ويَسْرةً ، فلا أرى إلّا همًّا وحسْرة .

ولا أرانِى إلا كاسِفًا مُعَنًّى ، وكأنّى لفظٌ بلا مَعْنى .

فزمانُ فرَحِى أقصرُ من التِفاتِ الحبيب ، وتلفُّتِى للسرّاء تلفُّتَ المريضِ للطبيب .

فى أوقاتٍ أثقلَ من الحديثِ المُعاد ، وأطولَ من عُمْرِ الانتظار لوقْتِ الميعاد .

لا سَمِيرَ لى أُوانِسُه ، ولا جليسَ عندى أُجانِسُه .

---

(١) فى ج : « الشيب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) المنتاب : المعتاد المراوح ، والمنتاب أيضاً : الزائر . تاج العروس ١/٤٩٦ .

(٤) فى ج : « وعصر » ، وفى ب : « وعضو » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « مهيض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وهيض : مريض مكسور . (٦) الثمد : الماء القليل المتجمع ، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر .

سوى أوراقٍ مزّقتها الرّيح ، وفرّقت شملَها التباريح .

ألتقطتُها كلَّ واحدة من بقعة ، وجمعتُها من كل رقّ رُقعة .

أكثرُ مافيها أشعارٌ لأهل العصر ، الذين ضاق عن الإحاطة بمفاخرهم نطاقُ الحصْر .

ممّن رأيته فكانت رؤيته لعيني جَلَا ، أو سمعتُ به فكانت أخبارُه لسمعي حُلى .

وكان كتاب « الرّيحانة » الشّهاب[1] ، الذي أغنى عن الشمس والقمر ، وأطلع الكلام ألذَّ من طيب المُدام والسّمر .

وناهيكَ بمَن استخدمَ الألفاظَ حتى قيل : إنها له مِلْك ، ونظمها فى أجيادِ الطّروس كأنّها جواهر لها كل سَطْرٍ من سطورها[2] سِلْك .

لم يزلْ من عهدِ صِباى ، قبل نَوْم سِيارتى[3] شَمولى وصَباى .

أُمنيةَ رجائى الحائم ، وبغيةَ قلبى الهائم .

وشمامتى التى أشتمّ ، ومسالكى[4] التى أهتمّ .

وزمزمةَ لِسانى ، وعقيلةَ استحسانى .

حتى أودُّ لو كانت أعضاىَ كلُّها نواظرَ تُبصره ، بحيث لا تملّ لحظًا ، وخواطرَ تتذكّره ، على ألّا تسأمَ حفظًا ، وألسنة تكرّره ، بشرط ألّا تقنع لفظًا .

فخطر لى أن أقدحَ فى تذييله زَنْدى ، وآتىَ فى محاكاته بما أجتمع من تلك الأشعار عندى .

---

(١) يعنى أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى ، شهاب الدين ، أديب عصره ، وصاحب التصانيف فى اللغة والأدب ، ترقى فى مناصب القضاء ، حتى أصبح قاضى القضاة ، ورحل إلى بلاد الروم والشام ، واستقر آخرا بمصر على قضاء يتعيش منه إلى أن توفى سنة ١٠٦٩ هـ

خلاصة الأثر ١/ ٣٣١ ، صفوة من الشمر ١٢٨ ، وانظر مقدمة ريحانة الألبا ، تحقيق .

(٢) فى ب ، ج : « سطوره » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « سيارتى » ، والمثبت فى : ا ، ج

(٤) فى ا : « وسلوتى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وقَصْدِى بذلك إشْغالُ الفِكْر، لا الانْضِمام إلى مَن فاز بأَوْلى الذِّكْر.

وإلّا، فمَن أنا حتّى يقال، أو إذا عثرْتُ عثْرةً تُقال.

سِيَّما إذا قُرِنْتُ بمَن جاريْتُه فى مَيْدان الكلام، أو ضُمِمْتُ إلى مَن باريْتُه وإن لستُ له بارِىَ أقْلام[1].

وإنّى لو تطاولْتُ إلى الفلك، وتناولتُ عن المَلَك.

واتّخذْتُ الدَّرارِىَ عقودا، وزهْرَ المَجَرّةِ نقْدًا منْقودًا.

ما بلغت مكانه، ولا أمْكَنَتْ[2] من أمر البَراعة[3] إمْكانه.

فأقدمتُ سائلا من الله أن يجعلَه سهلا، وأنا أستغفره لتطلُّعى لما لستُ له أهلا.

وسوَّدتُ أعيانًا بيَّضتُ بهم وَجْهَ الطُّروس، وأحيَيْتُ لهم أبياتَ أشْعارٍ كادت تشارِف الدُّروس.

من كل لفظ أرَقّ من نَفْحة الزَّهْر فى الرَّوْض المتّسِق، وأحسنَ موقِعًا من لَثْمِ المعشوقِ فى وَجْه العاشِق.

وأبنتُ فيهم فصولًا تشهد لهم بالتّفضيل، وتقْضِى بأنّ كلّ وصْفٍ فيهم فُضول، بالإجمال والتّفصيل.

وإنّى محاسب نفسى إذا مال، والمسدى إذا قال.

لا أمدحُ إلّا ممدوحًا، ولا أقْدحُ إلا مقْدوحا.

ولا يستفِزُّنى رعْدُ كلِّ سحابة، ولا يستخفّنى طنينُ كلِّ ذبابة.

ورَقَمْتُ من الكلام المُصَرَّع، والإنشاء النّفيس المُرَصَّع.

ما استَنْبطْتُه[4] من ذواتِ الصَّدْر، وألْممْتُ به كالقمر ليلةَ البَدْر.

---

(١) فى ا: «الأقلام». والمثبت فى: ب، ج. (٢) فى ب: «مكنت»، والمثبت فى: ا، ج.

(٣) فى ج: «البلاغة»، والمثبت فى: ا، ب. (٤) فى ا: «أستنبطه»، والمثبت فى: ب، ج.

غُرراً ابتدعتُها وسبكتُها، ومعانيَ آدابٍ اخترعتُها واقتضبتُها.

تطرّزها الأقلام، وتزهى بها أرديةُ الكلام.

ولم أودِع إلا ما حَسُن إيداعه، ولطُف مَساغُه وإبداعه.

واقتنعتُ من القول بطُرَفِه، واستحلبتُ منه بدائعَ طُرَفِه.

إذ لا فخرَ للاقط، تناولَ كلَّ ساقط.

ولا فضلَ لمتخيّر، هوى لم يبحثْ ما يأتي به متخيّر.

فكم من بيت إذا أخذ الإذنَ على الأذن تجرّعه ولا يكاد يُسيغه، وكم من معنى

إذا حاول ناظمُه لم يتأتّ له كيف يصوغه.

وكنتُ عزمتُ على ألا أترجمَ أحداً ممن ترجمه، ثم عدلتُ: لأني رأيتُ

الشيخَ المتقدّم قد ترك بعضَ تراجمه مُدرجة.

فإنه وإن نوّه بخبر، إلا أنه قصّر في الإطراء بشعرهم، وإن أطنب في آخرين:

إلا أنه لم يذكر عيونَ أشعارهم.

على أنه — نوّر الله مرقده — قد حوى من [illegible] يومَ العرض أبو زيد — أخمل من

الوحدة [illegible]، وكأنه أومأ إلى قولهم: في الزوايا خبايا (1).

فذكرتُ من أغفله ذكراً شافياً، وأعدتُ مما فوّته (2) قدراً كافياً.

ومن نظر بعين الإنصاف، واتّصف من المَعدَلة (3) بأحسن الأوصاف.

علم أني أتيتُ بما يرضي في الجملة، ولم (4) أقصّر كلَّ التقصير في خدمته.

فربّ مَن أحسن قبلي وقبل كلامه، وقلّ في مثل هذا العرض ملامه، إنما أحسن

والدنيا شابّة، وريحُ القبول هابّة.

---

(1) في أ، ب: «بقايا»، والمثبت في: ج. (2) في أ: «فوقه»، والمثبت في: ب، ج.

(3) في ب، ج: «العدالة»، والمثبت في: أ. والمعدلة، بكسر الدال وفتحها: العدل.

(4) في ب، ج: «ولا»، والمثبت في: أ.

والأيامُ مُساعِفة ، والأوقاتُ مُساعِدَة .

والسُّعود قائمة ، والنُّحوس نائمة .

وأنا قد وُجدتُ في زمان هَرِمتْ فيه البلاغة ، وفترت الدَّعوة وكسَدت السُّمعة ، وبطلت الصَّنعة .

وأعظمُ شيء في الوجود تمتعا ساحٌ مُرادٌ من عُفيّ زمانِ

وقد رتَّبتُ الكتابَ على ثمانية أبواب :

الباب الأول : في محاسن شعراء دمشق ونواحيها .

الباب الثاني : في نوادر أدباء حلب .

الباب الثالث : في نوابغ بُلغاء الرُّوم .

الباب الرابع : في طرائف ظُرفاء العراق والبَحْرَيْن .

الباب الخامس : في لطائف لُطفاء اليمن .

الباب السادس : في عجائب[1] نُبهاء الحجاز .

الباب السابع : في غرائب نُبهاء مصر .

الباب الثامن : في تحائف أذكياء المغرب .

وسمَّيته « نَفْحة الرَّيحانة ، ورَشْحة طِلاء الحانة » .

والله سبحانه مُوفِّق لما أردْتُه ، ومُسدِّدي فيما أوْردتُه .

ولما شارفْتُ فيه التَّمام ، ووقفْتُ في التَّبييض على طَرَف الثُّمام .

نظرتُ فرأيتُ بقيَ عليَّ من أشعار أهل الحجاز واليمن حِصَّةً يَسيرة ، كانت عليَّ في التَّحْصيل عَسيرة .

فحين مَنّ الله عليَّ ، وله المِنَّة ، والمِنْحة التي لا يَشوبها كَدَرُ المِحْنة .

(١) في ح : « نجائب » ، والمثبت في : ا ، ب .

بالحجّ والمجاورة فى بيته المحترم ، وبسمتْ لى من أهله ثغورُ الفضلِ والكرم .

حصلتُ على ضالّتى التى أنشد ، ووقفتُ إلى مَن يوصَل إليها ويُرشد .

ورأيتُ ثَمّة مِمّن لم أسمعْ بهم قوماً دَعَوا الآمالَ فلبّتهم ، وتصرّفوا بالأدب وأهبه من منذ عُقدتْ عليهم حُباهم .

من كلّ إمامٍ شابَ رأسُ المصابيح وما رأتْ له عَـديلا ، وخطيبٍ تقوّس ظهرُ المحاريب وما وجدتْ له بَديلا .

وحكيمٍ يَبرأ به الزمانُ من مرضه ، وشاعرٍ يُجرى حياةَ النفوس فى غرضه .

هم نشاطُ الدّهرِ وشبابُه ، وخالصةُ المجدِ ولُبابُه .

كأنّ الله قد[١] أوحى إلى البلاغةِ أن تجرىَ بمرادهم ، وعهدَ إلى البراعة أن تكون طَوْعَ أيرادهم .

فهبّت لى منهم أنفاسٌ نديّة ، ونفحتْ أسحارهم بروائحَ ندّية .

فكانت أعطرَ من نشرِ الخزامى[٢] ، وأرقّ من أنفاسِ النُّعامى[٣] .

فتناولتُ من أشعارهم ما جعلتُه وِشاحاً مُذهباً بذكرهم ، وفتّقتُه مِسكاً أذفرا بشكرهم .

وراسلونى بكل حسنة تستدعى عشرَ أمثالها ، فقابلتُهم كأنّنى المرآة التى كلُّ صورةٍ بمثالها .

وأنا وربِّ الكعبةِ أحبّهم ديناً وجِبلّة ، وأتّخذهم حَرَماً لأمانيّ وقِبلة .

وأشكرهم شُكرَ الرّوضِ للسّما ، وأُثنى عليهم من الأرض إلى السّما .

ولمّا برزت الإرادة الإلهيّة بمفارقتى البيتَ والمقام ، وبُعدى عن ذلك المحلّ الذى ختمَ الرِّضا فيه وأقام .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) الخزامى : نبت ، أو خيرى البر ، زهره أطيب الأزهار نفحة .   (٣) النعامى : ريح الجنوب .

عزمتُ على الرِّحلة إلى القاهرة ، لأسبر ذلك الجمع ، وأطابق ما بين العيان والسَّمع .

فمنعني حُكمُ القضا ، الذي لا يُقابَل إلّا بالرِّضا .

فوجّهتُ وجهي نحو بلادي ، ونزعتُ إلى ما تركته من طريفي وتلادي .

أستهدي طُرَفَ الآثار لأودِعَها كتاب التحائف ، وأخطُّ نونات المنى تابدي العِيسِ في تلك الصَّحائف .

فلمّا ألقيتُ بدمشق عصا التَّرحال ، وحلَلتُ [١] في ساحتها عُقدةَ الرِّحال .

عمدتُ إلى مجموعي الذي انتحَيت ، وطِلْقي [٢] الذي إليه تنحَّيت .

فضممتُ إلى الأصل ما تلقَّيته ، وأثبتُّ ما اخترته من الأشعار وانتقيته .

وحُبِّب إليَّ الاعتزال عن الناس ، فلم أخالطهم في وحشة ولا إيناس .

إلى أن ورد إلى دمشق الأستاذ زين العابدين البكري [٣] ، وللحياة [٤] عَطْفَة [٥] بشَّة ، وللجذَل [٦] نِعمة هشّة .

وللهضب رَجاحُ [٧] أحتبائه [٨] ، وللنور المقدَّس جوهرُ حَوْبائه [٩] .

فاستخرجني من مطمورة المنزل ، وصيَّرني عن الهمِّ في معزِل .

وأطلقَ أملي وكان معقولا ، وأعاد خاطري بعد الصَّدأ مصقولا .

فتمتَّعتُ في أوقاته مبتسما ، واغتنمتُ للعُمر الهنيّ موسما .

ورأيتُ بِشْراً يطَّرد وصيلا ، وإقبالا يتعاقب بُكرةً وأصيلاً .

وكان أشار إليّ بالرِّحلة معه حين أن همَّ بالرَّجعة ، فتخلّفتُ لعائقٍ خلّفني لؤلؤ ، وخلّى بين الغرام وضلوعي .

(١) في ح : « وطويت » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) الطلق : غير المقيد .

(٣) سيترجمه المؤلف في القسم الخاص بمصر . (٤) في ا : « الحياة » ، والمثبت في : ب ، ح .

(٥) في ا ، ب : « عصمه » ، والمثبت في : ح . (٦) في ا : « وللجدال » ، والمثبت في : ب ، ح .

(٧) في ا ، ح : « رجح » ، والمثبت في : ب . (٨) في ا : « أحنائه » ، والمثبت في : ب ، ح .

(٩) الحوباء : النفس .

ذاك واقع المجد لا النجد، وغزالة العليا لا الأفيا.

فلولا النفائس لم تحفل بالأدراج، ولولا الكواكب لم تحفظ الأبراج.

ولا اتخذ الغمد لولا الحسام، ولولا الأرواح لم تؤلف الأجسام.

مقتبس نور الفكر، مقسم الأنداء بين المنثور والذكر.

على أني وإن بعدت المداني، فإنا بولائه وصدق مودته داني.

وإن لم تطلعه الركائب أسنده [1]، فقد أطلعت منه على المودة [2] الأفئدة.

وهذه علاقة ستجد كل حلي [3]، لأنها ليست تعرض [4] لي.

بل علقته لأخلاقه لا لأعلاقه، وتعلقت بآدابه لا بأهدابه.

وصرت أود لو طرت إليه كل مطار، وكنت معه على آمال وأوطار.

فبينما أنا أنتظر نحوه [5] طريقا، وأطلب للوصول إليه فريقا رفيقا.

إذ قدم الشام المولى الهمام [6] الأعظم محمد الباقي المعروف بعارف [7]، فأصبح بمصر، وهو من إذا كنت أذكره أميل كغصن البانة الناعم النضر، وإذا مازحت أشكره، أروح كأني قد خامرت من السكر.

وأجد نسيمه إذا تنسمته، كالمسك يعبق بالندى والعطر، وأجتلي منه كلما توسمته خلقا كزاهي الروض بل هو أعطر.

من ابتسمت به الأيام وكانت عابسة، وأورقت غصون المنى بعد ما كانت يابسة.

---

(١) في ب، ج: «الشيدة» والمثبت في: ا. والإسناد: الإغذاذ في السير، وسير الليل بلا تعريس، أو سير الإبل الليل مع النهار. القاموس (س ن د).

(٢) في ج: «الخبة». والمثبت في: ا، ب.

(٣) في ج: «حلي». والمثبت في: ا، ب.

(٤) في ج: «تعرض». والمثبت في: ا، ب.

(٥) في ج: «إلى قربه». والمثبت في: ا، ب.

(٦) ساقط من: ا، ب، وهو في ج.

(٧) سترجمه المؤلف، برقم ١٥١.

وأنارَ به وجهُ الزّمان ، وأخذَ الأنامُ من الدّهر توقيعَ الأمان .

فإنّه أمدّه اللهُ بتوفيقِه ، وسدّد سهامَ رأْيه بتفوِيقه .

تفرّد بجمْعِ الكمالاتِ فلا يُشْرَك ، وتوحّد في استِيعاب العُمومات فلا يُدْرَك .

فطابُ الثّناء فيه هيّن ، ومَرْكَب الإطْراء فيه ليّن .

وإن من النّعمة[1] على المُثني عليه ، أنّه لا يحْذَر أن تُنْسَب نقيصةُ الكذبِ إليه .

ولا ينتهي إلى محلّ في ثنائه ، إلا وجَد له عوْنًا في أثنائه .

ومن سَعادةِ جَدّه ، وبلوغه في الحظّ نهايةَ حَدّه ، أنه إذا دَعَا له لم يجد عنهُ متخلّفا ،

بل يرى كلّ راءٍ وسامعٍ إليه مجاوبا .

فما تروّيتُ من ماء بِشْره ، ونَعِمْتُ وللهِ [2]الحمدُ بتقبيل[2] عَشْره .

أنهضني القيامُ بنعْمتِه ، إلى أن أكون في خِدْمتِه .

فصحبتُه مُصاحِبًا به المُنى والآمالَ ، وخدَمْتُه فكساني شرفَ الشّمس في

بُرْجِ الحَمَل .

ولما حللْنا[3] القاهرةَ أنزلني في حِماه ، وأحلّني حيثُ تدفّق سَيْبُ[4] نُعْماه .

وتوافَق مع الأستاذ[5] ـ مَدّ اللهُ في جاهِه ، وجمّل النّوعَ الإنسانيّ بحياة أشباهِه ـ

على تزوِيج حظّي ، وفتَحا بنظرِهما إلى الأمنيّةِ لَحظي .

وخصّاني من برّهما المُمتدّة أطْنابُه ، ما يعجزُ عنه إسهابُ القولِ وإطْنابُه .

فقتّقا لساني بأمداحِهما ، ووزنانى فرجحْتُ سائرَ مُدّاحِهما .

---

(١) في ح : « النعم » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٢) في ب ، ح : « نعمه على نفسه » ، والمثبت في : ا .

(٣) في ا : « حللت » ، والمثبت في : ب ، ح . (٤) في ح : « سيل » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٥) يعني الأستاذ ابن العميد الكبير ، الذي تقدم حديثه عنه في صفحة ١٣ .

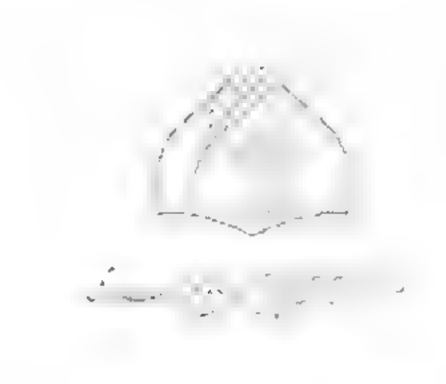
وأنا الآن فى ظلِّ رعايتِهما مُصاحبٌ الرّاحـةَ والدَّعَة ، وأيْنَما حلَلْتُ نزلتُ على الرَّحْبِ[١] والسَّعَة .

فلهذا صَفَا فِكْرى فى (٢هـذه الأيام٢) من الشَّوائب ، وأمِنتُ — بعونِ الله — وَصْمَةَ النَّوائب .

وشرَعتُ بأمْرِهما فى نَسْخ ماسوَّدْتُه أوّلا وثانيا ، ولم أكن لعِنان عَزْمى ثانيًا .

وأنا سائلٌ مِن واهِب الآمال، أن يُبيِّضَ وجهى يوم[٣] عَرْضِ الأعمال .

ومن هنا أشْرَع فيما عمدتُ إليه ، فأقول مُفوِّضًا أمرى إلى الله ، ومُتَّكلا عليه :



(١) فى ج : « الراحة » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) فى ج : « هذا الزمان » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٣) فى ج : « عند » والمثبت فى : ا ، ب .

البَابُ الأوَلُ

في محاسن شُعَرَاءِ دمشق وَنواحيها



الباب الأول فى ذكر محاسن شعراء دمشق الشام ونواحيها

لازالت[1] طَيِّبَةَ القَرار والبَشام

وهى كما عَلِمتَ من عهد أن دخلتْها العرب، موطن[2] كلِّ أديب ، لك فيه الأرَب .

وقد أنجبَتْ فى كل وقت وأوان ، بقادة كلُّ كلمة منهم بديوان .

حتى أرانا الله بقاياهم ، وأطْلعنا على خَبايا زَواياهم .

فهم أئمّةُ الفضل المتوّجون بتيجان اللَّطافة والملاحة ، وهم مَطْمَح أنظار الأمل ، فما غيرُهم قَيْدُ العيون اللّماحة .

بهم تفضّل أهلُ البلاد ، وصعَدَ إلى أُفق الثريا ، ومنهم تميس بستانُ الفكر بعد طَمِئه[3] رِيّا .

فلا غَرْوَ أن هم بهم شجرُ الأدب ونبت ، وغُرِس فى قلوبهم شجرُ المحبّة فسقَى ذلك الغَرْسَ بمائه فنبت .

وكانت حياضُ طروسهم زاهية بجواهر كلامهم وكَلِمهم ، وزيّنت مقلتا الدهر من منطقهم المترجِم عن حقائق أحوالهم وأقوالهم .

فمنهم :

* * *

---

(١) فى ا : « برحت » . وثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : « موطن » . وثبت فى : ا ، ب .

(٣) الظماء والصدى : بمعنى .

١

أبو بكر بن [منصور العمري]*

قدمت هذا الشيخ رعاية لاسمه، مع أني أعلم أن له القيام على حد الأدب ورسمه.

فهو الذي خاض في بحر [illegible] أتم خوض، وعقد في أقسامه عقد الأزاهير في سرحة الروض.

إن سطا بمعازلة الغزلان فموصوف بظرف أبي [illegible]، أو [illegible] فقدود الغانيات فأين منه [illegible](١).

وإن انتدب لوصف(٢) الخمر والكاس، أنسى ذكر خمريات أبي نواس.

وإن رثى [illegible] أبي [illegible]، وأوفى [illegible] المراثي على [illegible].

* أبو بكر بن منصور [illegible]

[illegible]

وحوده [illegible].

وكان [illegible] الفصيح [illegible] وكتابه.

رحل إلى [illegible] والشرق، ومصر [illegible].

وكان يشتغل [illegible].

[illegible]

ترجمته [illegible] ٢٨٩ [illegible] ١٩٩.

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

[illegible] ٢٦١ : ٢ ــ ٣٤٠، معجم الأدباء ١١ : ١٣٤ ــ ١٤٨ [illegible] ١٨٠.

(٢) [illegible]

فهو أغوص في بحور الشعر من ابن قادوس[١] ، وأصلح[٢] إذا جد وهزل من ابن حجاج[٣] وابن عبد القدوس[٤] .

له فكرة في النظم صافية ، ما عوقت له[٥] قط[٦] قافية .

فإذا أملى من نظمه قطعة وأحسبها من روض الجنان مقتطعة ، [illegible] له [illegible] ،
ولم يخف له[٧] في [illegible] .

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه ما خالط اللحم والدم

وقد خلب الدهر أشطره ، وملأ كتاب عمره أسطره .

وحادثت أحداثه ، و[illegible] وأحداثه .

وأخبرني والدي ، قال : رأسه ولحيته أنقى من الفضة ، وأيام حياته قاربت أن تصير منفضة .

ومع أن[٨] السنين[٩] لا [illegible] مع الركب اليمانين هواء .

ومضى زمن وأدباء الشام به [illegible] ويحكمونه فيما هم فيه مختلفون .

وبلغني أنه كان يحضر السوق ، وهو [illegible] على جانب من [illegible]

---

(١) في ب : « أبي قادوس » ، وهو خطأ ، صوابه في : ا ، ج .
وهو أبو الفتح محمود بن إسماعيل [illegible] ، المعروف بابن قادوس ، من كتاب [illegible] بمصر ، ومن شعرائها ، توفي بمصر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .
أخبار مصر ، لابن ميسرة ٢/٩٧ ، الأعلام ٨/٤١ ، خريدة القصر ، قسم مصر ١/٢٢٦–٢٣٤ .
(٢) في ج : « وأصلح » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) هو [illegible]
[illegible]
وفيات الأعيان ١/٢٦٤ ، [illegible] ٣/٢١٣ .
(٤) هو أبو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي ، [illegible]
[illegible]
تاريخ بغداد ٩/٣٠٣ ، [illegible] ١/٣٩١ ، نكت الهميان ١٧١ .
(٥) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٦) بعد هذا في ج [illegible] .
(٧) ساقط من : ا ، ب ، وهو في : ج . (٨) ساقط من : ا . (٩) في ج : [illegible] .

عملا بالأثر : « لو كنت تاجراً لاتجرت بطيب ؛ إن فاتني ربحه ما فاتني ريحه » .

فانظر إلى منافه كساد سوقه ، وضيعة حقوقه .

على أن له في سوقه[1] الفضلاء أسوة ، وكذا استمر منهم لأعمره كسوة .

هذين الفقرتين للباخرزي[2] ، احتججتهما ، وفي هذا المحل أدرجتهما .

قال : « وهم : نصر بن أحمد الخبزأرزي[3] ، وأبو الفرج الوأواء الدمشقي[4] ، والسري الرفاء الموصلي .

قال[5] : وهم الذين إذا بدت آياتهم المشوقة ، كان من تقدمهم من الأدباء عندهم سوقة .

أما نصر ، [6]فكان يصنع خبز الأرز بالبصرة وتجتمع الأدباء بحانوته[6] .

وأما أبو الفرج فقد[7] كان ينادي بالفواكه رائحاً وغادياً ، ويستملي عليه مناديا .

وأما السري ، فقد كان يطرز[8] الخلق ، ويرفو[9] الخرق ، ويصيب لت العترة .

ويزعم أنه يسترزق الإبرة .

وكيف ما كان فالحرفة[10] لا تخلو[11] من حرفة[12] ، والصنعة[13] لا تنجو

---

(١) السوقة : الرعية . (٢) ذكرهما في كتابه دمية القصر ، عند ترجمة أبي هلال العسكري ، وانظر النقل الآتي أيضا ، في هذا الموضع ، دمية القصر (الطباخ) ١٠١ . (٣) في الدمية : « الخبز أرزي » ، والمثبت في الأصول ، وكلاهما صواب . انظر اللباب ١/٣٤٣ . (٤) ساقط من الدمية .

(٥) هذا قول الباخرزي . (٦) ساقط من : ب ، وهو في ج ، وفي دمية القصر : « فقد كان يدعو الأرزية ، ويشكو في أشعاره تلك الرزية » . (٧) في ب : « فيه » ، والمثبت في ا ، ج ، والدمية . (٨) في ب ، ج : « يطوى » ، والمثبت في : ا ، والدمية . (٩) في ب : « ويرفع » ، وفي الدمية : « ويرفو » ، والمثبت في ا ، ج . (١٠) والدمية : « فهذه حرفة » . (١١) في ا : « تخلو » ، والمثبت في ب ، ج ، والدمية . (١٢) في ج : « حرفه » ، والمثبت في : ا ، ب ، والدمية ، والحرفة ، بضم : الحرمان ، انظر : اللسان (ح ر ف) ٩/٤٣ . (١٣) في الدمية : « والصنعة » .

من صَرْعة[١] ، والبضاعة[٢] لا تسلم من إضاعة ، والمتاع[٣] ليس لأهله باستمتاع » .

وأُخبرت أنه كان سَموحاً[٤] بما مَلَك ، متخلياً عن الإمساك أية سَلَك .

يصبح يَدَيه على المُقْدِين ، فلا يُمْسِي إلا وهو منها صِفر اليدين .

وقضى عُمرَه في عِيشة[٥] هنيّة ، أغصان عيشها مزالت جَنيّة .

لا يُكدره بُؤس ، ولا يُكدّره يومٌ عَبوس .

بين رياض مُهزّات نَبْتها رَيّانة ، وغِياض أساجيع أطيارها مِرْنانة .

وقد وقفتُ من أشعاره الغضة التُّحَف ، مابه ديباجة كتاب[٦] اللطائف والبدائع تُحَف .

فأوردت منه[٧] مايهزّ له النسيم عِطْف كلامه[٨] ، ولا ندرى أسِحْرٌ هو أم كلام .

فمنه قوله[٩] :

لو تَمّ لى فى الحب سَعْدِى ... ... ما أخلفت وَعْدِى[١٠]

لكن مقادير ... القضاء ... حكمت ... بعدى

لو ... حظ كل منيّم ... مِن حظه برمى ... طَرْدِ[١١]

ياعَجَبا فى القلب من ... قَدِّك أىّ وقد

ماكنت أدرى قبل ... ذلك أن سهم جفاك يُرْدِى

حدّثت ... أزْوِيك العيو ... ن علامة ... خدّ[١٢]

(١) ق الدمية : « صرعة » . (٢) ق الدمية : « وبضاعته » . (٣) ق الدمية : « ومتاع » . (٤) كذا بالأصول . (٥) اليتيمة : رغد العيش . (٦) ساقط من : ب ، وهو ق : ا ، ج . (٧) ق ا : « له منه » ، وهو ساقط من : ج . (٨) ق ج : « الكلام » ، والمثبت ق : ا ، ب . (٩) القصيدة ق تراجم الأعيان : ١ / ٢٨٨ ـ ٢٩١ . (١٠) ق تراجم الأعيان : « ما عصن ... » . (١١) ق تراجم الأعيان : « من عكسه » .

(١٢) ق تراجم الأعيان : « علام ترويها » .

يا سيدي إن كان لي ذنبٌ فقلْ أخطأتَ عبدي

ما خنتُ عهدَكَ في المحبـ ـةِ كيفَ حتى خُنتَ عهْدِي

كلاّ ولا أفشيتُ سِرّ هَواكَ والأسرارُ عندي [1]

وأبي بحقّك [illegible] وأبي ووجدي [illegible] وجدي [2]

أرضى [illegible] أهوى [illegible] ق [illegible] يدولني بعدي

أخفيتُ [illegible] في الفؤا د [illegible] دمعي [illegible]

وعدا على جسمي النحو ل فعاد للأسقام يبدي [3]

نحن الهوى جمعت على [illegible] أحسنها [illegible]

فالشعر يشهد والدمو ع بوحدتي في العشق وحدي

يا بدر [illegible] الشعرا إن الشعر [illegible]

واعمتْ رسول الطيف [illegible] مع ما أعيد له وأبدي

آها على زمن [illegible] كانت قولي آه بعدي

أيام وصلي [illegible] مقطع [illegible] لوصال [illegible]

والشمال [illegible] على حسب بود [illegible] وذ [4]

وأضم منك [illegible] بردت جوى وجدي [illegible] [5]

وتميل إذ تهوى إلى [illegible] فوق زندي

وتقول [illegible] هل ترى [illegible] حسن [illegible]

والشمس والبدر [illegible] [illegible] وعندي

والعشق [illegible] [illegible] إن فس [illegible] [illegible]

(١) [illegible]

(٢) في [illegible] (٣) [illegible]

[illegible] (٤) [illegible]

(٥) في [illegible]

ومنحتني منك الوصا ... ل تبرعاً وهجرت صدّى(1)

فجعلت وجهك حضرتي ... وحديث راحك لذلك وِرْدى

وعلمت أنّ بنا روْ ... ض الوجه أن الخدّ ورْدى

وتيقنت لما ذقت طعـ ... ـم الريق أن الثغر شهْدى

والفرق يشرق صبحه ... في ليل فرع منه جَعْد(2)

فأطعت فيك صبابتي ... وعصيت لوامى وزهْدى

وقضيت أوطارى وقد ... غفل الرقيب فنلت قصدى

والخصر أشبهني بأنـ ... ـى بتّ في أكناف نجد

والردف زاد وقد شكا ... ل منه منه برفْدى(3)

أحبب بنات لياليـ ... ـنا قد أشرقت ببدور سعْدى(4)

فسقى معاهد الصبا ... صوب العهاد بكل عهد

وسرت بها روح الصبا ... سحرا فأحيت ميْت نِدّى(5)

* * *

وقوله من قصيدة مستهلها :

إنْ خَلَعنا على العِذارِ العِذَارَا ... لم يكنْ ذاكَ في المحبّةِ عارَا

منها :

أيُّ من جآذرِ التُّركِ ظبْياً ... تركَ الأُسْدَ في هواهُ أسارَى(6)

نائِمُ اللحظ منه ما يرى النا ... سَ سُكارى وما همْ بسُكارَى

(١) في ب : « وهجرت صدى » ، وما في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) في تراجم الأعيان : « في ليل شعر » ، ورواية الصحة وفي ، وهي إحدى نسخ تراجم الأعيان . (٣) في تراجم الأعيان : « ... كمل ... منه » . (٤) في تراجم الأعيان : « أحسن ... » .
(٥) في تراجم الأعيان : « ... » . (٦) في ا : « ... » ، وما ... في ... ج .

قمرٌ فوق [illegible] يتجلّى ... لا خسوفًا يخشى ولا إقصارا[1]

تجدُ الطرفَ منهلاً عند مَرْ ... آه ولكن سوى القلب دارا

قد علمنا أن القدودَ غصونٌ ... فمتى ذا أقلّت الأقمارا

وعهدنا البدورَ فى الليل تسرى ... كيف حتى غدت تسير نهارا

وبجفنيه لوجنته تشبه النـ ... ـرَ صِرامًا ونبْتَ الجُلَّنارا

يالها وجنةً حكت جنّة الحسـ ... ـن ومنها العِذارُ آسٌ ونار

ومنها :

قدّمِ الراحَ يانديمى لعلّى ... أعقِرُ الهمَّ إن شربتُ العُقارا

وأجِلْ كاساتِها علىّ وزمزمْ ... باسمِ مَن صيّر العقولَ حيارَى

قهوةٌ مثلُ دمعةِ العينِ فى الكا ... سِ صفاءً فالليلُ زاد اعتكارا

وأدِرْها إذا النجومُ تجلّت ... ونهتدى من زهرها الأنوارا

وكأنّ السماءَ روضةُ حُسْنٍ ... أطلعتْ فى مقامنا أزهارا

والثريا كأنها فى الدجى [illegible] ... [illegible] بالسعود مدارا

وكأنّ الهلالَ يحكى وقد لا ... حَ من الغرب زورقًا أو سوارا

فاسقنى من يديك حتى يرى الفجـ ... ـرُ عن الشمس قد أماط الإزارا

وصِلِ الليلَ بالنهار فمن أ ... عيش أهناه ما يكون جهارا

فى رياضٍ حكى بها الزهرُ والور ... دُ النضيرانِ فضةً ونُضارا

وكأنّ الأقاحَ فيها ثغورٌ ... عن غوالى الجُمانِ تبدى افترارا

وحكى النهرُ مِعصمًا وسوارا ... [illegible]

فاترعِ الكأسَ لا عدِمتُك صِرفًا ... فعلى الصرفِ نصرفُ الأعمارا

---

(١) [illegible] : « لا تخشى خسوفا ».

ثم زد ما استطعت حتى ترانى … قد خلعت الوقار والبيقارا[1]

وعقيد أهيف حرام ووزر … لا نوافق يهودها والنصارى

وأمّل العفو فالكريم رحيم … قابل التوب يغفر الأوزارا

* * *

وله في الغزل :

سيدي مذ غبت عن نظري … لم أفق من خمرة الكدر

أحسب الصبح العشا أبدا … ومساري أول السحر

لم تمل روحي إلى وطن … لا ولا قلبي إلى وطر

سل نجوم الأفق عن قلقي … فعسى تنبيك بالخبر

لا وعين فيك راقدة … لم تذق عيني سوى السهر

أيها البدر الذي حجبوا … نوره الوضاح عن بصري

لو ترى حالي بكيت على … قلبي المسجون في سقر

كدت أخفى من ضنى جسدي … عن عيون الجن والبشر

* * *

للشعراء في وصف نحول العشاق مبالغات غالبها محمول على الإغراق ، ومن أبلغها قول أبي بكر الخالدي :

مهند جاءه التفريق في أوصاله … أضناه سيده ظلما بتوبيخه

فرق حتى لو أن الدهر قاد له … حينا لما أبصرته مقلتا أجله

وأعجب منه قول أبي الطيب[2] :

(١) كذا في ا ، ب ، ج ، وفي د : « والبيذارا » ، ولم أعرفه .
(٢) ديوان المتنبي ٢٠٩ ، ومعاهد التنصيص ١/٢٦١ .

ولو قلمٌ أُلقيتُ في شقِّ رأسِهِ ... من السُّقْمِ ما غَيَّرتُ من خطِّ كاتبِ

وغريب قول التمّار الواسطي[١]:

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ ... واليومَ لو شئتُ تمنطقتُ بِهْ

وذُبْتُ حتى صِرْتُ لو زُجَّ بي ... في مُقْلةِ النائمِ لم ينتبهْ

وقول المظفر بن كيغلغ[٢]:

عبدُكَ أمرضتَه فمُدَّهُ ... أتلفتَه إن لم تكن تردُّه[٣]

ذابَ فلو فتّشتَ عليـهِ ... كفّك في الفرشِ لم تجدْهُ

وقول أبي الفضل بن العميد[٤]:

لو أنّ ما أبقيتَ من جسمي قذى ... في العينِ لم يمنعْ من الإغفاءِ[٥]

***

وللعمري:

يا مَن يفوّقُ لحظُـهُ ... سهماً بسحرِ الهدبِ راشَهْ

أفديكَ ما ريمُ الصّريـ ... ـمِ فداكَ ينسبُ للوحاشَهْ

يرعى من الأرضِ الحشيـ ... ـشَ وأنتَ مرعاكَ الحشاشَهْ

أجاد في التنظير، وأربى على قول الآخر:

يرعى القلوبَ وترتعي الـ ... ـغزلانُ بروقَه وشيحَهْ

---

(١) ذكر الباخرزي، في دمية القصر لوحة ٦٩ ا: «أبو الفرج محمد بن الحسين التمار الواسطي»، كما ذكر الثعالبي، في يتيمة الدهر ٢/٣٧١: «ابن التمار الواسطي».
والبيتان في معاهد التنصيص ١/٢٦٠، وذكر العباسي أنهما للتمار الواسطي، وقيل: لنصر الخبز أرزي نصر بن أحمد الخبز أرزي.

(٢) البيتان أيضا ومعاهد التنصيص ١/٢٦٠. (٣) في ا: «عبدك أمتعته». والمثبت في: ب، ج، ومعاهد التنصيص.

(٤) يعني محمد بن الحسين. والبيت في يتيمة الدهر ٣/١٧٧، ومعاهد التنصيص ١/٢٦٠. (٥) في يتيمة الدهر، ومعاهد التنصيص: «فلو أن ما أبقيت».

والبَرْوَقة : شجيرة تخضرّ إذا رأتِ السَّحاب[1] ؛ وذلك قولهم : « أشكرُ من بَرْوقة »[2].

وعلى هذا المعنى حُمِل قول أبي الطَّيِّب[3] :

* أعداء ذا الرَّشَإِ الأغنِّ الشِّيحُ *

بعد قوله :

* جَذلا كما بي فَلْيكُ التَّبريحُ *

يقول : ليَكُنْ تَبريحُ الهوى عظيما مثل ما حلّ بي ، أتظنّون أن مَن فعل بي يغتذي الشِّيح ؛ ما غذاؤه إلا قلوبُ العشّاق !

وبه يتناسب شطرا البيت .

وله في غلام بحَنَكِه طابعٌ تمّت به محاسنه ، وكأنما هاروتُ ساكنه :

غصنُ بانٍ فوقه بدرُ دُجًى ... يتجلّى من أعالي فَلَكِهْ

قد حمى بَرْدَ اللَّمَى مِن ثغرِه ... طابعُ الحسنِ الذي في حَنَكِهْ

نصبَتْ ألحاظُه لي شَرَكًا ... يا جَمالَ مَن أوقعني في شَرَكِهْ

قوله : « قد حَمَى » إلخ يحتمل أن حمايته من جهة أنه كالخاتم ، ختم به على بَرْدِ اللَّمى ، ويحتمل أن يكون حَماه لكونه كالحُفْرة في طريق مَن يريد رَشْف لَماه ، فيخاف مِن الوقوع ؛ وهذا تخييلٌ حسَن .

وأحسن منه قولي :

وطابعُه حُبٌّ يرى ألفُ يوسُفٍ ... به واقعًا من قبلِ رَشْفةِ ريقِهِ

والطابع كالخاتم : في الأصل ما يُطبَع به ، ولم أرَ إطلاقه على النُّقْرة المعهودة ، وإنما اسْمُها في اللغة : نُونة .

(١) في ا : « السحابة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) انظر اللسان (ب ر ق) ١٠/١٨ ، مجمع الأمثال ١/٢٦٢ . (٣) ديوانه ٥٩ ، وهما من البيت ، والآتي بعد صدره .

قال ابن الأثير في « نهايته »[١] : وفي حديث عثمان رضي الله عنه ، أنه رأى صَبِيًّا مَلِيحا ، فقال : « دَسِّموا[٢] نُونَتَه ؛ كي[٣] لا تُصِيبَه العين » . أي سَوِّدوها ، وهى النقرة التي تكون في الذقن .

وقد استعمل صاحبُنا الأديب البارع إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلاني[٤] النُّونَة ، وأجاد في تشبيهها جداً ، من أبيات أنشدنيها من لفظه ، وبيتُ النُّونة منها قوله :

وإن أشبَه التُّفَّاحَ خَــدَّىَ حُمْرَةً فلى نُونَةٌ تَحْـكِى مَناطَ عُروقِهِ[٥]

والأبيات هى هذه :

بِوَجْهِيَ سافٍ قد جَــلا تحت فَرْعِهِ جَبِينًا كبَــدْرِ التِّمِّ عِنْــد شُرُوقِهِ

سَقَــانِى بِحَبْــلاوَتِهِ كأسًا من الهوى فَسُــكْرِى أضعافَ سُكْرِ رَحِيقِــه

وقال افْتَرِعْ بِكْرَ المعانى تَمَزُّلا فلى مَنْظَرٌ يَهْدِيكَ نحــو طريقِــه

فوَجْهِىَ مثلُ الرَّوْضِ إذ باكَرَ الحَيا جَنِيَّ أقاحِيــهِ وغَضِّ شَقِيقِــهِ[٦]

وإن أشبه التفاح . . . . إلخ .

ثم أنشدنى المذكور معنى اخترعه في تسويدها ، وذلك قوله :

خافوا من العينِ تَرْمِيــهِ بنظرتِهـا فقلتُ مِيــلُوا إلى تَسْويدِ نُونَتِهِ

قالوا نُســوِّدُها بالطِّيبِ قلتُ لهمْ الطِّيبُ مِن سحرِه أحْرَى بحَوْمَتِه

وكنت أظن أن وَصْف الطابع ليس بالموجود في شعر المتقدِّمين ، حتى رأيته في شعر فخر الدولة أبي المعالى ، من شعراء « الخريدة » ، حيث قال في غلام اسمه يوسف :

---

(١) النهاية ٥/١٣١ ، وانظر الجزء الثانى ١١٧ . (٢) في الأصول : « وسموا » ، والتصويب من النهاية . (٣) ساقط من الأصول ، وهو في النهاية . (٤) سبقت ترجمته برقم ٤٦ .

(٥) في ا ، ج : « على نونة » ، والمثبت في : ب .

(٦) في ب : « قد باكر الحيا » ، والمثبت في : ا ، ج .

أيا قمراً جُزْ في خدّه ... على عاشقيه ولم يُنصِفِ

سمعْنا بيوسف في جُبّه ... ولم نسمع الجبّ في يوسفِ

ثم رأيت الخفاجيّ ذكر في كتابه « شفاء الغليل »[1] : جبُّ يوسف مولّد، معناه نقرة الذَّقَن .

وأنشد البيتين .

ثم قال : ويقال له خاتم الحسن .

وأما النقرة التي تكون في الخدّين عند التبسّم ، فقد استعملها كُشاجم في أبياته المشهورة ، وهي[2] :

هـذا الذي سجد القضيب لقدّه ... حسنٌ لعابدِ فتنـه لاهوتُ

في ناظرَيْه إذا تبسّم ضاحكاً ... سحرٌ وجَوْهرُ خدّه ياقوتُ[3]

حفرُ التبسّم فيهما جُبّان في ... ذاك هاروتُ وذا ماروتُ

وأما اسمها فقد رأيت المقّريّ ذكر في « تاريخه »[4] ناقلاً عن ابن عاصم[5] ، أنه قال في شرحه لـ « أدب[6] الكتاب » لابن قتيبة :

أغربتْ جارية لمجاهد العامريّ[7] ، أهداها إلى عبّاد[8] ـ قال : وهي العاذرية ،

---

(١) شفاء الغليل ٧٠ ، والبيتان [illegible] ، ونسبهما الخفاجي للأصبهاني ، ولم يذكر [illegible] .
(٢) ليست هذه الأبيات في ديوانه المطبوع . (٣) في ج : « وجوهر ثغره » ، ولم يثبت في ا ، ب .
(٤) نفح الطيب ١/٤٨٩ . (٥) هو أبو الحزم الحسن بن محمد بن يحيى بن عاصم الثقفي ، المتوفى سنة ٥٧٦ هـ . انظر مقدمة السيد أحمد صقر لتأويل مشكل القرآن ٢٠ . (٦) في ج : « أدب » .
(٧) هو مجاهد بن عبد الله العامري ، أبو الجيش ، كان فقيهاً ، محدثاً ، أديباً ، وهو مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة ، توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة .
بغية الملتمس ٤٥٧ ، جذوة المقتبس ٣٣١ ، معجم الأدباء ١٧/٨٠ ، ٨١ .
(٨) في الأصول : « لابن عباد » ، وهو خطأ صوابه في نفح الطيب ، وهو يعني المعتضد عباد بن محمد ابن إسماعيل اللخمي ، صاحب إشبيلية ، المتوفى سنة إحدى وستين وأربعمائة ، أما ابنه المعتمد محمد بن عباد ، فقد توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .
فوات الوفيات ١/٤٢٤ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ١٥٥ .

وكانت كاتبةً شاعرةً — على علماء إشبيلية، بالنُّقرة [1] التى تظهر فى أذقان بعض الأحداث، وتعترى بعضهم فى الخدَّين عند الضَّحك، فأمَّا التى فى الذَّقن فهى النُّونة [2]، وأما التى فى الخدَّين عند الضَّحك فهى الفَحْصة. فما كان فى ذلك الوقت فى إشبيلية من عرف منها واحدة.

* * *

وللعَمْرِيّ فى دخان النَّبع :

قد أحْرَقَتْ نارُ الصَّبـــابةِ مُهْجتِى ... وأبَى العَذُولُ يسُـــلُّ عَضْبَ لِسانِهِ

فدرأتُ بالقَلْيون تمْوِيهًا له ... وسترتُ عنـــه دُخانَهـــا بدُخانِهِ

* * *

ومثله [3] للحَرْفُوشِىّ [4] :

ومالى أهـــوَى الدُّخانَ وما أنا ... إليه لألْقَى شدَّةً وبطرَّة

ولــكننى أُخْفِى به عن مجالسى ... دُخانَ فؤادٍ بالغرامِ [illegible]

وقريبٌ منه قولُ الفتح بن النَّحَّاس [5] [illegible] :

وأرَى التَّولُّعَ بالدُّخانِ وشُرْبَه ... عونًا لــكامِنِ لوعةِ الأحْشاء

فأُدِيمُ ذلك خوفَ إظْهـــارِ العِدَى ... فأَشُوبُه بتنفُّسِ الصُّعَداء [6]

* * *

---

(١) فى ا : « بالفرقة »، وفى ب : « بالونة »، وفى نفح الطيب : « بالغرمة »، والمثبت فى : ج.

(٢) بعد هذا فى نفح الطيب : « ومنه قول عثمان، رضى الله تعالى عنه : دسموا — كذا، وتقدم أن معناه دسموا — نونته، لتدفع العين ».

(٣) ساقط من : ج، وفى ب : « ومثلها ».

(٤) ستأتى ترجمته برقم ١١.

(٥) فى ب، ج : « أبى الفتح النحاس »، وهو خطأ صوابه فى : ا، وستأتى ترجمته للمؤلف برقم ١١٤، والبيتان فى ديوانه ٧٠.

(٦) كذا فى الأصول : « فأشبيه »، والذى فى الديوان، وهو الصواب : « فأشوبه ».

وله في تشبيه الثلج :

انظُر إلى رَوضِ الأَريضِ وحُسنِهِ ومَوائِسُ الأَغصانِ مثلُ الخُرَّدِ
والثلجُ فوقَ الصُّفرِ مِن أَوراقِهِ شَبَّهْتُهُ تَشبيهَ غيرِ مُفَنَّدِ
بُرادةٌ من فِضَّةٍ مَنثُورةٍ فوقَ الصَّحائفِ من نُضارِ العَسْجَدِ

* * *

ولي [1] في هذا المعنى من مقصورة :

والثَّلجُ كالقُطنِ أجادَ نَدْفَهُ قَوسُ السَّحابِ فوقَ خُسَّأَةِ الرُّبَى
كأَنَّهُ بُرادةُ الأَفلاكِ مِن كَثْرةِ دَوْرِها بِقُبَّةِ السَّما

* * *

وله في وصف جواد :

رُبَّ طِرْفٍ من العِتاقِ كريمٍ يَسبقُ البرقَ حالةَ الإيماضِ
لو جرَى والجَنوبَ في الجوِّ تَسرِي عَلَّمَ الرِّيحَ كيفَ قَطْعُ الأراضِي
أو سَرَى مَعْ دُعاءِ آصَفَ بالعَرْ شِ لكانَ البشيرَ بالأَغراضِ [2]

وله مثله :

طِرْفٌ يفوتُ الطَّرْفَ في لَمَحاتِهِ سَبْقاً ويَهزأُ بالظَّليمِ النّافِرِ [3]
فالبرقُ يظفَرُ إن أرادَ لَحاقَهُ والبرقُ ليسَ إذا أرادَ بظافِرِ
وكأنّه آلَى ولم يَحْنَثْ حانِثٌ أن لا يَمَسَّ الأرضَ منه بحافِرِ

وهذا من قول خلف الأحمر في صفة جواد :

---

(١) في ا : « وله » ، والمثبت في ب ، ج . (٢) يعني آصف بن برخياه ، كاتب نبي الله سليمان ، عليه السلام ، وكان صديقا يحفظ اسم الله الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب . تفسير القرطبي ١٣/٤-٢٠٤ . تفسير ابن كثير ٣/٣٦٤ ، وانظر القاموس (أ س ف) . (٣) في ا ، ج : « طرف يموق » ، والمثبت في : ب .

وكأنما جهدت قوائمه أن لا تمس الأرض أربعة

وزاد عليه شمس الدولة بن عبدان فى قوله :

أبت الحوافر أن تمسّ بها الثرى فكأنه فى جريه متعلق

وهذا الباب مما بالغت فيه الشعراء كل المبالغة، فمن ذلك قول ابن نباتة السعدى [1] :

لا تَلْحَق الألحاظ من أعطافه إلا إذا كفكفت من غلوائه [2]

وقول ابن حمديس الصقلى [3] :

يجرى فلمع البرق فى آثاره من كثرة الكبوات غير مفيق

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب فى فراق رفيق

وقد جمع ابن خفاجة فى مبالغته [illegible] فرسان البلاغة [illegible]

طوعا، حيث قال :

[illegible] البرق وفات [illegible] جميعا [illegible]

[illegible] تجرى [illegible] إن شئت أضحكتكم [illegible]

هذا ارتداد الطرف [illegible] المدى [illegible]

وقلت على أسلوبهم فى المقصورة :

وقد [illegible] طويته [illegible] يسابق البرق [illegible]

[illegible] خشية أن يصيبه من القضا [4]

وأخرى جواد كان للعرب أعوج، الذى يضرب به المثل، وهو فحل كريم،

(١) [illegible] ٣٩٣ . (٢) [illegible] (٣) [illegible] ابن حمديس الصقلى ، شاعر [illegible]

[illegible]

[illegible] ٦٣٧ ، [illegible] ٣٨١ .

[illegible] ٢٨٨ .

(٤) [illegible]

كان لبَنِى هِلال بن عامر [1] ، وأنه قِيل لصاحبه : مارأيْتَ من شِدّة عَدْوِه ؟

فقال : ضلِلْتُ فى باديةٍ وأنا راكبُه ، فرأيتُ سِرْبًا من القَطا يقصِد الماء ، فتبِعْته وأنا أغضُّ من لِجامِه ، حتى توافَيْنا الماء دُفْعةً واحدة .

وهذا أغربُ شىء يكون ؛ فإن القَطا شديدةُ الطَّيران ، وإذا قصَد الماء اشْتَدّ طيرانُه أكثرَ من غير الماء .

وأغرب من ذلك قوله : « كنت أغُضّ من لجامه ، ولولا ذلك كان يسبق القَطا » وهذه مبالغة عظيمة .

وإنما قيل له أعْوَج ؛ لأنه كان صغيراً ، وقد جاءتْهم غارة فهربوا منها ، وطرحوه فى خُرْج ، وحملوه لعدم قدرته على متابعتهم لصِغَرِه ، فاعْوَجّ ظهرُه من ذلك ، فقيل له : أعْوَج .

ولِلعُمَرِىّ ، ويخرج منه اسم نُعمان :

لِلّهِ ماعايَنْتُ من رَوْضةٍ غَنّاء قد قَرّتْ بها عيْنِى [2]
خُوطانِ لم يختلِفا صُورةً حقًّا نَما مِن عيْنِ

وله فى اسم كريم :

أهواه حُلْوَ الدّلالِ ألْمَى قد لَذّ فى عِشْقِه العَناء
رِيقَتُه للرَّحيق نُعْزَى وكم بها للظّما دَواء

وله فى اسم ولىّ الدين :

ليالِ نُعيْدُ التّدانِى دَنَتْ ولانَتْ ولى عَزّ إصْلاحُها
وعَيْنُ العِدَى سُكِّرتْ بالعَمَى وعَزّ صباها ومِفْتاحُها

---

(١) انظر أنساب الخيل ٢١ . (٢) فى ب ، ح : « فى روضة » . والمثبت فى : ا .

ونُقل له عن باقي[1] شاعر الروم، ومميِّزها بين السادة القروم.

أنه نظم أبياتاً تغزّل فيها بصبيّ صبيح، هو كما تهوى الأنفس مليح،

فما وعاها الفلاسفة استعذبها، واستحفظها جراءة تيه واستودعها.

وبلغ باقي، أنه قال: قبّلتها، ولو ظفرتُ برجل قائلها قبّلته.

فقال باقي: إن كان نوى جميلاً لأجلي، فليقبّل فمي لأنني به نظمتها،

لا برجلي.

فنظم العُمَريّ هذه المقالة في قوله:

قال لمّا وصفته ببديع الـ حسن ظبيٌ يجلّ عن وصف مثلي

ممكنٌ العبدَ أن يقبّل رجلا ك كما يجتبي فقال [illegible]

قلتُ أنصف فدتك روحي فقبّل فمي قد نظمته لا برجلي[2]

ومن هذا قول بعضهم:

شافهه كفّي [illegible] بقبلة ما شفت

فقلتُ إذ قبّلت يا ليت كفّي شفتي

وللشاب الظريف[3]:

ومقبّل كفّي وددت بأنه أومى إلى شفتي بالتقبيل

---

(١) هو عبد الباقي، سلطان الشعراء في الروم، [illegible] بالفارسي والعربي، [illegible] سنة [illegible] بعد الألف.

خبايا الزوايا لوحة ١٦٧ ب، خلاصة الأثر ٢/٢٨٧ ــ ٢٨٩، ريحانة الألبا ٢: ٢٧٠ ــ ٢٧٢.

(٢) ذكر الورغي في تراجم الأعيان أبياتاً ميمية ونونية أخرى للعمري. (٣) [illegible] في

[illegible] المصنوع، وهو محمد بن سليمان بن علي التلمساني، الشاب الظريف بن العفيف.

شاعر رقيق، ولي عمالة الخزانة بدمشق، وتوفي بها سنة ٦٨٨ وعمره [illegible].

فوات الوفيات ٢/٤٢٢، النجوم الزاهرة ٧/٣٨١.

ولأبي منصور عبد العزيز بن طلحة بن لُؤلُؤ (١) :

سَـألته قُبْـلة فبـادرَ بالعتـ ـبِ مُستبشِراً إلى قدمي

فقلتُ مولايَ لو أردْتَ بها سرورَ قلبي جعلْتَهـا بفَمِي (٢)

فقـال كلّا للعبْدِ منـزلةٌ لزومُهـا من حراسةِ النِّعَمِ



٢

إبراهيم بن محمد الأكرمىّ الصالحى*

شاعرُ الزمان ، وشمّامة النَّدْمان .

ومن إليه يصبو القلبُ ويحنّ ، وبذكره المُثنى عطفُ البراعة ويرجحِنّ .

فى أوصافه مَشَمّةٌ للرّوح عبِق ، ولطفٌ يروق به كأسَ المصطبِح والمغتبِق .

فروضُ ودّه غضّ ، وعِرضُه الطاهر لا يُنال منه ولا يُغضّ[3] .

ومُدامة طبعه لم يشنها عصار[4] ، وشفوف فكره لم يختل منه قصار[5] .

مع ماله من أخلاق أنعطرت الروض أنفاسه ، وشيم ينافس فيه

رغبه ونفاسة .

وأدب دار به رحيقُ البيان المعتّق ، وملأ الآذان بزهر كمامه المفتّق .

---

(١) ذكر الثعالبى أنه كان صاحب بريد الخليفة القادر بالله ، وذكر له الأبيات . تتمة اليتيمة ١/٨٢ .

(٢) فى تتمة اليتيمة : « إن أوردت بها » .

(*) إبراهيم بن محمد الدمشقى ، الصالحى ، المعروف بالأكرمى .

شاعر قوى الشعر ، جمع شعره بين جزالة الألفاظ ، وعذوبة المعانى .

ويرى المحبى أنه أحسن شعراء هذا التاريخ ؛ لطول باعه فى فنون الشعر جميعها ، وحسن انسجام كلامه ورونقها .

أخذ الأدب عن أبى المعالى الطالوى ، وعبد الحق الحجازى ، وعنهما تخرج ، وبهما برع .

توفى سنة سبع وأربعين وألف ، ودفن بسفح قاسيون .

خلاصة الأثر ١/٣٩ .

(٣) فى ا : « يغض » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « عقار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) القصار : دق الثياب وتبييضها .

يُنْشِر[١] منه ماهو أَزْكى من النَّشْر فى خِلال التَّوائم ، بل أَحْلَى من الرِّيق يترَقْرَق فى خلال المباسم .

ومضَى عليه زمَن يستَفِيد به العيشَ رغدًا ، ويستنجِزُ اليومَ مايُوعَد به غدا .

بين رَوْض من خُلقه خَلِق ، ونسيمِ عَرْفه بِشمائله عَلِق .

حلاليب نشْوته صِفاق ، وأَرْدية شَمُوله وصَباه رِقاق .

لا ينتعش إلا بغرّة رَقراق الشباب الغَرير ، ولا يُولَع إلا بطرَّة الظل فوق وجه الغدير .

فهنالك بين الغصن والصَّبا ، والقَطْر وزَهْر الرُّبى .

وَلَّد آدابَه التى هى عبارة عنها ، وأَطْلَع أشعارَه التى يُستعار الحسنُ منها .

وقد جمع شعرَه فى ديوان سمّاه «مقام إبراهيم ، فى الشعر النظيم » .

أكثرُه رَوْضِيّات يَغَض[٢] عندها وَشْيُ الخميلة ، وغزَليّات يتَستَّر عندها نقش الغانية الجميلة .

وخَمْريّات صِيغت مُداماً فهى للمسامع مشروبة ، وحِكْميّات أمسائها أمثالٌ فى الدنيا مضروبة .

وها أنا أُورِد منها مايفوحُ نَفَسُه ، حتى كأن الحبيب يتنفَّسُه .

ويَعْبَق رَوحُه ، حتى كأن فَوْحَ الزَّهر فَوحُه .

قال فى ديباجته : هذه نُبْذة من شعر سمح به[٣] الخاطرُ على جُموده ، وتوقَّد به الفكرُ على خُموده .

---

(١) فى ب : « ينشر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) غض طرفه : خفضه وكسره ، وغض فلانا : نقص . (٣) فى ا ، ب : « بها » ، والمثبت فى : ج .

وإن كنتُ في زمن العاقلُ فيه حمِقٌ بالعقمت ، وإن أدّاه إلى التلف .
ذهب جُلُّ الناس ، وأين تُرَغيمة من الناس .
لا يُجازُ فيه شاعرٌ ، ولا يُكرَّم أديبٌ ماهر .
غير أن حُبَّ الأدب في الطِّباع ، وهو داعٍ إلى الاتِّباع .
اتِّباعِهم في التراكيب[1] والبِنا ، لا في الإجادة لعدَم الغنا .
ذهبتِ الإفادة ، فكيف بالإجادة .
ولَعَمْري من لا أُجيد في عصرٍ معذورٍ ، وذنبه فيما جاء مغفور .
إذ أُرْتِج باب البواعث والدواعي ، بانقراض أهل الكرم والمساعي .
جوائزُ الأمراء إجادةُ الشعر .
ولذلك قلت نعم ما قيل :

قالوا أجاد البحتري كما أجاد أبو نواس
وبحيث كانوا في [illegible] هُمْ ولسْنا في أناس
وإذا نظرت فليس أجـ[illegible]ـد سوى المواهب في الندى

***

ومما جرّدته من « ديوانه » قوله من مقصورة مطلعها :

حَيّ الحيا معهــدنا باللوى   حيث هوى النفس ومثوى الصبا
وجاده كلُّ هطولٍ مرثٍ   تحدو به في الأفق ريح الصبا
كَلَّلته حتّى بــدا صَحْبه   فأقلعت ديمه وانجلى
وقد أشاع الخصب في أرضه   فأصبحت تزهو بزهر الربى
ومدّ فيها حبرا وشّت   بالنبت قد كلّل منها الندى[2]

(١) في أ ، ب ، « التراكيب » ، والبيت في ج . (٢) في أ : « مد على كل » ... وفي [illegible]
ب ، ج .

وغادر الغدران في ربعها تغصّ بالعذب النمير الروا
ولا جفا نجداً ولا حاجراً كلّ هزيم الودق هامي الحيا
منازلاً واهاً لأيامها كانت مغاني الصبا والهوى
حيث الأماني طوع آمالنا والسعد عبد طائع والمنى
لله أيام تقضت لنا بين ذرى الجزع وسفح اللوى
ما كان أهنا عيشنا ليته دام وليت العمر فيه انقضى
مرت كحلم قد هوى ساقطاً لم يستفقه الطرف حتى انطوى
ياهل معيد لي عيشاً بها هيهات لا يرجع شيء مضى
ليت ليالينا وأيامنا كانت لليلات ألال فدا (١)
وياله من سرعة تفريقنا وشتّ شمل الحي بعد النوى
وآه من وقفة تشييعهم وقد شرقنا كلنا بالبكا
وسارت العيس بأحداجهم واستودعوا فيها بدور الدجى
من كل هيفاء إذا ميّلت نشوى أزرت بغصون النقا
خافقة القرطين رعبوبة راد الوشاحين أبو الحلى (٢)
رخيمة الدلّ إذا ماشدت تسحر باللحظ عقول النهى (٣)
ماطلة الدين على حسنها إذا بدى خدها والطلا
وظبي إنس زارني طارقاً والبدر لا يبديه إلا الدجى
بات يعاطي الراح من ثغره ممزوجة بالعسل المجتنى
أشتمّ من ريحان أصداغه وأجتني باللحظ ورد الجنى

(١) ألال : اسم جبل بعرفات . معجم البلدان ١/٣٤٦ . (٢) الرعبوبة : الناعمة . ويعني براد الوشاحين عدم استمساكهما على جسدها ، لنعومته ونقائه . (٣) في ب ، ج : « تسحر باللحظ » . والنهى [illegible]

وأجتلي غصنَ قوامٍ له أهيفَ يحكي بانةَ المُنحنَى
آهِ على عيشِ التصابي ويا آهةَ قلبي لزمنِ الصِّبا
حيثُ الشبابُ الرَّوْقُ يُغْرِي بنا حَفْلَ الظِّبا الغُرِّ وسِرْبَ المَها [1]
كانت عروسُ الدهرِ أيامَنا طارتْ بها العنقاءُ نحو السَّما

* * *

ومن ربيعياته قوله :

طِرْ إلى فصلِ الربيـ ـعِ كأنَّه فصلُ الشبابِ
والزهرُ مثلُ حلائقِ الأ صحابِ من زُهْرِ الصِّحابِ
وغصونُ باناتِ اللِّوَى كمعاطفِ الهِيفِ الرِّطابِ
والوردُ أشبهُ بالخدو دِ من الشفاهِ على الشرابِ
أوَ ما ترى حَدَقَ الحدا ئقِ كيف تغمِزُ للتصابي
وأصابعَ المنثورِ مُشْـ ـرِعةً تُشيرُ إلى رِكابِ
وأكُفَّ أوراقِ الغصو نِ [illegible] تدعو بالمتابِ
فعكفتُ على روضاتِه فالوردُ دانٍ إلى الذهابِ [2]
مُتمتِّعاً بنعيمِه من قبلِ بَيْنٍ وانتهابِ
فجميعُ ما فوقَ الترا بِ من الترابِ إلى الترابِ

* * *

ومن خمرياته قوله :

ونديمٍ نبَّهتُه ليلاً فهبَّ وهْو سُكْراً يميلُ شرقاً وغرباً

---

(١) الحفل : الجمع. (٢) في ج : « على وجناته » ، والمثبت في : ا ، ب . و « دان إلى الذهاب » كذا في الأصول ، ولعلها : « دان للذهاب » .

قال ائْتِيك قلتُ هاتِ اسْقِنيها ... فتردَّى وقال طَوْعاً وحُبّا

فسقاني ثلاثةً وتحسَّى ... بعضَ كأسٍ فردَّها وأكبّا

قلتُ أفديك من نديمٍ مطيعٍ ... لو رأى طاقةً بها ما تأبَّى

ثم وسَّدْتُه وعُدتُ إلى الشُّرْ ... بِ وحيداً فما استلذيتُ شُرْبا

إنّ طيبَ المدامِ بين الندامى ... وسرورَ الندمانِ فيمن أحبّا

لو رأوا لذّةً بدون شَريبٍ ... لم يُسَمّوا فيها ندامى وشَرْبا (١)

ولهُ أيضاً:

بحياتي يا بدرُ أو بحياتِكْ ... لا تقلْ لا فليس لا من لُغاتِكْ

قم بنا نَنْعَمِ الوصالَ ونُزجي ... في سبيلِ الهوى وفي مرضاتِكْ

قم فلا عشتُ كونَ مثلِكَ يبقى ... من صفاتي بين الورى وصفاتِكْ

يافدتْكَ النفوسُ فيما تُلاقي ... ما ترى البسطَ عزّ في أوقاتِكْ

هاتِها بكرةَ النهارِ فطيبُ الرّا ... حِ قبلَ الضُّحى وقبلَ صلاتِكْ

ثم هجِّدْ بنا نَقيلُ قليلاً ... عند غمزِ الصهباءِ عودَ قناتِكْ (٢)

ثم عُدْ للشرابِ نفديكَ نفسي ... واسْقِنيها واشربْ معي بحياتِكْ

إنّ كلَّ الحياةِ كأسٌ مُدارٌ ... ونديمٌ وشادنٌ من سُقاتِكْ

فاغتنمْ فرصةَ الزمانِ فقد فا ... لَ أخو اللذّةِ الجَسورُ الفاتِكْ

لا تؤخّرْ يوماً غداةَ سرورٍ ... لغنيٍّ وفتيةٍ قبلَ فواتِكْ

إنّما هذه الحياةُ كظلٍّ ... طارقٍ ستَلقاهُ في سُباتِكْ

---

(١) الشريب: صاحبك الذي يشاربك، أو الذي يسقي معك. اللسان ١/٤٨٨، ٤٨٩.

(٢) في الأصول: «ثم عد بنا»، والصواب ما أثبته، وهجّدت الرجل: أنمته، قال لبيد:

قلتُ هجِّدْنا فقد طال السُّرى ... وقدرْنا إن خَنا الدهرِ غَفَلْ

والكلمة من الأضداد. انظر اللسان ٣/٤٣١، ٤٣٢، وشرح ديوان لبيد ١٨٢.

وله من قصيدة مطلعها [١] :

يا ليت شعري والمنى بعدُ　　محالُ شكانت يا نجدُ

وكيف دعدٌ بعد أين منا　　تمحى منا دون التي دعدُ

هل أحفرت من عهدنا في الهوى　　بعد النوى أم عهدها العهدُ

لا غرو أن قد غيرتها النوى　　فربما غيّرت العهدُ

لله يا نجدُ الظباء التي　　فتنّها فيك لنا الوجدُ

حيث الهوى الرائق لنا خادمٌ　　لم نأل جهداً وأمني عبدُ

وربعك الرحبُ لنا جنّةٌ　　لو أنها دام بها الخلدُ

والنبتُ جمٌّ بربيعه حمى　　والماء لا مستكدرٌ رغدُ

في غمرة القصف لريق الصبا　　نروح في العيش كما نغدوا

حيّا الحيا ذاك الزمان الذي　　مرّ به من عيشنا الرغدُ

أيامَ أسعى ومها حاجرٍ　　يعطى من وصلها برد

لا راقبٌ منّا ولا منكرٌ　　في الوصل أن يعقبه الصدُّ

في فتيةٍ مثل نجوم الدجى　　كأنهم قد نظموا عقدُ

من كل ظبي قصفت قدّه　　لا البان يحكيه ولا الرندُ [٢]

خدلان زاوي الردف ظامي الحشـ　　ـا يضيع ما بينهما الندّ [٣]

يزهي على ريم الفلا جيدُه　　ويزدهي بدر السما الخدُّ

واهاً له من زمن سالف　　وأفّ آه لك يا نجدُ

ومنزلٍ أخلق من بعده　　كرّ السوافي فيه والشدُّ

---

(١) من أول هذه المقدمة إلى نهاية قوله : « ... » ساقط من : ب ، ج .

(٢) في الأصول : « قصف قده » وانقصف : ... ، وجارية قصفة : إذا كانت ممشوقة . انظر لسان (قصف) ٩/ ٢٨٤ .

(٣) في الأصول : « يضيع بينهما ... » ، والصواب ما أثبته .

يُهدى به بُرداً قشيبَ السَّدَى ... فارتدَّ وهوَ لرائطهِ الجُرْدُ (1)

محتْ يدُ الأنواءِ آياتِه ... إلاَّ بقايا أسطرٍ تبدو

أعجَمَ من مُعرَبِه شكلُه ... إن حال عقـلاً فبـاله بُعْدُ

حتى أضـلاَّ فيـه عَلْوِي به ... إذ بُدِّلت من هضْبـه الوَهْـدُ

وقفتُ عيني فيـه مُستعبِراً ... أقولُ آهٍ تعِسَ البُعْدُ

إلى هنـا بعـد ليالٍ خلتْ ... معدودةٍ قد بلغ الحدُّ

هبْ أن سُـكانك قد جُعِلَتْ ... بينك وبين الفوزِ والنَّجْـدُ

لم يبقَ إلا طلَلٌ شاخصٌ ... كالوشمِ تحيى جِلْدَه الزَّنْدُ

وله :

هاتِ فُدِيتُ زوجي قهوةً ... أدركت عاداً وأيامَ لُبَدْ

واسقني واشرَبْ ولا تذكُرْ لنا ... [illegible] النَّاسِ ولا سعرَ البلَدْ

إنَّ للعالَمِ ربًّا إن يشأْ ... صلاحَ العالَمِ أو شاءَ فسَدْ

وله (2) :

اسقنيها قبلَ ارتفاعِ النهارِ ... إنَّ طيبَ المدامِ في الإبكارِ (3)

هي بكرٌ فاشرَبْ ويومك بكرٌ ... لا تَشُبْه الأيامُ بالأكـدارِ

الصَّبوحَ الصبوحَ في جِـدَّة اليو ... مِ فإنَّ الصَّبوحَ روحُ العُقارِ (4)

يافدَتْكَ النفوسُ وهيَ قليلٌ ... من نديمٍ سهلِ الطِّباعِ مُدارِ (5)

---

(1) الرائطة الجرد : الملاءة البالية . (2) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ١/٤٠ من هذه القصيدة الأبيات الأربعة الأولى ، والبيت الثانى عشر والثالث عشر . (3) فى خلاصة الأثر : « إن طيب المدام فى الأسحار » . (4) جدة اليوم : يعنى جديده ، وهو أوله . (5) فى ا : « وهى عقود » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

هاتِهــا ضَحوة النَّهــار شَمولا ... مثلَ شمسِ النهارِ وسْطَ النهارِ

قهوةً مثلَ مقلةِ الديكِ عَيْنًا ... كنارِ الكليمِ حسنَ منارِ

ذاتَ عصرٍ أدْناهُ عهــدُ أنو ... شِرْوانَ ليست بمزّةٍ مُعْتَصارِ [1]

لطّفتْهــا كَرُّ السنينِ فلم تُبْـ ... ـقِ سوى لمحةٍ من الأنوارِ

وتراءتْ كالشمسِ غِبَّ سمــاءٍ ... تتجلّى بين حُمْــرةٍ واصفرارِ

ـست تخشى من لطفِها بعد سُكْرٍ ... من صُداعٍ بادٍ ولا من خُمارِ

في رياضٍ تزهى بما كُوِّرَ وردٍ ... وأقاحٍ وسَوْسَنٍ وبَهارِ [2]

ذاتِ أرضٍ موشّيةٍ بربيعٍ ... دهَمتْ وشيَها يدُ الأزهــارِ [3]

يستفيقُ المخمورُ إن مرّ فيهــا ... من هــواءٍ صافٍ وماءٍ جارِ

هــذا مأخوذ من قول الوأواء الدمشقي [4] :

سقى الله ليلا طــاب إذ زارَ طيفُهُ ... فأفنيتُه حتى الصبــاحِ عناقا [5]

بطيبِ نسيمٍ منه يستجلبُ الكرى ... ولو رقَدَ المخمورُ فيــه أفاقا [6]

وفى الثانى ما يوهم التناقض .

والوأواء أخذه من قول الفتح بن خاقان [7] ، فى وصف جارية له ، وهو ما نقل من حمدون [8] ، قال [9] :

---

(١) المزة ، بفتح الميم : الخمر اللذيذة الطعم ، والمزّ : الخمر فيها حموضة ، والمعتصار من أسماء الخمر القاموس (م ز ز ، ص ر) . وحسه السكت ٧ . (٢) البهار : نبت طيب الرائحة . (٣) فى خلاصة الأثر :

ذاتِ أرضٍ توشّمتْ بربيــعٍ ... ذهّبتْ وشْمَهــا يدُ الأزهــارِ

(٤) ديوانه ١٦٤ ، ويتيمة الدهر ١/٢٨٩ ، ومعجم الأدباء ١٦/١٧٧ ، وخلاصة الأثر ١/٤٠٢ .

(٥) فى الديوان : « سقى الله ليلا طال » . (٦) فى الديوان واليتيمة : « منه يستجلب الكرى ... ولو رقد ... » . (٧) يعنى أبا محمد الفتح بن خاقان بن أحمد ، استوزره المتوكل ، وأمره على الشام ، كان أديبا ، ذكيا ، فطنا ، توفى سنة سبع وأربعين ومائتين . فوات الوفيات ٢/٢٤٣ ، معجم الأدباء ١٦/١٧٤ ، معجم الشعراء ١٩٠ . (٨) يعنى أبا عبد الله أحمد بن إبراهيم بن حمدون ، نديم المتوكل والمعتمد ، أديب ، أخبارى ، توفى سنة خمس وخمسين ومائتين . معجم الأدباء ٢/٢٠٤ .

(٩) الخبر فى يتيمة الدهر ١/٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ومعجم الأدباء ١٦/١٧٧ ، وخلاصة الأثر ١/٤٠٢ .

كان الفتح بن خاقان يأنس بي . فقال لي مرة : شعرت[1] يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة ، فلم أتمالك أن قبّلتها ، فوجدت فيما[2] بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا .

ومنه في الغزل قول حرب بن القابوسي[3] :

قابلني تسأله قبلته ظبي من الشمس قد أتيح[4]
طيب نسيم من نشـــابه لو رقد المخمور فيه صحا

تتمة الأبيات :

قم بنـــا يا نديم يفديك مالي من تلاد وطارف وعقـــار
نقطع الدهر كل يوم بزق وغزال ساق وكأس مدار
آن طيب الزمان واعتدل الجو وصـــار الضحاء كالأسحار
وأتاك الربيع يضحك عجبا وهو من نسج نوره في إزار
يا نديمي أفديك فيها التواني ما ترى البسط ان الليالي قصار
فاسقنيها والشرب على زهر الرو ض ومجلس القمري وشدو الهزار[5]
ونغنم صفو الزمان ورونق العمر من قبل ضيعة الأعمار
لا أبـــالي إذا سكرت بوزر إن مـــولاك غافر الأوزار

* * *

وله من قصيدة مطلعها :

نقض الجرح وكان اندملا وامتلا القلب وقد كان خلا

(١) في ا ، ويتيمة الدهر : أشعرت ... ومعجم الأدباء ، وخلاصة الأثر . (٢) ساقط من : ا ، وهو في : يتيمة الدهر ، ومعجم الأدباء ، وخلاصة الأثر . (٣) القابوسي نسبة إلى قابوس بن وشمكير ... موضع ... اللباب ٢ / ٢٣٤ . والبيتان في خلاصة الأثر ١ / ٤٠ .
(٤) في خلاصة الأثر : ... (٥) الهزار : طائر حسن الصوت .

عادَهُ داءُ الهوى من بعدِ ما ... راحَ وقد أفرقَ منهُ وسلا[1]

مالَهُ تزعجُه زفرتُه ... كلّما استافَ صَبًا أو شمألا[2]

وإذا شامَ بُروقًا لمعتْ ... غلبَ الدمعُ الحيا فانهملا

ومتى أبصرَ بدرًا طالعًا ... ظنَّه منه لدى قد أفلا

عاش في أرغدِ عيشٍ نُزهةً ... مُسْتريحًا رقّ حالًا وحلا

ليس يدري الهمَّ حتى أن رأى ... لثغتــه [illegible] الثقلا

فعلتْ فيه طرفٍ لو رمى ... حجرًا صلدًا به لانفعلا

كيف لا يجرحُ قلبي طرفُه ... وإذا السيفُ نُضِي فَصَلا

والذي يعشو لأحداقِ المها ... لم يجدْ إلّا حبيبًا مُنجدِلا

لامَ الصبَّ على الحبِّ الذي ... سلبتْ لحظيه بسحرٍ لأجلا

خلِّ عنك اللومَ باللهِ فقد ... سبقَ السيفُ إليه العذلا

ويحَ قلبي من هوى ذي صَلَفٍ ... ظالمٍ في حكمِه لو عدلا

منه تعشقه ما لم يطقْ ... [illegible] في جبلا

قال يستطردُ بي ماحالُه ... صارَ للعشاقِ فينا مثلا

أيها المعرضُ لا عن زلّةٍ ... أدلالًا كانَ [illegible] أم مللا

بأبي الرِّيمُ الذي من طرفه ... سرقَ الظبيُ الكحيلُ الكحلا

غصنُ البانِ الذي في قدّه ... سلبَ اللينَ القنا والأسلا

ياخليلَيَّ بلا أمرٍ سلا ... عن فؤادي بعده ما فعلا[3]

أمقيمٌ بعده [illegible] ... أم دعاهُ للردى فامتثلا[4]

---

(١) أفرق من مرضه : أفاق . (٢) استاف الشيء : شمه . (٣) قبل هذا البيت في ب : « وله » ،
وفي ج : « عن فؤاد » ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ا : « بعد » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٤) في ب ، ج : « أمقيم معه » ، والمثبت في : ا .

وله من أخرى مطلعها :[1]

دَرَّ لها خَلْفُ الغمامِ هاطِلا ... فجادَها من رامَةٍ منازِلَا

منازلًا كان المُنَى مُنادِماً ... فيها وصَرْفُ الدَّهرِ عنها غافِلَا

تُشْبِحُ في عمْرِه ولم تكُنْ ... تزالُ الروضاتُ والخمائلَا

لا تستفيقُ من خُمارِ لذَّةٍ ... تتْبعُ أبكارَ الهوى الأصائلَا[2]

حنانَ أُنْسٍ فارقتْها عنوةً ... نفوسُنا واجدةً ثواكلَا

واهًا لها وآهةً لو بقيتْ ... أو دامَ ربْعُ اللَّهْوِ منها آهِلَا

ومنها :

كان الشَّبابُ الرَّوْقُ فيها وبها ... قضَيْتُ أيامَ الصِّبا الأوائلَا

حيثُ الحِمَى مَسْرَحُ أسرابِ المَها ... وحيثُ كنتُ مَرِحاً مُغازِلَا

كلّ غزالٍ آنسٍ لحاظُهُ ... للعاشقين لم تزلْ قواتِلَا

تُصْمِى إذا ما قصدتْ بأسْهُمٍ ... نِصالُها لا تُخطئُ المَقاتِلَا

قضيبُ بانٍ قَصِفٌ على نقًا ... فوقَهما يرْقُبُ بدراً كامِلا[3]

مائدةً لجزعٍ على أطْرتِها ... إذا ثَنَى منه قَواماً عادِلَا[4]

ومن غزلياته قوله[5] :

مَهْلًا فقد أسرعْتَ في مَقْتلِي ... إن كان لا بُدَّ فلا تَعْجَلِ[6]

أنجزْتَ إتلافِي بلا ريبةٍ ... اللهَ في حملِ دمِي المُثقلِ

لم تُبْقِ لي فيك سوى مُهجةٍ ... باللهِ في استِدْراكِها أجمِلِ

إن كنتَ لا بُدَّ جَوًى قاتِلِي ... فاستخِرِ اللهَ ولا تفعلِ

---

(١) في ب ، ح : « أولها » . (٢) في ب : « لا تستفيق » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي ا ، ب : « تتبع » ، والمثبت في : ح . (٣) قضف : دقيق ممشوق . وفي الأصول : « قصف » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) على أطرتها : على هيئتها . (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤١ ، ٤٢ .
(٦) في خلاصة الأثر : « لقد أسرعت » .

رقّتا عن أفنيت من مذهب   ليس له دونك من معقل

يكاد من رقته جسمه   يسيل من مدمعه المثقل

مالك في إتلافه حاجتي   فرغ له عهد ولا تمهل

كم من قتيل في سبيل هوى   مثلي لا ذنب حتى قتلتني

أول مقتول جوى لم أكن   فاله عذر ولم يعذل

يا مالكي الصبر وطيب الكرى   عن حق ... لا تسأل

قد صرت من عشقك حيران لا   أعلم ما بي ولم أجهل[1]

أغص من دمعي حذار الـ   ورقته من ريقك السلسل[2]

وله:

أفديك بالنفس وما ذو هوى   ما قسمه الأرواح إن فرسل

يا غصناً مال إلى ظلمه   من دلّ حملك على مقتلي

ورامياً أغضب من ذنبه   أصاب في الرمي ولم يمهل

رمى فصمى مهجتي سهمه   فكان مثل القدر المرسل

يا ويح قلبي من هوى ظالم   تأخذ بالذنب ولم يفعل

أشعر الله إلهي وإن   لم أدر القول ولم أفعل

يا أعدل الناس على ظلمه   ويا أحق الناس من مفضل

وجدت أعذارك مستقدماً   فاهجر إذا شئت ولا تعذل

وله[3]:

ويوم فخضى الجو رطب   تكاد من الفضة أن يسيلا[4]

---

(١) في خلاصة الأثر: قد صرت من أجلك [illegible] (٢) في خلاصة الأثر: أغص من دمعي [illegible] [illegible] (٣) [illegible] خلاصة الأثر [illegible]

(٤) [illegible] في خلاصة الأثر [illegible] ويوم [illegible] [illegible]

نعمتُ [illegible] وندمانى أديبٌ ... وقورٌ فى معاطفه التمولا

قطعتُ صنجه والقهر [illegible] ... وجاوزنا العشيةَ والأصيلا

لدى روضٍ عميم النبتِ يزهى ... [illegible]زهار تمتْ عَرْضاً وطُولا (١)

[illegible] سوار النهر طَوْرا ... [illegible] يعانقُ الخمائلَ الخليلا (٢)

وساقٍ رَخيمُ الدَّلِّ يَسْبى ... إذا ماردَّدَ الطَّرْفَ الكَحيلا

* * *

وله من قصيدة [illegible]:

[illegible] نقده ركبَ النعامى ... [illegible] أى سرعة أن [illegible] (٣)

[illegible] ذراع المرابص ... [illegible] ثغور الحسان ابتساما

[illegible] الصبا [illegible] زحاب ... [illegible] من طرفيها العماما (٤)

[illegible] والندى فخمه كالسحب ... [illegible] [illegible] بالذرارى [illegible]

[illegible] القلب [illegible] [illegible] ... [illegible] ثم [illegible]

[illegible] [illegible] فاستطار الفؤاد ... إلى [illegible] [illegible] وهاما

[illegible] أنته بالغميم ... فحن وما كن إلا [illegible] (٥)

[illegible] من [illegible] القديم ... وقاده الوجد [illegible] [illegible]

[illegible] فسماه جوى ... [illegible] فقصاه [illegible]

[illegible] [illegible] بطارف [illegible] الزند ... أمال إلى القلب [illegible] اضطراما

[illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] العواصف

[illegible] [illegible] . اللسان ([illegible]) ٢ / ٦٥ .

(١) فى خلاصة الأثر : « [illegible]زهار زهت » . (٢) فى خلاصة الأثر : « [illegible] » .

(٣) النعامى : من أسماء ريح الجنوب ؛ لأنها أبل الرياح وأرطبها . اللسان (ن ع م) ١٢ / ٥٨٥ .

(٤) [illegible] . (٥) الغميم : [illegible] [illegible] ، وهو أيضا موضع قرب المدينة [illegible] . معجم البلدان ٣ / ٨١٧ ، ٨١٨ .

لقد كان في راحة قلبه تجرّ إلى عاتقيه حساما

وقد كان من قلبه داؤه دفينا فهيّج منه السقاما

أبا زرق كم ذا تعنّى الحشا أعمدا تروم أذاه على ما

إلى م تمسك تعمدا له فيصحو ويتّهب يعمد إلى ما

تقول وأسباب هذا الغرام ضروب تحيّر فيه الأناما [1]

أمن كمدي ينقضه مضنك فيندى الوجيب إلى أن تشاما [2]

أعمرك مذ [illegible] أسكما تذكّر عهدا وأيام [illegible]

منازل كان أبي خادما بها والزمان لديها غلاما

وآها لأيامها لو تدوم وآها تخشى لو كان دوما

نشدتك والود يصاحبي يراه الفتى الحر دينا لزاما

أعرني إن كان طرفك يعطى فإنسان عيني بدمعي عاما [3]

يرى لي فؤادي وراء الركاب أسارى وإلا لعجز [illegible]

فمن يوم يقدم على عيرهم تشيعهم وأناخوا الخياما [4]

أضاليله بين بين الكثيب وما ثم إلا ظباء قياما

حفظ الله ياظبيات النقا أما في ذمى تحفظين لأذما

رعى الله منكن ظبيا أغر أحال بجسمي داء عقاما [5]

أغار عليه اعتناق الصبا وأحسد رشف لماه البشاما

إذا ما بدى في الدجى خده أحال الدجى من ضياه غماما [6]

يبيت على غرة لاهيا إذا بت أجرع فيه الحماما [7]

---

(١) في الأصول : « تحير فيه الأنام » ، وهو لازم ، ولعل الصواب ما أثبته . (٢) [illegible] : أخمده . (٣) في ا ، ج : « بدمعي أعاما » ، والمثبت في : ب . (٤) أشال الشيء : رفعه و[illegible] . (٥) في ا : « ظبيا أغن » . (٦) الغيام : [illegible] . (٧) في ب : « على غره لاهيا » ، والمثبت في : ا ، ج .

وليلةَ زرتُ على شحطِه   تحاشى الضيا فتوارى الظلاما (١)
سرى والدجى عاكفٌ راحلا   حذارَ المطيّةِ يبدي البغاما (٢)
فوافى على عجلٍ مضجعي   ومن دونه بطنُ فلجٍ وراما (٣)
فبتُّ أعانقُ منه القضيب   وأرقبُ منه الهلالَ التماما
وأشتمُّ من خدِّه وردَه   وأرشفُ من ثغرِه المداما
وودّعَ لو كان ذاك الوداع   وسار فودّع جفني المناما (٤)

ومن مشهور شعره خمريته هذه :

هاتِها هاتِ نصطبحْ يا نديمُ   قد تناهتْ خطوبُنا والهمومُ
ليس ينفي الهمومَ مثلُ شمولٍ   كم حساها فأبرأتْه سقيمُ
هي شمسٌ والهمّ ليلٌ وليس الـ   ـليلُ والشمسُ في الوجودِ يدومُ
طالما نقطعُ الزمانَ سكارى   لا نبالي عما جرى يا نديمُ
فلنا أسوةٌ بهذي البرايا   كيف تمشي البلاءُ وهو عميمُ
إنما الأمرُ بالإلهِ تعالى   وهو ربُّ العالمين رحيمُ
خلِّ عما ذكر ابن سيفا ومعن   إنما يطلبُ الغريمَ الغريمُ (٥)
ما لنا والحروبَ نحن أناسٌ   ما لنا طاقةٌ بشيءٍ يضيمُ
همُّنا شربُنا الطلا وهوانا   من قديمٍ هذا الشرابُ القديمُ
أتركِ الناسَ في بصيرٍ وبحرى   ويجيئوا ويقعدوا ويقيموا
واسقنيها واشربْ ثلاثاً ثلاثاً   هكذا حكمُها وأنت حكيمُ

(١) في ب ، ج : « على سخطه » . (٢) البغام : صوت الظبية ، وهو يعني صوت الراحلة .
(٣) بطن فلج : بطن واد يفرق بين الحزن والصمان ، يسلك منه طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى مكة أربع وعشرون مرحلة . معجم البلدان ٣/٩١٠ . (٤) لعل الصواب : « وودع لا كان » .
(٥) سيشرح المؤلف بعد وقعة ابن سيفا ومعن ، وانظر تفاصيل الواقعة في خلاصة الأثر ٣/١٣٦–١٤٠ .

لا [illegible] الملول [illegible] [illegible] وتحسنا في [illegible] [illegible]

إنّ كلّ الحياة كأسٌ مُدارٌ [illegible] ودُّ كريمُ

* * *

ومن بيته هو الأمير يوسف[1] ذلك الذي هو [illegible] ، وكان أحد السيف في لألائه ومضاء حدّه .

من أسرة طلعوا كأنابيب القنا نسقا ، وفاحوا كأزهار الرياض [illegible] .

فإن [illegible] عن العيان [illegible] متلألئة في الثرى ، وإن [illegible] النواظر [illegible] [illegible] في الذرى .

ما منهم إلا جواد شهدت بسبقه ميادينه ، وأديب حث الأدب شرعته ودينه .

وكانوا ولاة طرابلس الشام وحكامها ، وبقائم سيفهم [illegible] وإحكامها .

حتى وقع بين كبيرهم هذا وبين الأمير فخر الدين بن معن[2] ذلك الغدر الذي

فيه [illegible] وسنّ الطعن .

فجرت بينهما حروب لم يحصل أحد منهما على وطر ، وبقي الأمر بينهما مدة في

[illegible] إلى خطر . [illegible]

ثم خرج في أثناء ذلك ابن جانبولاد[3] الذي جهد في الخلاف وجهر ، وكشف

---

(1) الأمير يوسف بن سيفا ، أمير طرابلس الشام ، ولي حكومتها مدة [illegible] .
[illegible] ، كانت وفاته في [illegible] .
خلاصة الأثر ٤ : ٥٠٣ .

(2) فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي [illegible] .
[illegible] ، ووقعت [illegible]
[illegible] .
كانت ولادته سنة [illegible] ، وقتل سنة ثلاث وأربعين وألف .
خلاصة الأثر ٣ : ٢٦٦ .

(3) الأمير علي بن أحمد بن جانبولاد [illegible] الكردي [illegible] حكومة [illegible] .
[illegible] ، [illegible]
[illegible] العشرين وألف .
خلاصة الأثر ٣ : ١٣٥ .

بالانحراف عن السلطنة وكاشر .

فانضم إليه ابن معن وحزبه ، الذين تدرعوا جنود الخبائث ، وأقاموا آلات حربهم مقام أكمل التحيات .

وكان من أمر الله أن الأمير يوسف ظهر عليهم ، ووصل بجموعه التي تقدر أن يمل منها جيش المصائب إليهم .

وهمته معلقة بالأثر ، محدقة على فلك التدبير .

ولكن [illegible] القدر فوق التقدير ، وما يصنع المرء إذا وقع في البير .

فلما تقابل الجيشان تمت على ابن سيفا الهزيمة ، وانحلت منه تلك العزيمة .

وفر من ذلك المكان إلى دمشق ، فأقام بها مختفيا أياما ، وهو من وساوس وهمه لم يطعم [illegible] .

فقصدوه متعمدين زلة قدمه ، وطالبين بسيف الاعتداء سفك دمه .

فدخل بسببه أهل دمشق وأخذوا تلك الثائرة ، وأخمدوا ببرد الصلح لهب الفتنة الثائرة .

ثم[1] حضروا إلى القوم ، وسلموا [illegible] من المحذور واللوم .

وذهب ابن سيفا إلى وطنه ، وهو شاك من ضيق عطنه .

وبلغ بسعيه ذاك المطلوب ، ونال [illegible] كمد خطبه الذي لا كالخطوب .

ومن ثم حلت بدولة بني سيفا الأحوال ، ولم تطل أيامهم حتى آذنت شمسها بالزوال .

فعلى متعصبهم من تلك الأريحية ، أزكى السلام من الله تعالى والتحية .

وهذه الجملة وقعت في الأثناء ، فكانت باعثة على ما هو طابق من الثناء .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده ، أمدني الله بمدده .

---

(١) [illegible]

ومن شعر الأكمي قوله من خمرية[1] :

كم جنونا في ليلة الفطر والأضـ ـحى على قاسيون سكر المجون[2]

وشربنا في ليلة النصف من شعـ ـبان صرفا وفي دجى رمضان

ونهار الخميس عصرا وفي الجمـ ـعة قبل الصلاة بعد الأذان

وسقانا ظبي عزيز ونمت ظلمة تشتبك الأحسن[3]

وسحبنا في غمرة اللهو والقصـ ـف على طاعة الهوى والأغاني

والمعزى أبدا سقيم من الهوى وعصينا من حذره العصيان

لم ندع نغمة الصبا للتصابي من طريق مهجورة أو مكان[4]

قد أطعنا غيّ الشباب بجهل فاعف عنّا يا واسع الغفران[5]

* * *

ومن مقاطيعه قوله :

رب رام عن مثل حاجبه حمّال ألحاظه لقوسه

حتى بقسيّ مقوسة وحاجبي وخدي صريع أسهمه

* * *

---

(١) [illegible]

* من دواعي الصبوح والمهرجان *

[illegible] ٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، [illegible]

من شروط الصبوح في المهرجان خفة الشغل مع خلو المكان

(٢) [illegible] (٣) [illegible] :

وسقانا ظبي عزيز وغنى ظبي إنس يشبك الألحان

(٤) [illegible] (٥) [illegible]

وقوله :

قلتُ إذ لام في العِذارِ عَذولي ... وهْوَ في الخدِّ للهوى عُنوانْ
إنّ وردَ الرياضِ أحسنُ ما كا ... نَ إذا دار حولَهُ ريحانْ

وقوله في دولاب الماء :

ودولابٍ يئنُّ أنينَ صبٍّ ... كئيبٍ نازحِ الأهلين مُضنَى
تذكّرَ عهدَه بالروضِ غُصْناً ... وشدّةَ قطْعِه فبكى وأنَّا
وما يدري أترديدُ المعنّى ... نجاءٌ أم حنينٌ حوَى المغنَّى(1)

* * *

وقوله مُعمِّيًا باسم يوسف :

وشادنٍ كالقضيبِ عطفاً ... أطال في صدّهِ عَناهُ
يكادُ عضبُ اللِّحاظِ منه ... [illegible] ريبَ يَمْري حشاهُ

(1) في ح : « أم حنين حوى المغنى » ، والمثبت في : ا ، ب .

٣

القاضى إسماعيل بن عبد الحق الحجازى*

هذا القاضى قضى له بالأدب الوافر، من منذ طلع فى مهده طلوع البدر السافر.

عرف رشده قبل أوانه، وهكذا الكتاب يدرى من عنوانه.

وأجاد فى الصنعة من الفحول السبق، وله فى «الريحانة»[1] ذكر أطيب من [illegible] وأعبق.

وهو [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible].

وجدا فى الغراميات حدود، فلم يبق من [illegible] وجده ولا حدود.

فهو [illegible] الطلعة بالفضل [illegible] الفطرة على الأدب الغض.

[illegible] فوق الامتداح، و[illegible] [illegible] قبل الافتتاح.

[illegible] [illegible] كل [illegible]، وما كل [illegible] [illegible].

[illegible] من غزلياته، [illegible] [illegible] فى [illegible][2].

(*) [illegible]

عرف بالحجازى.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حسن الأسلوب.

[illegible]

[illegible] ١ / ٤٠٦.

(١) [illegible] ١ / ٢٦٢ — ٢٦٧.

(٢) [illegible]

وأطرب نغماته، ولا إطراب[1] لحن نجابه.

وله أغانٍ تكاد لا تضارب تجاوبها الأوتار، ولم يبق قلبٌ أدرك معناها[2] إلا وتر.

وكانت أريحيات غرامه[3] تستهزئه، وصبوات[4] مدامه تستهويه.

فلا[5] يزال هائماً بغزال، ولا يريم عن[6] عشق ريم.

وشعره الذي تعلق به قلوب الأهواء، يعرب من حاله بإعراب يدمع عن مكنون سر الهوى.

وهو سائر مسير، وجوهر أثمن منه ذوب.

فدونك ما هو ألطف من العتاب، بين الأحباب، وأوقع من الراح، ممزوجة بماء السحاب.

فمنه قوله:

لو أن بالعذّال ما عنّوني بالتصابي

كلّا ولو ذاقوا الهوى مثلي لما ملكوا خطابي

وبلاه من عذل الزما ن فإنه شرّ العقاب

فسقى لخلوات الحبيـ ـب وطيب وقفات العتاب

وتدللي يوم النوى بسمع ذلك الجناب

وبموقفي أشكو هوا ي له بألفاظ عذاب

أبكي وأسرق أدمعي خوف العواذل في ثيابي

(1) في ا: «سعرات»، والمثبت في: ب، ج. (2) في ا: «معرها»، والمثبت في: ب، ج. (3) في ا: «أيامه»، والمثبت في: ب، ج. (4) «وصبوات» كذا في: ا، ج، وفي ب: «وصوبات»، ولعله أراد التشبيه بصوب المطر، والصوب: «نصيبه»، ويقال لحدور المطر صوب، اللسان (ص و ب) ١/٥١٧، ٥١٨. (5) في ب، ج: «فهلا». (6) في ا: «من»، والمثبت في: ب، ج.

ما لمُحِبٍّ أشـدُّ من ... نارِ التباعُدِ من عذابِ

نائي غزالٍ لَيِّنِ الـ ... أعطافِ معسولِ الرُّضابِ

مَيّاسِ غُصْنِ قوامِهِ ... يُزري ببانات الرَّوابي

رَيّانَ من ماءِ الصِّبا ... سَكرانَ من خمرِ الشبابِ

جعَلَ التجافيَ دأبَهُ ... وجعلتُهُ وهواهُ دابي

قالَ العواذلُ عندما ... أبصرْنَ بالأشواقِ ما بي

قد كنتَ من أهلِ الفصا ... حةِ لا تحولُ عن الصوابِ

فأجبتُهم والقلبُ من ... نارِ الصبابةِ في التهابِ

الحبُّ قد أعيَى فصيـ ... حَ القولِ عن ردِّ الجوابِ

وتراهُ إن حضرَ الحبيـ ... بُ لديهِ يأخذُ في اضطرابِ

وقوله :

أجِرْني من صدودِكَ بعد وعدِكْ ... وخلِّصْ مهجتي من نارِ بُعدِكْ

وخَصِّصْني برِقٍّ دونَ عِتقٍ ... لأُدعَى بين أقوامي بعبدِكْ

وقَصِّرْ طولَ ليلاتِ التنائي ... وما لاقيتُ من أيامِ صدِّكْ

ومعصيةَ العذولِ ومن نهاني ... ضلالاً في الهوى عن حفظِ وُدِّكْ[1]

وأنفاسٍ أُصعِّدُها إذا ما ... ذكرتُكَ والدياجي مثلُ جَعْدِكْ

لأنتَ لديَّ مُجتمعُ الأماني ... وأكثرُ ما وددتُ بقاءُ وُدِّكْ[2]

وقد عبثَ الهوى بغصونِ قلبي ... كما عبثَ الدلالُ بغصنِ قدِّكْ

وقوله :

ولمّا حَدا الحادُون بالبَيْنِ والنَّوَى ... وشَبَّ لِنارِ الإشتياقِ وَقودُ

(١) في ج : « ومعصى العذول » . (٢) في ب ، ج : « بقاء عهدك » ، والمثبت في : ا .

ولم يبقَ لى من مُنجِدٍ غيرُ زفرةٍ … ودمعٍ وأشواقٍ علىَّ تزيدُ

طلبتُ من القلبِ اصطباراً فقال لى … وللشَّوقِ عندى مُبدِئٌ ومُعيدُ

لقد كنتَ صبًّا والدِّيارُ قريبةٌ … فكيفَ وعهدُ الدَّارِ عنك بعيدُ

* * *

وقوله (1) :

ورُبَّ عِتابٍ بيننا جرَّه الهوى … شهىٍّ بألفاظٍ أرقَّ من السِّحرِ (2)

وأحلَى من الماءِ الزُّلالِ على الظَّمَا … وألطفَ من مَرِّ النَّسيمِ إذا يَسرى

عِتابٌ سرقناهُ على غفلةِ النَّوَى … وقد طرفتْ أيدى الهوى أعينَ الدَّهرِ (3)

وقد أخذتْنا نَشوةٌ من حديثِهِ … كأنَّا تعاطينا سُلافًا من الخمرِ

ورُحنا بحالٍ تَرتضيها نفوسُنا … وها أنا بين الصَّحوِ ما زِلتُ والسُّكرِ

وقوله :

أيا قمراً من وجهِه طلعةُ البدرِ … ويا رشأً من لحظِه صنعةُ السِّحرِ

حكيتَ القَنا والبِيضَ لحظًا وقامةً … فمن أجلِ ذا أرتاحُ للبِيضِ والسُّمْرِ (4)

وحقِّكَ لولا البدرُ يحكيكَ طلعةً … لما طمحتْ عينى إلى رؤيةِ البدرِ

ولو لم يكنْ للخمرِ فى فيكَ نِسبةٌ … لما كنتُ أصبو عند ذِكراهُ للخمرِ

ولولاكَ فى قصرِ المصلَّى وحاجرٍ … لما شاقنى ذِكرُ المصلَّى ولا القصرُ

فيا نازحًا عن مُقلتى وهو حاضرٌ … بقلبى لقد أفرطتَ فى الصَّدِّ والهجرِ

ويا فاتكًا عيناهُ قد طلَّتا دَمى … وأسلمتا قلبى إلى نُوَبِ الدَّهرِ

---

(1) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٠٦، ٤٠٧. (2) فى خلاصة الأثر : «جدد الهوى».

(3) فى ب : «وقد طرفت»، والمثبت فى : ا، ج، وخلاصة الأثر. (4) فى ا : «لحظا ولفتة»، والمثبت فى : ب، ج.

ترفق بدمع طرفه ملك مطلق … وقلب من الأشواق أوثق لأسر (١)

* * *

وقوله :

قلبي من الأشواق لاعج … والدمع من عيني [illegible]
أشكي ودمعي لم يدع … أحدا يخالي [illegible]
واحد [illegible] … في طريق الذل [illegible]
لولا المحبة يا رفيقي … [illegible] يكن مني [illegible]
كلا ولا [illegible] … [illegible] والهوى [illegible]
أرعى النجوم [illegible] … [illegible] من دواعي [illegible]
أصبو إذا غنى على … أعلى غصون الدوح [illegible]
ويشوقني [illegible] … من جانب الأحباب [illegible]
فوحق أغصان القدو … د ولين هاتيك المعاطف (٢)
وصباح [illegible] … [illegible] مسود السوالف
ولواحظ فتاكة … في جفنها هاروت [illegible]
ومراشف [illegible] … [illegible] حبذا [illegible]
ورقيق هاتيك الخصو … ر وتحتها ثقل الروادف
ومواقف الذل التي … عرفتني ذاك المواقف
أشكو الغرام وأرتجي … من مثلي حسن العواطف
ما حلت عنك وليس [illegible] … [illegible] عن الأشواق صارف
وإذا [illegible] فإنه … عندي تعد من [illegible]

(١) [illegible] ترفق [illegible] (٢) [illegible]

فسقى الإلهُ زمانَنا ... ورعى ليالينا السوالفْ
أيامَ كنتُ لعاذلي ... وللائمي فيها أخالفْ

* * *

وقوله (1) :

وربّتَ ليلةٍ قد زار فيها ... خيالٌ في الدجى منه طروقُ
وبات تشوِّقني يديه منّي ... ويُبْعِده من القلب الخفوقُ
فلا أروى الحشا منه اعتناقٌ ... ولا بَلَّ الجوى لي منه ريقُ

وقوله مضمِّنًا :

أرّقتني الأشجانُ والأشواقُ ... وبسهمِ النوى رماني الفراقُ
ونَمَا الشوقُ في فؤادي فضاقتْ ... قبلك عن وصفِ ما بيَ الأوراقْ (2)
ثم أنشدتُ داعيًا ودمعي ... فيكَ من لوعةِ الفراقِ انطلاقُ
جمع اللهُ شملَ كلِّ محبٍّ ... وبَدا بي لأنني مشتاقْ (3)

* * *

وقوله :

يا مولعًا بصدودي ... أفنى الجفا مستهامَكْ
أعرضتَ عنّي دلالًا ... لمّا عرفتَ مقامَكْ
صدّقتني بالتجافي ... لمّا حفظتُ ذمامَكْ (4)
فمذ تهدّدتَ مُهجتي ... وهبتَ جفني منامَكْ

---

(1) الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ٢٠٧ .
(2) في ب ، ج : « وضاقت » ، وسقط في ا . (3) في ا : « فإنني مشتاق » ، وثبت في : ب ، ج .
(4) في ب : « صدقتني بالتجوى » ، وثبت في ا ، ج .

فعاذلى قد رآنى ... رثى لحالى ولامك

بكفيك لحظك سيفا ... فلا تجرد حسامك

طوبى لبدر الدياجى ... لو [illegible] علامك

ويا سعـــادة غصن ... يحكى لعندا لأقوامك

خان الذى ياحبيبى ... فى ذا [illegible] أقامك

إلى متى يا فؤادى ... يذكى هواهم ضرامك

ويا عذولى إلى كم ... تطيل فيهم ملامك

قد كان بالعذل قلبى ... ومل سمعى ملامك[1]

إن كنت رمت سلوى ... فلا [illegible] مرامك

* * *

وقوله[2] :

ولى قلب ألم من ... صدود دائم الضرم

وودى لو أقطعه ... فإن وجوده عدمى

ولكن قطعى العضو الـ ... ألم زيد فى ألمى[3]

* * *

وقوله ، يصف ليلة مضت[4] له فى روضة أريضـة ، وساعفته بها آمال من الوصال عريضه :

لله ليلة أنس قد ظفرت بها ... قضيتها سهرا أحلى من الوسن

---

(١) فى ا : « ومل سمعى [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١ / ٢٠٧ . (٣) فى ا ، ب : « [illegible] وأ[illegible] » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٤) زيادة من : ج على ما فى : ا ، ب .

قد بِتْنا وعيونُ الدَّهرِ غافلةٌ ... عنّي ولم أخشَ فيها حادثَ الزَّمنِ[1]

في روضةٍ رَحْبةِ الأكنافِ عاطرةِ الـ ... أنفاسِ قد جُلِّيَتْ في مَنْظرٍ حسَنِ

والوُرْقُ في دَوْحِها باتتْ تُطارِحُني ... شَدْوًا لما عَمَّني في الحُبِّ من شَجَني

فتارةً فَرْطُ أشواقي يُرنِّحُها ... وتارةً طُولُ مُشْكاها يُرنِّحُني

وبات ظَبْيٌ يُناجينا لَواحِظُه ... بين الورى هي كانت مَنْشَأ الفِتَنِ[2]

تُعْزَى الشَّمولُ إلى معنى شمائلِه ... واللاذُ يُشْبِهُ منه رِقَّةَ البدَنِ[3]

بِتْنا كغُصْنَيْنِ في روضٍ يُرنِّحُنا ... ريحُ الصَّبا فَحَنَا غُصنٌ على غُصُنِ

وبات عِنْدِيَ شكٌّ في مُعانَقتي ... إيّاه حتى حسِبْتُ اللُّطْفَ صاحَبَني[4]

يا ليلةً منه أرضاني الزّمانُ بها ... عنه على أنّه ما زالَ يُسْخِطُني

* * *

ومن مقاطيعه قوله[5] :

كلّما حدّثْتُ قلبي بسلوٍّ عن هواهُمْ قال لي لا يُمْكِنِ

وإذا ذكَّرْتُه [illegible] قد أحسنوا قال لا بل أحسنوا[6]

وقوله[7] :

قد وقفنا بعد التفرُّقِ يومًا ... في مكانٍ فدَيْتُه من مكانِ

نتشاكى لكن بغيرِ كلامٍ ... نتحاكى لكن بغيرِ لسانِ

(١) في ب : « وبتها وعيون » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ج : « منشىء الفتن » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) اللاذ : ثياب حرير تنسج بالصين . اللسان (ل و ذ) ٣/٥٠٨ . (٤) في ب ، ج : « حتى حسبت لطيف صاحبي » ، والمثبت في : ا . (٥) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٠٧ .

(٦) في ج : « ولابل » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفي ب : « قد أحسنوا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٠٧ .

٤

يوسف بن أبي الفتح [*]

إمام الأئمة، ومن ألقت إليه مقاليد الحظوة أزمّة.

فتميّز على أترابه وأخدانه، تميّز سميّه[١] على إخوانه.

«وذلك آية من مذ أماطت عنه ذوائبه، وأومضت مغارس مخيلة سحائبه»[٢].

تطلّع في أعـــلا المعالي كأنّه ... تطلّع في محراب داود يوسف

فرقي منبر المسجد الجامع خطيبا، وملأه مسكا فلم تدر أصحّ خطيبا، أم صحّ طيبا.

وأتى بما يقرّط[٣] الأسماع لؤلؤا، ويملأ الأفواه طيبا والمحافل تلألؤا.

فطار صيته في الآفاق، ووقع على تفرّده في أسلوبه الاتفاق.

حتى تطلّبه السلطان فصيّره إمامه، وتوّجه من التقدمة بتاج العِمّة.

فقامت الأماني خلفه صفوفا، واستوعب من المعالي أنواعا وصنوفا.

ومازال من حين خروجه، يتنقّل تنقّل القمر في بروجه.

(*) يوسف بن أبي الفتح بن منصور بن عبد الرحمن السقيفي، الدمشقي، الحنفي.
ولد سنة أربع وتسعين وتسعمائة، بدمشق.
وأخذ عن الحسن البوريني، وأحمد العيثاوي، وغيرهما من علماء عصره.
كان ذكيا، حسن الطبع، لطيف الشعر، حلو المنطق، حسن الصوت.
واشتغل بالإمامة، والتدريس، والخطابة، بدمشق، وبالروم.
وولي الإمامة للسلطان عثمان، ثم للسلطان مراد، ثم للسلطان إبراهيم.
توفي بالقسطنطينية، سنة ست وخمسين وألف، ودفن بأسكدار.
خلاصة الأثر ٤/ ٤٩٣.

(١) يعني يوسف عليه السلام. (٢) اقتبس هذا من مقدمة الحريري [illegible] طبعة مصر ١، ٣، ٤ [illegible] (٣) في ب: «يقرظ»، والمثبت في: ا، ج. وقرط أذنه: ألبسها القرط.

إلى أن صار ثالث القمرين، وفاز برتبة قضاء العسكرين.

وكان مع ما أعطيه من الرتبة التي لا تنال إلا بالتمني، والحرمة التي ترمي أمثالها المطايا بالتعني.

لم يبرح يحن إلى مواطن[1] إيناسه، ويرتاح إلى مراتع غزلان ضريمه وكناسه.

هذا، وله الفضل الذي تليت سور أوصافه، وحليت[2] صور أسمائه بالنعوت والصفات.

والتصانيف[3] التي ما خطت الأقلام ساحة إلا لثمت محاريب قرطاسها، وما سميت خرساء إلا قبل أن ينفث في روعها روائع[4] أنفاسها.

وأما الأدب فهو[5] إمامه الذي به يقتدى، وسلفه الذي بذكره يبتدى.

وله الشعر الذي قبس ألفاظه من ذوائب الأطواق، واختلس معانيه من حنين العشاق[6] وكابد الأشواق.

يطرب من لم يكن يطرب، ويكاد لفظه من العذوبة يشرب.

وها أنا أورد منه ما تتباهى به حروف الرقاع، ويلذ في السمع لذة الغناء من كل شكل حسن على الإيقاع.

فمنه قوله من قصيدة أولها:

هذا حمى من الرفيق المنجد ... قد يمم الخيف الفريق المنجد

بانوا فلا داري حلى بعدهم ... داري ولا عيشي لديها أرغد[7]

(1) في ب، ج: «موطن». والمثبت في: ا. (2) في ا: «واحتلت». والمثبت في: ب، ج.
(3) في ا: «والتصنيفات». والمثبت في: ب، ج. (4) في ب، ج: «رائع». والمثبت في: ا.
(5) في ب: «فإنه». والمثبت في: ا، ج. (6) ساقط من: ب، ج، وهو في: ا.
(7) في ب، ج: «ولا عيش». والمثبت في: ا.

وعلى الأراكة فتيةٌ نعست [illegible]   راحُ السُّرى والعيسُ فيها [illegible]

يتهافتون على الرحال كأنهم   قُضُبٌ على كُثُب النقا تتأوّد

واهاً على وادي مِنى والمنحنى   لو أنني [illegible] يدي [illegible]

كانت عروس الدهر [illegible]   فيه [illegible] لي [illegible]

عهدي به [illegible] هوى [illegible]   [illegible] مستبدّة [illegible]

[illegible]   [illegible]

ياهل لليالات [illegible]   أم هل إلى جمع [illegible] موعد (١)

جسمي بكنف الشام مخيّم   وهواي بأكناف [illegible]

لله [illegible] الليالي [illegible]   في [illegible]

[illegible] كلّ موضع [illegible]   في القلب [illegible] (٢)

لله أيامي [illegible]   والدهر [illegible]

أيام ظلّ الدهر [illegible]   [illegible] (٣)

في حيث [illegible] الشبيبة [illegible]   [illegible] للعيس [illegible]

إذ [illegible] كلّ [illegible]   [illegible] إليه [illegible]

مرّت كلمح [illegible]   في النفس [illegible]

[illegible] إذ [illegible]   أودى [illegible]

وإذا [illegible] من [illegible]   [illegible]

وإذا نسيم الروض هبّ [illegible]   وفق [illegible] دمع [illegible]

ومتى خطرت من الزمان بخاطر   أحلت [illegible] على [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ٢ ١١٨ [illegible]

(٣) [illegible]

وقوله من أخرى [illegible] :

سقى [illegible] [illegible] [illegible] … [illegible] من أفويق [illegible] [illegible] (١)

سحاب [illegible] [illegible] ورد [illegible] … [illegible] به المسك الفتيق [illegible]

ولا [illegible] [illegible] [illegible] … [illegible] النور [illegible] الندى [illegible] (٢)

وجانا دراري لأفق [illegible] سافطت … وآن [illegible] [illegible] النجوم [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] … [illegible] [illegible] وهو [illegible] (٣)

كأن [illegible] أزهر الشقيق [illegible] … خدود ونور الأقحوان [illegible]

كأن [illegible] النرجس الغض [illegible] … [illegible] العوالي [illegible] فتور (٤)

كأن غصون البان [illegible] [illegible] … معاطف غيد [illegible] [illegible]

[illegible] دموعي [illegible] على [illegible] … [illegible] من الأنوار وهو [illegible] (٥)

[illegible] لها [illegible] [illegible] تحت [illegible] … [illegible] [illegible] الكؤوس [illegible]

وإني على [illegible] [illegible] [illegible] … [illegible] وعيش [illegible] [illegible] (٦)

[illegible] لأ[illegible] [illegible] [illegible] … [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (٧)

فمرت ولم تعقب سوى جمرة الأسى … [illegible] لها تحت الضلوع [illegible]

خليلي [illegible] [illegible] [illegible] … يكاد فؤادي [illegible] [illegible]

وإن خطرت [illegible] [illegible] [illegible] … [illegible] [illegible] تحت الدجى [illegible]

وإن ذكرت [illegible] [illegible] [illegible] … وفي القلب من فرط [illegible] [illegible]

(١) في ا : « [illegible] » [illegible] (٢) في [illegible] [illegible]
[illegible] (٣) في ا [illegible] : « [illegible] » ، والمثبت في ج . (٤) في ا : « [illegible] »
والمثبت في [illegible] . (٥) [illegible] (٦) في ب : « [illegible] » ، ولعلها :
« [illegible] » ، والمثبت في ا [illegible] [illegible] ١٩٨ [illegible] ٢٠١ .
(٧) في ج [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ٣ : ٦١

ألا [illegible] من بطن [illegible] — [illegible] فتيان بالفراق [illegible]

[illegible] قد هاجت من أين الضحى — حديث وفي [illegible] الفراق سرور

هل الجيرة الغادون من جنب حاجر — أناخوا لوى الجرعاء وهو مطير

وهل [illegible] لجرع بذى [illegible] — وأرض لحمى [illegible] وهو مطير

وهل هاجمات البان [illegible] خوطها — هبوب نسيم هب وهو عطير (1)

وهل درست من بطن فج مسارح — ومحت هبوب [illegible] ودثور (2)

[illegible] فوق أفنان [illegible] — [illegible] ومغير

[illegible] إذا ورق العشايا [illegible] — تهيج من داء الهوى [illegible]

[illegible] وهنا أفانين سجعها — [illegible] (3)

[illegible] مني أن يقول [illegible] — لقد ضربت [illegible] خدور

[illegible] في هذا الهوى من [illegible] — وهنيت في هذا الغرام غدير (4)

[illegible] فؤادي في هواه [illegible] — [illegible] لعاشقين [illegible]

[illegible] — [illegible] غرور

[illegible] خفض عذلك [illegible] — فكل معنى [illegible] (5)

[illegible] من [illegible] الغواني [illegible] — [illegible] (6)

[illegible] العالجية [illegible] — [illegible] (7)

[illegible] من هواء الغوطتين [illegible] — [illegible] (8)

---

(١) [illegible] (٢) فج : موضع أو جبل [illegible] معجم البلدان ٣ [illegible].
(٣) [illegible] معجم [illegible] ٢ / ٩٢٨.
(٤) [illegible] (٥) [illegible]
(٦) [illegible] (٧) [illegible]
[illegible] معجم البلدان ٣ [illegible] (٨) [illegible]
[illegible]

إذا هبطتْ من ربعِ جِلّقَ منزلا   وفيه [illegible] واسفال [illegible]

أمرنا بها طوعَ القيادِ توجّهتْ   ركائبُها وهو المرادُ تزورُ [1]

تزورُ فتى من آلِ منجكَ ماجداً   على كلِّ من يدعى الأميرَ أميرُ [2]

* * *

وقوله من أخرى ، مبتدؤها :

تذكّرَ من أكنافِ رامةَ مربَعا   ومغنًى به غصنُ الشبيبةِ أينعا

فبات على جمرِ الغضا يستفزّهُ   غرامٌ فيذري الدمعَ أربعَ أربعا

كئيبا بتلّاتِ العميمِ متيّما   معنًّى بأيامٍ خلونَ مولّعا [3]

يجانبُ بين الراحتين على الحشا   ويطوي على القلبِ الصدوعَ [illegible]

فمن صبواتٍ تستفزُّ فؤادَه   ومن زفراتٍ أضرمتْ فيه أضلعا

ألا في سبيلِ الحبِّ مهجةُ عاشقٍ   تولّعَ فيه الحبُّ حتى تولّعا

وحين أبتْ بعد الأحبّةِ [illegible]   وفاءً بحقِّ الربعِ أن تتقشّعا [4]

سقى اللهُ من وادي مِنى كلَّ ليلةٍ   هي العمرُ كانت والشبابُ المودّعا [5]

وجدّدَ أياماً بها قد تصرّمتْ   ثلاثا ومن لي أن أراهنَّ أربعا [6]

[illegible] ياقوت : أنزه بلاد الله ، وأحسنها منظرا . معجم البلدان ٣/٨٢٥ .

و[illegible] : [illegible] ، وهي قرية مشهورة بدمشق ، في وسط البساتين ، ويذكر ياقوت أنه [illegible] موضع [illegible] . معجم البلدان ٤/٨٥٥ . (١) في ب ، ج : « وهو [illegible] » . (٢) لعله يعني الأمير محمد بن منجك اليوسفي ، أمير داهية ، [illegible] الأمراء [illegible] وأمرائها ، وفي سنة [illegible] وألف . خلاصة الأثر ٤/٢٢٩ .

[illegible] ولده منجك بن محمد ، الأمير ، الشاعر ، وستأتي ترجمته برقم ٧ .

(٣) في ا : « [illegible] العميم » ، والمثبت في : ب ، ج . والعميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة . معجم البلدان ٣/٨١٨ . والعميم أيضا موضع ، انظر معجم البلدان ٣/٧٣١ . (٤) في ا : « [illegible] تقشعا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب ، ج : « من ذري مني » ، والمثبت في : ا .

(٦) في ا ، ب ، ج : « وبأخذ أيام » ، ولعل الصواب ما أثبته .

وحتى تقاضى [illegible] والزمى ... الذي عرفت باسقفتن [illegible] [1]

فلله [illegible] تمسكه مشعرا ... ولو [illegible] ترمزه مشرعا

ألا ورعى دهر تقضى [illegible] ... ولولا الهوى ما فات [illegible]

[illegible] لله المراد [illegible] ... [illegible] العشق [illegible] [2]

[illegible] مالى [illegible] لاح [illegible] ... [illegible] حصاه القلب [illegible]

وإن [illegible] قاسيون [illegible] ... [illegible] ادمعا من [illegible] الادمع [3]

[illegible] يستطيع إذا [illegible] ... [illegible] الهوى [illegible] ورجعا [4]

وكذا أقامى [illegible] والأسى ... ولا يرحم العذال منى [illegible]

ألا هكذا [illegible] الغرم [illegible] ... [illegible] صنع الهوى [illegible] [5]

عذيرى من [illegible] الزمان وأهله ... ومن لى بمن يغنى [illegible] [6]

[illegible] العدو [illegible] ... ويظهر لى منه [illegible] [1]

ولم [illegible] اللقاء [illegible] ... وما كل [illegible] [illegible]

وقوله من [illegible] أحمد بن [illegible] [8]:

حننت [illegible] الهوى [illegible] ... [illegible] [9]

وعدت [illegible] فى نواحيك [illegible] ... [illegible]

---

(١) [illegible] (٢) [illegible]
(٣) قاسيون: [illegible]
(٤) فى أ: [illegible]
[illegible]
(٥) [illegible] (٦) [illegible]
[illegible] (٧) فى ب: [illegible]
[illegible] (٨) [illegible] (٩) [illegible]
[illegible] ٨١ — ٨٥ [illegible]

وسكفت أيدي الربيع بطرفه [illegible] نخلعه وبرد مونق

حتى ترى [illegible] الماني حلة من سندس تزهى [illegible] إستبرق

كأنه في حبتيك [illegible] وقفت وعيني تذرف [illegible]

واها لها إن كان [illegible] الزهى تهدي على [illegible] الهوى وتحرق

لله أيامي [illegible] [illegible] [illegible]

أيام [illegible] الشبيبة [illegible] يبدي [illegible] هوى [illegible]

في حيث ظل اللهو ضاف والمنى تهوى لجارحه [illegible]

إذ مسعداه مراد كل خريدة [illegible] خيلات الهوى لم تعلق

[illegible] الفرد فتنثني سكرى كخوط نقا [illegible]

كم ليلة [illegible] اكتنف الهوى [illegible] ذات الحجال ذات القرطق(1)

[illegible] على [illegible] هوى طوعا وغير [illegible] يعشق(2)

وكواكب الجوزاء [illegible] [illegible] مجسد [illegible] محدق

والبدر في أفق السماء كزورق [illegible] المجين على رداء أزرق(3)

وكأنما نجم [illegible] إذ بدا كف الخريدة [illegible] لم يتفرق

[illegible] وما [illegible] محاسنها الهوى [illegible] وما حلت عقود [illegible](4)

بأبي [illegible] الدموع [illegible] [illegible] في [illegible] لم ترفق

[illegible] أنفقت أعوامه على الهوى إلا هواك ذخرته لما أنفق

ما آن أن [illegible] عهودنا [illegible] نحو الأبرق(5)

ما آن أن ترعي [illegible] [illegible] مرت [illegible]

(١) القرطق : [illegible] (ق ر ط ق) ١٠ : ٣٢٣ . (٢) في ب [illegible] الهوى [illegible] وأثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : «على رداء أزرق» ، وأثبت في ب ، ج . (٤) في ا ، ب : «عقود [illegible]» ، وأثبت في : ج . (٥) في ب ، ج : [illegible] ، وأثبت في ا .

لله يا لمعة في قلب مرىً ... لم يأل ماعن اذكارك يخفق [1]

لله يا هيف في ذي عبرة ... طفقت مني في التفكر خيفت ترقرق [2]

هذا أنا وهواك وهو أليفتي ... سأعز من فيه وأكرم موثق

لم تستمل طرفي رغائب الحمى ... كلا ولا أغير سواك وأعشق

أحرزت كل أخي غرام فارعوى ... أهل الهوى مني ولست تمنق [3]

وكتمت سر هواك وهو ذخيرتي ... عند اللقاء وربما أن ألتقي

يوم حلو لا أنك عارض ... يهمي عليك بكل أدمع مبرق

وتمرت تصافح من مغانيك الصبا ... مأنوسة فيها هواي ومعشق

فيها مسمري ومعظم صبوتي ... فيها معرفتي ومرتع تشوقي

* * *

وله يصف وادي النيل [4] :

حذا متنزهات دمشق، البلدة التي صورت به الجنان، وأضحى وقفاً على محاسن القلب والجنان.

وهو وادٍ فرع النبت، ومسرح مختضر الجنبات.

زهره وأحمه، وشجره ونبتها.

وجدولة [5] ماء ورنة صادح، ونشاط واصف وروحة [6] مادح.

إلى رياض كبرود الحسان البرود، وحياض كورود [7] المعين الورود.

---

(١) في هذا البيت [illegible] وفي ب : « [illegible] » [illegible] . (٢) في [illegible]
[illegible] . (٣) في ب : « [illegible] » ، والمثبت من : أ ، ج . (٤) [illegible]
[illegible] ٢٩٧ . (٥) في ب [illegible] ، والمثبت في أ ، ج .
(٦) في أ [illegible] « [illegible] » . (٧) في ب : « [illegible] » ، والمثبت في أ ، ج .

وكان مضى له به عهدٌ فارقه وهو عليه واجد، مع فتيةٍ صِدقُهم[1] والحظ المرافِق[2] شيء واحد:

أقمنا بوادي النَّلِّ نستجلب البسْطا ... بحيثُ دنا منّا السّرورُ وما شطّا
وجئنا لروضٍ فتّقتْ نسمنه ... روائح ينمُّنَ الألوّة والقسْطا[3]
وقد ضربتْ أفنان أغصانه لنا ... ستائرَ إذْ مُدّتْ خمائله بُسْطا
يُبارِي به الوُرْقَ أهزازَ كراهبٍ ... يُحاكي بعبْرانيِّ ألفاظِه القِبْطا
ويعطف ما بين الغصون نسيمُهُ ... كما اجتمع الإلفانِ من بعد ماشطّا
وتُملي أحاديثَ الغرامِ خوطُها ... فترْويه لكن ربّما نسيتْ شرْطا[4]
جلسْنا على الرّضراضِ فيه هُنَيْهةً ... وقد نُظِمتْ كالدُّرِّ حصْباؤه سِمْطا[5]
بهِ من لُجَيْنِ الماء مُنْسابُ جدولٍ ... تُجعّده أيدي النّسيمِ إذا انحطّا
حكى مُسْنَميَ الخطِّ عند انسيابه ... فنقّط منه الوجهَ زهرُ الرُّبى نقْطا[6]
سقى اللهُ دهْراً مرّ في ظلّه لقدْ ... أصاب بما أوْلى وإن طال ما أخطا
وحيِّي على رغْمِ النّوى كلَّ ليلةٍ ... تقضّتْ به لا بالغُوَيْرِ وذي الأرْطا[7]
ليالِيَ لا ريْحانةُ العمرِ صوّحتْ ... ولا وجدتْ في أرضها الجدْبَ والقحْطا[8]
صحبتُ بها مثلَ الكواكب فتيةً ... أحاديثُهم في مسْمعي لم تزلْ قُرْطا[9]

---

(١) ساقط من : ج . والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب ، ج : « الوافر » والمثبت في : ا .
(٣) الألوة : العود الذي يتبخر به . والقسط بالضم : عود يتداوى به . (٤) في خلاصة الأثر .

وتُملي أحاديثَ الغرام لحوضه ... فيرويه لكن ربما نسيت شرطا

وفي ا : « فتمليه لكن » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ج : «أنسيت شرطا» ، والمثبت في : ا ، ب .
(٥) الرضراض : الحصى أو صغارها . القاموس (ر ض ض) . (٦) في خلاصة الأثر : « فنقط منه الجو » . (٧) الغوير : ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام . وقيل : ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة ، فيه بركة وقباب . معجم البلدان ٣/٨٢٧ .
وأرطاة : ماء للضباب ، بصدر دارة المكَوْرين . والأرطاة : واحدة الأرطى ، وهو من شجر الرمل . معجم البلدان ١/٢٠٩ . (٨) في خلاصة الأثر : « لا ريحانة الجو » .
(٩) في خلاصة الأثر : « صحبت به » .

يفضون مختومَ الصبابةِ والهوى ... ويرعون حَبَّ القلبِ لا البانَ والخَمْطا[١]

إذا نثروا من جوهر اللفظِ لؤلؤًا ... أوَدُّ ولو بالسمعِ ألقطُه لقطا[٢]

يديرون من كأسِ الحديثِ سُلافةً ... وربَّتما تحكى الأحاديثُ إسفنطا[٣]

* * *

ومن لطفه قوله[٤] :

يامَن هواه شفاى لمس بترجٍ من ... بين الترائبِ رَبِّ السوقِ والأسفِ

ألِفْتُه الليالى التى سلفت ... وبالغرام وبين أذى إلى تلفِ[٥]

ه بالدموعِ التى أجريتُها غدرًا ... ومدمعٍ فيك لم يطعم كرًى ذَرَفِ

لأنت أنتَ على ما فيك حبّات فى ... دمعى كمين كالدُّرّ فى الصدفِ

* * *

وكتب إلى صدر الشام وعالمها، ومن بهم قامت دعائمُ معالمها عبد الرحمن العمادىّ المفتى[٦] :

رحمة العلم والفتاوى عليه ... من مصلاة الأقلام فى الأوراق

:[٧]

---

(١) الخمط : كل شجر لا شوك له . (٢) فى ا : « من [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) الإسفنط : المطيب من عصير العنب ، أو أعلى الخمر . القاموس ([illegible]) وانظر حاشية [illegible] ٧ . (٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٤٩٩ . (٥) فى ب : « إلى [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى ، الحنفى ، الدمشقى .

ولى أمر الفتوى بعد أبيه بالشام ، وحوى من الصفات الحسنة والأخلاق [illegible] دون منازع .

وله رسائل كثيرة فى سائر الفنون ، وأشعار أكثرها لطيف المسالك ، حسن الموقع .

وفى سنة [illegible] ، ودفن [illegible] .

خبايا الزوايا لوحة ٦١ ب ، خلاصة الأثر ٢/٣٨٠ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب ، [illegible] ٢٢١ ، سلافة العصر ٣٧٢ . (٧) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٤٩٨ .

القلبُ أصدقُ شاهـــد ... عدلٍ على سِرِّ المحبّـــهْ
ومن القلوبِ إلى القلو ... بِ مواردُ الحبِّ عذبَهْ
طوبَى لمن يُسقَى بكـــا ... سِ رحيقِها المختومِ شَرْبَهْ(1)

فراجعه بقوله(2) :

الحبُّ أظهرُ من إقا ... مةِ شاهـــد بين الأحبّهْ
ومحبّةٌ برهانُهـــا ... عينُ العيانِ تعدُّ حَسْبَـــهْ
وإذا ارتضى المولى بمـ ... ـدى الناسِ فليستفتِ قلبَهْ

* * *

ومن شعره(3) ما قاله عاقداً فيه حـــديث : « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ(4) يَوْمًا مَّا ، وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَّا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ(5) يَوْمًا مَّا » :

بين المحبّةِ والتباغضِ برزخٌ ... فيـــه بقاءُ الوُدِّ بين النّاسِ
بخلافِ أقصى الحبِّ أو أقصى الأذى ... فهو تبدّده من كلِّ قابٍ قاسي
فمـــآلُ كلٍّ منهما ندمٌ على ... تفريطِه ندمًا بغـــيرِ قياسِ(6)

* * *

ومن مقاطيعه قوله :

إذا ما أزمعَ الأحبابُ ظعنًـــا ... وثارَ لدى الوَداعِ حنينُ وَجْدِي
فقل لهمْ بعَـــبْرةِ ذي ولوعٍ ... تمتّعْ من شميمِ عرارِ نَجْدِ

---

(1) في خلاصة الأثر : « شرابها المختوم » . (2) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٤٩٨ ، ٤٩٩ .
(3) ذكر المحبي هذا والشعر أيضا في خلاصة الأثر ٤/٤٩٩ .
(4) في خلاصة الأثر : « عدوك » . (5) في خلاصة الأثر : « صديقك » . (6) في ا : « يوما بغير قياس » . وفي خلاصة الأثر : « ندم بغير قياس » ، والمثبت في : ب ، ج .

بعضه[1] :

* فما بعدَ العشيّةِ من عَرارِ *

قال أبو هلال[2] في كتاب « المعاني » : [3]الألوان ، يعني من النساء ، تعتريها بالعشيّة صُفرةٌ مستحسَنة ، كما قال :

. . . . وصُفْرٌ [illegible] العشيّةِ كالعَرارَه[3]

قال المهذّب : أقول : العرار زهر برّىٌّ أصفر[4] ، ومن هنا يفهم معنى قوله :

* فما بعدَ العشيّةِ من عَرارِ *

* * *

وقوله مضمِّنا :

إن هبّت ريحُ [illegible] بين الرِّفاقِ عشيّةً
فقال [illegible] خُشاشةُ [illegible] وقال خُلِقتَ ألوفَا

يريد بيت المتنبي[5] : [illegible]

---

(١) البيت لصمة بن عبد الله القشيري . اللسان (ع ر ر) ٤/٥٦٠ ، وهو في نوادر أبي زيد ٢٦١ دون نسبة . (٢) في الأصول «ابن هلال» ، وهو خطأ ، وهو يعني أبا هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، والنقل من كتابه ديوان المعاني ٢/١٣ .

(٣) الذي في ديوان المعاني : « وتعترى الألوان بالعشيات صفرة قليلة تستحسن ؛ ولذلك شبهها بالروس ، [illegible] والروس من زهر ، وهو أصفر ، ومن هذا قوله أيضا :

. . . . . . وصُفْرٌ [illegible] العشيّة كالعَرارَهْ »

والذي استشهد به أبو هلال صدره بيت للأعشى ، هو قوله :

بيضاءُ ضحوتَها وصُفْـ ـرٌ [illegible] العشيّة كالعرارهْ

ديوان الأعشى الكبير ١٥٣ ، واللسان (ع ر ر) ٤/٥٦٠ ، وفيه : « بيضاء غدوتها . . . » .

(٤) في اللسان (ع ر ر) ٤/٥٦٠ : « العرار : بهار [illegible] . وهو نبت طيب الريح ، قال ابن برى : وهو النرجس البرى » . (٥) ديوان أبي الطيب ٢٢ .

خُشاشةُ نفسٍ ودَّعتْ يومَ ودَّعُوا	فلم أدرِ أيَّ الظَّاعنَيْنِ أُشَيِّعُ[1]

وبيتُه الآخر[2] :

خُلِقْتُ ألوفًا لو رجعتُ إلى الصِّبا	لفارقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ القلبِ باكيا[3]

* * *

وقوله[4] :

إنَّ رحالَ القومِ عنّا	ركابُهم ظاعنينا
فقالَ لم بانكسارٍ	يامن يعزُّ علينا

تتمته[5] :

. . . . أن نفارقَهُمْ	وِجدانُنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ

* * *

وقوله[6] :

أحبَبْتُها هيفاءَ تُزْرِي قدُّها	بالغصنِ رنَّحهُ النَّسيمُ وحرَّكا[7]
مرَّتْ فضاعَ المِسْكُ مِن أرْدانِها	فوَدِدْتُ بالأردانِ أن أتمسَّكا

* * *

وقوله[8] :

ياويحَ قلبي مِن هوًى شادِنٍ	يَجْرَحُــه اللَّحْظُ بتَكْرارِهِ

---

(١) في ب، ج: «حين ودعوا»، والمثبت في: ا، والديوان. (٢) ديوان أبي الطيب ٤٤٠.
(٣) في الديوان: «لو رحلت إلى الصبا». (٤) البيتان والتتمة الآتية مما سقط من: ج، وهو في: ا، ب. (٥) ديوان أبي الطيب ٣٢٤. (٦) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٩٩.
(٧) في خلاصة الأثر: «حركه النسيم حركا». (٨) البيتان في خلاصة الأثر ٤/٩٩.

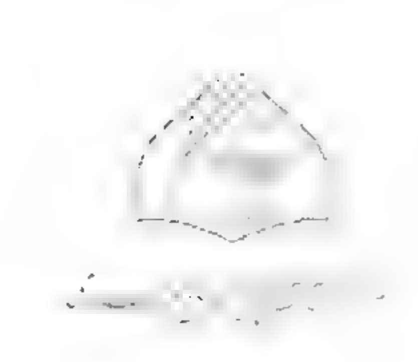
أدنو فتغدو وَرْدتا خَــدِّهِ ... بَنَفْسَجاً يَزْهو بِنُوّارِهِ[١]

* * *

وقوله[٢] :

أُفٍّ لدُنْيا لم تزلْ ... عن وجهِ ذُلٍّ سافِرهْ

تَعْميرُها مُستلــزِمٌ ... تَخْريبَ دارِ الآخِرهْ



---

(١) في خلاصة الأثر : « أرنو فتغدوا » ، وفي ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « بنفسجا يرمى بنواره » .

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٤٩٩/٤ .

﴿ فصـــــل ﴾

ذكرت فيه مما في الأصل[1] أربعة من الرجال، وَصْفُهم حَلْيٌ تتغاير فيه رَبَّاتُ الحِجال.

تحثُّ بهم عَزْمَها القُلوصُ النَّواجي، وتستفيدُ منهم سِحْرَها العيونُ السَّواجي وإني [2] لا آمن [2] من[3] أن يقال: كرَّروا على الأسماع، والمكرَّر مملول بالإجماع.

ومن العادات، تركُ المُعادات.

فخَبَرُ الحبيب يطيبُ على الإعاده، وسَجْعُ الحمام إذا تردَّدَ أطْربَ بحسبِ العادة.

ومن يَمَلُّ من الأنفاس ترديداً، ويسأمُ من رَشَفاتِ الثُّغور تعديداً[4].

على أنِّي مُقتَفٍ أثَرَ الباخَرْزِيِّ في « دُميته »، حيثُ أعادَ ذِكرَ بعض مَن ذكر الثَّعالبيُّ في « يتيمته ».

وقال[5]: « لولا تكرار الكؤوس، لما استقرَّ الإطراب في النفوس، ولا استقلَّت[6] ضبابه على الرؤوس[6]، والحياةُ على حسن مَساقِها وطيبِ مذاقِها، إذا[7] جاوزت النَّفَسَ الأوَّل مُعادة، وحبُّها لكل من الحيوانات عادة، حتى إنها لا تملُّ إذا كُرِّرَتْ[8] عليها، ولا تكْرَه إذا رُدَّت[9] إليها ».

والشَّرط أني لا أذكر من شِعْرِهم السَّامي، وزَهْرِهم الذي نبت في الرَّوض الشَّامي.

(١) يعني ريحانة الألبا، للشهاب الخفاجي. انظرها في ١/١٣١، ١٣٢، ٢٢٨–٢٦١ (٢) في ا: «لآمن»، والمثبت في: ب، ج. (٣) ساقط من: ا، وهو في: ب، ج. (٤) في ج: «تعريدا»، والمثبت في: ا، ب.
(٥) دمية القصر، تحقيق ١/١٨. (٦) في دمية القصر: صبابة الخمار عن الرءوس».
(٧) في دمية القصر: «لما». (٨) في دمية القصر: «كَرَّتْ». (٩) في دمية القصر: «رَدَدْتَ»

إلّا مالم يصلْ إليه ، وماذ كرَه منه لا أُحاشِرُه عليه .

والحِكمةُ هى الضّالّة فإن[1] وُجِدتْ أُخِذت ، وحيثُ ماسَمَجَت نبذت .

وما بعثَنى على ذِكْرِهم ، إلا التّلذُّذ بحَمْدِهم وشُكْرِهم .

وإنى لأحْسَب إن طالَتْ لعهدهم[2] السُّنون ، أن تتعلّق بمحاسنهم خطاطيف[3] الفُنون .

وعلى كلّ حال فحقّهم علىّ أوْجب ، وزيادة[4] إلمامى بحُبّهم[5] لا تُنكر ولا تُحجَب .

فمنهم :



(١) فى ب : « أينا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « لعهدهم » ، وفى ب : « عهدهم » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ب : « خطائف » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا وحدها : « وتحبهم وزيادة » . (٥) فى ب : « بتحببهم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٥

أبو الطَّيِّب الغَزِّيّ *

أوحدُ البُلَغاء العِظام، وأجلُّ من تفوَّه بالنِّثار والنِّظام.

جاء أُمَّة وحده في الافتنان، وامتطى جوادَ البراعةِ فأجْراه طَلْقَ العِنان.

وهو في النَّباهة آية، لم تَفُتْه من مَطالِبه غاية.

فكلُّ خاطرٍ يَقعُد إلّا خاطِرُه، وكلُّ سحابٍ يَضِنّ إلّا سحابٌ يسحُّ من فِكره ماطِرُه.

ومكانته في السُّؤدد عالية، وبضاعة قُربه ليست بالعُمْر غالية.

تحلَّى بالزهد، وبذل في التحلِّي (١) الجُهد.

وشعره حجَّة متصاب وفتنة مُتنسِّك، إذا سمعه المشغوف لم يبقَ فيه إلا رَمَقٌ بلذّاته مُتماسِك.

قالت الأصْداف: الفخرُ لألفاظه الغُرّ، فلذلك حشا الدهرُ فمَها الدُّرّ.

(*) أبو الطيب بن محمد بن محمد الغزى، العامرى، الدمشقى.
يتصل نسبه بعامر بن لؤى
كان في زمنه أبلغ الشعراء، وأدقهم نظرا، وشعره من أجود الشعر رونقا وديباجة.
وهو من أذكياء العالم وفضلائه، والمشهود لهم بالتفوق والبراعة.
تقدم في علوم الأدب بالقاضي محب الدين، جد المؤلف، وتفقه بالشهاب العيثاوى.
ورحل إلى مصر فأخذ عن علمائها.
ثم عاد إلى دمشق، ودرس بمدرسة القصاعية الشامية.
ثم تفرغ عنها، وعرض له عارض سوداوى اختلت معه أحواله.
توفي سنة اثنتين وأربعين وألف، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان.
تراجم الأعيان ١ / ٢٦٦، خبايا الزوايا لوحة ٢٤ ب، خلاصة الأثر ١ / ١٣٥، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب، ريحانة الألبا ١ / ٢٥٧، سلافة العصر ٣٨٨.

(١) في ا: «الحلى»، وفي ج: «التحلى»، والمثبت في: ب.

إذا ابتدأ معنى أبرزه كهلال العيد ، وأوقعه موقع فصل الخطاب وبيت القصيد .

وإن استعاره صيّره خلقًا جديدا ، وجعله كأبيه في الفكر(1) جديدا(2) .

وأقام دِعامته إن خفي رَسْما ، وأعطاه رُوحًا إذا كان جسما .

وأنا ممن أُبهج(3) به ابتهاجا وزهوا ، ولى بمحاسنه شغف الهيم بمن يهوى .

حركنى إليها دواعى الوجد ، فولعت بها ولوع ابن الدمينة(4) بصبا نجد .

وقد جئتك منها بما يملأ المسامع التذاذا ، ويجعل القلوب من الوجد جذاذا .

قال فى الغزل :

رشأ تمكّن من فؤاد الشائق ... فى قفر [illegible]

أسد يجول بحلية الحسن التى ... فيها الأسود سكون من أسرائه

ملك ترى رمح القوام وقوس حا ... جبه وسيف اللحظ من [illegible]

قمر تراءى نحو مرآة [illegible] ... ء وفيه [illegible]

[illegible] ... [illegible] فى [illegible]

فلكم تطاول ليله عنى وذقـ ... ـت به عنا لا ذقت طعم عنائه(5)

فى ليلة [illegible] ... [illegible] نجوم سمائه

لولا غزير الدمع أحرقه الحشا ... لولاه أصبح مغرقا [illegible]

[illegible] عنك تعشق فالنـ ... ـس يطيعنى شمعى على [illegible]

---

(1) فى ب ، ج : « لأفكاره » . والمثبت فى : ا . (2) فى ج : « جديد » . والمثبت فى : ا ، ب
(3) فى ب : « أبهج » . والمثبت فى : ا ، ج . (4) هو عبد الله بن عبيد الله بن عمرو بن [illegible]
الخثعمى ، المعروف بابن الدمينة ، مقتول نحو سنة ثلاثين ومائة للهجرة ، وقوله :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

ديوانه ٨٥ . (5) فى ج : « تطاول ليله » . والمثبت فى : ا ، ب .

وَدَعِ الهوى طَلْقَ العِنانِ لأهلِه   وارْبأْ بنفسِك عن رَيْبِه القبيحِ

فلَرُبَّما ضاقَ الفضاءُ بأهلِه   ولَرُبَّما سُدَّتْ مَنافِقُ الرِّيحِ

كم ذا تبيتُ مُسَهَّداً تَرعَى السُّها   مُتَمَلْمِلاً من لاعِجِ التَّبريحِ

كم ذا تَصُدُّ عن النَّصيحِ عَمايةً   وترى وليَّ النُّصحِ غيرَ نَصيحِ

ومُمَنَّعٍ كأنَّ الغزالةَ دونَهُ   غابٌ حمى من ذابلٍ وصفيحِ

لا يَشتفي مُضْناهُ منه بزَوْرةٍ   تَشْفي ولا من فَتْكِه بمُريحِ

لو شِئْتُ لا شِئْتُ المَعادَ إلى الهوى   لرأيتَني بالرُّوحِ غيرَ شَحيحِ

ورأيتَ آرامَ الصَّريمِ سَوانِحاً   في مجلسي وصَوادِراً في سُوحي

ورأيتَني ضُمَّتْ على مُتَنَسِّكٍ   مُتَعَفِّفٍ حين اللقاءِ كُشُوحي

* * *

ولهُ من أخرى، مُستهلُّها:

وفتًى يَرِفُّ بمِثْلِ ثَوْبِ نُضارِ   وعَثاعِثٌ تَرْتَجُّ تحتَ إزارِ [(١)]

أمّا مُحَيّاهُ الوسيمُ فإنّه   مَمْحُ القلوبِ ومَطْمَحُ الأنظارِ

سَعَفَتْ ذُؤابَتُه الدُّجى وجَبينُه   بَهَرَ الهلالَ عَشِيَّةَ الإفطارِ

يَرْنو بأكْحَلَ كالجُرازِ فِيالُه   من أسودٍ ذي أبيضٍ بَتّارِ [(٢)]

تَنْدو له أُسْدُ العَرينِ ظَواهِراً   فيُعيدُها أخفى من الأسرارِ

صِيدٌ تَخِرُّ له البطارقُ سُجَّداً   تُجيرُهم فيُبيحُهم في الثّارِ

إن قُمْتُ بدرٌ رابني بسُفورِه   أو قامَتْ رِيمٌ راعَني بنِفارِ [(٣)]

---

(١) العثعث: مِثالٌ من الورك. القاموس (ع ث ث). (٢) الجراز من السيوف: الماضي النافذ. اللسان (ج ر ز) ٥/٣١٧. والفيال من المفايلة، أي شق الشيء. انظر اللسان (ف ي ل) ١١/٥٣٥. (٣) ق ب، ج: «إن قمت ريم رابني»، والمثبت في ا. وفي ب، ج: «أو قمت بدر»، والمثبت في ا.

لو أنكرتْ منّى هواهُ جوارحى ... فشُحوبُ جُسمانى به إقرارى [1]

لمّا آنستُه والليلُ بحرٌ مُزبِدٌ ... بنجومِه وأديمُه مِن قارِ

وإذا به وافَى يفوحُ كأنّما ... زُرّتْ غلائلُه على عطّارِ [2]

صدَعَ الدُّجنّةَ فاريًا ديجورَها ... عن بدرِ تمٍّ مُشرقِ الأنوارِ

وافترّ يَبسِمُ عن ثنايا واضحٍ ... كالآلى نسَقِ النِّظامِ صِغارِ

* * *

قلت : صِغَر الأسنان ممدوح ، قال ابن النَّبيه [3] :

ولم أرَ قبلَ مَبسِمِه ... صغيرَ الجوهرِ الثَّمَنِ [4]

واعتذر عن كِبرها القائل :

يفترّ عن مثلِ نظمِ الدُّرّ أتقنَه ... تحسينُ ناظمِه فى النظمِ مُتقِنُه

عابوا كبارَ ثناياه فقلتُ لهم ... الدُّرُّ أكبرُه فى العينِ أثمنُه

* * *

تتمة الأبيات :

غلّتْ بخرطومٍ كُمَيتٍ سلسلٍ ... لا مزّةٌ كلّا ولا مُصطارُ [5]

روحٌ بلا جسمٍ ولكن جوهرٌ ... متصدِّفٌ بالقارِ والفخّارِ

لو غبتَ ساقيَها دُجى فى كأسِها ... لرأيتَ بدرًا لَبْسَ شمسِ نهارِ [6]

حمراءُ تحسَبُها عقيقةَ بارقٍ ... إن لم تسكِّنْها فهى جذوةُ نارِ

مسكيّةٌ فكأنّها دمُ شادنٍ ... يختالُ من كاساتِها فى نارِ [7]

---

(١) فى ب : « هواه جوانحى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « وفى يفوح » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) ديوانه ٤٠ . (٤) فى ا : « الجوهر الثمن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وديوانه . (٥) عند العرب « مرء ومصطار » فى صفحة ٤٨ . (٦) فى ا : « لبس شمس نهار » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى الصفحة : حسبها ، [illegible] . (٧) فى ب : « تختال فى كاساتها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لم يُطِعْ المُعنِّفَ مستمعٌ وآلهُ ‏ رسخَ الهوى والوجدُ في سودائهِ

ياصاحبيَّ سألتُه هل من عودةٍ ‏ بزمانِ أُنسٍ تمَّ لي ببقائهِ [1]

أمْ هل وصالٌ أرتجيه منه أو ‏ وعدٌ فأبقى في انتظارِ وفائهِ [2]

أمْ هل أسامرُ طيفَه من بعدِ ذا ‏ فأبيتُ فرطَ سروره ولقائهِ [3]

فهواه داءٌ ضمّن قلبي لا يزو ‏ لُ وما لقلبي مخلصٌ من دائهِ

فأنا المقيمُ على محبّتهِ والولا ‏ وأنا المدى في الرقّ من خدمائهِ [4]

وله من قصيدة كلها دُرَر وغُرَر [5]:

أما آنَ من نجمِ الشجونِ غروبُ ‏ وحتّى متى ريحُ الفتونِ تنوبُ [6]

تكافحني من بعدِ سلوانِ صبوتي ‏ شمالُ تمنّي مهجتي وجنوبُ

سهرتُ لها نائي المضاجعِ فانثنى ‏ لها بين أحناءِ الضلوعِ لهيبُ

إذا ركدتْ ريحٌ وقرَّ سكونُها ‏ فلي منه إلّا أن يعودَ هبوبُ [7]

وفي الصدرِ نارٌ فيه لم تخطَ أعيني ‏ ولا صوّرتْه للنفوسِ قلوبُ [8]

محيّاه روضٌ ناضرٌ في نضارةٍ ‏ تكاثرَ منها ناظرٌ وعجيبُ

قناةٌ عليها للشموسِ مطالعٌ ‏ ومركزُها دونَ الإزارِ كثيبُ

بعيدُ مناطِ القرطِ سحرُ لحاظهِ ‏ ذهوبٌ بألبابِ الرجالِ لعوبُ

بديعُ التثنّي للهوِ وللهوى ‏ نسيمٌ يباري عطفَه ونسيبُ

يجولُ وشاحٌ أو يعنّ دمالجٌ ‏ إذا لاحَ في بُرْدٍ ومِسَّ قضيبُ

---

(١) في ب: «هل من دعوة»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ا: «أرتجيه أو»، والمثبت في: ب، ج، وفي ب: «أرتجيه منه وأو». (٣) في ب، ج: «من بعده»، والمثبت في: ا. (٤) في ب: «وأنا المقيم»، والمثبت في: ا، ج. (٥) الأبيات الأربعة الأولى في خلاصة الأثر ١/١٣٦، وكذلك الأبيات من التاسع عشر إلى الثاني والعشرين. (٦) في خلاصة الأثر: «وحتى متى ريح الفتون تنوب». (٧) هذا البيت ساقط من: ا. (٨) في ا: «لم تخط أعين»، وفي ب: «لم تخط»، والمثبت في: ج.

يرى منه في ريم مهاة وضيغم ... ويعرض في الأخلاء منه مهيب

يشوب الرضى بالصد والوصل بالقلى ... وما هو إلا مشفق وطبيب (١)

تمنع إطماع وإطماع مانع ... ودر ودن رائق وخلوب

دعاني إلى ترجيعي على حين غفلة ... من الحسن والأهواء منه ضروب

دعا سائري من كل عضو وكلما ... دعا منه دعيه أجاب مجيب

لسبت من الصدغ الجني بعقرب ... له بين ورد الوجنتين دبيب (٢)

لئن عاد لي عيد اللواعج غرة ... فمن فؤادي الغراء نسيب

وسلوان حالي لو رأى بث مضمر ... شحوب ومن دون الشحوب وجيب

فدا الله قلبي كم تنازعه الردى ... أحاط لها في صفحتيه ندوب

لذ الهوى لا در در أبي الهوى ... وحسبك منه زفرة ونحيب

أدرج أنفاسي مخافة كاشح ... وأطرق كي لا ينال مريب

أدين بكتمان الهوى فيذيعه ... فؤاد وطرف خافق وسكوب (٣)

وقالوا غوي لا يتوب وآثم ... وما علموا حوبا فكيف نتوب (٤)

بحسب النوافي من عفافي زاجر ... ومن صونه عما يريب قريب (٥)

أحباك أن أبدى هواك علانة ... ولكن لسان العاشقين خطيب

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

سقته دوالح جفنيك القروح ... وأرح طلائح قلبك المجروح (٦)

---

(١) في ا : « بذوب الرضا بالوصل » ، والمثبت في : ب ، ح . (٢) في ب : لسبت . (٣) ذكر المحبي في خلاصة الأثر ١ : ١٣٦ ، ١٣٧ بقية القصيدة بطريق مختصر عن هذا ، بعد أن أورد أربعة أبيات أخرى غير المذكورة هنا ، ثم عن عنها ، وذكر أربعة أبيات أخرى . (٤) في ب : « لا يتوب وآثم » والمثبت في : ا ، ح . وفي ا : « فكيف أتوب » ، والمثبت في : ب ، ح . (٥) في ا : « بحسب وفي » ، وفي ب : « بحسب عواق » ، والمثبت في : ح . (٦) الدوالح : جمع الدالح ، وهي السحابة الكثيرة الماء ، تسح من كثرة مائها .

منها فى المديح :

وَهّابُ أذْوادِ المَطافِلِ يكْتَفِى　　بِسُقُوبِها بل واهِبُ الأَخْطارِ (١)

يُنْسِى أحاديثَ المكارِمِ إنّه　　مُلْغِى الوُعودِ ومُهْدِرُ الأعْذارِ

يطْفو السَّخاءُ على أسِرَّتِهِ كما　　يطْفو الفِرِنْدُ على الصَّقيلِ العارِى (٢)

ما زالَ فى طَلَبِ العُلا حتى انبرى　　كَهْلاً فأدْرَكَ خِمْسَةَ الأشْبارِ

فى بُرْدَتَيْهِ أبو دُؤادَ لجارِهِ　　ولمن يُناوِيه أبو الأذْعارِ (٣)

مولاىَ يا كَهْفَ الأفاضِلِ والنُّهَى　　ويَمِينِ بَيْتِ اللهِ ذى الأسْتارِ

إنّى لأُكْبِرُ منكَ هَيْبةَ ضَيْغَمٍ　　وأُجِلُّهـا منّى عن الإكْبارِ

سأقولُ فيكَ الشِّعْرَ تَقْطُرُ حُسْنُه　　أو يَسْتَمِدُّ السِّحْرَ من أشْعارى

يُزْرِى بِوَشْىِ الرَّوْضِ نَمَّقَ نَوْرَه　　كَفُّ النَّسيمِ وراحةُ الأمْطارِ

***

وله من أخرى ، مطلعها :

أمُؤَنِّبِى فى الحبِّ لا مُتَوَقِّفًا　　ما أنْتَ من وَلَهِى ومن شَنَآنِى

لا تَسْقِنِى ماءَ المَلامِ فإنّمـا　　عَيْناىَ من ماءِ الهوى عَيْنانِ

(١) المطافل : ذوات الطفل من الإبل ، وهى النوق معها أولادها . انظر اللسان (ط ف ل) ١١ : ٤٠٢ . والسقوب : جمع السقب ، وهو ولد الناقة ساعة تضعه أمه ، وقيل : إذا علم أنه ذكر . اللسان (س ق ب) ١/٤٦٨ .

والأخطار : جمع الخطر ، وهو الإبل الكثيرة ، وقيل : الخطر مائتان من الغنم والإبل ، وقيل : هى من الإبل أربعون ، وقيل : ألف وزيادة . اللسان (خ ط ر) ٤/٢٥٢ .

(٢) فى ب ، ح : « يطفو السحاب » ، والمثبت فى : ا .　(٣) يعنى بأبى دؤاد حارثة بن الحجاج الإيادى ، ويضرب به المثل فى حسن الجوار ، وذلك أن كعب بن مامة كان إذا جاوره رجل قام له بما يصلحه وعياله ، وحماه ممن يريده ، وإذا هلك له بعير أو شاة أو عبد أخلف عليه ، وإن مات وداه ، فجاوره أبو دؤاد هذا ، فكان يفعل به ذلك ، ويزيد فى بره ، فضرب به المثل ، وكان أبو دؤاد يفعل بجيرانه مثل ما فعل كعب به ، ثمار القلوب ١٠٠ .

وذو الأذعار : تبع ؛ لأنه سبى قوما وحشة الأشكال ، فذعر منهم الناس ، أو لأنه حمل الناس إلى أن ذعروا منه وتفرقوا دعارير . القاموس (ذ ع ر) .

ولَه بِجانِحتى مَصُونُ حديثِهِ ... دِينٌ وشأنى مُخبِرٌ عن شانى (١)

لولا ضِرامٌ شبّ بين جَوانحى ... لغرِقتُ من غَرْبَىَّ بالطُّوفانِ

رِفقًا فلا غيرُ المنيّةِ والجوَى ... هُو وَلْىُ وهىَ المجلىُّ الثّانى

ليتَ الذى فَهِقتْ كُؤوسُ جفونِه ... أنهى بِمَن يَلْبك ماسَقانى (٢)

إنّ المُدرّبةَ الظُّبَى ولِحاظُه ... أنّى أُجِهتُ من الهوَى بِسِنانِ (٣)

لله من أجفانِ جُؤذُرِ كاظِمةٍ ... يَرْعَى الحشَا بَدلًا عن الحَوذانِ (٤)

يَطْفو النّعيمُ على غَرارةِ وجْهِه ... فَرِقتُ منه شقائقُ النُّعمانِ (٥)

مُتوضِّحُ القَسَماتِ يبرحُ خالِيًا ... منى جَنانُ جاذِبٍ بِعِنانى

ونَفيضةٍ سَئِمَ الغرامُ إلىّ ما ... لم يعتسِفْها ضَلّةُ الهِجْرانِ

وسَبِيئةٍ من خَمرِ عانةَ مُزّةٍ ... لَطُمَ المزاجُ بها عُقودَ جُمانِ (٦)

فتِلْنَتْ تَصوّبُ من صبيرِ غمامةٍ ... أمّتْ تمثُّلَ مصابيحِ الرُّهبانِ

ومنها فى المديح :

فَرِخٌ تمكّنَ من تِهامةَ دونَه ... أحداثُ الكمىّ تمكُّنَ ثهلانِ (٧)

يَقِظٌ بأعقابِ الأمورِ كأنّما ... يُدلى بجاسوسٍ إلى الكِتمانِ

---

(١) ف ا ، ب : « وله لجانحى » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ا : « ما سامنى » ، والمثبت فى ب ، ج . (٣) الذرب : الحدة . (٤) فى معجم البلدان ٤/٢٩٣ : « الكلاء . . . اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة » ، ولعلها « كلية » : ماء ، أو هى من أودية العلاة باليمامة . عن الخال والأمكنة والمياه ١٣١ ، ومعجم البلدان ٤/٣٠٣ .

والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء وأصلها صفرة ، وورقته مدورة ، والحافر يسمن عنه . وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم . اللسان (ح و ذ) ٣/٤٨٨ .

(٥) فى ا : « فرقت عنه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) السبيئة : الخمر تحمل من بلد إلى آخر .

وعانة : بلد مشهور ، بين الرقة وهيت ، يعد فى أعمال الجزيرة . معجم البلدان ٣/٥٩٤ .

وتقدم التعريف بـ « مزة » فى صفحة ٤٨ .

(٧) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ١/٩٤١ .

لا تطَّبيه مُدامةٌ تُجلَى على　　عَزْفِ القِيانِ ورَنَّةِ العِيدانِ[1]
عمَّتْ فضــائلُه وذاعَ نَوالُه　　كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بكلِّ مَـكانِ

منها :

واستَجْلِها عذراءَ عَلَّ رُضابُها　　حَمْراءَ تهزأُ بالنَّجيعِ القانِي
شُجَّتْ بذِي خَصَرٍ يُبدِّدُ فوقَها　　حَبَبًا يجولُ كأعْيُنِ النَّينانِ[2]

* * *

النَّينانُ : جمعُ نُونٍ ، وهو الحوت . قيل هو جمعٌ غيرُ معروف .

وقد كان سِيبَوَيْه لَحَّن بشَّارَ بنَ بُرْدٍ ، في قوله في صفة السفينة[3] :

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ وربَّما　　رأيْتَ نُفوسَ القومِ من جَرْيِها تَجْرِى

فغيَّره بشَّار بـ « تيَّارِ البحور »

وقد قال أبو الطَّيِّب يصف خيلاً[4] :

فهُنَّ مع السِّيدانِ في البَرِّ عُسَّلٌ　　وهُنَّ مع النِّينانِ في البحرِ عُوَّمُ[5]

قلت : وأبو الطيب ، له في اللغة النظرُ الصَّيِّبُ[6] ، وهو ممن يَمِيزُ الخبيثَ من الطيِّب .

* * *

ومن مُلَحِه ومقاطيعه قوله[7] :

عاطَيْتُه حَلَبَ العَصيرِ ولا سِوَى　　زُهْرِ النُّجومِ تُجاهَ زَهْرِ المَجْلِسِ[8]

---

(١) لا تطّبيه : لا تستميله . اللسان (ط ب ى) ١٥/٣ .　(٢) الخصر : البرد .　(٣) ديوانه ٣/٢٨١ بهذه الرواية ، وانظر مقدمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الديوان ١/٥٨ . وانظر ديوان بشار (العلوى) ١٣٤ ، فهو فيه بالرواية المعدلة .　(٤) ديوانه ٢٩٢ .　(٥) الرواية المثبتة في الديوان « وهن مع الحيتان » ، وفي هامشه رواية بعض النسخ وهي توافق ما في النفحة .　(٦) في ا : « الصيب » . والمثبت في ب ، ج .　(٧) الأبيات في خلاصة الأثر ١/١٣٧ ، ريحانة الألبا ١/٢٦٠ ، وقد أخل المحبي بشرطه ، سلافة العصر ٣٩٣　(٨) في خلاصة الأثر : « حول المجلس » .

أُنْظُر إليه كأنّه مُتَبَرِّمٌ ... مِمّا تُغازِلُه عيونُ النَّرْجِسِ

وكأنّ صَفْحَةَ خَدِّهِ ياقُوتَةٌ ... وكأنّ عارِضَه خَمِيلَةُ سُنْدُسِ

هذا على أسلوب قول ابن هانئ الأندلسي[1] :

خالَسْتُه نظَراً وكان مُوَرَّداً ... فاحْمَرَّ حتى كادَ أن يَتَلَهَّبا[2]

أنْظُر إليه كأنّه مُتَنَصِّلٌ ... بجُفونِه ولقد يكونُ المُذْنِبا[3]

وكأنّ صَفْحَةَ خدّه وعِذارَهُ ... تُفّاحةٌ رُمِيَتْ لتَقْتُلَ عَقْرَبا

* * *

وله :

صادَفْتُه مُتَبَذِّلاً بصِحابِه ... يوماً فقَصَّر عنهمُ في مَنْزِلِ[4]

وتَرَكْتُه نَهْبَ الرَّعاعِ وإنّه ... أشْهَى إليَّ من الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

* * *

وله[5] :

لقـــد علِقْتَ يا فُؤادِيَ ... بالحُسَيْنِ ذِي الوَسَنْ

فإن ظَمِئْتَ فارْشُفَنْ ... رِيقَ الحُسينِ والحَسَنْ

* * *

---

(١) ديوانه (بيروت) ١٦ ، تبيين المعانى ٨٢، ٨٣ ، خلاصة الأثر ١/١٣٧ ، وريحانة الألبا ١/٢٦١ .

(٢) فى خلاصة الأثر: « عاطيته نظراً » وهى رواية توافق ما فى تبيين المعانى ، ورواية النفحة ، توافق الديوان ، وريحانة الألبا ، وفى ريحانة الألبا : « فزداد حتى كاد أن يتلهبا » ، وبعد هذا فى الديوان ، وتبيين المعانى :

هٰذا طِرازٌ ما الْعيونُ كَتَبْنَهُ ... لٰكِنَّهُ قبلَ العُيُونِ تَكَتَّبَا

(٣) فى خلاصة الأثر ، وريحانة الألبا : « بجفونه من طول ما قد أذنبا » ، ورواية النفحة توافق ما فى الديوان والتبيين .   (٤) فى ا : « فى منزلى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) خلاصة الأثر ١/١٣٧ .

وله (١) :

ناسَقَنِى الوصْـــلَ فهَنِّئْنه   مِيقاتُ موسَى فات بالصَّدِّ (٢)
لا بُدَّ من بَيْنٍ على غِرَّةٍ   ما أنتَ إلا زَمَنُ الوَرْدِ

* * *

وله (٣) :

لنا نفوسٌ إذَا هِيَ انصَدعَتْ   بلَمْحِ طَرْفٍ تقومُ ساعتَها
عزَّتْ فعاشَتْ بفقْرِها رَغداً   وفى اعتزال الأنامِ رَاحتُها

* * *

وله :

نَضارةُ أهل الـكَيْفِ ظلٌّ مَن اكتسى   به نحو شهرٍ ظَلَّ فى النَّاسِ عارِياَ (٤)
على وَجْهِ مَنْ مِسْحَةٌ من ملاحةٍ   تزولُ ويبْــقَى الحزْنُ مِن بَعْدُ بادِياَ

* * *

وله :

أعَـــدَّ لِهمِّهِ أوْراقَ كَيْفٍ   تَمُدُّ من السُّرورِ عليــه فَيْئَا
كألْسِنةِ الشُّموعِ تُضِيء لـكن   تُذِيبُ نفوسَها شيْئًا فشَيْئًا

***

---

(١) خلاصة الأثر ١/١٣٧ . (٢) فى ح : « ناسقنى الوصل » ، وفى خلاصة الأثر : « أنسأنى الوصل » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) خلاصة الأثر ١/١٣٧ ، ١٣٨ . (٤) فى ا : « نضارة أهل الـكأس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٦

أحمد بن شاهين*

عين الزمان ويتيمه ، لو حلف أنه لم يأت بمثله ما حنثت[1] يمينه .

فهو شخص كله جود ، وما من فضل إلا في ذاته موجود .

موارد كرمه سائغة ، وملابس نعمه سابغة .

مورق عيدان العلا رطبها أبلج وجه العرف بسامه

مع شيمة لو أنها في الماء ما تغير ، وهمة لو أنها للنجم ما تغور .

وأياد روائح غوادي ، كنسيم الرياض غب الغوادي .

فالمزن فيض نمائه ، والروض حسن اقتنائه .

وله فكر إذا اتقد ثاقبه [illegible] منه اللهب[2] ، وخلق إذا انتقد بهرج عنده الذهب .

(*) أحمد بن شاهين القبرسي الأصل ، الدمشقي .
ولد سنة خمس وتسعين وتسعمائة .
وكان أبوه من أجناد دمشق ، وسلك هو أيضا طريق الجندية ، ثم تركها بعد الفتنة التي وقعت بين علي بن جانبولاذ والعساكر الشامية .
ثم اتجه إلى العلم والأدب ، فلزم الحسن البوريني ، وعبد الرحمن العمادي ، وأبا الطيب الغزي ، وعبد اللطيف بن المنقار .
كان مليح العبارة ، جيد الفكرة ، حلو الترصيع ، حسن التصرف في النظم والنثر .
اشتغل بالتدريس ، والقضاء ، والتأليف .
وتوفي سنة ثلاث وخمسين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .
تراجم الأعيان ١/١٣٩ ، خلاصة الأثر ١/٢١٠ ، ريحانة الألبا ١/٢٢٨ ، سلافة العصر ٣٧٥ ، هدية العارفين ١/١٥٩ .

(١) في ا : « حنث » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « الهب » ، والمثبت في : ا ، ج .

وكان في مُبتدإٍ من الجِدّ على طريقةِ والده ، حتى بلغ فنزَع بنفسه إلى مجد أغناه مُطْرَفُه عن تالِده .

وحُبِّب إليه أنواعُ المعارف ، فاعتاض عن حُمْرِ المضارب سُود المراعف[1] .

كما قال[2] :

صَبوتُ إلى حُبّ الفضائل بعدما ... تقلّدتُ خطّيّ وصُلْتُ بمِخْذَمِ[3]

ومارستُ من بعدِ القناةِ يَراعةً ... كأبيضَ مَصْقولِ العوارضِ لَهْذَمِ[4]

وصار مِدادي من سوادِ محاجري ... وقد كان مُحْمرًّا بسيلٍ كعَنْدَمِ

فجاء من التحائفِ التي بيّضتْ وجوهَ القراطيس ، وجذبتْ المحاسنَ إلى صَوْغِها جَذْبَ المِغناطِيس .

بما أطلع قدودَ الأسطر محفوفةً بالولائد . ولآلِي الثغورِ كأنها على العقد قد نظَمها للقلائِد .

إلى نظمٍ مثلِ السوالف زُيِّنتْ بالشعور ، وأداءٍ كدُرَر النحور عُلِّقتْ في النحور .

وشِعْرُه وإنشاؤه إذا رآهما الأديب ، قال : ليس للبلاغةِ إلّا ذان ، يلجانِ السمعَ إلى القلب بلا أذان ولا استئذان .

أحاطَتْ بدائعه حواشي الإجادة ، إحاطةَ الحُلَل بالقُدود ، وتوشّتْ رياضُ روائعه بالملاحةِ توشيةَ العِذارِ بوَرْدِ الخدود .

فكل ما كتبه أوفاه به لسانه ، لا سبيل لأن يُجحد حسنه ويُنكر استحسانه .

ومضى عليه زمن وهو في عيش رَفيه ، والعزّ ناظر وهو نورٌ فيه .

---

(١) في ب : « المعارف » . والمثبت في : ا ، ج ، وهو يعني الأقلام . (٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢١٠ . (٣) في خلاصة الأثر : « وصلت بحدّه » . (٤) بين هذا البيت والذي يليه تقديم وتأخير في خلاصة الأثر .

حتى أسنّ فوقف الدهرُ في تمهيده دون حقوقه، وخرج إلى ما كان يهيّئه له من برّه[1] إلى عقوقه.

وأخّر مطالبه تأخير الغريم، الدَّين الكريم.

وبدّله عن النشاط المقيم، بالحظّ العقيم.

والزمان حالٌ لا إلى بقا، وصفوٌ لا يبقى على نقا.

فسلوة الأيّام موعدها الحشرُ، ولكنها منتهى هو النشر.

ثم عاجله الحِمام، فسقى تربته هطّالُ الغمام:

وما جوده الغيثُ عن غُلّةٍ ... ولكن ليبكي النّدى بالنّدى[2]

وقيل فيه[3]:

قالت لما قضى ابنُ شاهين نحبًا ... وهو مولى كلٌّ يشير إليه[4]

رحم اللهُ سيّدًا وعزيزًا ... بكت الأرضُ والسماءُ عليه

* * *

فممّا اخترته من آثاره، والمنتخب من نظامه ونثاره.

رسالة ألمع بها على الأسلوب البديع، وجرى فيها على أسلوب البديع[5].

كتب بها إلى شيخه الحسن البوريني[6]، يتعهّد بها[7] مطالعته، ويسأل مراجعته.

عقب مهاجرة وقعت بينهما، واقتضت بينهما[8]:

أعزّ اللهُ الشيخَ الذي سكن من الجوارح أشرفها، وملك من طرف الحجا أوفرها وأشرفها.

---

(١) في ب، ج: «المفوقه». والمثبت في: ا. (٢) في ب، ج: «وما جوده»، والمثبت في: ا. «ولكن لنبكي». والمثبت في: ب، ج. (٣) قائل هو الأمير المنجكي. انظر خلاصة الأثر ١/٢١٧، وديوان منجك ٤٨. (٤) في ج: «في». والمثبت في: ا، ب، وخلاصة الأثر، والديوان وفيه: «وهو ركن». (٥) يعني أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمذاني. (٦) هو الحسن ابن محمد البوريني، بدر الدين، صاحب تراجم الأعيان، المتوفى سنة أربع وعشرين وألف. انظر خلاصة الأثر ٢/٥١.

(٧) في ا: «يتعهدها». والمثبت في: ب، ج. (٨) الرسالة كاملة في تراجم الأعيان ١/١٤٦–١٥٥.

وبالغَ في العُقوبةِ وزاد ، واستغرقَ أوقاتَ الوِداد ، بالبُعدِ والعناد .

وارْتكب مَرْكبًا من الخليقةِ صَعْبًا ، وقطع جميعَ الطُّرُقِ إلا طريقَ الوقَوثْبًا .

واستعار أُذُنًا يَستوعي[1] بها المثالب ، وعَيْنًا ينظرُ بها المصائب .

ويدًا يَبطِش بها في كلِّ صاحبٍ ومُصاحِب ، ورِجْلا يسْعَى بها إلى الأباعِد دون الأقارب .

ووَجْهًا يتصرَّفُ في أسِرَّته ، كتصرُّفِ الملكِ الجائرِ في رعيَّته .

ويفعلُ بمُحبِّيه ، مالا يفعلُ[2] الدهرُ ببَنِيه .

لاتظهرُ الطَّلاقةُ في وجهِه إلا ريثَمَا يخدعها بإعراض ، ولا ينبسط هُنَيْهة من الزمان إلا وهو وَشيكُ انقِباض[3] .

يبْدُو لُطْفُه لَمعًا ثم ينقطع ، ويَحْلُو ماؤه جُرَعًا ثم يَمْتنِع .

فلا يدومُ له سرورُ الهَنا ، إلا بما هو من جمانا يَحِلُّه[4] ، وبما هو من أعراضِنا يستحلُّه .

فياليتَ شِعرِى ، أىّ مَصُونٍ من[5] تَبرُّك أذعتُه ، أو مفروضٍ في الخِدْمة رفضتُه ، أو واجبٌ في الزِّيارة أهملْتُه .

وهل كنتُ إلا كما قيل : ضيفٌ أهْداه بلدٌ شاسِع ، وأدّاه أمَلٌ واسِع .

وحَداهُ عَقْلٌ ، وإن قَلّ .

وهدَاه رأىٌ ، وإن ضَلّ .

---

(١) في ب ، ج : «ليستوفى» ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان .   (٢) في ج : «يفعله» ، والمثبت في : ا ، ب .   (٣) في ب ، ج : «بانقباض» ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان .

(٤) في ب : «يحله» ، وفي ج «يحلّه» ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان .   (٥) في ب : «عن» ، والمثبت في ا ، ج ، وتراجم الأعيان .

ثم ما امتدت صُحْبةٌ إلّا أدّت[1] مَهانة، ولا زادت خِرْقة إلّا نقصت صِيانة.
ولا تضاعفتْ ذِمّة، إلّا تراجعتْ منزلة.
ولم يزل التفضّل بها حتى صار الوابلُ رَذاذا، والتّشوّق لفرطِ مَعاذ.
وصار حسن[2] ذلك الالتمام ازورارا، وطولُ ذلك السّلام اختصارا[3].
وكان المُهلّب يقول[4]: عجبتُ لمن يشترى العبيد[5] بماله، كيف لا يشترى الأحرار[6] بمعروفه.
وفى الحديث: «البَشاشةُ خيرٌ من القِرى».
وفى المثل: «اليوم[7] العَبوس، خيرٌ من الوجه العَبوس».
ومن كلامهم: الحوادثُ المُمِضّة مُكْسِبةٌ لحظوظٍ جزيلة، منها: ثواب مُدّخَر، وتطهير[8] من ذنب، وتنبيه من غفلة، وتعريفٌ بقَدْرِ النعمة[9].
وقد شهدتُ فى حسنها: وهو صَوْن ماء الوجه عن الذّلّ والهَوان[10].

مولاىَ يا مَن له فى كلّ جارحةٍ ... لسانُ شُكْرٍ يؤدّى بعضَ ما وجبا

ما هذه الكراهة مِن فتىً عفيفِ الجسدِ والرّوح، ثقيلِ الرّأس بالعقل، مُنقبضِ الجسمِ ناحلا، طَلْقِ الوجه، عفّ اللسان، رَحْبِ الصّدْر، باسِطِ الكَفّ

(١) فى ا: «...»، والمثبت فى ب، ح، وتراجم الأعيان. (٢) ساقطة من: ا، وهو فى: ب، ح، وتراجم الأعيان. (٣) بعدها فى تراجم الأعيان زيادة: «والاهتزاز إيماء، والعبارة إشارة، كما قيل:

وموتُ الفتى خيرٌ له مِنْ حَياتِهِ ... إذا كان ذا حالَيْنِ يَصْبُو ولا يُصْبِى»

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٣٤. (٥) فى ب، ح: «العبيد»، والمثبت فى: ا، وتراجم الأعيان، وفى التمثيل والمحاضرة: «المماليك»، وفى نسخة «العبيد». (٦) فى تراجم الأعيان: «الحر». (٧) فى تراجم الأعيان: «اليوم»، وما هنا يوافق ما فى نسخة منه. (٨) فى ب: «وتطهير»، والمثبت فى: ا، ح، وتراجم الأعيان. (٩) فى ب، ح: «النعم»، والمثبت فى: ا، وتراجم الأعيان. (١٠) فى تراجم الأعيان بعد هذا زيادة: «فلنعم خبرها من أن أقول:

إحدى لياليكِ فهِيسِى هِيسِى ... لا تَنْعَمِى الليلةَ بالتعريسِ»

وهيسى هيسى: أى سيرى أى سير كان، والبيت فى اللسان (هـ ى س) ٦/ ٢٥٢.

بالجود ، طويل الباع بالإحسان ، صافي القلب ، سليم الفطرة ، محنىّ الضلوع على الأمى ، مطوىّ الجوانح بالهوى ، قصير الخطى عن الأذى .

* فما محاسن شيء كله حسن *[1]

* * *

مافيه لوّ ولا ليتٌ تنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب[2]

* * *

على أنني والحمد لله لم أكن مُدادًا مع الحرمان منك ولا شربُ[3]

ولكنني أوردت صدرى بنهلة من الفضل غصّت دون موردها الشُّرْبُ[4]

* * *

وذلك لأنى أطلت التردّد إليك ، وعوّلت أمرى فى طلبى عليك .

ووردت من أنهار فضلك كل معين ، وكنت لى فى طلبى وأملى خير مُعين .

والنعمة لا تجحد ، والحسنة لا تكفر .

والشمس لا يمكن سترها بحجاب ، والبدر لا يخفى ضوؤه وإن كان تحت السحاب .

والكذب شيمة المنافقين ، ألا لعنة الله على الكاذبين .

وأنا[5] ماقلت ذلك إلا رائيا أن لا طيب إلا ما اختلط بترابك ، وأن لا سعد إلا ماخيم ببابك .

وأن لا ربيع إلا فى بقعتك ، وأن لا أنس إلا بطلعتك .

وأن لا فرح إلا بقربك ، وأن لا ترح إلا ببعدك ، وأن لا نشاط

---

(١) انظر خزانة الأدب ١/٣٨٨ . (٢) تقدم التعريف بالحرفة فى صفحة ٢٤ . (٣) فى الأصول: « مدادا مع الحرمان » ، وفى تراجم الأعيان : « مذادا مع الحرمان » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) الشرب : جمع شارب . (٥) زيادة من : ا على ما فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان .

إلا بِحُبِّكَ[1] ، وأن لا عِلْمَ إلا ما استفيد منك ، وأن لا فضلَ إلا ما أُخذَ منك ، وأن لا دليلَ إلا ما جِيء به مَعزُوًّا إليك . وأن[2] لا سَنَدَ إلا ما أُخِذ[3] من فِيك ، ومُحالٌ عليك .

لِعِلْمى بأنك[4] البدرُ الكامل ، والفَرْدُ الذى ليس له مُعادِلٌ ولا مُماثِل .

هذا ، مع مُغالاتى فيك ، ومُنافستى [illegible] ، ومُناظرتى [illegible] ، و [illegible] [illegible] التامّة إليك .

وإنشادى مستمسكًا بحبلٍ وذيلٍ ، ومتمسكًا بتربِ مهادك[5] .

ومُعتقدًا أن وِصالَكَ ثوابٌ ، وغَضَباتك عِقاب .

ورَغْبتك إحسان ، ورهبتك خُسران .

وإعراضك جحيم ، وإقبالك نعيم .

ومثالك لا مثال يُضاهيك .

إن غضب تجمَّل[6] ، وإن [illegible][7] ولو وَهْم تحمَّل[8] .

وإن جد[9] فاسمُ [illegible] [illegible] [illegible] ، وإن ثبت [illegible] [illegible] ولو [illegible] اغتفر واستبشر[10] .

وهيهات فالى [illegible] مكانه في الناسِ قد حلنا بتفرده

(١) فى ا : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا ، وتراجم الأعيان . (٣) فى تراجم الأعيان : « [illegible] » . (٤) فى ب : « [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٥) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى [illegible] نظرى إلى الأمراء

(٦) فى ب ، ج : « [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان . (٧) فى ا : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٨) فى ب ، ج : « يجمل » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم الأعيان .
(٩) فى ج : « [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وتراجم الأعيان . (١٠) [illegible] [illegible] ، من قولهم رجل مستهتر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اللسان (هـ ت ر) ٥/٢٤٩ .

أىّ جواب لمن سأل عن حِلْمك ، واستفسر عن ثمرة عِلْمك .

فإن الحِلْمَ ، ثمرةُ العِلم .

وهو دالٌّ عليه ، كدَلالةِ النَّوْرِ على الثَّمر ، والهالةِ على القمر .

وقد وُجِد كالُه فيك ، وظهرتْ ثمرتُه عليك ، وتدلّتْ قطوفُه دانيةً إليك [١] .

وأعـود فأقول : بعض هـذا الجفـا يامـولاىَ يكْفِى ، وجزء من هـذا الإعراضِ يجْزِى .

وفى قليلٍ من صُدودك انتقام كثير ، وفى يسيرٍ من هجرِك إسرافٌ وتبْذير .

وفى أدْنى مابلغنى عنك كافٍ ومَقْنَـع ، وفى أقـلِّ مارأيتُـه منـك للقلب مؤلِمٌ وموْجِع .

وفى المثل : مَن يسْمَع يَخَلْ [٢] ، ومَن يُكْثر يَمَلّ [٣] .

وأظنّ أن الداعِىَ إلى مهاجرتى نميمةٌ نمّ بها فاسِق ، وبَنَا افتراه كاشِح .

ومع ذلك لو [٤] ارتكبت جَريرة [٥] المستحقّيتُ من القطيعة مُتَماسكة أعظم مما رأيتُه وقاسَيْته ، ولو اكتسبْتُ كبيرةً لما استوجبْتُ من العقوبة المُنْهِكة بعضَ [٦] ماعايَنْته وعانَيْتُه [٦] .

---

(١) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

وكذا الناسُ مُجْمِعون على فضـ ـلِكَ ما بين سيّد ومَسُودِ

عرف العالِمون فضلَك بالعِلْـ ـمِ وقال الجُهّالُ بالتقليدِ

والبيت الثانى منسوب لكشاجم ، فى زهر الآداب ٢/٥٨٥ ، ولم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع .

(٢) يعنى : من سمع أخبار الناس ومعايبهم يقع فى نفسه عليهم المكروه . مجمع الأمثال ٢/١٦٨ .

(٣) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

* هذا بذاك ولا عَتْبٌ على الزمنِ *

(٤) فى تراجم الأعيان تقديم وتأخير بين الجملتين . (٥) فى تراجم الأعيان : « جريمة » .

(٦) فى ب : « عانيته وعاينته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان .

ولو أشركتُ ، والعياذُ بالله تعالى ، لَحَتَّ ذنبِيَ التوبةُ والاستغفار . ولو كفرتُ ، معاذَ الله ، لغطّتْ على كُفرِي الندامةُ والاعتذار .

وما احتمالُ أن يُسمّى كبيرة ، ويُدّعى ولو على المجاز جريرة .

وهَبْ أنّي يامولايَ لا أؤاخذك بأغراضك[1] وإعراضك ، ولا أعاتبك بشريك وإخلاقك[2] ، ولا أقابلك بإخلافك وأخلاقك .

ولا أواجهك بانقيادك وعدم استقمادك ، ولا أعارضك بإغراضك ، وعدم اعتراضك .

ولا أطالبك بذنبك[3] ، وعدم تألُّمك[4] .

ولا أحاسبك بما حرمتنيه من عطفك ، ولا أصادرك وإن سؤتني بما ثنيته[5] من عطفك .

أفي حكم المروءة أن تبعد من يقرّبك[6] ، وتطرد من يصاحبك .

وتطرح[7] من يهابك ولا [illegible] وتسمح بقطيعة من نجلّك ولا نبالك .

ومن أمثالهم : أهل الحفائظ أهل [illegible]

والحفائظ تحلّ الأحقاد ، وأين من سيدى الحفيظة المموّة تحلّ ما عقده وما استقصاه ، وتهدم ما شادَهُ الوالي وما بناه ،

والعين تعرف من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

وقد بلغتني مقالةٌ من بعضها في الباب خروج .

---

(١) في تراجم الأعيان : « بأعراضك » . (٢) في الأصول وتراجم الأعيان : « وإخلافك » ، ولعل الصواب ما أثبته . وانظر السابقة والجملة الآتية . (٣) في ا ، ج : « بذنب » ، وفي تراجم الأعيان : « تألمك » ، والمثبت في : ب . (٤) في تراجم الأعيان : « تأملك » .

(٥) في ب ، ج : « سيئته » ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان . (٦) في ب : « يقربك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٧) في ا : « وتطرد » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان .

فليتَ شعري ، وهل ليت بنافعة ، متى كان جُرحاً ، حتى صار قَرْحاً .

ومتى قُدِح الزَّنْدُ ، حتى اضْطَرمَ هذا الوَقْد .

ومتى تَكاثفَ القطْرُ وهَمَى ، حتى اجتمع هذا البحرُ وطَمَى .

ومتى طَنَتْ الحصاَ ، حتى بلغ مَداها عَنانَ السّما[1] .

وبالجملة فقد شاركْتَ الليالَ ، فى تقلُّب[2] الأحْوالِ .

ووافقتَ الأيَّام ، فى اصْطِناعِها اللِّئام[3] .

هلاّ أهمت[4] أن تردّ بعقل وتصدر بمميز ، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ[5] ﴾ .

ولولا أنَّك أعنْتها ونصرْتَها ، وآزرْتَها وظاهرْتَها .

لَرَدَتْ على أعْقابِها ناكِصةً ، ورجَعتْ على أدْبارِها خائِبة .

ولأمِنْتَ مَكْرَها ، واجتنبْتَ[6] إصْرَها[7] .

ولكنَّها جمْرة لَيل ، وأمْر [illegible]

وبناء على شفا ، وعِلَّة قريبة الشِّفا .

وقد ثبت أن العقوبة للمسىء موكولة بجرمه ، والخذلان للمعتدِى ، والقِصاصَ للمذنب ، والمؤاخذةَ للجانى .

وأنا أبيَضُ وجْهِ العهد ، واضحُ حجَّةِ الوُدّ ، مُصاحِب التَّوْفيق ، برئُ السّاحة ،

---

(١) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدّعِى   علىّ ذنباً كلُّه لم أصنع

والبيت لأبى النجم العجلى ، وأم الخيار امرأته . معاهد التنصيص ١/٥٢ .

(٢) فى ب : « تقلب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٣) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

ما لليالى أقال الله عثرتنا   من الليالى وغالتْها يد القدرِ

(٤) فى ج : « أهمت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وتراجم الأعيان . (٥) سورة فاطر ١٧ .

(٦) فى ا ، ب : « واجتنبت » ، والمثبت فى : ج ، وتراجم الأعيان . (٧) الإصر : الإثم .

مجانب الهفوات (1) .

ولو أنى علمتُ أنه أمرٌ بُيّتَ بليلٍ ، لجزيتُ الصانعَ كيلًا بكيلٍ ، ولكنى أُنزّهه نجدتى وأنجادى ، وأرى الشمسين أنى لريبِ الدهر لا أتصفعه .

ولعمرك (2) ما علمتُ أن صريح الرأي في العدول عنك مطلوب . ولا تحققتُ أن المجازَ في كلّ تركيب من الألفاظ العرفية (3) متداولٌ مرغوب .

لأتبصّر أن قولَ القائل مثلًا : « اذهب الأعمى » (4) . أن يكون عبارة عن طرد المخاطب ضمنًا . وقد تقرّر أن المخاطِب يدخل في عموم كلامه (5) لا أنّ (5) المخاطَب يدخل فيما خوطب به .

ولو علمتُ قبلُ ، ما عدتُ بعدُ .

لستَ تشكو من متباعك عنّى ... يا مُنى النفسِ حيث عزّ الإيابُ
سوءُ حظّى أنالنى منك هذا ... فعلى الحظّ لا عليكَ العتابُ

وأحرى (6) بقول القائل (7) :

إذا لم يكن حاجاتنا في نفوسكم ... فليس بمغنٍ عنك عقدُ الرتائم (8)

* * *

حلفتُ ولم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مطلبُ (9)

إنى لا قابلتُ إحسانك بكفرٍ ، ولا أسأتُ أدبًا فيما صنعتُه في خدمتك [illegible] .

(1) في تراجم الأعيان : « [illegible] » . (2) في تراجم الأعيان : « وعمرى » . (3) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (4) في ب : « اذهب إلا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (5) في ب ، ج : « لأن » ، والمثبت في : ا ، وتراجم الأعيان .
(6) في تراجم الأعيان : « وأحرى » . (7) البيت في اللسان (رتم) ١٢ / ٢٢٥ بدون نسبة .
(8) في اللسان : « في نفوسكم » . والرتائم : جمع الرتيمة ، وهى الخيط الذى يشد في الإصبع لتستذكر به الحاجة . (9) البيت للنابغة الذبيانى ، وهو في ديوانه (التوضيح والبيان) ٥٦ ، وفيه : « للمرء مذهب » .

ولك عندى اليدُ البيضاء التى لا أَقبِضُها عن الدعاء لك ، والأُخرى التى لا أَبسطُها[1] بالدعاء[2] عليك .

وها أنا أشكو إليك ، جعلنى اللهُ فِداك ، ما لا يُمكن الإيصاح به ، ولا المصرحة عنه ، ولا التوصّل بالاستنماء ، ولا التسلّط بالاستنصار عليه ، ولا التحمّل بالإفصاح ولا البيانُ لما فيه ، ولا التمحّل له .

وربّما ذكرتُ البعضَ منه ، وقلتُ : لعلّى كنتُ شائمًا برقًا ، أو مستمطرًا جهامًا[3] ، أو رائيًا خُلَّبًا ، أو واردًا حيث لا مَورِد ، أو مستنعِمًا حيث لا مُعين ، أو مستغيثًا حيث لا مُغيث ، أو مستجيرًا حيث لا مُجار ، أو مستميحًا حيث لا سَماح ، ولله المثلُ الأعلى .

لا تعجبُوا ضَرْبى له مَن دونه   مثلًا شرودًا فى النَّدى والبأسِ[4]

فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنوره   مثلًا من المِشكاةِ والنِّبراسِ

* * *

ولو كان رُمحًا واحدًا لاتَّقيتُه   ولكنّه رُمحٌ وثانٍ وثالثُ

فهل كنتُ كالمقتدِى بناقضةِ الغَزْل ، أو كالمستعجِب[5] سَراةَ المِلَّة فإذا هم عُزْل .

أو كراضٍ من الغنيمةِ بالإياب ، ومن المركب بالتعليق ، أو كراجعٍ[6] بخُفَّى حُنين .

(١) فى تراجم الأعيان : « أبسطها » . (٢) فى ا ، ح : « الدعاء » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم الأعيان . (٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه . (٤) البيتان لأبى تمام ، فى ديوانه ١٧٤ وفيه : « لا تنكروا » . (٥) فى ب ، ح ، وتراجم الأعيان : « كمستصحب » ، والمثبت فى : ا .
(٦) فى ا ، وتراجم الأعيان : « كراجعة » ، والمثبت فى : ب ، ح .

هذا ، وأنا أقول : لن[1] تضرّ الحوار[2] وطأة[3] أمه .

بَيْدَ أنّه يقال ، فيما[4] تقدّم و[4] مضى من المُدد الخوالي :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليقسُ أحيانًا على مَن يرحمُ[5]

* * *

ومثلي مَن يهفو به نشوةُ الصِّبا ومثلك مَن يعفو ومالك مِن مِثلِ

وإنّي ليَنهاني نُهايَ عن الّتي أشاد بها الواشي ويعقلني عقلي[6]

وما أنا بالمُهدِي إلى السُّؤددِ الخنا ولا بالمُسيء القولَ في الحَسَن الفعلِ[7]

فهاتِ جوابًا عنك ترضَى به العُلَى إذا سألتْني بعدُ ألسنةُ الحَفْلِ

فبين الرِّضا والسُّخط ظنّي واقفٌ وقوفَ الهوى بين القطيعة والوصلِ

ولو يسّرت لي مخاطبتك مشافهةً لـكفتني معك ذوقٌ من الكلام ، لكن لمّا حُرِمتُ المشافهة ، استغنيتُ بالمكاتبة والمراسلة قائلا :

لك الحمدُ أمّا مَن تُحِبّ فلا ترى [illegible] وتنظر مَن لا تشتهي [illegible]

ولعمري[8] إن ليلي عليك ليلُ السليم ، ونهاري دونك نهارُ الأيِّم .

وفكري قد صدئ لعدم مطارحتك ، وطرفي قد قذي لعدم مشاهدتك .

وقلبي لعزّة رضاك واجبٌ مضطرب ، وصدري لما [illegible] حرجٌ ضيّق .

---

(١) في ب : « لا » . ومثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٢) في ب : « الحور » . ومثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . والحوار : ولد الناقة قبل أن يفصل عنها . (٣) في تراجم الأعيان : « وطء » . (٤) ساقط من : تراجم الأعيان . (٥) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ٣ : ٢٧٢ ، وفيه : « فقسا ليزدجروا » . وفي ا : « ومن يك حازما » . والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان ، والديوان . (٦) في ب : « وعقلي » . والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٧) في تراجم الأعيان : « إلى الحسنى والفعل » . (٨) في تراجم الأعيان : « ولعمر أبي » .

وقمتُ لبُعدِ مُصاحبيك واجماً ساكتاً، وصادف[1] حِجاىَ عارضٌ وعَين، ففاضتْ بدمعٍ سلاسلَ من عَسْجَدٍ ولُجَيْن :

أما والذى أبكى وأضحكَ والذى أماتَ وأحيا والذى أمرُه الأمرُ[2]

لقد صدِيتْ مرآةُ الجمالِ، وقذِىَ طَرْفٌ طال ماسهرَ الليالِ .

وتزلزلَ محلُّ سيّدى من قلبى، أطال اللهُ له البقاء، وجعله مستودعَ النعمِ والارتقاء .

رفقاً بمنزلك الذى تحتلّه يامَن يُخرِّبُ بيتَه بيديهِ

وضاق وُسْعُ الفضا، وسكت مِصقعُ الخطبا .

وجُنَّ صاحى القوم، وبكتْ مُقلةٌ يعزُّ عليها النوم .

إذا الليلُ أضوانى بسطْتُ يدَ الهوى وأذلَلْتُ دمعاً من خلائقه الكِبْرُ[3]

***

مُعلِّلتى بالوعدِ والموتُ دونه إذا مُتُّ عطشاناً فلا نزلَ القطرُ[4]

أماتتّقِى اللهَ فى واقفٍ أمامَك، مُستغفرٍ تائب .

وأرقُّ مايُعرض على المولى قولُ القائل :

سَلِى تَعلمِى إن كنتِ غيرَ عليمةٍ بأنْ ليس فى حُبّى لغيرِك مَطْمَعُ
فإنَّ لىَ القلبَ الذى ليس خالياً من الوجْدِ والجفنَ الذى ليس يهجَعُ[5]

---

(١) فى ب : « وصارف » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٢) البيت لأبى صخر الهذلى . الأغانى ١٨٥/٥ . (٣) البيت لأبى فراس الحمدانى ، ديوانه ١٥٧ .

(٤) البيت أيضا لأبى فراس الحمدانى ، من القصيدة السابقة . وفى الديوان ، وتراجم الأعيان « معللتى بالوصل » ، وفى ب ، والديوان : « إذا مت ظمآنا » . والمثبت فى : ا ، ح ، وتراجم الأعيان . (٥) فى تراجم الأعيان : « وإن لى القلب » .

فواللهِ ما أنفَـــكُّ أذكرُ موضِعى لديكِ ولا أنفَـــكُّ نحوكِ أنزِعُ[١]

وبالجملة[٢] :

أعيذها نظراتٍ منكَ صـــادقة أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورمُ[٣]

وهاكَ هديّةَ الوقت ، وعَفْو السّاعة ، وفيضَ البَديهة .

ومُسارقة القلم ، ومُسابقةَ اليدِ للفم .

وجَمَرات الحِدّة ، وثمرات المودّة[٤] .

ومُهاداة الخاطِر للنّاظِر ، ومباراة الطّبعِ للسّمع ، ومُجاذبة الجَنان البَيان .

وها هو جَوادُ البلاغة عَلكَ الشّكيم ، حابِسُ العِنان .

لم يأخذ[٥] طَلقَه ، ولم يستَوفِ مِضماره .

وهذا هو النّهضُ[٦] ، فما بالُك بالأ ... وقد آنَ[٧] لا[٨] يعرق عرقَ[٨] التّنفيه[٩] ماله[١٠] يُسمع بتَصهاله ، ويُرعِدُ لقَعقعة ....

---

(١) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة : « وعندنا مثنى قول القائل :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ

جاورتُ أعدائى فصرتُ أحبّهم إذا كان حظّى منكِ حظّى منهمُ

وأهنتِنى فأهنتُ نفسى صاغرا يا مَن يهونُ عليكِ ممن يكرُمُ »

والأبيات لأبى الشيص فى أمالى القالى ٢١٨/١ ، وفيه : « أشبهت أعدائى ... » ، وفيه : « ... من يهون عليك ممن أكرم » ، وانظر تخريج الأبيات فى سمط اللآلى ٥٠٦/١ . (٢) بيت لأبى الطيب المتنبى ، ديوانه ٣٣٢ . (٣) فى ا : « فيمن شحمه ورم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم الأعيان ، وديوان المتنبى . (٤) فى ب ، ج ، وتراجم الأعيان : « المدة » . (٥) فى ب : « يأخذه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٦) فى ب : « النهض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٧) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة : « أنه » . (٨) فى ا ، ج : « يوف عوف » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم الأعيان . (٩) فى تراجم الأعيان : « التنبيه » . (١٠) ساقط من : ا ، وتراجم الأعيان ، وهو فى : ب ، ج .

ويوصَلُ مُمتطيه غايةً لا تُدْرَك ، وغارةً بالرِّياح الهُوج لا تُنهَك[1] .

ومع ذلك لو نظَمتُ النَّثْرَ كالدُّرَر ، وأتيتُ به رائقًا كنسيم السَّحَر ، وموشِّيًا[2] كألوان[3] الزَّهَر ، ما كنتُ إلا كمُهْدِي التَّمرِ إلى هَجَر ، [4]والفصاحةِ لأهل الوَبَر[4] .

وآخر ما أقول : إن وُدِّي موقوفٌ عليك ، وحَبِيسُ سبيلِك ، وتحت رَهْنِك .

فمتى عاوَدْتَه ، وجدْتَه سائغَ المَعْبر[5] ، غضَّ المَنْظر ، جَنِيَّ المَخْبَر .

ينْدَى بَشاشةً ، ويقطُر حُسْنًا ، ويفوحُ عَنْبَرًا ، ويثْمِر لُطْفًا .

فإن فعلتَ ذلك فهو حسَن ، وإن عُدْتَ فالعَوْدُ أحْمَد .

وإن كان الأمرُ كما يُقال : لا ولا ، فالغَبْنُ مُشْتَرَك .

واللهُ يتولّى السَّرائر ، ويعلمُ خائنةَ الأعْيُنِ وما تُخفِي الصُّدور .

وإن راسَلْتُك بما زاد أو نقَص فهو منك ، وبسببك .

والسلام[6] .

* * *

وله من كتاب كتبَه ، وهو بجَبَل السُّوف ، إلى بعض خَواصِّه ، جوابًا عن كتاب كتبه إليه ، يطلبُ بعضَ طرائف الجَبَل :

---

(١) في تراجم الأعيان : « تنتهك » . (٢) في ب : « وموشا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٣) في ب : « كأنوار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم الأعيان . (٤) مكان هذا في تراجم الأعيان : « ومستبضع العرب إلى سوق البيع » ، وبعد هذا فيه زيادة :

أُهْدِى لمجلِسه الكريمِ وإنّما ... أُهْدِي له ما حُزْتُ من نَعْمائِهِ

كالبحرِ يُمطِره السحابُ ومالَه ... فضلٌ عليـــه لأنه من مائِهِ

والبيتان للبديع ، وهما في ريحانة الألبا ١/٩٦ ، وفيه : « أهدى لمجلسك » ، « من عليه لأنه من مائه » . (٥) في ا : « المعين » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم الأعيان . (٦) مكان هذا في تراجم الأعيان : « وصلى الله على من لا نبي بعده ، وعلى آله الطيبين الطاهرين » .

« وإنى أراك تُهدَى ولا تستَهدَى ، وتصانُ فى رأيك ولا تستَهدِى .

وسمعتك تتوخّ بطرائف هذه الجبال ، وليس فيها سوى العُقاب والوَبال ، عدا ما فيها من الحجارة والرّمال .

وما ظنّى إلا أنك تسببت إلى استهداء طرائف المثال ، وتقنّعت عن جرّ الأثقال ، بقيراط من الجواهر والمثقال .

وإلا فأنت أعلمُ بالحال ، وما فيها من ضروب المحال ، والاختلال ، والاعتلال ، والاضمحلال ، والابتذال .

وقد قرأتُ فى أخبار بعض الأخيار : أن بعض الأدباء الأرباء ، كتب إلى بعض الأمراء النجباء .

يستهديه من طرائف خراسان ، ويتوخّ بالإحسان ، من فضل ذلك الإنسان .

فكتب إليه ذلك الأميرُ المرتضى الجامع ، سقى الله ثراه ، ورضى عنه وأرضاه :

أمّا بعد ، فقد وصل كتابك بمعرّضا بطرائف هذه النّاحية ، وقد بعثت إليك بمثقال صابونٍ لتغسل عنّى طمعك ، والسّلام .

قلت : وفى هذه الحكاية تسلية للمتبجح الذى رضاه قريبُ الغاية ، وبلاغه لا يحتاجُ لشدَّة عناية ، لوجود الكفاية .

لأنّه ربّما يُكتفى فى الهديّة ، بنفحة حامديّة أو أحمديّة .

فيغسلُ طمعَه رطلُ صابون ، ويدفعُ عطشَه وَغدُ الكمون ، وهو حرٌ قانعٌ بالدّون » .

* * *

وله من رسالة كتب بها إلى أبي العباس أحمد المَقَّرِي[1]، ذلك الإمام الأَوْذَعيّ العَبْقَرِيّ، يذكر فيها موت ولدٍ له صغير:

« لا أَوْحَشَ اللهُ مولانا الأستاذ، ممّا سيعرض على سمْعه من بُجَرِي وعُجَرِي[2]، ومن حديثي وغريب سَمَرِي.

وهو أنّ الله سبحانه وله الحمد، قد جعل رَوْنق مَعاشي، ورَيْحانة فؤادي من سبر تَنْفِيس مُهْلة ذُخْرَ مَعادي، ومَشْرَدَ رُفادي.

وقد مات للحجّاج[3] ولد، وكان بَيْضة البَلد.

فصعد مَتْن المنبر، وحمد الله وشكر وأكْثر.

ثم قال ويده على كَبِده، من حَرّ ما يجده:

الحمدُ لله الذي يقتل أولادَنا ونحمَده[4].

ونظر أبو الحارث[5]، وكان مُشوّه الخلق في المرآة، فقال: الحمد لله الذي لا يُحْمَد على المكروه[6] سواه[7].

وها أنا ياسيّدي، أحمَدُ اللهَ سبحانه، وقد فقدت جزء نفسي، وفلذة كبدي، وشطر روحي، ونور عيني. [illegible]

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري، تلمساني، مغربي، مالكي.

كان آية في جودة القريحة، وصفاء الذهن، وقوة البديهة، متبحرا في علوم الكلام، والتفسير، والحديث، معجزا، باهرا في الأدب والمحاضرات.

وهو صاحب «نفح الطيب»، و«أزهار الرياض».

توفي بالقاهرة، سنة إحدى وأربعين وألف.

ريحانة الألبا ٢/٢٧٤، وانظر فيه المصادر الأخرى [illegible].

وقد كان بينه وبين المترجم أحمد بن شاهين صلات خاصة. انظر نفح الطيب ١/٧١، ٣/١٧٠–١٨٣، ٢١٨، ٢٢٩.

(٢) عجر الشيء وبجره: عيوبه الظاهرة والباطنة. (٣) في التمثيل والمحاضرة ٧ أن صاحب هذا القول هو عبد الملك بن مروان. (٤) في التمثيل والمحاضرة: «ونحمده». (٥) في التمثيل والمحاضرة ٧ أن صاحب هذا القول هو أبو [illegible]. (٦) في ا: «مكروه»، وثابت في ب، ج، والتمثيل والمحاضرة. (٧) في التمثيل والمحاضرة: «غيره».

وما أسفى إلّا على ما سمّاه الشيخ باسمه ، ووسمه بوسمه .

وأرّخ مواليده ، وحمد مصدره ومورده .

وقد عرانى بسببه الذهول ، وأنا فى سنّ الكهول .

ولولا ذاك لما أغفلت خدمة سيّدى إلى الآن ، من رسالة أستجيب بها شرفاً طارفاً ،
كما استفدت فى الفوز بخدمته مفخراً سالفاً » .

* * *

وله من رسالة إلى بعض حواشيه ، يعاتبه على نقيصة قذف بها بحر واشيه :

« نعلم ، أصلحك الله ، أن خبر السوء ينمو ويربو ، ويبلغ مترَكّماً متضاعفاً ، ويصل
متواتراً مترادفاً .

ثم إنه فى الشرعة يقطع مسافة سنة فى جمعة ، وذلك أن الشر أغلب فى الطباع .

والهوى كما يعلم به[1] القاضى شفيع مطاع .

والنفس أميل[2] إلى العقوق ، وإضاعة الحقوق .

والعقرب ، إلى الشر أقرب .

[illegible]

ولا فعون ، بعيد من[3] مراتب الإحسان .

ومن وزن المعروف فى غير ميزانه ، عوقب بنقصانه ، وعدم رجحانه .

ولعمرى لولا أن الخبر يحتمل سامريْن ، ويتردّد بين شفتين .

لأوجعت القاضى عتباً ، ونهبت أديمه نهباً ، وأخذت كلّ سفينة غصباً .

كأنّ[4] القاضى سمع قولهم[5] :

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح . (٢) فى ا : « والنفس » ، والمثبت فى : ب ، ح .
(٣) فى ا : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٤) فى ا : « وكأن » ، والمثبت فى : ب ، ح .
(٥) ينسب هذا البيت إلى النابغة ، فقيل : الذبيانى ، وقيل الجعدى ، انظر شرح شواهد المغنى ٢ / ٤٠٢ ،
شعر النابغة الجعدى ٦ : ٢ ، وينسب أيضاً لقيس بن الخطيم ، ولعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، ولعبد الله بن
معاوية ، ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ ، وانظر هامشه .

إذا أنت لم ينفعْ فضرّ فإنّمـا ... يُرادُ الفتى كيما يَضُرَّ وينفعُ

فعمل بمعناه، وتمسك بفحْواه، ونَسِيَ أُولاه وأُخْراه.

قال الصّاحب لأبي سعيد الرُّسْتَمِي[1] حين جفاه:

فلعلَّ تبًّا أن تُلاقِيَ خُطَّةً ... فتَرومَ نَصْراً من بني العوّامِ

القاضي، وإن كان يحتاج إلى ماهو أوضحُ في المعنى، من هذا الخطاب، تقريباً لفهمه، وتوضيحاً لعلمه.

ولكن هو كما قال أبو الطيب[2]:

وكِلْمـةٍ في طريقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهـا ... فيُهتَدي لي ولم أقْدِرْ على اللَّحَنِ[3]

وإنما نهجْتُ[4] على سَنَنِي[5] في البلاغة، وسبيلي في الخطابة والكتابة.

وهو أصلحه الله تعالى على سَكَنِه في الجفا، وقلّة الوفا، ووقوفه من الصّدق في الصّداقة على شفا، وحسبيَ اللهُ تعالى وكفى».

* * *

وكان بينه وبين أبي الطيّب الغَزّي[6] مودّة ومُصافاة، ثم أعقبها مُقاطعة ومُجافاة.

فكتب إليه هذه الاعتذاريّة النابغة، وهي كما تراها تهزأ باعتذارات النّابغـة.

ومطلعها:

(١) يعني محمد بن محمد بن الحسن، من شعراء اليتيمة، ومن أبناء أصبهان، واستشهاد الصاحب بهذا البيت يقع في فصل كتبه إلى أبي العباس الضبي، فيما يظن الثعالبي، وهو في اليتيمة ٣/٣٠٥. (٢) ديوانه ١٥٦. (٣) في الديوان: «فيُهتدى لي» بالبناء للمجهول، وفيه أيضا: «على اللحن». (٤) في ج: «هجت»، والمثبت في: ا، ب. (٥) في ج: «سنني»، والمثبت في: ا، ب. (٦) صاحب الترجمة السابقة.

ألمت بأيدى الخطب سائمة العتب ... على أنها العتبى تكون لدى الحب(١)

يقول فيها :

لأية حال يا ابن خيبر أزومة ... أذاد عن العذب الزلال بلا شرب(٢)

وأشرب صاب الدمع يطفو أجاجه ... [illegible] وأرد العذب

منها(٣) :

فـــأنت سعرى والأماني تعلل ... وروض المنى [illegible]

متى أرد الإسعاف فى منهل أرى صدًا ... وأغاضى عن نزر المودة بالسكب

وقد كنت آتى فى السلام مشافهًا ... فها صرت أرضى فى زيارة بالكتب

ولو أننى واقعت أعظم جريرة ... لما كان يدعو مثل واقعه السب(٤)

ولكننى والله أعلم أننى ... لأقطع أوصال [illegible] كالإرب

ولم أنتبز حرب الفجار ولم أطع ... [illegible] إذ رام [illegible] الحرب

ولم أعتقد أن الخلافة فلتة ... بعهد أبى بكر ولا كان من دأبى

ولم أرم فاروق العدالة غيبة ... وقد طابت منه التحية بالكذب(٥)

ولم آل جلوا الخوارج إذ عموا ... على قتل عثمان بسطوة ذى عضب(٦)

ولم أك سيفًا لابن ملجم إذ سطا ... لحرب على والهوان لذى الحرب(٧)

ولم أك فى قتل الحسين مجردًا ... اصمصامتى أو أن أذاد عن الشرب(٨)

(١) فى ا : « آمنت » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى ا ، ج : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ب : « إلى شرب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « واقعة السب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ج : « [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٦) فى ب ، ج : « ولم [illegible] » ، والمثبت فى : ا . [illegible]

[illegible] (٧) [illegible]

[illegible] ٣ / ١٦٩ وما بعدها .

(٨) فى ب ، ج : « أو أن يذاد [illegible] » ، والمثبت فى : ا .

ولم أختلق ذنبًا وحسبك داعيًا إذا كان عِرْضُ المرء مُنْتَهَبًا لعَرْبِ[1]
وهَبْ أنني مازَنيْتُ ذلك كلَّه فحسبي من الإعراض بالأَمْلِى حسبي

* * *

وقد وقفتُ من هذا النَّمَط على اعتذارية، توسّل بها أبو جعفر المَرِّى[2] في تُرْبة المهدى[3]، عند عبد المؤمن[4] سلطان الأندلس، بعد أن نكبه، وهي هذه:

تالله لو أحاطتْ بي كلُّ خطيئة، ولم تنفكّ نفسى عن الخيرات بطيئة.

حتى سخِرْتُ بمَن في الوجود، وأنِفْتُ لآدمَ من السُّجود.

وقلتُ: إنه[5] لم يُوحَ في الفُلْكِ لنوح.

وبرَيْتُ لقُدار[6] نَبْلًا، وبرَمْتُ لحطب نار الخليل حَبْلا.

وحطَطْتُ عن يونس شجرةَ اليَقْطين، وأوقدتُ مع هامان على الطِّين.

وقبضتُ قَبْضةً من أثر الرسول فنبذتُها، وافتريْتُ على العذراء البتول فقذفتُها.

وذمَمْتُ كلَّ قُرَشِيّ، وأكرمتُ لأجل وَحْشِيّ[7] كلَّ حَبَشِيّ.

---

(١) في أ، ب: «وحسبك حديا». (٢) المرى: نسبة إلى المرية، مدينة عظيمة من مدن الأندلس. اللباب ٣/١٢٩.

وهو يعنى: أبا جعفر أحمد بن عطية، وزير عبد المؤمن الآتي ذكره، وكاتبه، واستمر في وزارته إلى أن قتله عبد المؤمن سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٦٦، ٢٦٧، والاستقصا ٣/١١٦ – ١١٩، وقد أورد السلاوى هذه الاعتذارية.

(٣) يعنى أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن على بالمغرب، توفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة. الاستقصا ٢/٧١، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٤٥.

(٤) أبو محمد عبد المؤمن بن على الكومى، مؤسس دولة الموحدين بالمغرب، التقى بابن تومرت، وجعل ابن تومرت إليه عهده حينئذ، وولى الخلافة بعده، كان حازمًا شجاعًا عظيم الاهتمام بأمر دينه، عاقلًا عفيفًا صارمًا على الأمر الخطير، توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. الاستقصا ٢/٨٩، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٦٢ وما بعدها. (٥) في ح: «لو أنه»، والمثبت في: أ، ب، والاستقصا.

(٦) هو قدار بن سالف، عاقر الناقة. انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٦٥، وفي الاستقصا: «قدار ثمود».

(٧) يعنى أبا دسمة وحشيا بن حرب الحبشى، قاتل حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، في غزوة أحد، أسلم في وفد الطائف، وشهد اليرموك، وقاتل مسيلمة الكذاب وشارك في قتله، توفي بحمص نحو من سنة خمس وعشرين. أسد الغابة ٥/٨٣.

وقلت إنّ ثمة التقية ، لا توجب إمامة الخليفة[1] .

وسوّدت صفرة غلام المغيرة بن شعبة[2] ، واعتذلت من حصار الدار وقتل أشمطها[3] شعثه .

وغادرتُ الوجه من الهامة خضيباً ، وناولتُ من قرع سنّ الحسين قضيباً .

ثم أتيتُ حضرة المعصوم لائذاً ، وبقبر الإمام المهديّ عائذاً .

لآن لمقالتي أن تُسمع ، وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع .

فعفواً أميرَ المؤمنين فإننا ... نقلنا ذنوباً هذه الخفقان[4]

* * *

وكتب إلى الأمير محمد بن منجك[5] يسلّيه ، وقد احترقت[6] يده وقدمه ، بنار اغتلقت بمطبخه[7] ليلة عيد الفطر ، وقد أجاد وأحسن كل الإحسان :

قالوا يدُ المُحتكي ذو [illegible] ... آلمها النارُ قلتُ من عجبِ

يمينه ديمة وبا[illegible] ... فكيف احتمت من اللهبِ

تضرّه النارُ وهو مطفئها ... والنارُ ليست تضرّ بالسُّحبِ

وإنّما قام وهو محتمل ... كعادة منه يسعى لأبِ[8]

يسعى قرى الضيف في إساربه ... وذاك دأب الكرام في العربِ

فقابلت كفّه بما نظرت ... من همّة للقرى مع التعبِ[9]

أو قد رأت مكرمات راحته ... عمّت جميع الأمم بالذهبِ

(١) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج ، والاستقصا . (٢) يعني أبا لؤلؤة فيروز الفارسي .
(٣) في ا : « شعثه » ، والمثبت في : ب ، ج ، والاستقصا ، والأشمط : من خالط بياض رأسه سواد ، وهو يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه . (٤) في ج : « فعفو أمير المؤمنين » ، والمثبت في : ا ، ب ، والاستقصا ، وفيه : « [illegible] » . (٥) تقدمت ترجمة الأمير محمد بن منجك ، في صفحة ٧٣ .
(٦) في ج : « أحرقت » ، والمثبت في : ا ، ب . (٧) في ب : « في مطبخه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٨) في ب : « وإنما قام » ، والمثبت في : ا ، ج . (٩) في ا : « فقابلت كفه بما نظرت عن همة . . . . » ، والمثبت في : ب ، ج .

فلذاك المجندي نسبٌ منه فساءت مواطن الطربِ
وصرتُ أقدمهم ولو عقلتْ أقبلتُها بغـــايةِ الأدبِ (1)
لـــكن تجمدِ الإناءِ ما شعرتْ عن مسّها للـــيراعِ والقصبِ
تنظر إلى جوده وقد طلبتْ من كفه قُبْـــلةً فلا عجبِ
جودٌ يروحُ الجمـــادُ يطلبُه ماشيَ كلا في سائرِ الخشبِ

※ ※ ※

ومن نتفِه قوله (2) :

أفَلَ الشبابُ وما نقلتُ عن الهوى وبدَا المشيبُ وفي فضـــولُ تصابي (3)
وغدوتُ أعـــترضُ الديارَ مسلّمًا يومًا فـــلم تسمحْ بردِّ جواب (4)
فــكأنها وكأنني في رسمِهـــا أعمى يحدّق في سطورِ كتابِ

※ ※ ※

وقوله :

إني أشكـــك حبًّا يخيلُ يرى السلمَ حربا (5)
ويغصِبُ القلبَ غصبًا وينهبُ الصـــبرَ نهبا
يا من كوى أنتَ قاسٍ سامِحْ من النارِ قلبا

※ ※ ※

وقوله :

يا عذولُ قد طمسنـــا ه بتقبيلِ الحبيبِ
وغريبُ الطبعِ فينـــا وهو في زيّ غريبِ

---

(1) في ا ، ب : « ولو عقلت » ، وفي س : ج . (2) الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ٢١٦ .
(3) في خلاصة الأثر : « عن الهوى » ، وفي ... : ولي ... . (4) في خلاصة الأثر : « برد جوابي » . (5) في ا : « إني ... » ، والمثبت في : س ، ج .

د قليـــلٌ أنتَ لـكنْ   منكَ قد ضَلَّ صوابي

* * *

وقوله[1] :

لاحَظتُه فغـــيّرتْ   لَحَظاتُه غَضَبًا حَرْبى
فاستـــلَّ من أجفانِهِ   سَيْفًا وأغمـــده بقلبي
يا مَن رأى في دهـــرِه   قلبًا غدا غِمدًا لِعَضْبِ

* * *

وقوله :

يا شقيقَ الظَّبي لحظًا   ولِرِشـــا في التفاتكْ
فتَّ غُصنَ البـــانِ قدًّا   والقَنـــا في خَطَراتكْ
لستَ هاروتَ ولكنْ   سحرُه من حَرَكاتكْ
عظَّمَ اللهُ بصـــبري   أجرَ ماضي لحظاتكْ
أنا واللهِ قتيـــلٌ   هالكٌ من نظراتكْ
جَرَحتْ قلبي وهـــذا   شاهدي في وجَناتكْ[2]
أنا أستبقي حيـــاتي   تتقضّى في حيـــاتكْ
كيفَ تعصيك حياةٌ   هي من بعضِ هِباتكْ
آهِ من ضعفِ غرامي   وتقوّي عـــزماتكْ
آهِ من طولِ عنـــائي   وتَداني خطَراتكْ

* * *

(١) سقطت هذه الأبيات من : ب ، ج .
(٢) في ب ، ج : « شاهد في وجناتك » ، والمثبت في : أ .

وله من قصيدة ، مطلعها :

ذا ودادى وهل ترى لودادى ... حافظا فى الأنام مثل فؤادى[1]

كلما رحت أستميح حبيبا ... وده جاد لى بضد مرادى

فكأن الأنام أضحوا فلانا ... وفلان هو الذى لى يعادى

كلما رمت قربه أحدثت لى ... شيمة منه تقتضيه بعادى

مثل صبرى إذا تلقى هواه ... كان ذا رائحا وذاك غادى

إن تمادى بما جفاه قليلا ... فانتظر [illegible] والفؤاد

عجبا من نواك وهو طريف ... كيف لم يرع حق قرب بلادى[2]

أخلفتك الشؤون عجزا فجادت ... بالسوارى أكبادنا والغوادى[3]

ليس عندى من الدموع سوى ما ... وهبته عصارة الأكباد

كان طول القناة وذلك عهدى ... فانثنى من جفاك عرض النجاد

لا تلمنى على هواك فإنا ... قد أتينا معا على ميعاد

صادف القلب خاليا فاحتواه ... مطمئنا وكان بالمرصاد

* * *

معنى البيتين ينظر إلى قول الآخر[4] :

أتانى هواه قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا[5]

---

(١) فى ب : « [illegible] الأنام » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب ، ج : « [illegible] من هواك » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى : ب « أخلفتك الشؤون عجبا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) عيون الأخبار ٩/٣ ، ونسبه ابن قتيبة إلى عمر بن أبى ربيعة ، وهو مما ليس فى ديوانه . (٥) فى عيون الأخبار : « أتانى هواها . . . . . . فارغا . . . . »

نُقِل عن أبي بكر الأصبهاني(١) أنه عابه ، فقال(٢) : كلُّ مَن صادفَ مكانًا خاليًا تمكَّن فيه ، ويُستحسن أن يعرفه من دونه .

أقول : هذا كلامُ مَن لم يذقْ حلاوةَ المعاني ؛ فإن الشاعر قصد أن غرامه قائمٌ ، لم يسبقه غيرُه ، فإنه متمكِّن في قلبه لا يزول ، وما قصد معنى آخر . كما قال :

أتاني هواها والهوى قد أحاط بي ... ليجعلَ بيتَ القلب للحبِّ منزلا(٣)

فصيَّرته وقفًا عليه ولم يجدْ ... إليه سبيلا غيرَه فتحوَّلا

* * *

تتمة الأبيات الأولى(٤) :

كان لي منكَ لحظةٌ أصطفيها ... فغدا لحظُها كسيفِ الأعادي

كنتُ أحتمي غرارَها وهي تنبو ... كيف إذ جُرِّدتْ من الأغماد

عملتْ للوشاة فينا سيوفًا ... لحبا رُحْنَ وهي غيرُ حِداد(٥)

لستُ مستبعدًا حبيبًا تجنَّى ... لي ذنبًا وصدَّ عن إسعادي(٦)

آهِ من وصلك البعيدِ التداني ... آهِ من هجرك الكثيرِ التمادي

لا انثلاني إلا بعدك حتى ... يلبس الخدُّ منك ثوبَ حِداد

ويرى الوردَ كالبنفسج لونًا ... منك والأقحوانَ غيرَ مُوادي(٧)

إذ غدا نرجسُ العيون ذبولًا ... وغدا الغصنُ ليس بالميّاد(٨)

(١) يعني محمد بن داود الظاهري ، صاحب كتاب الزهرة ، المتوفى سنة ٢٩٧ [illegible] ، له في الوفيات ٣ : ٥٨٠ ، وفي الأغاني ٣ : ٢٩٠ .

(٢) سقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٣) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج

(٤) سقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٥) في ب : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٦) في ج : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ب . (٧) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج . (٨) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج .

ذاكَ وَجْدي عليك وهْوَ زمانٌ مُنْصِفٌ للهوى من الأضدادِ

* * *

ومن نمطه قوله :

دَلَّلَنِي الذُّلُّ حتى صرتُ آلَفُه وما التَّذلُّلُ خُلْقُ البازِ والأسَدِ

يامَن أهان فؤادي في محبّتِه أعزَّكَ اللهُ فارْحَمْني ولا تَزِدِ

قد صرتُ طَوْعَ يدِ الأشواقِ مكتئبًا من بعدِ ما كانت الأشواقُ طوعَ يَدِي

* * *

وقوله (1) :

وأذْكرني قَدَّ القَنـــاةِ قَوامُـــهُ وهـــزَّ بِيَ الشوقُ اهتزازَ المُهنّدِ

وأزعجني حـــتّى خَشُنْتُ وِسادَتِي عليَّ وقـــد أمسيْتُ كقِطْعةِ جَلْمدِ

ألا إنّني يا شوقُ للهِ شاكرٌ ومُستمْتِـعٌ من فتنتي بمحمّدِ (2)

* * *

وله من قصيدة أولها :

خَلَى اللهُ أوقاتي وضاعفَ من صبري على مَرِّهـــا مَرَّ السَّحابِ بلا قَطْرِ

تُحارِبني الأيامُ حتى كأنّني تُطالِبُني عن كلِّ مَن ماتَ بالوَتْرِ

* * *

الوَتْر : الذَّحْل ، وهو الثَّأْر .

قال يونس (3) : أهلُ العالية يقولون : الوِتر ، يعني بالكسر : في العدد ، وفي الذَّحْل ، بالفتح .

* * *

(1) الأبيات في خلاصة الأثر 1 / 215 . (2) في خلاصة الأثر : « على أنني » . (3) انظر اللسان (و ت ر) 5 / 274 .

عددتُ أوقاتي ولاحظتُ طيبها ... فأجودُها ما مرَّ في الحُلْمِ من دهري

إذا رُحتُ أُحصيها لأعلم بِشْرَها ... عدمتُ حياتي والمصيرُ إلى عُسْرِ (١)

متى ما اعتبرتَ المرءَ ما كان صافياً ... تجدْ رجلاً قد عاش عُمراً بلا عُمْرِ

* * *

هذا معنى غريب، وأظنه تناوله من قولِ الخفاجي [٢]، وهو [٣]:

عمرُ الفتى قالوا زمانُ الرضا ... بصفوةِ الأحبابِ في اليُسرِ [٤]

صدقتُ ما قالوه كي يعقلوا ... فينظروا شيخاً بلا عُمرِ [٥]

وأصله قول الأمير أسامة بن مُنْقذ [٦]:

قالوا نهتْه الأربعونَ عن الصِّبا ... وأخو المشيبِ يجورُ ثُمّت يهتدي [٧]

كم حارَ في ليلِ الشَّبابِ فدلَّهُ ... صبحُ المشيبِ على الطَّريقِ الأقصدِ [٨]

وإذا عددتُ سنيَّ ثم نقصتُها ... زمنَ الهمومِ فتلكَ ساعةُ مولدي [٩]

قال العماد الأصفهاني [١٠]: عجبتُ من مقاصدِ هذه [١١] الكَلِمِ، وتعرّض لموارد هذه [١١] الحِكَمِ وأقصى العجب [١٢] كلّ العجب [١٢] من غَرارةِ [١٣] هذا الأدب،

(١) في ب، ج: «لعلم سرها»، والمثبت في ا. (٢) محمد بن محمد [illegible] المصري، أديب، شاعر، كاتب.
كان ظريف الطبع، وله شعر رقيق في نهاية الحسن والجودة، وولي قضاء أسيوط والجيزة.
توفي سنة إحدى وستين وألف، بالجيزة.
خبايا الزوايا لوحة ١١٩ ب، خلاصة الأثر ٣/٢٦٦ – ٢٧٥، ريحانة الألبا ٢/٧٤.
(٣) البيتان في ريحانة الألبا ٢/٧٦. (٤) في ب، ج: «بصفو [illegible]»، والمثبت في: ا، وريحانة الألبا. وفي ب، ج: «في يسر»، والمثبت في: ا، ورواية عجز البيت في ريحانة:

* بالصفو والأحباب واليسر *

(٥) في ريحانة الألبا: «لينظروا شيخا». (٦) ديوانه ٢٤٧، وخريدة القصر، قسم شعراء الشام ١/٥٠، ٥١، ومعجم الأدباء ٥/١٩٤، وريحانة الألبا ٢/٧٦. (٧) في المصادر السابقة: «نهته الأربعون»، وفي ريحانة الألبا: «يحار ثمت». (٨) في خريدة القصر، ومعجم الأدباء: «كم حار»، وفي الديوان: «كم ضل»، وفيه أيضا: «وضح المشيب». (٩) ضبطت التاء في: «عددت»، و«نقصتها» في الديوان بالضم. (١٠) خريدة القصر، قسم الشام ١/٥٠. (١١) زيادة من الخريدة على ما في الأصول. (١٢) زيادة من الخريدة على ما في الأصول. (١٣) في الأصول: «غزاله».

ولولا أن المِدادَ أفضلُ ما رُقِمَ(1) به صحائفُ الكُتُب، لحرَّرتُ هذه الأبيات بماء الذهب، فهذا أبلغ من قول أبى فِراس الحَمْدانى(2):

ما العمرُ ما طالَتْ به الدُّهورُ ... العمرُ ما تمَّ به السُّرورُ(3)

فالفضلُ للمتقدِّم فى ابتكار المعنى، وللمتأخِّر فى إتمامه(4).

* * *

العَوْدُ أحمد:

وها أنا فى طَىِّ الليالى مُعدَّدٌ ... كواكبُه من حيثُ لا حاسبٌ يدرى

كأنِّىَ من همِّى مدى الليلِ راكبٌ ... على فلكٍ نائى المدى أبدًا يسرى

أروحُ بجِدٍّ مُصْعِدًا وعزيمتى ... إلى الأوجِ كى أقرا به سورةَ البِشْرِ(5)

وأحفظُهـا من جبهةٍ نمَّتْ نورَها ... على بُعدِها قدرُ الكواكبِ والبدرِ(6)

وله(7):

عجبتُ للشمسِ إذ حلَّتْ مُوقَّرةً ... فى جبهةٍ لم أخَلْها قطُّ فى البشرِ(8)

وإنَّما الجبهةُ الغرّاءُ منزلةٌ ... مخصوصةٌ فى ذُرى الأفلاكِ بالقمرِ

ما كنتُ أحسبُ أن الشمسَ تسكنُه ... حتى تبيَّنْتُ منها حِدَّةَ النظرِ

* * *

(1) فى خريدة القصر: «ترقم». (2) فى الخريدة: «ابن حمدان». والأبيات له من أرجوزته فى الطرد، ديوانه (بيروت) ٣١٩. (3) زاد العماد بعد هذا:

أيامُ عِزِّى ونَفاذِ أمرى ... هى التى أحسبُها من عُمْرى

(4) زاد العماد بعد هذا: «حيث ذكره فى بيت واحد، ولم يجعل له نصيبا من العمر لإساءة مولده، فجميع الحياة على الحقيقة نصب وألم وتعب». (5) فى ب، ج: «سورة الشعر». والمثبت فى: ا. (6) فى ب: «قدر الكواكب والنسر»، والمثبت فى: ا، ج. (7) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢١٥. (8) فى خلاصة الأثر: «لم أجدها قط بالبشر».

وله :

انظر لأوراق الربيع وقد بدت   محمرة في صفرة الأشجار [1]

وكأنها لما بدت من بينها   شفق بدا في [illegible] أنضار

* * *

وله :

قد أحب الربيع للهو فيه   بلطيف الهواء والأزهار [2]

ثم فصل الخريف عندي أحلى   لاجتنائي فيه لذيذ الثمار

* * *

ومن غزلياته قوله :

ومعذر جنيت خطوط عذاره   فبدت لطالب وصله أعذاره

قد لاح تحت وروده ريحانه   وبدا خفيا للعيون غباره

يبدو فتقطر بالدما أقطاره   دلا ويخطو بالخطى خطاره [3]

رقت شمائله ورق كلامه   وتعقدت أوطارنا أوطاره

فشككت بين مؤنث ومذكر   فيه فقلت باليقين عذاره [4]

* * *

من هذا ، بل أجود منه قول تقي الدين العدرسكوري [5] :

(١) في ج : « وقد غدت » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب : « بلطيف الهواء » .
(٣) في ب : « بالدما قطاره » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « فشككت بين مؤنث » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) محمد بن محمد بن محمد العدرسكوري ، المصري ، [illegible] .
كان من الأدب ، والبلاغة ، والعلم ، [illegible] ، والانشاء ، [illegible] ، وكان [illegible] من [illegible] ، كثير الاملاء .
[illegible] بالتدريس والقضاء .
وتوفي بدمشق ، سنة سبع وتسعين وألف .
[illegible] لوحة ١٤٥ ا ، الخطط التوفيقية ١٤ : ٦٥ ، ٦٦ ، خلاصة الأثر ٤ : ٨٢ ، ٨٩ .
ريحانة الألبا ٢ / ٧٠ .

توهّمتُه شمساً وكان يُريبني ... نسيمُ الصَّبا منه ومن طبعها الحرّ
فلمّا دجا ليلُ العِذارِ ولم يغِبْ ... علمتُ وزالت شُبهتي أنه البدرُ

* * *

وله :

وما زالتْ تُغرّبني المعالي ... سِراراً لا أطيق له جِهارا[1]
فإنْ أظفرْ به فأنا حَرِيٌّ ... وإلّا فالمقدّرُ لا يُجارَى[2]

* * *

وحيّاه غلامٌ بوردةٍ ، فقال :

انظُر إلى وَرْدةٍ حيّى بها رشأٌ ... نَشْوانُ وافَى من الغِلْمانِ كالحورِ[3]
كأنّها شَفَتاه حين جاء بها ... مضمومة إذ بدَتْ أو طَرْفُ مخمورِ

* * *

وفي التشبيه الأوّل شَمّةٌ من قول الشريف الرضي[4] :

كم وَرْدةٍ تحكي بسبق الورد لطيفة ... تشرّعتْ من جُنْدِ
قد ضمّها في الغصنِ فرطُ البَرْدِ ... ضمَّ فمٍ لقُبلةٍ من بُعْدِ

ولابن الرومي[5] :

وردٌ تفتّح ثم ارتدّ مجتمعاً ... كما تجمّعتِ الأفواهُ للقُبَلِ

ومن تضامين ابن تميم الفائقة[6] :

---

(١) في ب : « لها جهرا » ، وسقطت في : ا ، ج . (٢) في ج : « وإلا فقدر » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) في ب ، ج : « حيى بها بشر » ، والمثبت في : ا . (٤) ليس في ديوانه .
(٥) ليس في ديوان ابن الرومي (كيلاني) . (٦) محمد بن يعقوب بن علي الإسعردي ، مجير الدين ابن تميم .

سعتْ إليك من الحدائق وردةٌ ... وأتتك قبل أوانها تطفيلا[1]

طمعتْ بلثمك إذ رأتك فجمّعتْ ... فمَها إليك كطالبٍ تقبيلا

وأصله قول المتنبي في راكب فرس[2] :

ويغدو في جذبه الزمام تحسبه ... فمَها إليك كطالبٍ تقبيلا

* * *

وله[3] عاقدا لحكمة نثر[3] :

إذا أقبلتْ دنياكَ يوما على امرئ ... كسته ولم يشعرْ محاسنَ غيرِه

وإن أدبرتْ سلبتْ محاسنَ نفسِه ... وكسى مرورا عن ملابسِ خيرِه[4]

* * *

وله :

كلُّ الحوادث [illegible] ... فاعجب لفرقِ مصائبِ

فالأسْدُ تفترس [illegible] ... وتعيثُ في أعضائها[5]

والنمل عقمٌ واحدٌ منها ... بقى برصاصها[6]

* * *

سكن حماة ، وخدم الملك المنصور .

وكان جندا محتشما ، شجاعا ، مصوعا ، كريم الأخلاق ، بديع النظم ، رقيقه ، عذب الحلى .

وفي بخاطه ، ... وعشر ، وسبع .

فوات الوفيات ٢ ٥٣٨ .

والبيتان في : فوات الوفيات ٢/ ٥٤٢ ، طراز المجالس ٣٠ ، ريحانة الألبا ٢/ ٦٣ ، ٦٤ .

(١) في ا ، وفوات الوفيات : « سبقت إليك » ، والمثبت في : ب ، ج ، وطراز المجالس ، وريحانة الألبا ، وفي فوات الوفيات : « وأتتك قبل أوانها تطفيلا » .

(٢) سقطت هذه المقدمة ، والبيت من : ج ، وهما في : ا ، ب ، والبيت في ديوان أبي الطيب ١٣٣ .

(٣) ساقطة من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٤) في ا : « وكسى مروراً » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٥) في ج : « تفترق الظبا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « أعضم واحد » ، والمثبت في : ب ، ج .

وله من النوع الذي يُسمَّى بالاكتفاء[1] :

إنَّ احتفالَ المرءِ بالمرءِ لا ... أُحِبُّه إلّا مع الاكتِفا
مُنافِقاتُ النفسِ مذمومةٌ ... فاسْلُكْ سبيلَ القصدِ في الاحتِفا[2]

* * *

فيها التزامٌ عجيب ، لم يُنظَم مثله ، وهو أن يكون اللفظُ المكتفَى به بمعنى اللفظِ المكتفَى منه[3] ؛ فإن الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء ؛ فيكون على هذا الاكتفاء وعدمُه على حدٍّ سواء ، إذ لو قُطِع النظرُ عن لفظِ الاحتفال لأغنى عنه لفظُ الاحتفاء ، مع تسمية[4] النوع فيهما .

* * *

وله :

أَضُمُّ على قلبي يديَّ تشوُّقًا ... وأُلوِي حيازيمي عليك تحرُّقَا
تَساوَى حضوري في هواك وغَيبتي ... ومن عجبٍ شوقٌ لدى البُعدِ واللِّقَا[5]
رعَى اللهُ قلبي حيث كان فإنّه ... غدا بحبالِ الشمسِ منك مُعلَّقَا

ومن رُباعيّاته قوله :

أَبكيتَ ولو بقدرِ شوقي أَبكي ... أَوْرَثْتِ محاجرِي حياضَ الهلكِ[6]
لو قال لِي الغرامُ ممّن تشكو ... بأسًا وأسًا لقلتُ مِنكِي منكِي[7]

* * *

(١) انظر ما ذكره الخفاجي عن هذا الفن في ريحانة الألبا ٢/١٠٧-١١٣ . (٢) في ب : «فسلك سبيل القصد بالاحتفاء» ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب مكان هذا : «به بمعنى اللفظ» ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : «تسوية» ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : «ومن عجب شوقا» ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب ، ج : «حياء الهلك» ، والمثبت في : ا . (٧) في ا : «[illegible] وأسا» ، والمثبت في : ب ، ج .

وله (١) :

أيُّ ذنبٍ لِيَ قُلْ لِي   غيرَ حظٍّ منكَ قَلّ
أتراني منكَ أصبحـ   ـتُ برأيٍ مُستقِلّ
لكَ نفسي أيها الـ   ـجاني فخذْ جُهْدَ المُقِلّ

* * *

وله :

أيُّها الجاني المُدِلّ   لكَ نفسي وتُقِلّ
طال تعذيبُكَ قلبي   فعذابي لا يَحِلّ
أنتَ في حِلٍّ فبادِرْ   بدمي ليس يَحِلّ (٢)

* * *

وله من قصيدة ، مطلعها :

عذراً لطيشكَ إنّ السنَّ مُقْبِلةٌ   ـفيس ينفعُ في أسواقكَ العذَلُ
سبعٌ وعشرون لو مرَّتْ على جبلٍ   لظلَّ يختالُ منه ذلك الجَبَلُ (٣)
قضَّيتُ فيها شباباً لو تطلَّبَه   رِضوانُ في الخُلْدِ أعيَتْ قصْدَه الحِيَلُ
نظيمةً كعقـودِ الدُّرِّ في نَسَقٍ   فلو حوتْها عقودٌ زانَها العَطَلُ (٤)
نَشْوانُ أطفحُ من خمرِ الشَّبابِ ولا   كنشوةٍ بخمرٍ يسلو فعمَّها الثَّمَلُ
في حيث عندي فُكاهاتٌ ألَذُّ بها   راحي الرُّضابُ وتفّاحي هي القُبَلُ (٥)
أُعانِقُ الغُصْنَ في أكمامِه قمرٌ   وألثِمُ البدرَ في أعطافِهِ كسَلُ

(١) هذه الأبيات ساقطة من : ا ، وهي في : ب ، ج . (٢) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٣) في ا : « يختال منهـا ذلك الجبـل » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « فلو حوتها عقودا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ا : « بحيث عنـدى » ، والمثبت في : ب ، ج .

لو حلّتِ الشمسُ يوماً في مَحلّتِها ... لراحَ ينْدُبها من شَجْوِه الحَمَلُ

أو قابلَ البدرُ عندي مَنْ أُسامِرُه ... لَمَسّه دونه التّشْويرُ والخَجَلُ[(١)]

أيّامَ لم أحْتمِلْ للصّبْرِ عاقبةً ... ولم أقُلْ ليتَ جَفْني راح ينْهمِلُ

مرّتْ فلا صَفْوُها في العيشِ ذو رَنَقٍ ... يوماً ولا ظِلُّها في الأمْنِ مُنْتَقِلُ[(٢)]

تلْهُو السّنُونُ بها في أمرِهنّ كما ... يلْهُو بقَلْبِ الفتَى في يومِه الأمَلُ[(٣)]

***

وله الميميّةُ التي أبانتْ عن شَغَفٍ ، كاد يُفْضِي به إلى التّلَف ، وغَرامٍ رُمِيَ منه بكُلَفِ الكَلَف .

وسببُ ذلك صدُّ حبيبٍ لم يَدعْ فيه للتحمُّلِ مَحلاًّ ، وأذْهلَ لُبّه فتركه بمقتضَياتِ الحُبِّ مُخِلاًّ ، وهي هذه :

حكّمْتُهم في فؤادي حسْبما رَسَمُوا ... فليْتَهم حكَمُوا بالعدْلِ إذ حكَمُوا

أولَيْتَنا قد صَبرْنا مُذْعِنِين لهم ... أو ليتهم إذ تولّوْا أمرَنا رَحِمُوا[(٤)]

جاروا ولو علِموا أنّى لحُكْمِهمُ ... طَوْعُ القِيادِ لما جارُوا ولا ظَلَمُوا

ضَنُّوا بصُحْبتِهم عنّا ولو علِمُوا ... صِدْقَ المحبّةِ منّا خِلْتَهم نَدِمُوا

همْ عرّضُونا لبَلْواهمْ بقُرْبِهمُ ... حتى إذا ما رأوْا إقْبالَنا سَئِمُوا

كُنّا بَنَيْنا لهم في القلبِ مَنْزلةً ... علْياءَ حتى إذا ما شُيِّدتْ هدَمُوا

ظنُّوا بنا غيرَ ما تَطْوِي سَرائرُنا ... واللهُ يأْبَى الذي ظَنُّوه والكَرَمُ

ما أبْعَدَ العَيْبَ والنقْصانَ من شرَفي ... أنا الثُّريّا وذانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ[(٥)]

---

(١) في ب : «دونه التشويه» ، والمثبت في : ا ، ج و «تشوير» : التخجيل . (٢) في ا : « ولا ظلها في الأرض » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « في مرهن كما » ، وفي ج : « في مرهز كما » ، والمثبت في : ب . (٤) في ا : «وليتنا قد صبرنا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ا : « ما أبعد العبد » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « وذاني الشيب » ، وفي ج : « وداني الشيب » ، والمثبت في : ا .

رأيتهم لم يحلّوا خلّتين هم وبئست الخلّتان الغدر والسأم[١]

رحلت عنهم ولي في كلّ جارحة منّي لسان عليهم يشتكي وفم

وإن ترحّلتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم[٢]

يا راحلين عراهم من تذكّرنا عار ولا مسّكم من بعدنا ألمٌ

خنتم ثم رحتم عاتبين وهل في العدل أن يعتب الجاني ويحتكم[٣]

كنتم ولا عتب فيكم خير أنسكم قد شاب منكم للشرّ بين دم

عجبت منكم وفي أخلاقكم عجب كيف استوى فيكم الجدود والخدم

شاركتم النفع حتى ظنّ ظانّكم أن الذي قد ولى أمركم صنم

غدرتم ووفينا في محبّتكم إنّ الوفاء لدى أهل النهى ذمم

قد كنت يوسف إذ هم كإخوته بالبخس منّي فتى تمسو به التهم

لا ذنب فيما أشاع الوشاة وهم لخصم ذنب إذا لم ينصف الحكم

إن كان خصما حبيبا لي فيكم فليت أنّي بقدر الحبّ أقتسم

هل في القضيّة ممّن أنت أشعرهم ألقى على حكم بالصدق منهم

إن كان حبّ الفتى ذنبا يعدّ له إنّي إذا أنا بالبغضاء متّهم

زعمتم أننا نهوى شمائلكم وإنّما تعشق الأخلاق والشيم

أيّ الفريقين أوفى عندكم ذمما هووا وما كتموا أم معشر كتموا[٤]

لم تفرقوا ما البزاة الشهب عندكم وقد أحاطتكم الغربان والرخم

(١) في ا : « رأيتهم » . (٢) ضمن ما قول أبي الطيب :

إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

ديوانه ٣٢٥ .

(٣) في ا : « أن يعتب الجاني ويحتكم » ، والبيت في : ب ، ج ، وهو على ما في أصول .

(٤) في ا : « وما كتموا أم معشر كتموا » ، وفي ب : « أم معشر لكم » . والبيت في : ج .

وما انتفاعُ أخي الدُّنيا بناظرِهِ   إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ [1]

فرّطتمُ في عقـــودِ الودِّ فاغتنِموا   غريضَكم إنه ما ليس ينتظِمُ

جحدتمُ اليومَ عن طُرُقِ الوفاءِ فلا   جذبُ الأزمّةِ يثنيـــكمْ ولا اللُّجُمُ

زعمتمُ تعشُون منّي دون أُسرتِــكمْ   حتى كأنّي في أجفانِــكمْ سقَمُ

بيني وبينــكمُ مهما مظلمـــةٌ   من غدرِكمْ لم تجبْها الأينقُ الرُّسُمُ [2]

جهلتمُ قـــدرَ معروفي ومعرفتي   وسوف يبلغُ فيـــكمْ شأوَه النّدمُ

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي   وأسمعتْ كلماتي من به صممُ [3]

أغدو فيخضعُ مَن بالسوءِ يذكرُني   كأنّني فوق أعناقِ العِـــدى علَمُ

صفحتُ عنكمْ فلا أنّي قبلتُ لكمْ   عُذراً ولكنّ نفسي دأبُها الشّمَمُ

فادْعوا أبناءَكمْ حتى نهيبَكمْ   أوْلا فإنّ لها الإنصافَ نحتكمُ [4]

أرخصتمُ سعرَ شعري في مديحِكمُ   فراحَ يهجوكمُ القِرطاسُ والقلمُ

أنامُ ملءَ عيـــوني لا أعاتبُكمْ   ويسهرُ الشِّعرُ من أجلي ويختصمُ [5]

جنايةٌ أرتضيها وصمةٌ لكمُ أبداً   وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يصِمُ [6]

مَن لي بأن تفقهوا أنّ الأنامَ بكمْ   صِنفانِ مستهزئٌ والعُنفُ منتقمُ [7]

---

(١) هذا بيت آخر لأبي الطيب، وضعه المترجم. انظر ديوان المتنبي ٣٢٣. (٢) الأينق الرسم: التي تؤثر بمناسمها في الأرض، أو التي تمشي مشيا شديدا. (٣) البيت لأبي الطيب أيضا، وهو في ديوانه ٣٢٣. (٤) لعل الصواب: «يا ذي الإنصاف». (٥) أخذ هذا أيضا من قول أبي الطيب:

أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها   ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصمُ

(٦) ضمن عجز بيت لأبي الطيب، صدره:

* شرُّ البلادِ بلادٌ لا صديقَ بها *

ديوانه ٣٢٥.

(٧) في ب: «أن الأنام لكم»، والمثبت في: ا، ح.

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أنّ فعلكم من فعلنا أمم (1)

هجرتم وهجرنا منصفين وفى ... فعل النبى دون أفعال الورى حكم

ضاق الكناس عليكم يا ظباء بنا ... وليس للأسد إلا الغاب والأجم

مالى وآرامكم حتى أخالطها ... وفى التقرب ما تدنو به التهم

فارقتكم لا فؤادى راح مضطرما ... شوقا ولا العين فى أجفانها ديم

سلوا تنبيكم حالى وما صنعت ... من بعد فرقتكم فى صدرى الهمم

وكيف أصبح همى فى تقلبه ... والعين كيف كراها راح يزدحم

بل عنيت لواتينا فلا عثرت ... ولا سمت بمحاولتيه القدم

قد هان فى بصرى ما كنت أبصره ... كأنما يعطلنى فى وصلكم حلم

وكنت أبكى على حظى بكم زمنا ... فصرت أعجب من مثلى وأبتسم

وصرت أذكركم لا أننى أسفا ... لكن لأعلم قومى أنكم رمم

طالت صحبتكم حتى وجدتكم ... إذا احتفلت بكم سيان والعدم (2)

ورحت والصبر لم تثلم جوانبه ... وعدت والقلب منى بارد شبم

إنى وما ضمّ قلبى من سلوكم ... آلية ليس سدى عمرها قسم

قد اغتنمت بعادى عن مجالسكم ... وليس قربكم فى الناس مغتنم

وكنت أزعم أن البيت يجمعكم ... وأن عرضكم دون الورى حرم

وأننى عبدكم حتى رأيت لكم ... عبدا يسيء مولاه ويحتشم

ما كان لى أن أرى فى الرق مشتركا ... مع عبد سوء به الأحرار تهتضم

عفتهم من محبتكم فسيء بكم ... ولات عاقبة التوبة تدنى لكم أوا

سحرت ذا الكذب حتى ضفته كلبا ... لا تحسبوا أنه ما بينكم كرم

---

(1) هذا أخذه من قول أبي الطيب:

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أن أمركم من أمرنا أمم

ديوانه: ٣٢٤. (2) في ا: «... عندكم»، والمثبت في ب، ج.

لو لم تكن رقةُ الألفاظِ تخدعكم ... لقلتمُ إنها المعقولةُ الخذمُ[1]

فلا رعى اللهُ من لم يَرْعَ صُحْبتَنا ... ولا رعى مرتعاً سامتْ به النَّعَمُ

* * *

وله :

رُبَّ يومٍ جاء يوحى بأمرٍ ... فيه شيطانُه إلى شيطانى

مِن سِرارٍ بين اللِّحاظِ وزوحى ... أنفقتْ على سِحْرِه العينانِ[2]

وأفاضا مِن الهوى فى حديث ... ليس من حس ما يعى الملكانِ[3]

ثم زَنْداىَ وشَّحاهُ وِشاحاً ... ما لِزُنّارِه بذاك يدانِ[4]

فاغتديْنـا من العِناقِ اتّحاداً ... مثلَ جسمٍ قد حلَّهُ رُوحانِ

* * *

وله[5] :

لما رأيتُ العيشَ مِن ثمرِ الصبا ... وعلمتُ أن العفوَ حظُّ الجانى

أدركتُ مالا سوّلتْه تمنيتى ... وفعلتُ ما لا ظنَّـه شيطانى

* * *

وله :

ولقد صحبتُ العزَّ مذ أنا يافعٌ ... فهو الشمات على الشّبابِ أتانى

ولو اعترَى بعدَ الشّبابِ لسرَّنى ... فالعزُّ مُكْتهلاً شبابٌ ثانى

* * *

وله :

قد أظمأنى العـــرامُ ثمّا فتى ... هىّ بفضولِ دمعٍ كأسى هبّ

لا يلحظنى عروسَ بحتى أبدا ... حتَّى ولو انتقشتُ كلّى كبا

---

(١) الخذم : السريعة القطع . (٢) فى ب : « أنفقت بين سحره » ، والمثبت فى : ا ، ح .
(٣) فى ب : « ليس من جنس ما يعى الملكان » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٤) الزنار : ما يشد على الوسط . (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢١٢ .

٧

الأمير مَنْجَك بن محمد المَنْجَكى (*)

هذا الأمير، سقَى عهدَه مُفاضُ الدِّيَم، وحيّى الرِّضوانُ منه تلك الشِّيَم.

إن لم يكن ثانىَ أبى فراس فى الشِّعْر وحدَه، فهو مع ذلك ثانى [illegible] طَىٍّ الذى تجاوز فى الكرَم حدَّه.

فبما (١) إن ابتدأ (١) الأمرَيْن فى الوُجود، فهو الذى انتهى به الفضلُ والجود.

وأحسنُ ما فى الطَّاوُوس الذَّنَب، وفى الخَمْر معنى ليس فى العِنَب.

هذا، وكان ناطق بلسان، وعارف بحُسْنٍ واستحسان.

مُجْمَعٌ على فضله الذى تقتضى [illegible] التَّخليد، فالعالِم عرفه [illegible]، والجاهلُ [illegible] بالتَّقليد.

وهو منذ لاح هلالُه فى أَوْجه، وأَبُوه بين حِزْب الإقبال وفَوْجه.

(*) الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفى، الجركسى، الدمشقى.

نشأ فى ظلال نعمة أبيه، وشغف من حين نشأته بالعلم، وصرف عمره فى تحصيل الأدب.

قرأ على الشيخ عبد الرحمن العمادى، وأحمد [illegible]، والشهاب أحمد الوفائى، وأبى العباس المقرى، والأدب على أحمد بن شاهين.

ووهبه الله تعالى الذكاء، وقوة الحافظة، وحسن التخيل والأداء.

كان كريما متلافا، أفنى ما تركه له والده، ثم انزوى عن الناس، وهجر [illegible]، وسكن [illegible] مدة، ثم [illegible] من الهجرة فعاد، ولم يخرج من عزلته إلا قبل موته [illegible]. [illegible] إلى قرية [illegible] [illegible].

جمع أشعاره فضل الله بن محب الله بن محمد المحبى، والد المؤلف، بأمر من شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين، المعروف بحسام زاده.

توفى سنة ثمانين وألف، عن ثلاث وسبعين سنة.

خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ أ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٠٩ - [illegible]، ديوان الإسلام لوحة ٧٢ أ، ريحانة الألبا ١ / ٢٣٢ - ٢٥٦، سلافة العصر ٣٦٩.

(١) فى ب: « [illegible] »، والمثبت فى: ا، ج.

تهتدى بالشموس والأقمار ، ويَمُدّ بالأنفس والأعمار .

وإن لم يكن فى قُنّة السماء ، فهو فى بُحبوحة القُنّة الشمّاء (١) .

زهى بسؤدد اتصلت أصوله اتصال الشآبيب ، وتناسبت فروعه تناسب الرماح كعوباً على كعوب ، وأنابيب على أنابيب .

وعزّ له ذروة تُفضى إلى روض بالسماح يجود ، فكم لجباه العفاة لديه من مجال سجود فى مجالس جود .

حتى قعد مقعد والده ، واحتوى من رياسته على طارفه وتليده .

هنالك سلك من البذل مسلك ، وسخا والسخىّ جوده بما ملك .

وأعرضت عنه لأيامه إعراض النسيم عن الروضة الغنّاء ، وخلت عنه تخلّى العقد عن عنق الحسناء .

وإذا الجـــواد [illegible] جَوْرِ الزمانِ على وسادِ

كالعين [illegible] [illegible] وتقول لابنـــة الحدادِ

وقد أدركته وسخاؤه (٢) [illegible] ، وسمهرىّ قدّه رُمى باعوجاجه .

وكان بينه وبين أبى محبّة ومودّة ، ومجالس اجتماعات لمذاكرة الأدب منعقدة .

فكنت أجتنى من مطارحتها بدائع مائسة الأعطاف ، وأقتطف روائع مستعذبات الجنى والقطاف .

وقد رأيت من فضائله ما لم أر قبلُ ولا بعدُ ، وطالما حصلت منه على أمانىّ فى هذا الشأن من غير وعد .

فمن لفظ إذا سمعته قلت كأن العرب استخففته على لسانها ، ومعنى إذا تحببته قلت (٣) : هذا للبراعة إنسان (٤) عينها وعين إنسانها .

---

(١) فى ا : « [illegible] » . وفى ب : « [illegible] » . وما ثبت فى : ج . (٢) يعنى سواد شعره .
(٣) ساقطة من : ا . وهو فى : ب ، ج . (٤) ساقطة من : ب ، ج . وهو فى : ا .

إلى محاضرة إذا تحرّى في أسلوبها الرّشيق ، تهمّ ببسطِ الخدر لا أتقسّط دُرّها النّسيق .

وأما حديثُ ابن العريكة ، ودَماثةِ الشيمة ، فلم نرَ مَن يُشبهه في الخَلْق والخليقة . أدبٌ ضاقَ الذَّيلُ مطرَّزُ الكُمّ ، وشعرٌ يكاد يُحيي الجمادَ ويُنطقُ الأصمّ .

* * *

وها أنا أُورِدُ من أشعاره ما تزهو به القَراطِيسُ على صفحات الخدودِ المحشّاة [1] بالسّوالف ، ويُغني عن لَذّةِ السُّلافِ السّلسَل [2] تذهبتْ به اللّيالي السّوالِف .

فمن ذلك قوله [3] من قصيدة ، مطلعها [3] :

يَعِزُّ عليَّ [illegible] دنوًّا	إذا ما قلتُ أفديه حبيبا
وأبعدُ ما يكون الودُّ منه	إذا ما بات من أملي قريبا
حبيبٌ كلما يلقاه صَبٌّ	يُعِزُّ عليه مَن يهوى رقيبا
سقتْه حُسنَ ماء النار حتى	سقى الكافور أثبته قضيبا [4]
يَعافُ منازلَ العُشّاقِ كثرةً	ولو عُرِّفتْ مسالكها قلوبا
فلو حَمَلَ النسيمُ إليه مني	سلامًا راح يَتْبَعُه الهبوبا [5]
أغارُ على الجفاء منه لغيري	فليت جفاه لي أضحى نصيبا [6]
وأعشقُ أعينَ الرُّقباءِ فيه	ولو مُلِئتْ عيونُهمُ عيوبا
لقد أخذ الهوى بزمامِ قلبي	وصيَّر دمعَ أجفاني صبيبا
وما أمّلتُ في أهلي نصيرا	فكيف الآن أطلبه غريبا

(١) في ج : « الموشحات » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب : « السلسل » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . والقصيدة في ديوانه صفحات ١٠ ، ١١ .

(٤) هذا البيت ساقط من الديوان . وفي ب : « [illegible] قضيبا » ، والمثبت في : ا ، ج . [illegible] ١٢٦ ، ١٣١ . (٥) في الديوان : « [illegible] هبوبا » . (٦) في الديوان : « [illegible] أضحى في [illegible] » .

وأقصِـدُ أن يُعيـدَ زَوا شبابي   زمانٌ غدر الوِلدان شيبا

وما خميتُ على الدَّمنِ حتى   أرومُ اليومَ مِن رَخَمٍ حبيبا (١)

إذا طَنَّ الشبابُ خشيتُ منـه   لفقدِ مُساعـدِي يُلْفَى مُجيبا (٢)

وهبْ أنى حكيتُ الشاةَ خَمْقاً   فمالِي أحسَبُ السَّنَّوْرَ ذِيبا

منها فى المديح :

لَئِنْ سعِـــدتُ ولو فى النوم عيْنِي   برؤياهُ لتلك العينِ طوبَى

وإن ضَنَّ السحـــابُ فـلا أبالِي   وفيضُ نداهُ قـــد أضحَى سَكوبا

إذا نَلقيتُ مآثرَه بأرضٍ   غـدَا الفلكُ المُدارُ بهـــا طَروبا (٣)

* * *

وقوله (٤) :

تُوزُورُ لا كنتَ قلبي فلتمَ مكروبُ   الشمسُ طالعةٌ والبـــدرُ محجوبُ

أرى الحِسانَ ومالى بينها حسَنٌ   ما كلُّ مَن نظرتْه العينُ محبوبُ (٥)

صِفْرُ الفؤادِ من الأفراحِ ممتلئٌ   بالحزنِ قلبي وفيضُ الدمعِ مسكوبُ (٦)

أبغِي القيامَ وسوءُ الحظِّ يقعِـدُني   مَن عاندَ القـدرَ المحتومَ مغلوبُ (٧)

* * *

وقوله (٨) :

حبيبٌ حمـــاهُ المُلكُ تحت قبابِهِ   يكادُ يذيبُ الرُّوحَ فرْطُ احتجابِهِ

(١) فى ب : « من رخم حبيبا » . وفى ح : « من رحم حليبـا » ، والمثبت فى : ا ، والديوان . والرخم ، بفتحتين : اللبن الغليظ ، وبضمتين : كثقل لبأ . القاموس (ر خ م) . (٢) فى الديوان : « إذا طن الذباب » ، ولعلها الرواية الصحيحة . وبعد هذا البيت فى ب زيادة : « منهـا » ، والأبيات متصلة فى سائر الأصول ، والديوان . (٣) بين هذا البيت والذى قبله ثلاثة أبيات فى الديوان .

(٤) ديوان منجك ١٠٣ ، ١٠٤ . (٥) فى الديوان : « ما كل ما نظرته العين محبوب » .

(٦) فى الديوان : « بالحزن صدرى » . (٧) فى الديوان « من غالب القدر » . (٨) ديوان منجك ٩٦ .

يديرُ على سمعِ الأماني حديثَه ... فتسكرُ أفكاري بذكرِ رُضابِهِ

يعيدُ ترابَ الأرضِ مسكاً وعنبراً ... إذا فاتَ للسكرِ فضلُ ثيابِهِ

يكلّمني باللحظِ عن أخذِ مُهجتي ... فيشتاقُ سمعي [illegible] جوابِهِ

* * *

وقوله[1]:

ما سرّف الرّوض في زهرته ... إلا وسَرّ العين منسحب[2]

كأنه السعدُ عند رؤيته ... لا شكَّ شمسُ [illegible] تحتجبُ

* * *

وقوله[3]:

تحجّب عنّي الطيفُ حتى كأنّه ... تخيّل إنساني عليه رقيبُ

وقد كان يمشي قبلَ ما احتَبكَ الهوى ... فمن حيلي المحولُ غريبُ[4]

* * *

وقوله[5]:

عِدْ وماطِلْ فقد رضيتُ به ... منكَ وإن كان بالجفا آيبُ[6]

صِدقُ وعودِ الحسانِ أجمعِها ... فدى اللذاتِ وعدِكَ الكذبُ[7]

* * *

وقوله[8]:

ألا لا تبكِ حادثةَ افتراقٍ ... ولا تفرحْ [illegible] لإيابِ

---

(١) ديوان منجك ١٢٦ . (٢) في ا : « وسر عيناه » . والمثبت في : ب ، ج ، والديوان .
(٣) ديوان منجك ١٢٧ . (٤) في الديوان : « يغشى من قبل » ، وهو خطأ ، وفيه : « وطن خاب » ، وفي الأصول : « قبل يحتبك الهوى » ، والمثبت في الديوان . (٥) ديوان منجك ١٤٠ .
(٦) سقطت : « به » من الديوان . (٧) في ب : « وعد الحسان » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .
(٨) ديوان منجك ١٣٢ .

فـــــ لذَّنبسا وماضِمْنه إلّا كخطِّ مُنَمَّمٍ فوق الـــتُّرابِ

* * *

وقوله[١] :

الموتُ أطيبُ ما يُجتَنَـــــى إن شطَّتِ الدارُ وطالَ الحجابْ[٢]

لايدخلُ النارَ أســـيرُ الهوَى إذ لا يرَى الجنّةَ أهلُ العَـــذابْ

معنى هذا البيت مضطرب ، وقد سُئِلت عنه فأجبت : بأنه معرّب من بيت بالتركية لفضولى ، ومعناه : أن نار العشق التى يعذّب بها العاشق فى الدنيا هى نارُ الآخرة عندها جنّةٌ ، فإذا دخلها العاشقُ ، والمفروض أنه من أهلِ العذاب ، يعنى فى العِشق ، لا يدخل النارَ الأُخرَويّةَ ؛ لأنها بالنسبة إليها جنة . انتهى .

وقوله[٣] :

مهلاً فتنت بى أراك عابثا وأظنه سيروح منى وارثا

مَن ذا الذى ألوى بعهدِك فى الهوى حتى انثنَيتَ عن المودّةِ ناكثا

جرّت فيك الحادثات فلم أجــد مثل الرّقيبِ إذا خلَونا حادِثا

يَنْشــه الآرامِ إلّا أنّهـــا خُلِقَتْ لنا عيناهُ سحراً نافثا[٤]

قد راح بالقَمرين طرْفى هازئا لمّا رأى فى بُرْدَتَيْكَ الثّالثا

* * *

أقول : ما تصوّرتُ أن الثناء تهوّن هذا الهوس[٥] ، ولا تذعن هذا الإذعان ، ولا تنقادُ للــكَلِمِ إلا أن يكون[٦] كلمة المعانى[٧] .

---

(١) ديوان منجك ١٣٢ . (٢) فى الديوان : « الموت لى أطيب ما يجتنى » .
(٣) ديوان منجك ٩١ . (٤) فى الديوان : « إلا أنه » . (٥) فى ب : « الهون » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٧) فى ب : « أطعان » ، والمثبت فى : ا ، ج . ولعل الصواب : « كلمة المعانى » .

فهـذا السحرُ البيـانىّ إن لم يكن السِّحْرَ المُبين ، وهـذا المُعجز الباهر ، وأنا أوّل المؤمنين .

* * *

وله من قصيدة ، مستهلها[1] :

كَبِدٌ مِن سِنانِ لَحْظِكَ جرحَى ... وعيونٌ تُرَدِّدُ الدَّمْعَ سَحَّا[2]

وحنينٌ إلى الديار ووَجـدٌ ... يستفِزُّ النُّهَى وشوقٌ ألحَّـا[3]

يا ابْنَ وُدِّى تفدِيكَ من كلِّ سوءٍ ... مُهَجٌ فيك ليس تقْبَلُ نُصْحا

قُمْ بنـا نشربِ المُدامـةَ بكراً ... حيثُ رقّ الهوى ونسكرُ صَرْحا[4]

فى رياضٍ كأنّما هىَ خَـدّا ... كَ بهاءً وطيبُ صُدْغِكَ نَفْحا[5]

مُطْلِعاً من صِبـاً وجْهكَ والفَرْ ... عِ ظلاما يُغَشِّى العيونَ وصُبْحا

سـكرَ الـكأسُ إذْ سكِرْتُ بعَيْنَيْـ ... ـكَ فـكانَ المُدامُ مِنّىَ أصْحَى[6]

* * *

هذا بيتٌ تقَلْقَل مَبْناه ، فاستغلق فهم مَعْناه ، وسكر الـكأسِ نظهور لازم السـكر وهو المُبال عليـه ، وإن صحّ أن المُـدامَ بمعنى النَّديم ، فهو المعنى الذى يُرجَع إليه .

* * *

وله[7] :

زمنُ الرّبيعِ مَطِيّـةُ الأفْراحِ ... ومُعَدِّلُ الأرْواحِ فى الأشْباحِ

---

(١) ديوان منجك ٣٩ ، من قصيدة يمدح بها محمد السكرتى . (٢) فى ب : « تردد الدمع سنحا » ، وفى ج ، والديوان : « تردد الدمع سفحا » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « وحنين إلى الديار وشوق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٤) فى الديوان : « حيث طاب لهوى » .

(٥) فى الديوان : « وطيب صدغيك نفحا » . (٦) فى ب : « مذ سكرت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٧) ديوان منجك ١٤٧

زمنٌ بهِ لولا اشتباكُ فَواقعٍ   طارَتْ نَجيّاتٌ من الأقداحِ

* * *

أخذه من قول ابن المعتز[١] :

كادتْ تطيرُ وقد طِرْنا بها فَرَحاً   لولا الشّباكُ التي صِيغَتْ من الحَبَبِ

ولأبى الحسن على بن الحسن الأندلسى :

والماء يحذَرُ منها أن تطيرَ فقدْ   صَاغَ الحَبَابُ عليها صيغة الشَّبَكِ

* * *

وله[٢] :

حمائمَ الدَّوْحِ ماهذى التَّغاريدُ   عن باعثٍ هي أم لي منكِ تقليدُ[٣]

نَوْحِي ونَوْحُكَ جنحَ الليلِ مُتَّفِقٌ   والمُشْغِلانِ لنا وَرْدٌ وتَوْرِيدُ[٤]

إن كان يغنيكِ أصواتُ الصَّفيرِ فلى   قلبٌ يمدُّه فى الحبِّ تفنيدُ[٥]

تعجّبتْ نارُ قلبى من تجلُّدِه   ومن جفونِي شكا دَمْعٌ وتسهيدُ

والحزنُ باقٍ على ما كنتُ أعهدُه   وإن تكرّر عيدٌ بعده عيدُ

جريحُ بيضِ الظُّبا تُرْجَى سلامتُه   إلا الذى جرحتْهُ الأعينُ السُّودُ

لى بالظعائنِ نهّابُ العقولِ رَشاً   قَوامُهُ بانةٌ والقلبُ جُلْمُودُ[٦]

لو مرّتِ الريحُ تَرْوِى عن ذؤابتِه   لم يبقَ من عهدِ عادٍ ثَمَّ ملحودُ[٧]

لكنّما منعتْها من مواطنِه   مَهابةٌ تتحاماها الصَّناديدُ

من الجَسابقةِ الغُرِّ الذين هُمُ   لواءُ حُسْنٍ على الأقمارِ معقودُ

نحن المُسِيئون إن جازَوْا وإن عدَلوا   وما يرَوْنَ حميداً فهو محمودُ[٨]

---

(١) ليس فى ديوان ابن معتز .   (٢) ديوان منجك ١٠٢ .   (٣) فى الديوان : « حمائم الروض » .   (٤) فى الديوان : « والمشغلات لنا » .   (٥) فى الديوان : « إن كان يقنعك صوت الصفير » .   (٦) فى ب : « نهاب القلوب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .   (٧) فى الديوان : « عن دوائبه » .   (٨) فى الأصول : « وما يروه حميدا » ، والمثبت فى الديوان .

والذلُّ أشرفُ عزٍّ في محلتهمْ ... ومُرُّ مخبرِهمْ أرْيٌ وقنديدُ[1]

لا تصحبنَّ غيرَ حُرٍّ إن ظفرتَ به ... وما سواهُ إذا جرّبْتَ منكودُ

* * *

ومن بدائعه قوله[2] :

وقد كشفَ الفصّادُ عن زَنْدِه رأى ... محاسنَ آلهةٍ فصالَ من الرشدِ

فقطَّبَ مَن أهوى وأبصرَ مِبْضعًا ... وأوقعَ ظلَّ الحُسنِ منه على الزَّنْدِ[3]

وأطلعَ نورَ الأُقْحوانِ وجيدَهُ ... من الياسمينِ الأُرْجُوانَ على الوَرْدِ

* * *

وهذا معنى ترجمه من الفارسية ، وقد ظفرتُ في العربية بما يقاربه ، وقائله أبو الحسن الجرجاني[4] :

ياليتَ عيني تحمّلتْ ألمكْ ... وليت نفسي تقسّمتْ سقمكْ[5]

وليت كفَّ الطبيبِ إذ فصدتْ ... عرقَكَ أجرتْ من ناظريَّ دمكْ

أغرتْه صبغةُ وجنتيكَ بما ... تمنيه إن نمتَ من لثمكْ

طرْفُكَ أمضى من حدِّ مبضعِه ... فالحظْ به العرقَ وارتهنْ ألمكْ

* * *

وللأمير[6] :

شمسُ الضحى وأهلّةُ الأعيادِ ... لضياءِ وجهكَ أحسدُ الحسّادِ

---

(١) الأرى : العسل ، والقنديد : عسل قصب السكر إذا جمد . (٢) ديوانه صفحة ٩٧ .

(٣) في ا : « وأبصر منضيا » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) يعني القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن ، من شعراء اليتيمة ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . معجم الأدباء ١٤ : ١٤ ، ووفيات الأعيان ٢/٤٤٠ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣ .
والأبيات في يتيمة الدهر ٤ : ١٠ .

(٥) في الأصول : « تقسمت سقمك » ، والمثبت في اليتيمة . (٦) ديوانه صفحة ١٠٣ .

وإذا شدَا بك مُطرِبٌ فى مجلسٍ   رقصَتْ لك الأرواحُ فى الأجسادِ
جرّدْتَ من سِحْرِ الجفونِ صَوارِماً   فأبَتْ سِوَى الأكبادِ مِن أغمادِ[1]
مَسَحَ الّتى من زَوْرِ طَيفِكَ راحةً   من بَعْدِ ماغسل البكاء رُقادِى[2]
ما كنتُ أفتقِدُ الشّبابَ لَوَ انّنى   عُوِّضْتُ عنـــك بِنَشْأَة المِيعادِ

* * *

وله[3] :

لا تُهْمِلِ الـكأسَ حين يَمْلأُها   مَن هو فى الحُسْنِ واحِدٌ فَرْدُ[4]
طِينَتُه عنـــبرٌ وخامَرَها الْ   مِسْكُ والياسمينُ والوَرْدُ[5]

* * *

وله[6] :

تَخِذَ الجَوْرَ والجِنايةَ عادهْ   وانتهابَ النُّفوسِ قبلَ الوِلادَهْ
لا تَضعْ سهمَ مُقلتيهِ فُؤادِى   ضِمْن تلك السّهامِ ألفُ شَهادَهْ[7]

* * *

وله[8] :

قد زارَنِى وكأنّهُ رَيْحـــانةٌ   يهتَزُّ من تحت القِباء الأخضرِ
فظَنَنْتُ منه ضِمْنَ كلّ سلامة   من طِيبه شَمّامَةً مِن عَنْبَرِ
ولـــكنّ مَبْسِمه دَنَوْتُ لِخِلْته   يا قُوتَةً مُلِئَتْ بأنفَسِ جَوْهرِ

---

(١) فى الديوان : « من سحر العيون » . (٢) فى ا : « من بعد ما غلّ البكاء رقدى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان . (٣) ديوان منجك ١٢٧ . (٤) فى الديوان : « حين يحملها » .
(٥) فى الديوان : « طينتها عنبر » . (٦) ديوان منجك ١٢٩ . (٧) فى ج ، والديوان : « مقلتيه فؤادى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٨) ديوان منجك ٧١ .

فهَصَرْتُهُ هَصْرَ النسيمِ أراكةً ... مُتلطِّفًا حتى كأنْ لم أشعرِ

مُتعانقَيْنِ على فِراشِ صيانةٍ ... مُتحذِّرَيْنِ من الصَّباحِ المُسفِرِ

* * *

وله [1] :

لا تَمِلْ بي عن العفافِ العُقارُ ... أعشقُ الغيدَ والوقارُ وقارُ [2]

أنظِمُ الشعرَ ما حييتُ وإنّي ... لَابنُ بيتٍ تُهدَى له الأشعارُ

يتحلّى بيَ الزمانُ تحلّي الـ ... ـغُصْنِ لمّا يزينه النُّوّارُ

صقلتني يدُ التجارِبِ حتى ... صحّ عزمي وطاب منه الغِرارُ

ومكاني من الفخارِ مكانٌ ... حسدتْه الشموسُ والأقمارُ

* * *

وقوله [3] :

إنّ لليلِ بقايا عنبرٍ ... في قميصِ الصُّبحِ منها أثرْ [4]

بدرتْ أيدي الصَّبا تلمسه ... فبدا عند الرياضِ الخبرْ [5]

* * *

انظُرْه مع قول البهاء زُهَير [6] :

رعى اللهُ ليلةَ وصلٍ مضتْ ... وما خالَطَ الصفوَ فيها الكدرْ [7]

خلَوْنا وما بيننا ثالثٌ ... فأصبحَ عند النسيمِ الخبرْ

* * *

---

(١) ديوان منجك : ٩ . (٢) في ب ، ج : « أعشق البيض » ، والمثبت في : ا ، والديوان ، وفي الديوان : « والوفر وفر » . (٣) ديوان منجك ١٢٦ . (٤) في الديوان : « منه أثر » .
(٥) في ب : « بدرت أيدي الصبا مبسمه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي الديوان : « بادرت أيدي الصبا تمسه » . (٦) ديوان البهاء زهير ٩٤ . (٧) في ب : « ليلة وصل بدت » ، وفي ج ، والديوان : « بدت » ، والمثبت في : ا ، وفي ب : « وما خالط الوصل » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .

وله(١):

ألا هاتِ اسْقِنى كأساً فكاسا   وحَىَّ بها ثلاثاً بل سُداسا(٢)

فإنّى فى احْتِساها لا أُعاصِى   رشاً تَخِذَ الحشا مِنّى كِناسا(٣)

حبيبٌ كلما أَلقاه يُعْفِى   فلو أهديته آساً لآسَى(٤)

يُرِيكَ إذا بدا قمرا منيرا   وعطفًا إن ثَنَى عِطفًا وماسا(٥)

ويَبْسِمُ ثغرُه عن أُقْحُوانٍ   ويَجْلو خَدُّه وردًا وآسا

خلعْتُ عِذارَ نُسْكِى فى هواه   وما راقبْتُ فى حُبّيه ناسا

فأحْلَى الحبِّ ما كان افْتِضاحاً   وأشْهَى الوصلِ ما كان اخْتِلاسا

* * *

وله(٦):

بأبِى العشقَ ليس نحسبُ أحيا   ءً ومَوْتَى نَعُدّ تحت الأراضِى

تارةً نألفُ الحياةَ وطوراً   نتمنّى بذِكرِ طِيبِ الرِّياضِ(٧)

نحنُ مابيْنَ صِحّةٍ وسَقامٍ   كجفونِ الدُّمى الصِّحاحِ المِراضِ

* * *

وله(٨):

وَمُهفْهَفٍ لولا عقاربُ صُدْغِهِ   لتناهَبَتْ وَجَناتِهِ الألْحاظُ

طارحْتُه ذِكرَ الهوَى وعواذِلِى   لا راقِدون ولاهُمُ أيْقاظُ

---

(١) ديوان منجك ٨٢، وخلاصة الأثر ٤/٤١٥. (٢) فى ب: «كاسا وكاسا»، والمثبت فى: ا، ج، والديوان، وخلاصة الأثر. (٣) فى ب: «فإنى بحسناها»، والمثبت فى: ا، ج، والديوان، وخلاصة الأثر. (٤) فى خلاصة الأثر: «فلو أعطيته آسا لآسى». (٥) فى الديوان، وخلاصة الأثر: «وغصنا إن ثنى عطفا وماسا». (٦) ديوان منجك ١٢٢. (٧) فى الديوان: «تارة نألف الفلاة»، وذلك أليط بالمعنى. (٨) ديوان منجك ٩٦.

نبذى الحديثَ ولا حديثَ كأنّما عبرَاتُنا مابيننا ألفاظُ (١)

* * *

وله (٢) :

وزارنى طيفه وهنا فأرّقنى كبارق خلال الودْق قد لمعا
فما وحقّك عن ودّ زيارته لكن ليزجرَ طرفى والرُّقاد معا

* * *

وله (٣) :

رنّحتَنى روض المحاسن ماالذى بلّغتَه من العذول اللّاحى
حتى توارتْ وردتا خدّيكما عن ناظرى ببنفسج الأصداغ (٤)

* * *

وله ، وهو معنى أبدع فيه كلَّ الإبداع ، وأتى به كالبدر خرج من تحت الشّعاع (٥) :

نبّهتُه ودواعى الأنسِ داعيةٌ إلى الطّلا وبشيرُ الصّبحِ قد هتفا
فقام من نومه وسْنانَ تحسبه بدرا تقطّع عنه الغيمُ فانكشفا
وقال هاتِ وخذها وانتهزْ فُرَصاً فما نرى الزمانَ ينقضى خَنَفا (٦)

* * *

(١) فى ب ، ح . « عبراتنا مابيننا الألفاظ » . والمثبت فى : ا ، والديوان. (٢) ديوان منحف ٩٨ ، وقبل هذا البيت قوله :

لم أنسَ ليلةَ إذ سرى الكرى غلطاً بناظرىّ ولم أعهدْها هجعا

(٣) ديوان منحك ١٢٩ . (٤) رواية البيت فى الديوان :

حتى توارتْ من لحاظى وردتا خدّيكما ببنفسجِ الأصداغِ

(٥) ديوان منحك ٨٣ . (٦) فى الديوان : « من نرى » .

وله (١) :

ياغزالاً يُقِلُّ مِسْكاً فتيقا ... فى فم يُخْجِلُ المُدامَ الرَّحيقا
قد سقاكَ الجمالُ ماءَ نعيمٍ ... مُنْبِتٍ منكَ فى الخدودِ شقيقا (٢)
لا تذرْنى نفديكَ روحى وحيداً ... أشتكى غربةً تُسىءُ الصديقا (٣)
أنا أشقى وفى سلاسلِ صُدْغَيْـ ... ـكَ فؤادى فارْحَمْ أسيراً طليقا
جرحتْ مقلتاكَ قلبى لهذا ... دُرُّ دمعى قد استحالَ عقيقا (٤)
لو ذكرنا آمالنا عند حصورِ الرَّا ... حِ بانتْ فلم تجد مستفيقا
بكَ أرواحُنا تُسَرُّ وترتا ... حُ فتختارُكَ الرفيقَ الرفيقا
الصَّبوحَ الصَّبوحَ قبلَ مشيبٍ أ ... حظ منه أو الغبوقَ الغبوقا
نجتنى زهرةَ الشبابِ ونلهو ... حيثُ نلقى الأشواقَ روضاً أنيقا
بين وعدِ آمالنا ووعيدٍ ... منكَ نستنطقُ الكذوبَ الصَّدوقا

* * *

وله (٥) :

أفديه من قمرٍ أطوارُه شغلتْ ... قلبى وعقلى بتغريبٍ وتشريقِ (٦)
مَن السليمُ وقد أحنى حواجبَه ... وطَرْفُه بين تسديدٍ وتفويقِ

* * *

وله (٧) :

تلوحُ لنا بالروم من كلِّ جانبٍ ... وجوهٌ تُميدُ الصبحَ والليلُ حالكُ

---

(١) ديوان منجك ١٠٣ . (٢) والديوان : «منبت و الخدود منك شقيقا» . (٣) و الديوان «لا تذرنى فدتك روحى فريدا» . (٤) فى الديوان : «جرحت مقلتاك عقى لهذا» .
(٥) ديوان منجك ١٢٩ . (٦) فى الديوان : «أطواقه شغلت» . (٧) ديوان منجك ١٤٦ .

أطلعا في دُرٍّ [illegible] ثغورَها ... وتشرقُ فيها بالجمالِ المسالكُ [1]

* * *

وله [2] :

لا تغترر بشبابك الغضّ الذي ... [illegible] [3]

ودعِ [illegible] النفسِ عنك فإنما ... حبّ الجمالِ [illegible] جمالُ [4]

نعمَ العيونُ الفاتكاتُ [illegible] ... [illegible] الله منها [illegible] [5]

* * *

وله [6] :

[illegible] بك لا تجدى [illegible] ... ولا من [illegible] [illegible]

[illegible] أذن الحبُّ [illegible] ... وعنّفته على الشكوى [illegible] [7]

عامٌ [illegible] عنك فيه [illegible] ... [illegible] أبدا تشكى [illegible]

والكأس [illegible] عنها تشتكى [illegible] ... والروضُ من [illegible] [illegible] [8]

كلّفتَ [illegible] اليوم [illegible] ... [illegible] من نسمة الوادي [illegible] [9]

* * *

وله [10] :

قد زارَ مَن كنتُ قبلَ زورتِه ... أراهُ لكن بمقلةِ الآمالِ [11]

(١) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان [illegible] : [illegible] .
(٢) ديوان [illegible] ١٠٠ ، وخلاصة الأثر ٤ : ١٨ . (٣) في ج : « لا [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ب ، والديوان ، وخلاصة الأثر ، وفي ب : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر . (٤) في ب : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر . (٥) في خلاصة الأثر : « نعم العيون [illegible] » . (٦) ديوان [illegible] ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٧) في الديوان : « [illegible] على الشكوى [illegible] » . (٨) في الديوان : « [illegible] » .
(٩) في ب : « كلفت [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان . (١٠) ديوان [illegible] ١٢٥ .
(١١) في ا : « [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان .

[illegible] صحيحَيْن والعشــــاقُ له ... ثوبٌ علينــا قد زُرَّ بالقُبَلِ

* * *

ومن رُباعيّاته قوله[1] :

ما مرَّ تذكُّرُ الكرى فى بالى ... إلّا دفعتْهُ راحةُ البَلْبالِ[2]

أشفقتُ من الجفون لمّا يؤذى ... قُدّامَ خيالك العزيز الغالى[3]

* * *

مثله للبابى[4] ، [5]وفيه زيادة[5] :

أَرُدُّ الكرى إذ زار خيفةَ نظرةٍ ... إليه فتُدْمِى رِقَّةَ خدِّه القانى

وأمنعُ خوفًا أن تمرّ خيالَه ... بعينى فتؤذى أخمصيهِ بأجفانى

وأصله قول الوقشى[6] :

إذا ظنّ وكرَ المقلتين طائرُ الكرى ... رأى هُدْبَها فارتاع خوفَ الحبائلِ

ويقاربه قول الصلاح[7] الصفدى :

أيا وحشتنا فى ليل شوقى لنوره ... ويا فرحتنا لو كان فى النوم يطرقُ[8]

---

(1) ديوان منجك ١٣٨ . (2) البلبال : شدة الهم . (3) فى الديوان : « أشفقت من الجفون لمّا يؤذى » . وفى ب : « خيالك الشريف الغالى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

(4) يعنى مصطفى بن عبد الملك ، وقيل عثمان البابى الحلبى ، الأديب ، وسيترجم المؤلف فى قسم حلب برقم ١١٠ . (5) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(6) فى ب : « الرقشى » ، والصواب فى : ا ، ج ، والوقشى هو هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الأندلسى ، أبا الوليد ، المتوفى سنة تسع وثمانين وأربعمائة . بغية الوعاة ٢/٣٢٧ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ٢٢٣ ، معجم الأدباء ١٩/٢٨٦ .

أو أحمد بن عبد الرحمن الوقشى ، أبا جعفر ، وزير أديب ، كانت وفاته سنة أربع وسبعين وخمسمائة . نفح الطيب ٢/٢٥٧ – ٢٦٧ .

ووقش [illegible] هامش نفح الطيب ٢/٢٥٨ .

(7) فى ب : « الصلاح » ، والمثبت فى : ا ، ج . (8) فى ب : « أيا وحشتى [illegible] ويا فرحتى لو كان بالنوم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهبتُ له زِرَّ الخيانِ منعّمه　　مخافةَ أن تجري دموعي فيغرقُ

* * *

وللأمير مجلك[1] :

انْظُر إلى فَحْمٍ كأنّ لهيبَه　　لَمْعُ الأسِنّةِ في مُثارِ القَسْطَلِ[2]

وكأنّه والنّارُ في أحْشــائِه　　صدْرُ الحسودِ ونِعمةُ المُتفضّلِ[3]

* * *

هذا التّشبيه تناوله من قول عبد الجليل المُرسِي[4] في وصف فُرْن[5] :

رُبَّ فُرْنٍ رأيتُه يتلظّى　　وربيعٌ مُخالِطي وعميدي[6]

قال صحبي فقلتُ صــدْرُ حَسُودٍ　　خالطَته مكارمُ المحسودِ[7]

ولابن[8] مجير الأندلسيّ ، وقد حضر مع عدوٍّ له جاحدٍ لما فعله معه من خير ، وأمامهما زجاجةٌ سوداءُ فيها خمرٌ ، فقال له الحسود المذكور[9] : إن كنت شاعراً فقل في هذه .

فقال[10] ارتجالا :

سنَشْكو إلى النّدمانِ أمْرَ زُجاجةٍ　　تردّتْ بثوبٍ حالِكِ اللّوْنِ أسْحَمِ[11]

---

(١) ديوان مجلك ١٣٣ .　(٢) في الأصول : « في مثال القسطل » ، والمثبت في الديوان .

(٣) في ب : « والنار في وجناته » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .

(٤) عبد الجليل بن وهبون المرسي ، أبو محمد ، كان من جلة شعراء المعتمد بن عباد ، وكان حسن الشعر ، لطيف المأخذ ، حسن التوصل إلى دقيق المعاني .

انظر : قلائد العقيان ٢٤١ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١١٨ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ١٥٩ ، فوات الوفيات ١ / ٥١٣ .

(٥) البيتان في قلائد العقيان ٢٤٤ .　(٦) في ب : « وربيعي مخالف وسعد » ، وفي ج : « وربيع مخالطي وعميدي » ، والمثبت في : ا ، وقلائد العقيان .　(٧) في ب : « صدر حسودي » ، والمثبت في : ا ، ج ، وقلائد العقيان ، وفيه : « قال شبهه فقلت » .　(٨) في ج : « وللأمير » ، والمثبت في : ا ، ب .　(٩) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .　(١٠) مكان هذه الكلمة في ب بعد قوله : « زجاجة » الآتي ، والمثبت في : ا ، ج .　(١١) في ب : « أمر زجاجتي » ، والمثبت في : ا ، ج .

تَغَيَّبُ بها شمسُ المدامة بيننا ... فتغرُبُ في جُنْحٍ من الليل مظلمِ [1]

وتَجْحدُ أنوارَ الحُمَيَّا بلونِها ... كقلبِ حَسودٍ جاحدٍ يدَ مُنْعِمِ

وقد أحسن القاضى التَّنُوخِى [2] ، فى تشبيه النار ، حيث قال [3] :

فانهتِفْ بنارٍ إلى فَحْمٍ كأنّهما ... فى العينِ ظُلْمٌ وإنصافٌ قد اتّفقا [4]

* * *

وللأمير ، وهو من بدائعه [5] :

لو لم يكُنْ راعَها فِكْرٌ تصوَّرَها ... مِن وَالِهٍ وتَمَنَّتْها مُقْلةُ الأملِ [6]

ما قابلَتْ نصفَ بدرٍ بابْنِ ليلتِه ... وألقتِ الزَّهْرَ فوق الشمسِ من خَجَلِ

قالت : هذان البيتان دُرَّان أو وردتان [7] .

* * *

ومن خَمْرِيّاته التى تُصيِّر الزاهد ضَجِيعَ دَسْكَرة [8] وحان ، وتنوب عن لذة السماع ومطربات [9] الألحان [10] :

أدِرِ المدامةَ يا نديمى ... حمراءَ كالخدِّ اللطيمِ

تسْرِى بأرواحِ النُّهَى ... كالبُرْءِ فى الجسمِ السقيمِ

وأقِمْ إذا جَنَّ الدُّجَى ... مُتردِّيًا ظِلَّ الكرومِ

---

(١) فى ب : « فتغرب فى شمس » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) يعنى أبا القاسم على بن محمد بن داود التنوخى ، من الأدباء ، الشعراء ، القضاة ، ولى قضاء البصرة والأهواز ، وتوفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .
معجم الأدباء ١٤/ ١٦٢ ، يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٦ .

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٣٤٠ . (٤) فى يتيمة الدهر : « ونهض بنار » . (٥) ديوان منجك ١٣١ .

(٦) فى الديوان : « من واله أو رأتها مقلة الأمل » . (٧) فى ج : « درتان » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) فى ب : « ذا سكرة » ، والمثبت فى : ا ، ج . والدسكرة : بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، القاموس (د س ك ر) . (٩) فى ب : « ومطرب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١٠) ديوان منجك ٨١ ، خلاصة الأثر ٤/ ٤١٤ ، ٤١٥ .

فالجوُّ رائقٌ كأنما صقلتْه أنفاسُ النسيمْ

وبدتْ زهرُ النجو مِ تبدُّدَ العِقدِ النظيمْ

[illegible] هاتفًا ومتجاوبًا من كلِّ ذي نغمٍ رخيمْ

بدرٌ يريكَ محاسنًا يسبي بها عقلَ الحليمْ (1)

إن ماسَ يُزري بالقنا وإذا رنا فبكلِّ ريمْ (2)

في روضةٍ سحّتْ بها أيدي الصَّبا حِبَرَ الجميمْ

الجميم : مجتمع من (3) النبت ، أى النبت (4) .

ضحِكتْ بها الأزهارُ لمّا أنْ بكى جَفنُ الغيومْ

كم ليلةٍ قضّيتُها في ظلِّها الصافي الأديمْ (5)

متذكّرًا عهدَ الصِّبا متناسيًا ذِكرَ الرسومْ

نشوانَ من خمرِ الصِّبا جذلانَ بالأنسِ المقيمْ

حيثُ الشبيبةُ غضّةٌ والوقتُ مقبِلُ النعيمْ

* * *

قلت : وقد اشتُهر له في المدامة (6) والنديم ، ما يُسلي عن طعم الحديث وصفوِ القديم .

مع أنه ما عاقر عُقارًا ، ولا وهب لمجلسِ راحٍ وقارًا .

هذا ما سمعته من فيه ، ولم يُنقل عنه ، فما أعلم من ينافيه .

* * *

(1) في [illegible] : « [illegible] » . (2) في [illegible] : « [illegible] » . (3) [illegible] : [illegible] ، وهو في : [illegible] . (4) في [illegible] (ج ه م) ١٢ ، ١٠٧ : « واجتمع [illegible] » [illegible] . الجميم : [illegible] . (5) [illegible] الأديم . (6) في ب : « المدامة » ، والتصويب من : ا ، ج .

ومما يستجاد له قوله[1] :

منعتك رؤيته كشيح — من أن تمر فسلما[2]
إن تخش من نظر إليـ — ـه الهلال تكرما
فلعل لحظي يلتقي — وهنا ولحظك في السما

* * *

أصله قول بعضهم :

إلى الطائر النسر انظري كل ليلة — فإني إليه بالعشية ناظر[3]
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده — فنشكو جميعا ما تجن الضمائر

ولابن المعتز منه[4] :

ألست أرى النجم الذي هو طالع — عليك فهذا للمحبين نافع[5]
عسى يلتقي في الأفق لحظي ولحظها — فيجمعها إذ ليس في الأرض جامع[6]

ولبعض شعراء «الخريدة» :

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته — لعل طرفك الذي أهواه ينظره

* * *

ومن صنائعه قوله[7] :

عدة الحمد يرتع وحسنه — وثمار الشكر تحميها الكرام
أعذب الأشياء في ممنوعها — ومعرض الذي يحمو الغرام
من يدنه سهران في كسب العلا — حرم الغمض عليه والمنام

---

(١) ديوان [illegible] ٩٧ . (٢) في [illegible] والديوان : «[illegible] رقه كشبح» ، وعلى [illegible] «[illegible] رقه كشبح» ، [illegible] . (٣) في [illegible] : «[illegible] كل [illegible]» ، [illegible] .
(٤) ديوان ابن المعتز [illegible] ٨٨ . (٥) في الديوان : «ألست أرى» . (٦) في الديوان : «[illegible] ... فيجمعنا» . [illegible] . (٧) [illegible] هذه الأبيات في ديوانه .

قالت : هذه القَصيدةُ لا أرَى لها مِثالا ، كلما قد كَتبتِ الخطَّ سَطْرها اللفظُ أمثالا :

* * *

وله [١] :

أَغارُ إذا وَصفْتكَ مِن لِساني ... ومِن قلبى عليكَ ومِن بَنانِي [٢]

لئِنْ منعتْك قَوْمى عن حديثى ... فكم باتتْ تُناجِيكَ الأمانِي [٣]

وإنْ حَجبوكَ عن نَظَرى فإنّى ... أراكَ بِعَيْنِ فِكْرى من مكانِي [٤]

وإن تكُ دارُ صدّكَ لى تلظَّى ... فمنكَ أشمُّ رائحــةَ الجِنانِ

وإنْ شرَّقتَ أو غرَّبتَ عنّى ... فما لكَ منْزِلٌ إلا جَنــانِي

سقَى الأثلاتِ مِن يَبْرِينَ دَمْعِى ... وحيَّ العهْدَ هاتيكَ المَغانِي [٥]

معاهدُ كمْ جَنَيْتُ العيشَ غضًّا ... بها زمنًا ولمْ أعهــدْ نَجانِي [٦]

أروحُ بها أجرُّ الذَّيلَ تِيهًا ... وأسْمَى الرَّاحَ مِن رَاحِ الغَوانِي

ليالٍ كلُّهــا سَحَرٌ ودهرٌ ... فؤادى منه يرتعُ فى أمانِ [٧]

فَعَـاطَنِي الزمانُ وقالَ كَيْلًا ... ولَمَّا الصِّبـا فى العُنْفُوانِ

أقبْلَ الأربعين أصيبُ شَيْبًا ... فما عذرُ المشيبِ وقد دهَانِي [٨]

طوتْ أيدى الحوادثِ بَسْطَ لَهْوى ... وألوَتْ من مواطِنــه عِنانِي [٩]

* * *

---

(١) ديوان منجك : ١٤ .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « ومن قلبى عليك » ، والمثبت فى الديوان . (٣) فى الديوان : « من حديثى » .

(٤) فى ب : « عن عيني فإنى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٥) يبرين : اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء ، من بنى سعد ، بالبحرين . معجم البلدان ١/٨٨ ، ٤/١٠٠٥ . ونجد : أول مطر الربيع . (٦) فى ا : « ولم أعهد نجانى » ، وفى ب : « ولم أعهد لجانى » ، وفى ج : « ولم أعهد نجانى » ، والمثبت فى الديوان . (٧) فى الديوان : « كلها سحر ودهرى » .

(٨) فى ا : « أصير شيبا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان . وبعد هذا البيت فى ب زيادة : « وله » ، والأبيات متصلة فى : ا ، ج ، والديوان . (٩) فى الديوان : « عن مواطنه » .

وله[١]:

نفسٌ تُعلَّلُ بالأمانِي   لا بالقِيانِ ولا القَنانِي[٢]

ومَدامعٌ مسفوحةٌ   بين المعاهدِ والمغانِي[٣]

وأبيتُ مَضمومَ اليدَيْـ   ـنِ على التّرائبِ والجَنانِ

أشكو الصّبابةَ للصّبا   بةِ بالمدامعِ لا اللِّسانِ

وأقولُ إذْ هتَفَتْ بنا   وَرْقًا شَجاها ما شَجانِي[٤]

يا وُرْقُ ما هـذا النّوا   حُ فبعضُ ما عندِي كَفانِي

غادرْتُ بيْنَ الغوطَتَيْـ   ـنِ بمنزلِ السّامِي المكانِ[٥]

أمَا لهـا كبدٌ على   مُذابةٌ ممّـا دَهانِي[٦]

تستخبِرُ الرُّكبانَ عَنْ   حالِي وتنْـدبُ كلَّ آنِ

فعسى الذي أبلَى يُعيـ   ـنُ ويلتقِي نـاءٍ بـدانِ

* * *

وله[٧]:

قُمْ هاتِها فانتهابُ العيْشِ مُغتنَمٌ   من كفِّ مُعتدِلٍ في خيرِ إبّانِ

حيثُ الرياضُ اكتسَتْ من سُندسٍ حُلَلًا   وتوّجتْ بيواقيتٍ وعِقيانِ[٨]

والمِسْكُ في الفلَكِ المَلْوِيِّ إذ رتَعتْ   غزالةُ الأفْقِ والكافورُ سِيّانِ[٩]

* * *

(١) ديوان منجك ١٠٩ ، خلاصة الأثر ٤/٤١٦ ، ٤١٧ . (٢) فى ا : «لا بالقيان وبالقنانى» ، والمثبت فى : ب ح ، والديوان . (٣) فى ب : «من المعاهد للأغانى» ، والمثبت فى : ا ، ح ، والديوان . (٤) فى الديوان : «ورق شجاها» . (٥) تقدم التعريف بالغوطتين ، فى صفحة ٧٢ . (٦) فى الديوان : «مذابه مما نعانى» ، وفى خلاصة الأثر : «أو ملها كبد على» . (٧) ديوان منجك ٨٢ . (٨) فى ب : «من نرجس حللا» ، وفى ح : «من سيدى حللا» ، والمثبت فى : ا ، والديوان . (٩) رواية صدر البيت فى الديوان :

* والمِسكُ فى الحَمَلِ المُلوِى إذا رتعتْ *

وله[1]:

وحبيبٍ مكلّلٍ بعيونٍ جعلتْ طوقه الليالي يمنى
يتشكّى من البضاضةِ حتّى لو جعلْنا الفراشَ من ياسمين[2]

* * *

قوله: «مكلل بعيون»: استعمال لطيف، أول من استعمله بشار بن برد، في قوله[3]:

ومكلّلات بالعيون طرقننا ورجعن ملسا[4]

وقيل في معناه[5]: إنّهن لحسنهن تمتد الأبصار إلى وجوههن ورؤوسهن، فكأن لهن[6] إكليلا من العيون.

* * *

ومن أبياته الفذّة[7] قوله[8]:

صادفْنه فتناولتْ لحظاتُها عقلي وأعرضَ نافراً متجنّبا[9]

* * *

وقوله[10]:

وابتسمَ الوردُ فكادتْ له تمزّقُ الراحُ قميصَ الزجاجِ

* * *

وقوله[11]:

بعضُ الدواتِ هي النعيمُ لمبصرٍ والبعضُ منها في الجفونِ قروحُ

* * *

---

(١) ديوان منجك ١٢٥. (٢) في الديوان: «لوجعت الفراش». (٣) ديوانه (العلوي) ٢ : ١٤٤.
(٤) في ب: «طرقننا رجما»، والمثبت في: ا، ج، وفي ا، ب، ج: «ورجعن لنا»، والمثبت في الديوان. (٥) انظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري ٢/١٩٦. (٦) في شرح ديوان المتنبي: «بها». (٧) في ب: «الفرة»، والمثبت في: ا، ج. (٨) ديوان منجك ٣١.
(٩) في الديوان: «نافرا متحجبا». (١٠) ديوان منجك ١٢٦. (١١) ديوان منجك ٢٧.

وقوله[1] :

إن كُتْبِي إليه صُحُفُ الأماني   وبها الرُّسْلُ بيننا الأرواحُ[2]

* * *

وقوله[3] :

مُتوَّجُ الرَّاحِ بالإبريقِ ذو قُرْطٍ   مثلُ الهلالِ لهُ الجوزاءُ زُنَّرْ

* * *

وقوله[4] :

طيرٌ أعارَ الغصنَ جُنْكاً رُكِّبَتْ   أوتارُه من فِضَّةِ الأمطـارِ[5]

* * *

وقوله[6] :

إذا أمسكتْ المرآةَ ينظرُ وجهَـه   فظاهرُها بدرٌ وباطنُهـا شمسُ

* * *

وقوله[7] :

ومُدامي ذِكْرُ الحبيبِ ونَقْلِي   قُبَلُ الظَّنِّ من شِفاهِ المُحالِ[8]

* * *

وقوله[9] :

تقبيلُ زوجٍ يزورُ في زمنٍ   لو زارَ فيه الحبيبُ ما قُبِـلا

* * *

(١) ديوان منجك ٩٠ ، ريحانة الألبا ١/٢٤٧ . (٢) في الديوان : « بيننا أرواح » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج ، وريحانة الألبا . (٣) خلاصة الأثر ٤/٤١٦ . (٤) ديوان منجك ٨٠ ، وريحانة الألبا ١/٢٤٤ . (٥) في الريحانة : « طير أعاد الغصن » ، والجنك : من آلات الطرب .
(٦) ديوان منجك ١١٨ . (٧) ديوان منجك ٣٣ . (٨) في ب : « قبل الثغر » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان . (٩) ديوان منجك ١٥٠ .

وقوله[1] :

الجسمُ يبْرأُ بالعلاجِ سَقامُــه ... وشِفَا النفوسِ صَداقةُ الخلّانِ[2]

* * *

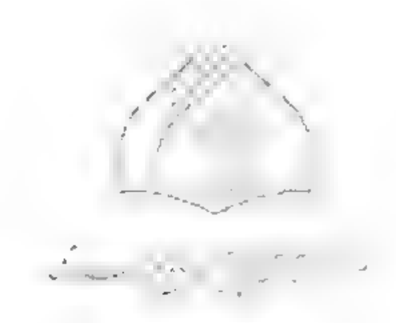
وقوله[3] :

بعضُ الحسانِ تَراهُ عند مالـكهِ ... كأنه العيد فى أيّام كانونِ

* * *

وقوله[4] :

أحْبَبْتُ من أجلِه مَن كان يُشْبِهُه ... حتى حكيْتُ بجسمى سُقْمَ جَفْنيهِ[5]



(١) ديوان منجك ٢٦ . (٢) فى ب : « الجسم يبرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وفيه : « فالجسم يبرأ » . (٣) ليس فى ديوانه . (٤) ديوان منجك ٩٨ .

(٥) فى ب : « سقم عذبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

٨

عبد اللطيف المنقــــارى *

ماجدٌ استوفى شرفَ الأرومة، واستغلق[1] تربةَ النسبة[2] بزومة.

فما بات إلا تكميلَ النفس وجِـدَّه وكَلَفَه؛ لأنه أتى الفضلَ وهو لعمرى لا يتكلَّفه.

فهو معروف بعلمه وفضله، ومشهورٌ له بنبله وفضله.

له المقامُ الأحظى، والمعارفُ التي ملأتْ[3] سمعاً وخَطًّا.

وهو من[4] منذُ خُلعت عنه تمائمُه، ونِيطتْ عليه عمائمُه.

مخطوب الحظوة عند الأنام، حالٌّ من الأئمات فى الذِّروة والسَّنام.

تارة يعيد[5] منى، وتارة يستعبد ثنائى.

تُروى محاسنُ لفظه وكأنها ... دُررٌ وآراءٌ كمثل دَرارى

ومآثرٌ قد خُلِّدتْ فكأنها ... [illegible] وعزمٌ مثلُ حدِّ غِرار

(*) عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم، المعروف بالمنقار، ابن المنقار، الدمشقى، الحنفى.
هكذا ساق نسبه المحبى، فى خلاصة الأثر، وأورد ابن معصوم فى سلافة العصر نسبه هكذا:
عبد اللطيف بن يحيى الدين محمد المنقارى. وانظر فى هذا ما كتبته فى هامش ترجمة [illegible].
أخذ المنقارى العربية عن الحسن البورينى.
وتفقه بعبد الرحمن العمادى، وأحمد بن محمد بن قولا قسم.
وسافر إلى حلب صحبة [illegible]، وإلى [illegible] بكر، وولى تدريس المادرائية، وكتب لمعيد الأسئلة.
كان من [illegible] حسن البديهة، جيد الشعر، فاضلا نبيلا.
توفى سنة [illegible].
خلاصة الأثر ٣ / ٢٠٠، وريحانة الألبا ١ / ١٣١، سلافة العصر ٣٩٤.

(١) فى ا: «[illegible]»، وفى ج: «واستغلق»، والمثبت فى: ب. (٢) فى ج: «عزيزة»، والمثبت فى: ا، ب. (٣) فى ب: «ملأت»، والمثبت فى: ا، ج. (٤) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج. (٥) فى ب: «يستعيد»، والمثبت فى: ا، ج.

إلى أن فُجِع به[1] المجدُ الأثيل، وفُقِد من الدنيا فقيدُ[2] المثيل.

وله أدبٌ نَقْدُه نَضّ[3]، ومَنْطِقُه[4] غَضّ.

أخذَتْ كَلِمُهُ مجامعَ القلوب، وملَك فنُّه[5] الغايةَ من حسن الأسلوب.

وقد أثبتُّ له ما تستهديه بُرْداً مُوَشّى، وتستطيبه خدًّا بالعِذار الرَّيحانيّ مُحَشّى.

فمنه قوله، من قصيدة، أولها[6]:

بين حَنـــايا ضُلوعِيَ اللَّهَبُ	ومن جفوني انْسَكبت السُّحُبُ[7]
وفي فؤادي غليـــلُ ممتزجٍ	يعـــافُ إلا المزارَ مُقتربُ[8]
يُزري اليـــومَ شادنٌ غَنِجٌ	يَعْبَثُ بالقلب وهو مُنْتَهِبُ[9]
يَسْنَحُ لكن بِمُقْلَتَيْ رَشَأٍ	والقدُّ إن ماد دونه القُضُبُ[10]
خَصْرٌ وِشاحٌ بِرَبْعِه هَيِفٌ	ليس كخَوْدٍ يَزينها القُلُبُ[11]
إن لاح في الحيّ بدرُ طلعتِه	فالشمسُ في الأفق منه تحتجبُ
أتلفني ما حكت بُروقُ مبسمِه	يبرق إلا ومنه الشَّنَبُ
يطفو على الثغرِ في مُقَبَّلِه	حَبابُ ظَلْمٍ وحبذا حَبَبُ[12]
كأنه لؤلؤٌ يُبَدِّدُه	أيدي عذارى أفسى بها اللعبُ
ما مرّ في الحَلْيِ وهو مؤتلقٌ	إلا ازدهى حَلْيُ بُرْدِه الذهبُ[13]

(1) في ب: «فيه»، والمثبت في: ا، ج. (2) في ب: «فقد»، والمثبت في: ا، ج.
(3) نض المال: صار نقدا بعد أن كان متاعا. والنض: الدرهم والدينار. (4) في ب: «ومقطعه»، والمثبت في: ا، ج. (5) في ا: «فنه»، والمثبت في: ب، ج. (6) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/٢١، ٢٢. (7) في خلاصة الأثر: «بين حنايا». (8) في ب: «غليل ممتزج»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر، وفي خلاصة الأثر: «يعاف أن المزار». (9) في ب: «يعبث في القلب»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر، وفي: ج، وخلاصة الأثر: «وهو منتهب»، والمثبت في: ا، ب. (10) في ب: «والقلب إن مس»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر.
(11) الخود: المرأة الشابة، والقلب، بالضم: سوار المرأة. (12) الحبب: تنضد الأسنان.
(13) في ب: «وهو مؤتلف»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر.

يعطو بجيـــــدٍ كقرطِه قلِق ... والقلبُ ماجال منه مضطربُ(١)

وسانحاتٍ نفثنَ في عقـــــدِ الأ ... لبابِ سحراً ودونه العطَبُ

به اختلسنَ الفؤادَ من كثَبٍ ... واقتادَ جسمي السّقامُ والوصَبُ(٢)

تخرجُ منهن مهجتي مفصــلٌ ... يفعلن ماليس تفعــلُ النصبُ

ظعنَّ والقلبُ في ركائبهم ... تخفقُ والجسمُ للضّنى نهبُ(٣)

من فوقِ خلبي وضمتُ صالح يدي ... فلم أجدْهُ وصــــدّهُ لهبُ(٤)

أمـــــا تيقّنتُ أن دوحتهم ... ليس لهـــــا ماحييتُ منقلَبُ

أبديتُ صبرا لم يُبله أحـــــدٌ ... واقتسمتني مآربٌ شعَبُ

منهنّ لي ذاتُ دملجٍ سلبتْ ... عقلي وعادتْ تقولُ ما السببُ(٥)

* * *

هذا على أسلوب قول مهيار(٦):

فلمني وانثنتْ تسألُ بي ... أيّها الناسُ لمن هذا القتيلُ(٧)

* * *

يصبـــو جنونا ويدّعي سفَهاً ... أنّي له دون ذا الورى طلَبُ(٨)

وليس عنـــدي علمٌ بصبوته ... ولا تعهـــدتُ أنه وصِبُ

---

(١) في ب ، ج : « والقلب ما زال منــه » . والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر ، وفي ب ، وخلاصة الأثر : « يضطرب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « به اختسنا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « ظعنوا والقلب » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في خلاصة الأثر : « وصدها لهب » ، والخلب ، بالكسر : حجاب الكبد . (٥) الدملج : حلي يلبس في المعصم .

(٦) أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي ، كان مجوسيا فأسلم على يد الشريف الرضي ، وعليه تخرج في الشعر والأدب ، وهو من شعراء دمية القصر ، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

تاريخ بغداد ١٣/٢٧٦ ، دمية القصر ٧٦ ، المنتظم ٨/٩٤ .

والبيت في ديوان مهيار ٣/١٧٩ ، وخلاصة الأثر ٣/٢٢ .

(٧) في الديوان : « وانبرت تسأل بي » . (٨) في ج : « دون هذا الورى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

لو كان فيما يقولوا شعرة	[illegible] عزة [illegible]
فقلت لو شئت يمناي لما	[illegible] في أرب
إن نحولي وحسرتي [illegible]	بعد أنيني [illegible] عجب (١)
أشكو إذا كان منصفاً حكم	[illegible]
لكنني الآن قد رحمت ولا	[illegible]
يا نفس عج عن حمى مكائدهم	واترك مقاماً به لك التعب (٢)
كم ذا أقاسي [illegible] جفونهم	وأنت والدهر [illegible] حرب
وكم أماني [illegible]	عهد [illegible] (٣)
فخل [illegible] ذكر مفردها	[illegible]
وغض طرفك عن كل غانية	والزم [illegible] يحتجب
إن عنده [illegible]	[illegible] مذهبي عجب (٤)
ولا تسمع [illegible]	[illegible] إلى [illegible] العذب
وجد [illegible]	[illegible] الهرب

* * *

وله من قصيدة أرسلها من ديار بكر (٥) يتشوق بها إلى دمشق ويذكر متنزهاتها .

---

(١) في ب : [illegible] ، والمثبت في : ا ، ج ، [illegible]
والمثبت في : ا ، ب ، [illegible] من خلاصة [illegible] .
(٢) في ب : « من [illegible] مكائدهم » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : [illegible]
[illegible] في : ا ، ج [illegible] ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : [illegible]
[illegible] ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) ديار بكر : [illegible]
[illegible] ، معجم البلدان ٢ : ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

ومطلعها[1] :

سقى دارَ سُعدى من دمشقَ غَمامُ ... وحَيّى بقاعَ الغوطتين سلامُ[2]

وجاد هِضابَ الصالحيّة صَيّبٌ ... له في رياضِ النَّيرَبَين رُكامُ[3]

منها :

ذكرتُ بحمى الدار ذكرَ خريدةٍ ... [illegible] كفلمّا [illegible] سلاه أُوامُ

فنحتُ على تلك الربوع تشوّقًا ... كما ناح من فَقْدِ الحميمِ حَمامُ

أُراصحبى نجوى يومَ ترحّلوا ... وحَزْنُ الفلا ما بيننا وإكامُ

[illegible] هل جاد بعدنا ... دمشقَ كأجفاني القِراحِ غمامُ[4]

وهل عذباتُ البانِ فيها موائسٌ ... وهل [illegible] هل أبرزته كِمامُ

وهل أعشبَ الروضُ الدمشقيُّ بعدنا ... وهل هبّ في الوادي السعيدِ بشامُ[5]

وهل ربوةُ الأُنسِ التي شاع ذكرُها ... تحوكُ بها الأنهارُ وهي حِمامُ[6]

وهل شرفُ الأعلى مُطِلٌّ بمرفعٍ ... على المرجةِ الخضراء فيه كِرامُ[7]

وهل ظِلُّ ذاك الدوحِ سافٍ وظِلُّه [illegible] ... وبدرُ الحيّ فيه تمامُ

وهل ظبياتٌ في ضُمَيرٍ سوانحٌ ... وبِيضُ المها هل قادهنّ زمامُ[8]

ضُمَير ، مُصغّر : قرية بدمشق[9] .

---

(١) سقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والقصيدة في خلاصة الأثر ٣ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) تقدم التعريف بالغوطتين في صفحة ٧٢ . (٣) تقدم التعريف بالصالحية في صفحة ٧٢ ، والنيربين في صفحة ٧٣ . (٤) في [illegible] « كأجفان القراح » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٥) في ج ، وخلاصة الأثر : « وهل هبّ في الوادي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٦) في ب : « تحوك بها الأزهار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفي خلاصة الأثر : « وهي حمام » ، والأنهار [illegible] (٧) الشرف الأعلى : قطعة من سفح قاسيون ، وهي من سوق ساروجا [illegible] ، وهو مطل على المرجة ، والمرجة من المحاسن التي لا تدرك . منادمة الأطلال [illegible] . (٨) في [illegible] ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٩) قال ياقوت : [illegible] هو [illegible] قرب دمشق مما يلي السماوة . معجم البلدان ٣ / ٤٨١ .

وهل أمَوىُّ العلمِ والدين جامعٌ شعائرُه والذّكرُ فيه يُقامُ

وهـــل قاسيــونٌ قلبُه متفطّرٌ وفيه الرّجالُ الأربعونَ صيــامُ

ألا ليتَ شعرِى هل أعودُ لجلّقٍ وهل لى بوادى النّيرَبَيْنِ مُقامُ[1]

وهـــل أرِدَنْ ماءَ الجزيرةِ تارةً بمقصفِها والحظُّ فيـــه مرامُ[2]

سلامٌ على [illegible] المغنى وأهلِهـــا وإن ريشَ لى من [illegible] سهامُ

لقد جُمِعت فيها محاسنُ أصبحتْ [illegible] المدحِ فخرَ الشامِ وهْىَ ختامُ

بلادٌ بها الحصباءُ دُرٌّ وتُربُهـــا عبيرٌ وأنفـاسُ الشّمالِ مُدامُ

وغُوطتُها أضحتْ بجبهةِ روضِها نصيبٌ فخلخالُ الغديرِ لِزامُ[3]

تنائيتُ عنها والفؤادُ مُشتّتٌ ووعدُ التلاقى [illegible] ورغامُ[4]

لقد كدتُ أقضى من تمادِى تشوّقًا إليها وجسمِى قد عراهُ سقامُ

وله[5] :

أبكى على زمنٍ قضّيتُه جذلًا [illegible] بروضِ العزِّ والنِّعمِ

مضى كأنْ لم يكنْ ذاك الزّمانُ أتى حتّى كأنّى به فى غفلةِ الحُلُمِ

ما أسأرتْ لى لياليه التى سلفتْ بـــلذّةِ العيشِ إلّا زفرةَ النّدمِ

---

(١) فى ب: « هل أعود نحو » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « [illegible] » . (٣) فى ب : « وخلخال الغدير » ، وفى ج : « [illegible] » ، والمثبت فى ا ، وخلاصة الأثر . (٤) فى ب : « تناسيت عنها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٢٣ .

٩

محمد بن يوسف الكريمي [*]

أقول فيه لا مُذَمِّماً، ولستُ من خجَلٍ مُتلثِّماً :

إنه أبرعُ مَن سبك[(١)] لفظاً مع معنًى، وأرقُّ مَن أراد أن يشْعُر فغنَّى.

وهو من رِقَّةِ البشْرة، يكاد يدخل في القِشْرة.

ومن خِفَّة الرُّوح، مع الذَّرِّ في الهواء يرُوح.

ومضَى عليه زمنٌ لا يعرفُ الصَّحْو، ولا يفرِّق بين الإثباتِ والمحْو.

وهو في قَيْدِ الرِّقِّ، يجمعُ بين العُود والزِّقّ[(٢)].

هذا، وعهدُه يرِفُّ[(٣)] ماؤه، ويشفُّ عن النَّضْرة نماؤه.

وتتألَّقُ غُرَرُه، وتُشْرِق أسِرَّته.

والعيشُ كما يدْرِيه، على ما تطيبُ بُخُوره [illegible]

(*) محمد بن يوسف بن يوسف الكريمي، الدمشقي.

ونسبته على جد الأب.

وقرأ على الشرف الدمشقي، والملا فضل الله بن عيسى، والشيخ عمر القاري.

وأخذ عن الإمامين: عبد الرحمن العمادي، وأبي العباس المقري.

وتخرج في الأدب على أبي الطيب الغزي.

وكان يتقن اللغتين: الفارسية والتركية إلى جانب العربية، وينظم الشعر باللغات الثلاث، كما كان بارعا في الموسيقى.

سافر إلى الروم ثلاث مرات، ودرس بمدرسة [illegible] بالشرف الأعلى، وولي قضاء [illegible]،
ثم صارت له رتبة خارج.

توفي سنة ثمان وستين وألف.

خلاصة الأثر ٤ / ٢٧٣.

(١) في ب: «سال»، والمثبت في: ا، ج.   (٢) الزق، بالضم: الخمر، وبالكسر: السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره. القاموس (ز ق ق).   (٣) في ا: «يرق»، والمثبت في: ب، ج.

حتى فلَّ الدهرُ سيفَ شبيبته، ومحا من لوحِ[1] الوجودِ محاسنَ جِدَّته[2]
هنالك ألجمه الشَّيبُ بلجامه، فتنكَّب لا يلوي على كِبْره وجِمامه.

وقد وقفتُ بخطه على أشعارٍ له ألذَّ من الماء القَراح، وأعذبَ من النسيم خُفِّفت به لذَّاتُ الرَّوح والرَّاح.

فذكرتُ منها ما ينوب عن الرَّيِّقَين: الروضِ، والصَّبا[3]، ويُغني عن الرائقَين: الرَّحيق، والصَّهبا.

فمن ذلك[4] قولُه من[4] قصيدة، مُستهلُّها[5]:

في فؤادي من الخدودِ لهيبُ ... جنَّةٌ طابَ لي بها التعذيبُ

صحوتي من هوى الحِسانِ خُمارٌ ... وشبابٌ بلا تَصابٍ مَشيبُ[6]

دونيَ بالمحافظ فالحبُّ فينا ... دارُ بلوى بها الشقاءُ نصيبُ[7]

أفؤادي من لحظةِ الشَّجْوِ سهمٌ ... هي من قسمة الهوى لي نصيبُ

كلُّ صبٍّ له الصَّبابةُ [illegible] ... ألِفَ النارَ فالحكيمُ رقيبُ

جنَّةُ الحبِّ عندنا دارُ بلوى ... [illegible] من قلوبٍ أثوبُ

هكذا حالةُ الهوى فلديه ... من ذنوبٍ [illegible] القلوبُ

[illegible] الوجودِ يوسفُ حُسْنٍ ... صدَّه من قلوبنا يعقوبُ[8]

لا يُسمَّى سدى فمدمنُ خمرِ الـ ... ـحبِّ في ملَّة الهوى لا يتوبُ

في لحاظ الظباءِ آيةُ سحرٍ ... قد تلاها على العقول خطيبُ[9]

---

(1) ساقط من: ب، وهو في: ا، ج. (2) في ا، ب: «جنيه»، والمثبت في: ج.
(3) في ج ضبط «الصبا» بكسر الصاد. (4) ساقط من: ب، وهو في: ا، ج.
(5) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٢٧٤، ٢٧٥. (6) في ا: «وشباب بلا تصاب»، وفي خلاصة الأثر: «وشبابي بلا تصاب»، والمثبت في: ب، ج. (7) في خلاصة الأثر: «[illegible]».
(8) في ب: «[illegible] في قلوبنا»، والمثبت في: ا، ج. (9) في خلاصة الأثر: «آية حسن»، وفي ب، ج: «قد بلاها على القلوب»، والمثبت في: ا، وخلاصة الأثر.

وبنا تخجل البدور إذا ما ... شوهدت خطر الفؤاد الجنوب

ما رأينا من قبل وجهك أن قد ... حمل البدر في الزمن قضيب

فدليلي في الهوى الألحاظ وهذا ... شاهد الخد من دمي مخضوب

قد رماني بسهم الجور عمدا ... وسوى القلب سهمه لا يصيب

ليت أنا لم نخلق الحب فينا ... ليت أو لم يكن فؤاد طروب (١)

يا أخا الوجد هل رأيت قتيلا ... وهو طلا بنفسه مطلوب (٢)

* * *

هذا من قول المتنبي (٣) :

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه ... فمن المطالب والقتيل القاتل

وهو أخذه من قول دعبل (٤) :

ليت شعري كيف يومكما ... يا صاحبيّ إذا دمي سفكا (٥)

لا تأخذا بظلامتي أحدا ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

وقد أخذه أبو الحسن السكروي (٦) فحسنه، حيث قال من أبيات :

أنا القتيل وطرفي قاتلي ودمي ... ما بين قلبي ومن علقته هدر (٧)

* * *

يا لقلب أطعته وعصاني ... فهو إلا إلى الهوى لا يجيب (٨)

---

(١) في ج ، وخلاصة الأثر : « [illegible] » ، وثبت في : ا ، ب .

(٢) في ب ، ج : « يا أخى الوجد » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر . (٣) هذا البيت مما ليس في ديوان أبي الطيب . (٤) ديوان دعبل ١١٨ . (٥) في الديوان : « كيف يومكما » ورواية النفحة توافق ما في معجم الأدباء . انظر هوامش الديوان . وفي ب : « وكيف يومكما » والمثبت في : ا ، ج .

(٦) ذكر ياقوت في معجم البلدان ٣ / ٨٢٠ [illegible] آخر اسمه أبو الحسن السكروي ، فلعله هو .

(٧) في ا : « وطرفي قاتل » ، والمثبت في : ب ، ج . (٨) في ب : « قد أطعته عصاني » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

خبّري يا صبا رياضَ التصابي فبذكر الهوى فؤادي يطيبُ

عرفَ القلبُ فيك رائحةَ الحُبِّ ويدري نسيمهِ المسلوبُ (١)

ساعدتني على التحبب حمامـ ـحيث مالي سوى صداها حبيبُ

ـان والورقُ في الطلول غريبا ـن ويستصحبُ الغريبَ الغريبُ

غيرَ أني بها رهينُ فؤادي وهيَ تأتي وحيث شاءت تؤوبُ

علّم القلبُ منطقَ الطيرِ شجواً فلهُ في فنونهِ تهذيبُ (٢)

* * *

وله من أخرى ، مطلعها :

فيكَ أمسي وفيك بالوجدِ أضحى مستهامٌ لا يعرفُ الدهرَ نُصحا

يا غزالاً بوجههِ سقمِ الصبـ ـرُ من القلبِ والهوى فيه صحّا

أنتَ بالهجرِ قد أطلتَ الليالي ومنعتَ الخيـالَ عنّي شحّا

وإذا زرتَ والزمانُ بخيـلٌ لم أجدْ للدجى وحقّك جنحا

أرتجي شاهداً لليلِ وصالٍ فأرى تحتـه لوجهك صبحا

يا قتيلاً بمذهبِ الحبّ ظلماً دمهُ طلّ وهو طالبُ صلحا

شاهدا قتلتي فؤادي وطرفي وترى في كلا الشهيدين جرحا

قاتلي شادنٌ أسدّ إليّ باللحاظ عضباً وبالقدّ رمحا

يا لقلبٍ ما فيه مبرأ جرحٍ للتصابي إلّا أرى فيه جرحا

ومريضِ اللحاظ ساهرَ قلبي سقمَ طرفيه وشرّدت فتحا

علّمتني جفونُه الوجدَ لمّـا أن تلت للحشا من السحرِ شرحا

عارضتني والوجدَ منها عيونٌ ما نبا العضبُ لو أعارته صفحا

(١) في خلاصة الأثر : « ويدري نسيمه » . والمطلوب : المسلوب .

(٢) بعد هذا في خلاصة الأثر بيت ينهي القصيدة بقوله :

يهتدي في سبيلهِ بفؤادي كلما ضلّ في الغرامِ كئيبُ

وله يصف يوماً أطربه[1] فيه الفرح، ونال فيه من اللذّة ما اقترح.

مع فتية مسامرتهم ألذّ من الكأس إذا احتبك المجلس، وأوقع من المبلغ النقد إذا تملّكه المفلس :

يارُبَّ يومٍ قطعتُه فرحا ... في روضِ أُنسٍ هَزَارُه صَدَحا

صَفَا به العيشُ لي وجادَ به ... دهرٌ وآمالُ مهجتي مَنَحا[2]

مع فتيةٍ دام لي الفخارُ بهم ... ومعشرٍ ضَخْمٍ فضلُهم وضَحا[3]

من كلِّ ندبٍ سباب فكرته ... لو قابلَ البدرَ نورُه افتضحا

يومٌ كعهدِ الصبا لرقّته ... نال به القلبُ وَفْقَ ما اقترحا[4]

طالبتُ دهري بيومنا زمنا ... فالآن دهري به لقد سمحا

أذكرني طيبُ يومنا زمنا ... كنتُ بريمِ الصريمِ مفتضحا

أيامَ لا أسمعُ الملامَ ولا ... أُصغي إلى اللاحِ إذا صبوتُ لَحَى

رشاً غدا يفضحُ الظباءَ به ... قدٌّ ومن طلعةِ الشموسِ محا

عجبتُ من فعلِ سهمِ مقلتِه [illegible] أرمى عميدَ هوًى وما جرحا

مُحجَّبُ الحسنِ تحت وجنتِه ... زالَ بها الحيا لِمَن لمحا

حديثُ وجدي هو القديمُ به ... والحالُ حالي به وما برحا

ياقلبُ للصبرِ لا تمتْ أبدا ... فما يداويك غيرُ من جرحا

* * *

وله من قصيدة، أولها :

مَن لقلبٍ ما بين سُمْرٍ وبيضِ ... مِن قوامٍ لَدْنٍ وطَرْفٍ مريضِ

---

(١) في ا : «طربه». وفي ب : «أطربه»، والمثبت في : ح. (٢) في ب : «دهرا وآمال»، والمثبت في : ا، ح. (٣) في ا : «…»، والمثبت في : ب، ح. (٤) سقط صدر هذا البيت من : ا، وعوض : ب، ح.

ما لمن صادمَ الهـــوى من مُعينٍ فإليـــه إذا سَطَا تفويضى (1)
زارنى فى الدجى فكان كبدر التـ ـمّ قد لاح فى الليـــالى البيض
شادنٌ لو يقابلُ الشمس والبـــدْ رَ لكانا فى زمـــرة مُستَفيضِ (2)
سلب العقـــل والفؤادَ وخلاّ نى بهجرانه الطويل العريضِ
فنهارى نهارُ مُنتظرٍ فيـ ـه وليلى لا ذقتَ ليلَ المريضِ (3)

* * *

ومن أخرى، أولها:

حدَّ من بُعدِ أهله بالتلاقى ودنا شائقٌ إلى مُشتاقِ (4)
رشأٌ طالَما أذابَ فؤادى بسعيرِ النوى وحرّ الفراقِ
لم نزلْ نحسبُ الفـــراقَ مزاحا ورأينـــا مصارعَ العشّاقِ
كنتُ أشكو الجفا وأخشى صدودا ورأيتُ البعادَ مُرَّ المذاقِ
كانَ مرُّ المدى لمــلاقٍ مُغلَقٌ وأرى الصبرَ منكَ غيـــرَ مُطلَقِ
من قلوبٍ لم تُلفَ إلا جريحا بسهامِ الجفونِ والأحداقِ
ما لهذا الفؤادِ لم ينجُ يوما من وثاقٍ إلا غـــدا فى وثاقِ
هكذا من له الصبابةُ داءٌ ليس يرجـــو الصحةَ بالإفراقِ

* * *

وله (5):

عَلامَ تفتكُ فى العُشّاقِ بالمُقَلِ أمَا تخافُ على الهِنْدِىّ من فَلَلِ

---

(1) فى ا: «ما لمن صام م الهوى»، والمثبت فى: ب، ج. وفى ب: «تفويض»، والمثبت فى: ا، ج. (2) فى ب: «لكانا فى رتبة المستفيض»، والمثبت فى: ا، ج. (3) فى ب: «منتظر الوعد * وليلى ...»، والمثبت فى: ا، ج. (4) فى ا: «ودنا شائق لها»، وفى ب: «ودنا شائقا إلى»، والمثبت فى: ج. (5) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢: ٢٧٩، ٢٨٠.

لقـــد أبحتُ دمي بمن كنتُ به ... فأصبحتُ كأني فيه كالمثلِ
بمن إذا ما السهمُ اللحظِ أغرضني ... أيقنتُ وجدانَ قومٍ من بني ثعلِ [1]

* * *

بنو ثعل : قبيلة فيهم رُماة ، يضرب المثل بجودة رميهم .
قال امرؤ القيس [2] :

ربَّ رامٍ من بني ثعلٍ ... مُخرجٍ كفَّيه من سُتَرِه [3]
فهو لا تنمي رميّتُه ... ماله لا عُـدَّ من نفرِه [4]

[5] يقال في الدعاء على الإنسان : « لا عُدَّ من نفره » ، ويراد به التعجب [5] .

* * *

شمائلٌ لك عاطفتي الشجون بها ... بحيث ما بين سكرانٍ إلى ثملِ
آهاً على زمن كان الرقيب به ... [illegible] الأكثر من التعنيفِ والعذلِ
هلا تعيدُ زماناً كنت طوع يدي ... فيه وصدري تملآن من الأملِ [6]

* * *

وله [7] :

خلى اللهُ فعسالَ الغانياتِ إذا دهت ... فؤاداً لأسماء الصبابةِ أو عقلا [8]

---

(١) في ب ، وخلاصة الأثر : « إذا اسهم اللحظ عرضني » ، وفي ج : « أقصدني » ، والمثبت في : ا .
(٢) ديوانه ١٢٣ ، ١٢٥ ، والبيت الأول في المعمرون ٩٧ . (٣) في الديوان والمعمرون : « متلج كفيه » ، وفي الديوان : « في قتره » . وفي المعمرون : « من قتره » . ومعنى رواية الديوان أنه يدخل كفيه في القتر ، وهي [illegible] الصائد التي يكمن فيها لئلا يفطن له [illegible] .
وامرؤ القيس يعني بقوله : « رب رام » عمرو بن مسبح الثعلي ، أحد بني معن ، وأحد المعمرين ، قيل : عاش حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن [illegible] ومائة سنة . المعمرون ٩٧ .
(٤) في الديوان [illegible] . (٥) [illegible] . (٦) وخلاصة الأثر : « كان طوع يدي » . (٧) الأبيات في خلاصة الأثر ٤ : ٢٧٩ . (٨) في خلاصة الأثر : « فؤاد لأسماء الصبابة وعقلا » .

ولا سَلَّطَتْ يوماً على قلبِ عاشقٍ ... عيونٌ ترى فى ظُلْمِ عاشقِها عَدْلاَ (١)

يُرِيكَ عيونَ الوُدِّ والوَجْدِ نظرةً ... ويُخْرِجْنَ جِدَّ الوَجْدِ للقلبِ والهَزْلاَ (٢)

فحتى إذا شِيمَتْ بنارِ جوانحٍ ... وأيقنَ بالمطروحِ مَن أرسلَ النَّبْلاَ (٣)

غَدَرْنَ فلا يَرْعَيْنَ للصَّبِّ ذِمَّةً ... وأَعْرَضْنَ عنه فى الهوى الأَعْيُنَ النُّجْلاَ

نَوافِرُ منها لم تَفُزْ شَفْرَةٌ سِوَى ... بوَعْدٍ رأيْنا فى جوانبه المَطْلاَ (٤)

* * *

وله من قصيدة ، مستهلها :

تُرَجِّى الأمانِى لا أمانِى المُتَيَّمِ ... وتَرْقَا دموعٌ غيرُ أدمعِ مُغْرَمِ (٥)

بلدٌ بيننا يقضى الغرامُ كما نشا ... تَحَكُّمُ الهوى فى الحبِّ مِن مُتَظَلِّمِ

متى لم يُصِبْ لذاتِها طافَ أتى ... بقلبٍ سليمٍ أو بطرفٍ مُهَوِّمِ

بحيثُ أبيتُ لمُوحِدٍ ليلَهُ لم يكن ... لَدَىَّ سوى زُهْرِ النجومِ مُحَرَّمِ

أُعَدِّدُ فيها كوكباً بعد كوكبٍ ... وأَرْقُبُ فيها أُختَها إثْرَ أنجُمِ

فلم يكُ غيرُ الطَّرْفِ لى من مُسامِرٍ ... ولم أرَ غيرَ الدمعِ لى من مُتَرَحِّمِ

عَلِمْنا الهوى يُرْدِى العميدَ ولم يُصِبْ ... بعضبٍ سوى لَحْظِ الحِسانِ وأَسْهُمِ

حَوَيْنا هوىً مَن دعاهُ لراحةٍ ... عصته وليت مَن دعاه المُؤْلِمِ

أضاءَتْ فلم تُسْكَنْ بصدرٍ مُتَيَّمٍ ... إذا لم يُرَوَّعْ من وُشاةٍ ولُوَّمِ (٦)

وريمٍ أبَى إلا نِفاراً فلم أرَى ... على الصيدِ صيّاداً غدا غيرَ مُقْدِمِ (٧)

بلاحِظِى والسِّحْرُ مِلْءُ جفونِهِ ... يقودُ إليه القلبَ قَوْدَ مُسَلِّمِ (٨)

---

(١) فى خلاصة الأثر : «عيونا ترى» . (٢) فى خلاصة الأثر : « ... ويخرجن جد الوجد » .

(٣) فى ا : « منه أرسل النبلا » ، وفى ب : « من نبل النبلا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « نوافر منها » . (٥) فى ب : « لا أمن المم » ، وفى ج : « لا أمن فى المتيم » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ب : «أضاءت ولم تسكن» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب ، ج : « من رأى » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : «غير مغرم» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ب : « ملء عيونه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

يُرَنِّحُه سُكْرُ الدَّلالِ فيَنْثني   كما عطفَتْ غُصْنًا صَبًا في تَنَسُّمِ

ومن زارَ وهْنًا والأمانِي تَعِلَّةٌ   ترى البدرَ وافى فوق غُصنٍ مُنَعَّمِ

بخَدٍّ سقاهُ وابلُ الحُزْنِ والحَيَا   سُلافةَ خمرٍ أو عُصارةَ عَنْدَمِ

* * *

ومن (1)غزليّاته و(1) غرره قوله، من نونيّةٍ مطلعها:

نأى والأمانِي الكاذباتُ به تَدْنُو   بديعُ جمالٍ من محاسنِه الحُسْنُ

هو البدْرُ لاتُنْكِرْ عليه بِعادَهُ   تراه قريبًا والبِعادُ له شأْنُ

أطالَ علىَّ الهجْرَ حتى لِطُولِه   تعلَّمَ منه هَجْرَ صاحبِه الجَفْنُ(2)

وعَرَّفني الأحْزانَ حتى أَلِفْتُها   فمن أجْلِه عندى السُّرورُ هو الحُزْنُ(3)

رشًا طلَعتْ شمسُ البَها من جبينِه   وماسَ بها من قَدِّه غُصُنٌ لَدْنُ(4)

فدَيتُك ماهذا التنائي فلستُ من   يُطيق بأن تشتاقَك العينُ والأذْنُ

بعُدْتَ ولكن لاعن القلبِ والرَّجا   إذا لم يَشُبْه اليأسُ كان له المَنّ(5)

أظنُّك تدْنو والليالى ضنينةٌ   بقُربِك لكن ربَّما صدق الظَّنّ

فيا مُسْرِفًا في هَجْرِه أنت يوسفٌ   إذا غابَ فالدُّنيا ليَعْقوبِه سِجْنُ(6)

سقى اللهُ عهدَ الشَّبيبةِ ماضيًا   ولا بَرِحتْ تنْهَلُّ في رَبْعِها المُزْنُ

وحيّى رُبوعَ اللهوِ والوجْدِ والصِّبا   سحابُ رِضًا أنواؤها اللُّطفُ واليُمْنُ

معاهدُ وَجْدٍ باكرتْ روضَها الصَّبا   فصافَحَ إذْ مَرَّتْ به الغُصُنَ الغُصْنُ

قطعْتُ بها اللذّاتِ مَعْ كلِّ شادنٍ   سقانِي بعينَيْه إذا ماغدا يرْنو(7)

(1) زيادة من: ب على ما في: ا، ج. (2) في ب: «تعلم منه الهجر»، والمثبت في: ا، ج. (3) في ا: «فمن أجلها عند السرور»، والمثبت في: ب، ج. (4) في ب: «شمس النهار بوجهه»، والمثبت في: ا، ج. (5) في ج: «فالرجا»، والمثبت في: ا، ب. (6) في ج: «إذ غبت فالدنيا»، والمثبت في: ا، ب. (7) في ا، ج: «قطعت بها اللذات»، والمثبت في: ب.

له في البها تُعزى المحاسن كلها كما نسب الله كل مهب يعنو[1]

* * *

ومن مقاطيعه ونتفه ، قوله[3] :

وكم قد أقول إنك في فؤادي لأن العلى [illegible] كل عندي
سوى عن ناظري مذ غبت يوماً فذكرك غاب لا الوقت وردي

* * *

وقوله[3] :

هل يرجع أيامي ببغدادي فؤادي لله قد عددتها أعيادي[4]
أيام يقضى [illegible] بالغوطة لافتدت ذاك النادي[5]

* * *

وقوله[6] :

ما جاء الهلال أو انشق الفجر إلا وذكرت عيشنا [illegible][7]
لهفي لزمان عيشة راضية قد مر بها على يديك الدهر

* * *

وقوله :

ومعــذر صفحت وجنته كالشمس في حالك من الدمس[8]
حتى تخيلت الشمس قد طلعت ليلا لما شاهدت من أنس
فعجبت من شمس بدت لدجى وبقيت فيه مرجما نفسي

---

(١) في ب : « له والبها [illegible] » ، و[illegible] . (٢) [illegible] ٢٨٠ .
(٣) [illegible] ، وخلاصة الأثر ٤ : ٢٨٠ . (٤) وفي خلاصة
الأثر : « [illegible] أعيادي » . (٥) [illegible] . (٦) [illegible]
وخلاصة الأثر ٤ : ٢٨٠ . (٧) في ب : « [illegible] الليل » ، و[illegible] ، وخلاصة الأثر .
[illegible] : « إلا وذكرت [illegible] » . (٨) في ب : « [illegible] » ، و[illegible] .

فغدًا يقول أذاك من عجبٍ … أعجبْ لهـذا الأمْرِ بالعكْسِ
فانظرْ لمعجزةِ العِـذارِ بدَا … في وجْنَتِي كاللَّيلِ في الشمسِ (١)

* * *

ومما يُنْسَب إليه قوله:

ومَهاةٍ قد راعتِ العودَ حتى … عاد بعد الجِماحِ وهْوَ ذليلُ
خافَ من عَرْكِ أُذْنِه إذ عصاها … فهـذا كما تقولُ يقولُ

* * *

نحوه للحسن بن يونس (٢):

غَيْداء تأمرُ عودَها فيطيعُها … أبدا ويتْبَعُها اتباعَ وَدُودِ
فكأنما الصَّوْتانِ حين تمازَجا … ماءُ الغمامِ وابنةُ العنقودِ

ولكُشاجم (٣):

جاءتْ بعودٍ يناغيه فيتْبَعُها … فانظُرْ بدائعَ ما تأتي به الشجَرُ
فما يزالُ عليـه أوْ به طرَبٌ … يَهيجُه الأعجمانِ الطيرُ والوتَرُ

وليُوسف بن عِمران الحلبي (٤):

يستوقفُ الأطيارَ حسْنُ غِنائها … إنْ ردَّدتْ ألحانَها ترْديدَا (٥)
وتظنُّ صوتَ العُودِ صوتَ غِنائها … وغِناءهـا أبداً تظنُّ العُودَا

* * *

---

(١) في ب: «فانظر لمعجزتي»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ب نسبة هذين البيتين لكشاجم، ونسبة البيتين السابقين إلى الحسن بن يوسف. (٣) في ب: «وله أيضا»، والمثبت في: ا، ج. ولم أجد البيتين في ديوان كشاجم المطبوع.

(٤) يوسف بن عمران الحلبي.
كان صاحب مال، عمل في أول أمره بالتجارة، وصاحب الأدباء، ونسج على منوالهم.
طاف بلاد الشام، والقاهرة، وعاصمة الخلافة، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها.
وكان مغرما بابتكار المعاني، جيد الشعر، وقد جمع منه ديوانا.
توفي سنة أربع وسبعين وألف.
إعلام النبلاء ٦/٣٣٨، خبايا الزوايا لوحة ٣٥ ب، خلاصة الأثر ٤/٥٠٦، ريحانة الألبا ١/١٠٤.

(٥) في ا: «ليستوقف»، وفي ج: «ويستوقف»، والمثبت في: ب.

وقوله مضمّناً :

يا مَن يَدُ الرحمنِ قد خطّتْ على ‏ ‏ صفحاتِ خدّيْهِ السَّنِيّةِ لَاما

قد تمّ حُسْنُك بالعذارِ فمن رأى ‏ ‏ بدراً يكون له الكُسوفُ تَماما(١)

* * *

البيت لأبي فرج بن هِنْدُو(٢)، وقبله(٣) :

خلعَ العِذارُ على عِذارك خِلْعَةً ‏ ‏ خلعتْ قلوبَ العاشقين غراما(٤)

قد تمّ، وهو معنى، كم حام على تضمينه مُعنّى .

وللباخرزي(٥) فيما يقاربه :

وخدٍّ حكى الوصلَ طيبا زانَهُ صُدْغٌ ‏ ‏ كأنّه الهجرُ فوقَ الوصْـــلِ عَلّقَهُ(٦)

وقد رأيتُ أعاجيبَ الزّمانِ وما ‏ ‏ رأيتُ وصْلاً يكونُ الهجرُ رَوْنَقَهُ

---

(١) في ب : « قد تم حسنك في العذار » ، والمثبت في : ا ، ج ، ودمية القصر (الباخرزي) ١١٤ ، وفي الدمية : « قمرا يكون له الكسوف تماما » .

(٢) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن هندو ، شاعر ، كاتب ، حكيم ، طبيب ، توفي سنة عشرين وأربعمائة .
تتمة اليتيمة ١/١٣٤ ، دمية القصر (الباخرزي) ١١٣ ، فوات الوفيات ٢/٩٥ ، يتيمة الدهر ٣/٣٩٧ ، وهو فيه خطأ « الحسين بن محمد بن هندو » .

(٣) دمية القصر (الباخرزي) ١١٤ . (٤) في دمية القصر : « حسن خدك » .

(٥) أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الباخرزي ، صاحب كتاب دمية القصر ، شاعر ، كاتب ، فقيه ، توفي سنة سبع وستين وأربعمائة .
شذرات الذهب ٣/٣٢٧ ، طبقات الشافعية ٥/٢٥٦ ، معجم الأدباء ١٣/٣٣ ، وفيات الأعيان ٣/٦٦ .

(٦) في ا : « حكى الوصل طيب » ، والمثبت في : ب ، ج .

١٠

أخوه أكمل*

قَرِينُ أخيه ونِدُّه ، فأحدهما السيفُ والآخَرُ فِرِنْدُه .

وكانا إذا اجتمعا مثَّلا البدرَ والفرقدَ ، وتطارحا الشَّمولَ لرائقِ والرَّوِيَّةِ[1] الرَّيَّا

فتسابق بهما الكُمَيْتُ فى مَيْدان الدِّنان ، فمن رآهما قال ما شاء فى

طابِقَيْ عِنان .

وإذا أخذا فى مُعاطاةِ الأسمار ، فما مُشافهةُ الأمانِى فى بِنَهْنِيَةِ الأعمار .

ومحمد ، إن كان أكبرُ سنًّا ، فأكملُ أرهفُ منه مِسَنًّا .

إلا أنه اعتراه طَرَفٌ من الجنون ، [2] فصيَّره ثالث خالد والمجنون [2] .

وله من جنونِه أفانين ، [3] عُذَّبتها [3] من عقلاء[4] المجانين .

❊❊❊

(*) أكمل الدين بن يوسف المعروف بابن كريم الدين ، الدمشقى ، الحنفى ، الأديب ، الشاعر .

ولد سنة اثنتى عشرة وألف .

وتفقه على عبد الرحمن المفتى العمادى ، وفضل الله بن عيسى البوسنوى ، والشيخ عمر القارى ، وشرف الدمشقى .

كما تلقى الحديث عن أبى العباس أحمد المَقَّرِىّ .

وولى نيابة القضاء بمحاكم دمشق الشام ، ودرس بالمدرسة القصاعية الحنفية .

ثم رحل إلى الروم ، فأقام بها ، وأعطى رتبة الداخل ، ثم عاد إلى دمشق .

كان يعرف الفارسية والتركية إلى جانب العربية ، وله فيهما شعر ونثر .

وكان متقنا للموسيقى ، له أغان يصنعها ، كما شرح « ديوان ابن الفارض » .

توفى سنة إحدى وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ١ : ٤٢٢ .

(١) فى ا ، ج : « والروضة » ، والمثبت فى : ب ، والروية : الكأس المتشقة المروية .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « عدها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « عقل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقد وقفتُ من شعره على كَلِمٍ [١] يُوَمَّى بها الكَلِمُ ، ويُعدُّ من الظلمِ قياسُها إلى الظَّلْمِ [٢] .

فمن ذلك قوله في وصف حديقة زَهْرٍ ، يخترقها من اللُّجَين الذائب نَهْر ، إذا خَمَّشَتْه يدُ الصَّبا ، نتوهَّمه [٣] زَرَدًا مُذهَبا .

وفيه دُولابٌ يُشْجِي الصَّبَّ بنحيبه ، كأنه مُحِبٌّ وقد [٤] رُمِيَ بفقد حبيبه [٥] :

وحديقةٍ يَنْسابُ بين غُصونِها ... نَهَرٌ يُرَى كالفِضّـــةِ البيضاءِ
مدَّ البسيطةَ يدُ الجنائبِ والصَّبا ... زَرَدًا كمَتْنِ الرَّوضةِ الغنّاءِ
دُولابُه بحَنِينِـــهِ كمُذَكِّرٍ ... عهدَ الصِّبا ومعاهدَ السَّرّاءِ [٦]
أبدًا يدورُ على الأحِبّةِ باكيًا ... بمدامعٍ تربو على الأنواءِ
نَاحَ الحَمامُ عليه قِدْمًا فهو في ... ترجيعِهِ مُوفٍ قديمَ إخاءِ [٧]

ومن بدائعه قوله :

هَوًى سرتْ من ساقيَيْن لحظٍ إلى ... فؤادي في لهيبِ
فبِتُّ أطيبَ ما يَسُرّ ... ذوي الهوى في طَيِّ طِيبِ
إلّا رحمتَ شبـــابَ ذي ... قلبٍ عليـــك مُوَجِّبِ
خَنَوْتَ من كرمٍ عليـ ... ـه كمَيْلةِ الغُصنِ الرَّطيبِ [٨]

* * *

(١) في ا ، ج : « قصر » ، والمثبت في : ب . (٢) في ب : « باسمها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتعني : بريق الأسنان . (٣) في ا : « توهمه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ب : « وقد » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢٣٤ . (٦) في خلاصة الأثر : « دولابه بحنينه . . . ومعهد السراء » . (٧) في ب : « وهو في » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٨) في ب : « حنيت من كرم » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقوله :

ولائمٍ قد لامَنِي فى الطِّلاَ ... وتَرْكِها والنَّهْيِ عن شُرْبِهَا
فقلتُ تَلْحانِي جَهْــلاً أَمَا ... كَفَى طُلوعُ الشمسِ مِن غَرْبِهَا

* * *

الغَرْب : دَنُّ الخمر[1]، وبه تمت التَّوْرِية .

وأصله قول أبى القاسم بن طلحة ، فى مَغْرِبيّ[2] :

أَيَّتُها النفسُ إليــهِ اذْهَبِى ... فحُبُّه المشهورُ من مذهبى
مُفَضَّضُ الثَّغرِ له شــامَةٌ ... من عنبرٍ فى خَدِّه المُذْهَبِ[3]
آيَسَنِى التَّوْبَةَ مِن عِشْقِهِ ... طُلوعُه شمسًا من المغربِ[4]

والشِّهاب الخفاجىّ :

كم قَهْقَهَ الإبريقُ إذ قبّل [illegible] ... وابتسم الكأسُ بثغرِ الحَبَبْ
والرّاحُ شمسٌ قد بدتْ [illegible] ... من مغربِ الدَّنّ فكيف [illegible]
للهِ أيامٌ مضتْ [illegible] ... كهَجْعةٍ من ذى جوًى واكتئابْ
ليــلاتُها قَمَرٌ وأيامُهــا ... كأنها أعيادُ عَصْرِ الشَّبابْ[5]

* * *

واغتبق يومًا بمعاجٍ كان يتّخذه مُفْتَرَش نَدْوَتِه ، ومُتوَسَّد صَبْوَتِه .

ومُضْطجَع اطْمِئْنانِه ، ومَدارَ كأسِه ودِنانِه .

---

(١) فى القاموس (غ ر ب) : الغرب [illegible] من الخمر .   (٢) هذه الأبيات لأبى القاسم ابن طلحة الصقلى ، وهو من شعراء [illegible] ، فى عنوان المرقصات والمطربات ٧١ .   (٣) رواية عنوان المرقصات والمطربات للبيت :

مُفَضَّضُ الثغرِ له نُقطةٌ ... مِسكيّةٌ فى خدِّه المُذْهَبِ

(٤) فى عنوان المرقصات والمطربات : «آيسنى التوبة من حبه» .   (٥) فى ب ، ج : «ليلاتها قدر» ، والمثبت فى : ا .

وهو في نَبْعِ الشباب ، وزُواء الأَحْبَاب .

عندما اقترن بالليل نهارُه ، وامتزج بالبنفسج بهارُه [1]

وقد أحضر من آلات أُنسه ، وأظهر من نوع ذلك وجنسه .

ما يروق الناظر ، ويشغل الخاطر .

فكتب يستدعي له صديقا [2] كان يتخذه في ذلك العهد رفيقا [3] :

بادِرْ أُخَيَّ إلى الغَبُوق [illegible]   [illegible] الصب حين [illegible]

حمراء [illegible] الحبيب [illegible]   شَفَقُ السماء [illegible] [4]

« بادر أخي ، أطال الله بقاك ، ووفر من [illegible] .

إلى تعاطي راحة حاكى [illegible] مزاجها لطفا ، وزاد [illegible] .

إذا [illegible] الساقي [illegible] ذهب [illegible] كان بين الشَّرْب [illegible] .

لا سيما إذا كانت حمراء [illegible] مرصعة بجوهر الحبب [illegible] .

فالمأمول من الأخ [illegible] بحسن [illegible] ومحضره .. »

وفي ذيل الاستدعاء :

يامن [illegible]   والشخص ذا منكر [illegible] [5]

[illegible]   عطرا [illegible] المسك

[illegible] الشقيق [illegible] على قضب   خضر [illegible]

[illegible] والقضب [illegible]   أقداح [illegible]

* * *

(١) [illegible] (٢) في ب [illegible] (٣) في ب : «[illegible]» ، والمثبت في : أ ، ج . (٤) في أ : «[illegible]» ، وفي ب : «[illegible]» ، والمثبت في : ج . (٥) في ب : «[illegible] منكر» ، والمثبت في : أ ، ج .

ومن غزليّاته قوله:

يهوى جسدٌ بالي طامعًا في نَعَماتِكْ
وفؤادٌ ضلّ في حَصْرِ قليلٍ من صفاتِكْ
وفؤادٌ لم يُمتَّعْ حظُّه من حظواتِكْ
وفؤادٌ لم يُمتَّعْ نظرُه من نظراتِكْ (1)
غافلًا عن ذنبه إذْ هو من بعضِ هِباتِكْ
يا غزالًا خطر القلـ ـبُ بزوايا خطراتِكْ (2)
آهِ ما أعجزني عن حملِ ماضي عزماتِكْ
بالحمى ترتع والأُسْـ ـدُ ثوتْ في عرصاتِكْ
كيف يرجوكَ فؤادٌ والحمى بعضُ حُماتِكْ (3)
أيُّ حبّاتٍ بمثلك نُقِّلتْ في وجناتِكْ (4)
بلْ سويدا قلبِ أُحرقتْ في جمراتِكْ (5)
أتُرى يذهب هدرًا في لحظةٍ من لحظاتِكْ
يقبلُ الواشون كيْ أحـ ـسبها من حسناتِكْ

* * *

ومن رباعيّاته قوله (6):

حيّى وسقى الحيا الرُّبَى والسَّفحا من غاديةٍ تُشبهُ دمعي سَفْحا
واللهِ وما ذكرتُ عيشي بهما إلّا وضربتُ عن سواهمْ صَفْحا

* * *

(1) هكذا جاء صدر البيت مكررا في : ا ، ح ، والبيت كله سقط من : ب . (2) في ا : « بزوايا خاطراتك » . (3) في ب : « كيف يرجوك فؤادي » ، والمثبت في : ا ، ح . (4) في ب : « نقلت من وجناتك » ، والمثبت في : ا ، ح . (5) في ب : « أحرقت من جمراتك » ، والمثبت في : ا ، ح . (6) هذه الرباعية في خلاصة الأثر ١/٤٢٣ .

وقوله :

لا أنظر للشيء فافهم عذرى   قد ضاق [illegible] قمر [illegible] صدرى[١]

فى صورة من أهوى وفى حاجبه   ما يغنى عن هلالها والبدر

* * *

أهل العربية فرقوا بين الرؤيا والرؤية ، فكان مستفيضاً فى نظائره : فيها كثيرة فى أشعار المتأخرين .

* * *

ومن بدائعه[٢] قوله فى معذر غيم الحسن روض خده النضر ، وتلاقى فى جانبيه موسى مع الخضر :

بحسن حمرة خد زاد بهجته   لون العذار لذى حارت به الفكر

كأن موسى كليم الله [illegible]   حيا وجر [illegible] ذيله الخضر

* * *

نقله من قول ابن سعيد[٣] صاحب « المرقص والمطرب »[٤] فى [illegible] صفرها أخضر والآخر أحمر :

---

(١) فى ا : [illegible] ، وفى ج : « [illegible] » ، والبيت [illegible] فى : ب .

(٢) [illegible] من : ب ، [illegible] « قوله » [illegible] ، [illegible] فى ا ، ج .

(٣) هو [illegible] على بن موسى بن محمد [illegible] بن سعيد المغربى [illegible] مؤرخ . وهو صاحب « المشرق فى حلى المشرق » ، و« المغرب فى حلى المغرب » ، [illegible] و[illegible] وستمائة . [illegible] ٢ : ٣٠٩ ، فوات الوفيات ٢ : ١٧٨ ــ ٢٨١ ، [illegible] ٣ : ٢٩ ــ ٩٧ .

(٤) [illegible] على الأبيات الآتية فى كتابه المطبوع « عنوان المرقصات والمطربات » ، ولعل الأبيات فى كتابه الآخر ، الذى سماه « جامع المرقصات والمطربات » ، وقد [illegible] بن سعيد : « [illegible] بالكتاب الموسوم بجامع المرقصات والمطربات ، وما يعنون به عن سائر الطبقات وهو [illegible] المذكور كتاب المشرق فى حلى أهل المشرق ، وكتاب المغرب فى حلى أهل المغرب ، ولما شاع ذكر [illegible] المذكور ، تطلعت إليه ، همم أحالت أمانيها [illegible] ، و[illegible] ، قال أن [illegible] هذا الكتاب كالمقدمة [illegible] ، [illegible] « عنوان المرقصات والمطربات » ٣ .

وبنتُ أيكٍ دنا من لثمها قزحٌ ... فصار في خدها من لثمه أثرُ

يبدو بعينيك منها منظرٌ عجبٌ ... زبرجدٌ ونضارٌ صاغه المطرُ

كأن موسى نبيَّ الله أقبسها ... نارا وجرّ عليها ذيلَه الخضِرُ

وقد ألمع(١) ابن سعيد بأخذه من حيث لم يشعر؛ حيث قال في مكان آخر، من «مرقصه»: لما رحلتُ إلى دمشق وأبصرتُها، فتنني منظرُها(٢)، وأكثرتُ القولَ فيها، إلى أن وقع لي من قصيدة(٣):

في جلّق نزلوا حيث النعيمُ غدا ... مطوّلا وهو في الآفاق مختصَرُ

القُضْبُ راقصةٌ والطيرُ صادحةٌ ... والنَّشْرُ مرتفعٌ والماء منحدِرُ(٤)

وقد تجلّت من اللذّات أوجهُها ... لكنّها بظلال الدَّوْح تستترُ

وكلُّ وادٍ به موسى يفجّره ... وكلُّ نهرٍ على حافاته الخضِرُ(٥)

ولابن فضل الله(٦):

للشامِ فضلٌ بنهرٍ [illegible] النَّفَرُ

في كلّ روضٍ يلتقي [illegible] والخضِرُ

* * *

---

(١) في ب: «ألمع به»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ب: «فتصرمناها»، والمثبت في: ا، ج.

(٣) هذا قول يوهم أن الأبيات لشاعر آخر غير ابن سعيد، وأن ابن سعيد توارد معه فيها، وليس الأمر كما ظن، وليس في كلام ابن سعيد هذا ما يدل عليه، فهو يقول: «إلى أن وقع لي من قصيدة» أي أنه حدث له نظم هذه الأبيات. وفي مكان الأول والرابع في فوات الوفيات ٢: ١٧٩ منسوبة لابن سعيد.

(٤) في ب: «والنهر منصدع»، والمثبت في: ا، ج. (٥) في ب: «على حافته خضر»، والمثبت في: ا، ج. ورواية فوات الوفيات:

فكلّ أودية موسى يفجّره ... وكلّ روضٍ على حافاته الخضِرُ

(٦) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، كاتب سر الممالك بدمشق، كان إماما في الكتابة الإنشاء، غزير المعرفة، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

الدرر الكامنة ١: ٣٣١، وفيه أنه توفي سنة أربعين وسبعمائة، شذرات الذهب ٦: ١٦٠، فوات الوفيات ٢: ٢٦، النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٠.

ومن زيادته قوله :

إنما نحن أهل الهوى أو قيس   لبسوا مثلي وإن تاهوا يئسوا
لو أنصفني حاكمهم في زمني   ما قيس ممن عنه بالهوى قبس (١)

* * *

وكتب (٢) إليه أخوه (٢) ماهر :

يا أكملا يشكل الظرف   بفضله والفضل لا [illegible]
ويشتري من [illegible]   ومن عدا الحق في الورى طرفه
أكمل منه إن أصفه فلي   أرجع من أوصافه لو صفه
فالى حين وصف حروف له   أربعة ما قد تمت حرفه (٣)
إذا وصفت الشخص يوما به   فعيبه في ذكره ينتفي
ولم يزل يصحب [illegible]   بما يجد الفضل لا الصرفه
تأبيه عطف العمر [illegible]   [illegible] الأعطفه
ينقص عيبا [illegible]   [illegible] بالحسن حلفه
موصوفه [illegible]   نصفا ولا ينظر له نصفه (٤)
[illegible]   متى يشاجر [illegible] (٥)
يظهر في أفعاله حقه   وهو لا تقال له طرفه
كالنوم [illegible] وهو الف له   فهل رأيتم وصفه [illegible]
أجبتموني الوصف أو [illegible]   لا زلت الدهر إن حرفه

* * *

(١) [illegible] (٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] (٥) [illegible]

فأجابه ماهر أيضا:

جاءتْ فزادتْ روضَنا عَرْفا … بل قلّدتْ آذانَنا شَنْفا

وأطفأتْ من كبدي لوعةً … ولم تكنْ من غيرها تُطفا

وهيّجتْ شوقي إلى ماجدٍ … لا أنثني عن حبّه إلفا

أعني شقيقي مَن أرى بُعدَه … للدهرِ ذنبًا لم يكدْ يُعفى

ذو كرمٍ لو شامَهُ حاتمٌ … عضَّ على أنمُلِه لهفا

ربُّ المعاني والقوافي التي … كالدُّرِّ إذْ ترصِفُه رَصْفا[1]

كانتْ كعذبِ الماءِ عند الصَّفا … أو كلَمَى أرشِفُه رَشْفا[2]

أو كوصالٍ من حبيبٍ وقد … أكثرَ في موعدِه الخُلْفا

مُصيبةٌ أرعاهُ بين الورى … وشيمةُ الأحبابِ لا تَخفى[3]

أبيتُ أُملي من غرامي به … كُتْبًا ومن إعراضِه صُحْفا

يُدير من ألحاظِه أكؤسًا … مُدامها أجفانُه الوُطْفُ[4]

تُسقيه راحًا مُزِجتْ من دما … عيني وتَسقيني الهوى صِرْفا[5]

سالفةٌ من ساعدٍ لم يزلْ … كعطفةِ الأصداغِ مُلتفّا

أو كسوارٍ ضاقَ عن عَبْلةٍ … أو كهلالٍ كاد أن يَخفى

لكنْ إذا مُدّتْ إلى مرقدٍ … كقامةِ الحِبِّ إذ تَلْقى[6]

لا زلتَ تُعطيها وأمثالَها … من راحةٍ كالدِّيمةِ الوَطْفا[7]

وبعدُ ما وصَفْتُ له أحرفٌ … أربعةٌ لم تستَرِدْ حرفا

---

(١) في ح: «ربّ المعنى»، وسقطت في: ا، ب. (٢) في ب: «أو كلاما أرشفه»، والمثبت في: ا، ح. (٣) وفي ب: «مصيب أرعاه»، والمثبت في: ا، ح.
(٤) الوطف: كثيرة الشعر. (٥) في ح: «أسقيه راحا .. ويسقيني الهوى ..»، والمثبت في: ا، ب، وفي ب: «مزجت منه دم»، والمثبت في: ا، ح. (٦) في ا: «لكن إذا مدت لها مرقدا»، وفي ب: «إذا مرت إلى مرقد»، والمثبت في: ح، وفي ب: «كقامة الحب إذ التفا»، والمثبت في: ا، ح. (٧) ديمة وطفا: كثيرة الماء ممتدة.

أوله [illegible] لعشر حوى ... ثانيه لا زلت له حلفا(١)

إن سقط الفرد منه يعد ... جمعاً وهذا عنك لا يخفى(٢)

ومثل أمر ثم فعلا من ... [illegible] مرامي فيه لا [illegible](٣)

إن تقلب الثالث مع رابع ... يكن للموصوف به وصفا(٤)

[illegible] مع ثالثه وصفه ... إذ اعتراه النوم او أغفى(٥)

اسمه لي لا زلت في عزة ... لم تعص [illegible] زمنه طرفا(٦)

والدهر عبد لك أو قائد ... يعجب من عادته طرفا(٧)

* * *

ومن شعره قوله :

تسلى فؤادي بادّكارك ناعماً ... بعمري وأين الصبر من قلب عاشق

وألوي ضلوعي كي أسكن روعة ... ومالي بقلب ساكن الجسم خافق(٨)

وأمّل عذباً من رضابك بارداً ... لإخماد جمر بين جنبيَّ حارق(٩)

وأذكر من عذب اللمى لمختمه ... أحادث جيران العذيب وبارق(١٠)

ففي الصبح صبر إن أكن غير ناظر ... إليه وليلا إن يكن غير طارق

فويلي من جسم طريح من الهوى ... وإنسان عين بالدموع غارق

---

(١) في ب : « لا زالت له حلفا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « إن ترد المفرده » والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « وفعل أمر ثم فعلا . . ثم اتفقا » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٤) في ب : « مع أربع » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : « إذا اعتراه النوم ما أغفى » . والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « لا حولت في عزة » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ب : « لم تعطل عماره طرفة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) في ا : « تعجب من عادته [illegible] » ، وفي ب : « يعجب من عاداته طرفه » ، وفي ج : « تعجب من عادته طرفة » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٨) في ا : « كي أسكن [illegible] » ، وفي ج : « كي أسكن لوعة » ، و[illegible] في : ب . (٩) في ب : « لإخماد جمر بين جنبي حارق » ، والمثبت في : ا ، ج . (١٠) العذيب : [illegible] القادسية [illegible] بينه وبين القادسية أربعة أميال ، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا . وقيل : هو [illegible] ، وهو من منازل حاج الكوفة . وقيل : هو حد السواد . معجم البلدان ٣/٦٢٦ .

وبارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية إلى البصرة ، وهو من أعمال الكوفة . معجم البلدان ١/٤٦٣ .

١١

محمد بن علي ، المعروف بالحريري الحرفوشي*

هو في المعارف نسيج وحده ، والآداب طلاع ثنايا نجده .

عاش حينا في حانوت ينسج حللا ويوشيها ، ويطرز متون القراطيس بحبر أقلامه ويحشيها .

ولديه تنشد ضوال اللغة والإعراب ، وتقف الآراء حيرى في محاسنه بين الإعجاب والإغراب .

فشدت نحوه المطايا ، وأشرقت فضائله كبيض العطايا .

وشفت ظروف حروف مبانيه ، فنمت عن سلافة لطافة معانيه .

كما نم الزجاج على الصهبا ، والنسيم عن شذا الربى .

ومع أنه شيخ الوقار ، له كلمات يعصر منها العقار .

فمن حواه في طرف الرقة ، بعدت عليه الشقة .

وكانت أدبه متاصيد ، يوح منها المشي مراصد .

(*) محمد بن علي ، المعروف بالحريري ، وبالحرفوشي ، العاملي ، الدمشقي .
يقال له الحريري ؛ لأنه كان يصنع القماش العنابات المتخذ من الحرير بدمشق .
ويقال له الحرفوشي ؛ نسبة لآل الحرفوش ، أمراء بعلبك .
قرأ بدمشق ، وحضر درس العماد الحنفي ، وكان العمادي يجله ، ويشهد بفضله .
وخرج من دمشق إلى حلب هاربا ، لنسبته إلى الرفض ، وخوفه من القتل ، ثم دخل بلاد العجم ، فعظمه سلطانها شاه عباس ، وصيره رئيس العلماء في بلاده .
كان نحويا ، أديبا ، شاعرا .
وقد اشتغل بالتأليف ، وأكثر مؤلفاته في النحو .
توفي ببلاد العجم ، سنة تسع وخمسين وألف .
خلاصة الأثر ٤ / ٤٩ ، سلافة العصر ٣١٥ .

أيامَ عيشُه بالمرَّةِ مُؤتلف ، والحظُّ غادٍ إليه ومختلف[1] .

حتى أغْرِيَ الدَّهْرُ بشَمْلِه ففرّقه ، وأُضْرِيَ[2] بِبُرْدِ ائتلافِه فمزّقه .

بسبب غرض نقِم عليه ، وكاد يسوق الحتْفَ إليه .

فخرج مع البازِيّ إلى بلاد العجم ، وثمّتَ طلع كوكبُ إقباله ونجَم .

ودعاه الشّاه عبّاس للرئاسة[3] فأجاب ، وأراه من كمال التقرّب الأفق المُنجاب .

فأقام والأهواء إليـه مُنْساقة[4] ، إلى أن دعاه داعي الحتْف إلى اللّحـد فأجابه وساقه .

* * *

وقد أوردتُ له من شعره الذي يباهي[5] الدِّيباج الخسْرُوانيّ ، ما يستعيرُ اللطفَ[6] منه[7] الرّاحُ الأرْجُوانِيّ .

فمن ذلك قوله مُعمِّياً باسم مراد :

إذا خُـيِّرْتُ بين الثّغـ ـرِ والصَّهباء من حِبِّي

أُقدِّمُ ثغرَ مَن أهْوَى علَى ما دارَ بالقَلْبِ

* * *

وقوله :

صَـبَّرَ الرحمنُ صَبًّا ذاقَ هِجْرانَ حبيبِهْ

وحَمَاهُ بَرْدَ وَصْـلٍ منه مَعْطِفِ المَهِيبِهْ

---

(١) في ا : « إليه مختلف » ، والمثبت في : ب ، ح . (٢) ضرى بالشيء : لهج به .

(٣) في ب ، ح : « إلى الرئاسة » ، والمثبت في : ا . (٤) في ب : « منسابة » ، والمثبت في : ا ، ح .

(٥) في ا : « يباهى به » ، والمثبت في : ب ، ح . (٦) سقط من : ا ، وهو في : ب ، ح .

(٧) في ا : « من » ، والمثبت في : ب ، ح .

فلعَمْرِى ليس يدرِى ما السِّحْرَ إلّا مَن رُمِى به

* * *

وقوله :

أنا واللهِ لا أبالى وإنْ ذمَّ   وإنْ أكثرَ الجهولُ السِّبابا
أنا كالشمسِ فى الأنامِ مقامى   مُمْثَل لا ترَى عليه حِجابا [1]
أدَبِى مَفْخرِى وفخرِى علومى   لا أراه النِّجارَ والأنسابا [2]

* * *

وقوله [3] :

نرومُ ولاةَ الجورِ نصراً على العدَى   وهيهاتَ يلقى النصرَ غيرُ مصيبِ
وكيف يرومُ النصرَ مَن كان خلفَه   سهامُ دعاءٍ عن قِسِىِّ قلوبِ

* * *

هذا معنى تداوله الشعراء ، والحَسَن [4] منه قول ابن نُباتة المصرى [5] :

ألا رُبَّ ذى ظلمٍ كمنتُ لحربِه   فأوقعه المقدورُ أىَّ وُقوعِ
وما كان لى إلّا سهامُ تركّعٍ   وداعِيَةٌ لا تتّقى بدروعِ [6]
وهيهاتَ أن ينجُو الظَّلومُ وخلفَه   سِهامُ دُعاءٍ مِن قِسِىِّ رُكوعِ
مُرَيَّشةٌ بالهُدْبِ من جَفْنِ ساهرٍ   مُنَصَّلةٌ أطرافُها بدُموعِ

* * *

---

(١) فى ا : « فى الأنام مقام » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « لا أراه الفخار » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٥٤ . (٤) فى ب : « والأحسن » ، والمثبت فى : ا ، ج . وخلاصة الأثر ٤/٥٤ . (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . والأبيات فى ديوانه ٣١٢ ، وخلاصة الأثر ٤/٥٤ . (٦) فى الديوان :

وما كان لى إلّا سلاحُ تهجُّدٍ   وأدعِيَةٌ لا تُتَّقى بدروعِ

ومن المُنشَآتِ المبتدعة : المحروبُ إذا شُيِّع بالدعاء له فقد أُنجِد بمددٍ(١) من أمداد ، وحُفِظ ظهرُه بجُند من أجناد .

وإذا شُيِّع بالدعاء عليه ، فقد خرج خلفَه كمينٌ لا يَقْوَى له فيلقاه ، ولا يراه فيتوقّاه .

وإن يغلب عسكرٌ وحده عسكرين من الدعاء والأعداء ، ولن يسلمَ من أعوزَ ظهرَه مجنُّ الضعفاء ، ولن يُنصرَ في الأرض من حُورِب من السماء .

* * *

ومن مُلَحِه قوله في إفرنجي :

بروحي ظبيٌ فاترُ الطَّرفِ أحورٌ ... رمى قلبي سهمُه من الغَنَجِ(٢)

أتت مُهجتي الإشراكَ فيه وقد غدا ... يرى سرعةَ التثليثِ واضحةَ النَّهجِ

فيا قومُ هل فيكم مُعينٌ على الأسى ... وهل من طريقٍ من قطيعته مُنجي

فقد ساءني في الحبِّ ما لا أُطيقُه ... ولوّعني من زاخرِ الشوقِ في لُجِّ

وبرّح بي حتى لقد رقَّ عاذلي ... وما حالُ من أضحى بمُهجةِ إفرنجي(٣)

* * *

وكتب إلى صديق له مرض(٤) بالحمى(٥) :

أنا مذ قيل لي بأنّك تشكو ... ضُرَّ حُمّاك زائدُ التبريحِ(٦)

أنت روحي وكيف يبقى سليمًا ... جسدٌ لم تصحَّ فيه روحُ

* * *

---

(١) في ب : «بمداد» . والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : «بروحي ظبي [illegible]» . والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ب : «رق عاذلي» . والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا : «[illegible]» . والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب : «[illegible] الحمى» . والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : «زائد التبريح» . والمثبت في : ب ، ج .

وله :

إنْ أصبحَ الوغدُ يسمو فوقَ منزلتي ... من غيرِ ما سببٍ يقضي بترجيحِ
فالقَمْعُ يسمو على بيضِ الكِبَادِ كما ... علاَ الدُّخانُ على النِّيرانِ مَعْ رِيحِ

* * *

أخذه من قول الآخر [1] :

إنْ يقعدوا فوقي لغيرِ نزاهةٍ ... وعلوِّ مرتبةٍ وعزِّ مكانِ [2]
فالنارُ يعلوها الدخانُ وربَّما ... يعلو الغبارُ عمائمَ الفرسانِ

* * *

وله :

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحدٍ ... ما نابني من صديقٍ يدَّعي الرَّشَدا
صافيتُه من ضميري وُدَّ ذي مِقَةٍ ... فاعتَضْتُ عنه بمَذْقٍ باللسانِ غدا
فَقَدْتُ مِن بعدِه والدهرُ ذو عجبٍ ... لا أصطفي في الورى لي صاحباً أبدا

* * *

وله في الشيخ محمد الجواد [3] الكاظمي :

جرى في حَلْبةِ العلياءِ شوطاً ... يسعى ما عدا سَنَنَ السَّوادِ [4]
ففاتَ السابقين إلى المعالي ... وما هذا ببِدْعٍ من جوادِ

* * *

وله في إثبات التشوق ، وحزن التفرق ؛ وفيه التفريع ، من أنواع البديع :

وما ظَبْيةٌ قد بانَ عنها وليدُها ... فضاقتْ بها الغبراءُ ذرعاً وبيدُها

---

(١) في ا : « الأخرى » ، والتصويب من ب ، ج . (٢) في ب : « إن يقعدوا فوق » ، [illegible] في ا ، ج . (٣) [illegible] ، وهو في ا ، ج . (٤) في ا : « [illegible] السواد » ، والتصويب من ب ، ج .

وهامتْ بما لاقتْه من حرِّ وَجْدِها ... وراحتْ فلا تدْرِى إلى أين عَوْدُها

تجوبُ الفيافِى فى التهجيرِ فلا ترَى ... أنيساً بها يحْدو سوَى من يُعيدُها

بأحزنَ منّى حين سارتْ مَطِىُّ مَنْ ... أحِبُّ وروحى فى يدَيْه وجُودُها

* * *

وله :

يقولون فى المَسْنون أفْرطتَ رغبةً ... وليس شىءٌ تقْتنيه وتختارْ

فقلتُ لهم ماذاكَ إلّا لأنّه ... مُضاهِىٌ لا تنفكُّ فى قَبْسه النّارْ

* * *

ومن غرامياته قوله :

روحى الفداء لشادنٍ ... ذِى طُرّة فى زىّ آنِسْ

سحب الجفون بقدّه ... وأثارَ فى القلب الوساوسْ

وأعارَ من سقم اللحاظ ... جِسْمى المضنّى الوساوس[1]

ولأى من جفونِ القوا ... مِ إذا بدا كالغصنِ مائسْ

وإذا رنا فالبيضُ تشـ ... ـبهُ فِعالَ هدبيك المواعِسْ

يالائمى ترجو سلوّ ... فتى له خيبتْ هَواجِسْ

خفّضْ عليك فإنّنى ... مغرى الثوبِ السُّقْمِ لابِسْ

أنّى سُلوُّ متيّمٍ ... من روحِه فى الحب آيِسْ[2]

خذ السلامَ آلذّ من ... صدّ الذى بالوصْلِ ناعِسْ

أسفى على زمنٍ لنا ... يهدِى النسيبَ والمجالسْ

أيّامَ كنتُ وغُصْنُ قدّ ... ى أخضرٌ والقـدّ باسْ

---

(١) فى ب ، ج : « جِسْمى المضنى بساس » ، والمثبت فى : ا .   (٢) فى ب : « إنى سلوت . . . [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومناهلُ اللّذاتِ صــا ... فيةٌ وِرْدُها مع كلِّ كانسْ(1)
والدّهرُ طَلْقٌ والشّبيـ ... ـبةُ غَضّةٌ والرَّبْعُ آنِسْ
والرّاحُ دارَ فلا تَسَلْ ... ماحَلَّ في تلك المجالسْ

* ٧ *

وله بعد ما بَعُدَ عن أوْطانه، مُتذكِّراً عَهْدَ مَنْشئه وقُطّانه(2):

فؤادُ المُعنَّى بالتباعُدِ مُودَعُ ... يَحِنُّ الذي يهوَى فلومُوهُ أو دَعُوا(3)
ففي قلبِه مِن لاعِجِ الوجْدِ شاغِلٌ ... وليس له في العَيْشِ بالبُعْدِ مَطمَعُ(4)
يَوَدُّ بأن يقضي ولم يقضِ ساعةً ... له بالنَّوَى لو كان ذلك ينفَعُ
وما باختيارٍ منه أصبحَ نازحاً ... وماذا الذي فيما قضى البَيْنُ يصنَعُ
سنشكو من البَيْنِ المفرِّقِ بيْننا ... إلى الله علّ الله للشَّمْلِ يجمَعُ
لجسمي نحولٌ مُذ نأى مَن أوَدُّه ... وعيني لطولِ البُعْدِ لم تكُ تهجَعُ(5)
فلو عادني العُوّادُ لم يهتدوا إلى ... مكاني سوى ما مِنْ أنيني يُسمَعُ
ولو عاد مَن أهْوَى لعادتْ به القُوَى ... لجسمٍ بأثوابِ الضَّنَى متلفِّعُ
فياليتَ شِعري هل أراه ولو كَرَى ... وهل ذلك الماضي من العَيْشِ يرْجِعُ
وهل عَلِمَ الأحبابُ أنّي مُفارِقٌ ... حُشاشةَ نفسٍ ودّعتْ يومَ ودَّعُوا(6)

---

(1) في ب، ج: «صا * د ف وردها»، والمثبت في: ا. (2) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٥١، وذكر المحبي أنه مدح بهذه القصيدة النجم الحلفاوي الحلبي، وأرسلها إليه من دمشق إلى حلب.

والنجم الحلفاوي هو مصطفى بن محمد، نجم الدين، وسيترجمه المؤلف في قسم حلب، وسيأتي برقم ١٣٥.

(3) في ب، ج: «في التباعد مودع»، والمثبت في: ا، وخلاصة الأثر. (4) في ب: «في قلبه ناق من الوجد شاغل»، وفي خلاصة الأثر: «في قلبه شغل من الوجد شاغل»، والمثبت في: ا، ج.

(5) في ب: «مذ نأى من أحبه»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر. (6) في خلاصة الأثر: «وقد علم الأحباب». وعجز هذا البيت صدر بيت لأبي الطيب (ديوانه ٢٢)، هو قوله:

حُشاشةُ نفسٍ ودّعتْ يومَ ودَّعوا ... فلم أدرِ أيَّ الظّاعنَيْن أُشيِّعُ

وهل هُمْ على العهد القديم الذي أنا   عليـــه مُقيمٌ أم لذلك ضيّعوا

* * *

وله :

لا تدَّعِ أن أضحى الجهولُ يدّعي   مكانتي ويدّعي الترفّعا

فالشمسُ أعلى مفخرًا وقد غدا   من فوقها كيوانُ أعلى موضعا(١)

* * *

من قول ابن رشيق(٢) :

بحيثُ يهون المرء يكرم ضدّه   وحيثُ هبوطُ الشمس يشرف كيوانُ(٣)

* * *

وله(٤) :

رعى الله أوقاتًا بها كنتُ أجتلي [illegible]   وأيّامًا بها أنكرُ الجفا

نقضتْ كلمحِ العين أو زورةِ طارقٍ   أتى مسرعًا أو بارقٍ في الدُّجى خفا(٥)

وأبدلتُ منها فرقةً وتشتّتًا   وبُعدًا وهجرًا دائمًا وتأسُّفا

فيا ربِّ أنعمْ [illegible]   وإلّا فكنْ بالخُلفِ يا ربِّ مسعفا

* * *

وله(٦) :

حبابي الوجـــد وأخرد   وأودعَ مقلتي الأرقا

---

(١) كيوان : زحل (القاموس : كون) . (٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، صاحب كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده » ، أديب ، جليل القدر ، حسن الشعر ، توفي سنة ... أو ست وخمسين وأربعمائة .

[illegible] ١ : ٢٩٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ ، معجم الأدباء ٨ : ١١٠ .

وهذا البيت لم أجده في ديوانه .

(٣) [illegible]

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٤ : ٥٣ . (٥) [illegible]

(٦) العصيدة و خلاصة الأثر ٤ : ٤٩ ، ٥٠ .

وروضٍ بخدّه قد نَما   تَحيّر هـــــواه ناعِمًا
رَنا عنوارِمِ خــــــدِه   تَنمّتْ بينَنا حَـــدَقَا (١)
حَمَى أوْرادَ وجْنتــــهِ   بِــــسُودِ خالِهِ ووقَى
ولاحَ بواضحٍ أضْحَى   له شَمْسُ الضُّحَى سَنَقَا
له خَصْرٌ لِلْحــاظِ الْ   ورَى مازال مُنتطِقًا (٢)

* * *

تَعارض (٣) المتنبّي في هــذا المعنى مع السَّرِيّ الرَّفّاء .

فبيتُ المتنبّي قوله (٤) :

وخَصْرٍ تَثْبُتُ الأحْداقُ فيــــه   كأنّ عليــه من حَــدَقٍ نِطاقا (٥)

وبيت (٦) السَّرِيّ قوله (٧) :

أحاطَتْ عيونُ العاشقين بخَصْرِهِ   فهُنّ له دونَ النِّطــاقِ نِطاقا

وكثيرٌ يظنّون أن المتنبّي هو المخترع لهذا المعنى ، ولا يدرون أنّه لعلي بن يحيى (٨) ، من أبيات يعنى بها :

وَجْهٌ كأنّ البـــدرَ ليلةَ تِمّهِ   منــــه استعارَ النُّورَ والإشراقا
وأرَى عليه حديقةً أضْحَى لهـا   حَدَقٌ وأحْــداقُ الأنامِ نِطاقا

ونقله الشِّهاب الخفاجيّ إلى العِذار ، مُضمِّنًا مِصراعَ أبى الطَّيِّب ، وأجاد (٩) :

---

(١) خذم : سريعة القطع .   (٢) في ب : « ما زال ممتنعا » . والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ب : « معارضا قول » ، وفي ج : « معارض » ، والمثبت في : ا .   (٤) ديوانه ٢٧٩ ، وخلاصة الأثر ١/٩٤ .   (٥) في الديوان : « تثبت الأبصار فيه » .   (٦) من هنا إلى نهاية أبيات الشهاب الخفاجي الآتية ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .   (٧) ليس في ديوانه ، ولم أجده في يتيمة الدهر ، وهو في خلاصة الأثر ١/٩٤ .   (٨) أبو الحسن على بن يحيى المنجم ، الراوية ، الشاعر ، نديم المتوكل العباسي ، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين .

معجم الأدباء ١٥ / ١٤٤ ، معجم الشعراء ١٤١ .

(٩) في ريحانة الألبا ١ / ٣٣٨ أبيات رقيقة أخرى للشهاب الخفاجي ، ضمنها مصراع أبي الطيب .

عِــذارٌ خَطَّ فى الوجَناتِ خَطًّا   حَــوَى كلَّ الأنامِ به وِفاقَا
تَرى الأبصارَ شاخِصَـةً إليـه   وماءُ الحسنِ فى حــدّيْه رَاقَا
تَحوّرَتِ العيونُ به فَمَشَى   كأنَّ عليــه من حَدَقٍ نِطاقَا [1]

* * *

تتمة القصيدة :

فَيَالله [illegible] [illegible] [illegible] قلبى له [illegible]
ألا [illegible] زمنٌ حَظِيتُ به [illegible] [illegible]
زمانٌ لم أجِـدْ فيـه   لشَمْلِ الوصْـلِ مُفْتَرِقَا [2]
نعيمٌ [illegible] [illegible]   وأهْوَى [illegible] [illegible] [3]
تولَّى [illegible] [illegible]   ومَرَّ كطارقٍ طَرَقَا [4]
وطَبْــعُ الدهرِ لا يَبْقَى   على حالٍ [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]   وسِرْ فى الأرضِ مُنْطَلِقَا [5]
وكن [illegible] إذا ما الدهـ   ـرُ [illegible] [illegible] [illegible]

* * *

وله من قصيدة ، أولها [6] :

يا ليتهــا إذْ لم تَجُدْ بوصالِ   سَمَحتْ بوعْدٍ أو بطيفِ خيالِ
جَمَعتْ [illegible] [illegible] الوُشاةِ [illegible]   من [illegible] [illegible] [illegible] [7]
ومَدامعى لولا زَفِيرى لم [illegible]   [illegible] الورى من [illegible] [illegible] [8]

(١) لعل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .   (٢) فى ج : « زمنا لم أجد فيه » ، والمثبت [illegible] [illegible] .   (٣) [illegible] [illegible] [illegible] .   (٤) [illegible] [illegible] [illegible] .   (٥) هذا البيت والذى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] .   (٦) القصيدة فى خلاصة [illegible] ٤ / ٥٠ .   (٧) رقش الكلام : [illegible] .   (٨) فى [illegible] : « [illegible] » ، والمثبت فى [illegible] .

وَنُحولُ جِسمٍ واحتمالُ مكارِهٍ ... وسُهادُ جَفنِي وادِّكارُ ليالِي (١)

فإلى مَ أظمأُ في الورى ومَوارِدِي ... فيه سَرابٌ أو لُموعُ الآلِ (٢)

ولمِ اختيارِي عن فؤادِي كلَّ مَن ... أَلقَى وقلبِي عندَ ذاتِ الخالِ

* * *

أخذَه، (٣) ولم يُحسنِ الأخذَ (٣) من قولِ الباخَرْزِيّ (٤):

قالتْ وقد فتّشْتُ عنها كلَّ مَن ... لاقيتُه مِن حاضرٍ أو بادِي

أنا في فؤادِك فارْمِ طَرْفَك نحوَه ... تَرَنِي فقلتُ لها وأين فؤادِي (٥)

* * *

هَيْفاءُ رنّحها الدّلالُ فأخجلتْ ... هِيفَ الغُصونِ بقدِّها المَيّالِ (٦)

في خدِّها الوردُ الجَنِيُّ وثَغرُها ... يحوِي لذيذَ الشُّهْدِ والجِرْيالِ (٧)

حجَبتْ مُحيّاها الجميلَ ببُرقُعٍ ... كرقيقِ غَيْمٍ فوق بدرِ كمالِ (٨)

ونَضَتْ من الأجفانِ بِيضَ صَوارمٍ ... فمرَتْ بهنّ ولم تُنادِ نَزالِ (٩)

* * *

وتنزّه يوما في روضٍ افترّتْ بَواسِمُه، وتعطّرتْ نَواسِمُه.

وتفتّحتْ أزهارُه، ونطق بُلبُلُه وهَزارُه.

فقال يصفه:

ومَكانِ أُنسٍ قد حَوَى من لُطفِه ... مِن كلِّ وصفٍ رائقٍ مُستحسَنِ (١٠)

---

(١) في ج، وخلاصة الأثر: «وسهاد جفني»، والمثبت في: ا، ب، وفي ب: «وادكار ليله»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر. (٢) أي: السراب. (٣) ساقط من: ب، وهو في: ا، ج.
(٤) المقطع في ديوان الباخرزي ٢، والكشكول ٢ / ١١٠، وريحانة الألبا ١ / ٣٤.
(٥) في المقطع من ديوان الباخرزي: «فارم لحظك نحوه»، والمثبت في الأصول، والكشكول، والريحانة. (٦) قبل هذا البيت في ب زيادة: «وله»، والأبيات متصلة في: ا، ج. (٧) الجريال: الخمر أو لونها، وصبغ أحمر. (٨) في: ا «حجبت محياه»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر.
(٩) في خلاصة الأثر: «فمرت بهن وما تنادي نزال». (١٠) في ا، ج: «رائق مستحسن»، والمثبت في: ب.

والريحُ تعبثُ في الغصونِ تمايساً ... والطيرُ تشدو باختلافِ الألسُنِ (1)

فكأنه الفردوسُ أخرجَ ضوءَه ... أملُ النفوسِ ومشتهًى للأعيُنِ (2)

* * *

وله في الغزل :

مَن لي بهيفاء أذكتْ مِن تباعدِها ... في القلب نارًا [illegible] المصاعد

وَاهًا لها من فتنة إنْ رنتْ فملتْ ... [illegible] الهوى [illegible]

* * *

ومن جيّده (3) قوله (4) في الخال (4) :

قال لي مَن حسدا إمامةَ أولي الفضْ ... ل وربّ المباحث الفلسفيّه

إنّ عنـــدي برهانَ حقٍّ على نفْ ... يِ الهيولى والصّورةِ الجسْميّه (5)

قلتُ ما هـــو فقــال شامةُ خدّي ... قد تبــــدّتْ وهي نقطة جوهريّه

* * *

قلت (6) : هــذا جارٍ على رأي المتــكلمين (7) في الرّدّ على الحكماء ، من أنّ إثبات النقطة يستلزم نفي الهيولى والصّورة ، وقد حاول محاولة عجيبة .

ومثل هذا الاستعمال — أعني استعمال (8) ألفاظ أهل الكلام والهندسة والنحو (8) — قال فيه ابن سنان الخفاجي (9) : ينبغي أن لا يُستعمل في الكلام المنظوم والمنثور .

قال : لأنّ الإنسان إذا خاض في علمٍ ، وتكلّم في صناعة ، وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل (10) ذلك العلم وأصحابِ تلك الصّناعة .

---

(1) في ب : [illegible] في الغصون [illegible] ، والمثبت في : ا ، ج . (2) في ب : [illegible] وحده ، والمثبت في : ا ، ج . (3) ساقطة من : ب ، ومثبت في : ا . وفي ج : [illegible] . (4) [illegible] من : ب . وهو في : ا ، ج . والأبيات في خلاصة الأثر . (5) [illegible] جوهر [illegible] دون وجود [illegible] : كلام أبي [illegible] ٦٩٠ . (6) [illegible] في خلاصة الأثر ٤ : ٥٣ ، ٥٤ . (7) في ا : « المتقدمين » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (8) مكان هذا في خلاصة الأثر : « من ذكر ألفاظ المتكلمين ونحوهم من [illegible] » . (9) سر الفصاحة ١٥٩ ، وفي المثل السائر ٤٦٣ ، وقد تصرف المحبي في العبارة [illegible] .
(10) ساقطة من سر الفصاحة .

ثم مثّل ذلك بقول أبي تمّام(١) :

مَودّةٌ ذَهَبٌ أثمارُها شَبَـــهٌ   وهِمّةٌ جَوْهرٌ معروفُها عَرَضُ(٢)

قال ابنُ الأثير ، في « المثل السائر »(٣) : وهذا الذي أنكره هو عَيْنُ المعروف في هذه الصناعة :

إن الذي تُـنْكرهون منه   هو الذي يشتهيه قلبي

فقوله : « إن(٤) الإنسان » إلى آخره ، مُسلّمٌ إليه ، ولكنه شذّ عنه أنّ صناعة المنظوم والمنثور مُستَمدّةٌ من كل علم وكلّ صِناعة ؛ لأنها موضوعة على الخوض في كلّ معنى ، وهذا لا ضابط له يضبطُه ، ولا حاصِرَ يحصُرُه(٥) .

وقال ابن المعتزّ ، في كتاب « البديع »(٦) : وممّا يُعاب على الشعراء استعمالُ ألفاظ الحُكَماء ، كالكيمياء ، والسيمياء ، والهَيُولَى .

ولعله كان مَعيبًا في الصّدر الأوّل ؛ لأنه لم يُؤلف استعمالُه ، وعلى أمثالنا لا يُعابُ ؛ لشيوعه . وقد قال(٧) كتب التوحيدي(٧) إليه : فإن اللفظ قد يُعدّ فصيحًا عند قوم دون آخرين .

ألا ترَى أن أبا هِلال(٨) قال في كتابه « الصناعتين »(٩) : الوحشيُّ يُعاب على القرَويّ دون البَدَويّ ، الذي هو لُغته ؛ لأنه معروفٌ عندهم . وهذا ممّا أطاقه أربابُ المعاني فاحفظه .

---

(١) ديوان أبي تمام ١٠٢ : ٤ . (٢) في ب ، ج : « مودة ذهبت » ، والمثبت في : ا ، والديوان ، والمصدر نفسه . وشبا : النحاس الأصفر . (٣) صفحة ٣٦٣ ، ٤ : ٤ ، وخلاصة الأثر ٤ : ٥٤ . (٤) في ج ، وخلاصة الأثر : « كان » ، وهو يوافق ما تقدم من قول ابن سنان ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي المثل السائر : « إنه يجب على الإنسان » . (٥) انتهى نقله كلام ابن الأثير في المثل السائر ٤ : ٦ ، بعد تصرف بقول واحد . (٦) ... (٧) في ب : « الكتاب الموحد » ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) في الأصول : « ابن هلال » ، وقد تكرر هذا في أثناء الكتاب . (٩) انظر صفحات ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٥ .

١٢

يوسف البَديعىّ*

أديبٌ للبديع من القول منسوب ، وواحدٌ بألفٍ من البديع محسوب .

أطْلعَ الكلامَ باسقًا ، ووافق به دُرًّا متناسقًا .

وكان خرج من دمَشق وعودُه طَرِىّ ، ونَشْرُه سائغ مَرِىّ .

لم تتقشّعْ غمامتُه ، ولم تذبل(١) كِمامتُه .

وعلى قَدْرِ جماله ، رُزِق حظًّا من كماله .

فدخل الشهْباء وناسُها أولئك الناس ، ولأوقاتها يومئذ تودُّد وإيناس .

فتبسّمت له خلائقهم عن بسمات الصباح ، وكأنما هى الرياض باح بسرّها نَفَسُ الصّباح .

وحسُن فى أعينهم حُسْنَ الحُور ، ووقع من قلوبهم وَقْعَ الوطر(٢) .

وما برح أمرُه يروق ويحسُن ، حتى خطبَتْه القلوب وهتفت به الألسُن .

(*) يوسف المعروف بالبديعى ، الدمشقى .
خرج من دمشق فى صباه ، وأقام بحلب ، حتى أدركته الشهرة فى الفن والأدب
وهو صاحب كتاب « الصبح المنبى عن حيثية المتنبى » .
يقول المحبى : إنه لما رأى كتاب « الريحانة » للخفاجى ، ألف كتابه « ذكرى حبيب » ، ولم
[illegible] من هذا الكتاب إلا نسخة فى الروم ، عند شيخه محمد عزتى ، ونسخة أخرى عنده .
وولى [illegible] .
وتوفى سنة ثلاث وسبعين وألف ، بالروم .
أعلام [illegible] ٣٣٥ ، وخلاصة الأثر ٤/٥١٠ ، هدية العارفين ٢/٥٦٧ .

(١) فى ب : « ولا تذبل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « الوتر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فصدَح بشعره[1] مُترنّمًا فى ناديهم ، ونالَ بهم مغانمَ مِن أياديهم .

وجلَب لهم دُرَّ الكلام ، فحَلَب منهم دَرَّ الكِرام .

ولمّا وافاهم ابنُ الحسام[2] متوشّحًا بالقضاء ، وحليفه السّيف فى المَضاء .

وله البَسالةُ التى تقتنص[3] شواردَ المعالى وتفترس[4] ، والأريحيّة التى يحتمى بها الأملُ من الخطوب ويحترِس .

ووزنَهُ بميزان الاختِبار ، وألفاه حريًّا بالاعتِبار .

فنوّه به ، واعتنى بأدَبه .

وولِيَ الشّامَ فصحِبَه مُلتحفًا بالحظوة ، وواقفًا مِن تقرّبه بتلك الرَّبوَة .

ودخَل بعدَها الرّومَ بخدمتِه ، وتقلّب دهرًا فى خصائص نِعمتِه .

وباسمه ألّف من كتبِه ما ألّفه ، وجرى فى حَوْمَة التنمّق من تقدّمه فما تخلّف .

وهو فى الأدب ممّن ملك للبيان عِنانا ، وهصر من فنونه[5] المتنوّعة أفنانا .

إن نثَر[6] فما الدُّرّ[6] المنثور انفصم نظامه ، أو نظم فما اللؤلؤ المسبور نسّقه نظّامه .

وله فى[7] الفوائد الفرائد ، ما تنتقيه لأوساطِ القلائد الخرائد .

وقد رأيتُ جملة من بدائعِه فتنزّهتُ فى حدائق ذاتِ بهجةٍ ، ورويتُ ظمأ سمعى من [8] فوائده و [8] موارده العذبةِ اللّجة .

* * *

---

(١) فى ب : « فى شعره » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسام الدين الرومى ، المفتى ، وسيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بالروم ، وسيأتى برقم ١٥٢ .

(٣) فى ا : « تقتضى » ، وفى ب : « يقتنص بها » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب : « وتفترس » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ا : « فنونه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « فى الدر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) فى ج : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) زيادة من ب على ما فى : ا ، ج .

وهذا ما أوردته من غزل الخفوق بوشن ، وقد تحسنه إلا أن نذكر بوشف حسن(1) .

(2) فمن ذلك (2) قوله(3) :

زوادا هو الوجد الذى جل فادحه … وقد نفدت ممن أحب منادحه(4)

هوى تاهت الأفكار فى كنه ذاته … ومثل غـرامى منه يعجز شارحه

أقولك الذى هل أنت بالقرب منجد … أخا دنف لاحت عليه لوائحه(5)

معنى [illegible] … ورق له مما يقاسيه كاشحه

وبين [illegible] يعين على الأسى … يطارحه شجو الهوى ويطارحه

يحاول كتمان الهوى وجفونه … قريحة تبدى ما أكنت جوانحه(6)

خطوب [illegible] … جنينا ذرى فى المجد شابت مسائحه(7)

[illegible] … وصفقت عليه بالأسى فسائحه

[illegible] الركب فى [illegible] … ولا من الأدلاج [illegible]

وعوج على الركب الذى قد [illegible] … مغانيه تبدى [illegible] روائحه

محال [illegible] مشوف … ومشوف الأحداق حسنا أباطحه

[illegible] … إذ صدحت فوق الغصون صوادحه(8)

---

(1) فى ا : «وحسن» ، وفى ب : [illegible] . (2) فى ب : «فمنه» والمثبت فى : ا . (3) [illegible] (4) فى ا : «الذى حل فادحه» ، [illegible] (5) [illegible] (6) فى ا : «أحاول كتمان الهوى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (7) [illegible] (8) [illegible]

سَقَاهُ وحَيَّاهُ الغَمامُ بِوَابِلٍ   تُبَاكِرُه أَوْدَاقُهُ وتُرَاوِحُهْ

بِهِ تَرَيا مَن لو بدا البدرُ في الدُّجَى   وأسْفَرَ في دَيْجُورِه فهو فاضِحُهْ

جميلاً يَميزُ الشمسَ من نورِ وجهِهِ   ونَسْبي به من كلِّ حَيٍّ مَلائِحُهْ

جبيناً تَهابُ الأُسْدُ سَوْرَةَ وجهِهِ   ويخشاه من في الدِّرْعِ تَخْشَى صَفائِحُهْ(1)

يَصُدُّ مُعَنَّاهُ نهاراً ورُبَّما   يُوافيه ليلاً طيفُه فيُصالِحُهْ

له مُقْلَةُ رِيمٍ وما شَامَ [illegible]   جَوارِحُها إلا وذابتْ جَوارِحُهْ(2)

إذا أَوْعَدَ الهِجْرانَ وَفَّى وَعِيدَهُ   وإنْ وَعَدَ المُشتاقَ فهو يُمازِحُهْ(3)

وإنْ لامَني فيهِ عَذُولي جَهالةً   وقد طَلَّ من دَمْعي على الخدِّ سافِحُهْ

فلي عنه شُغْلٌ بامتداحي مُهذَّباً   تُزَيِّنُ أبكارَ المعاني مَدائِحُهْ(4)

* * *

وقوله من قصيدة مطلعها :

هل للمُتَيَّمِ من نَصيـ   ـرٍ ومُضامِ وَجْدٍ من مُجيرِ

أو مُسْعِفٍ لطَليقِ دَمْـ   ـعٍ وهو ذو لُبٍّ أَسيرِ

دَنِفٍ يَبيتُ وبين أَحْـ   ـشائه نارُ السَّعيرِ(5)

لم يُلْفَ إلا الشَّوقَ والْـ   ـوَجْدَ المُبَرِّحَ من سَميرِ

ويَرومُ إخفاءَ الهوى   والحبُّ من بعدِ الظُّهورِ

أنَّى وأدمعُه جَرَتْ   في وَجْنَتَيْه كالبُحورِ

---

(1) في ا ، ب : « جبين مهاب الأسد [illegible] » ، والمثبت في : ج ، وفي ا ، ج : « سورة [illegible] » ، والمثبت في : ب . (2) في ب : « إلا وذابت جوانحه » ، والمثبت في : ا ، ج . (3) في ب : « وافى وعيده » ، والمثبت في : ا ، ج . (4) في ا : « في عنه شغلى » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « أبكار المعالي » ، والمثبت في : ا ، ج . (5) في ا : « وبين أحشائه [illegible] » ، والمثبت في : ب ، ج .

تَرْعَى نُجومَ الليـلِ شَوْ ... قًا منه للظَّبْيِ الغَرِيرِ

رَشَأٌ مَخْطُوطٌ في كَثِيـ ... ـبٍ تحتَ بدرٍ مُستنيرِ

يَرْنُو فتفعلُ بالعقـو ... لِ لِحاظُه فِعْلَ الخُمورِ

فَتَنَتْ مَلاحةُ وجهِهِ الْـ ... وضَّاحِ ربَّاتِ الخُدورِ

يَسْتوقِفُ الأحْـداقَ إذْ ... يَبْدُو بمَنظرِه النَّضيرِ

مهما نَسِيتُ فلستُ أنْـ ... ـسَى ما مضَى لي بالغُوَيرِ (1)

إذْ زارَ بعـدَ إطالةِ الْـ ... ـهِجْرانِ في ليلٍ قصيرِ (2)

ووَفَى بلا وعْـدٍ وكمْ ... وعْـدٍ يُشابُ له بزُورِ

أحْيَى بزَوْرتِه وقـد ... بلغتْ به رُوحُ المَزُورِ (3)

وأدارَ أكْؤسَـه على السّـ ... ـكْرانِ من لحظِ المُـديرِ

راحٌ يُذكِّرُنا بهـا ... عَهْدَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (4)

شمسٌ لهـا إشراقُها ... وقتَ الهَجِيرِ بلا هَجِيرِ

ضَمِنَتْ وأَوْفَتْ أنْ تَـ ... ـنْفِي الهمومَ من الصُّدورِ (5)

وتُعيـدُ أوقاتَ السُّرو ... رِ بغَيْرِ أوقاتِ السُّرورِ

وبحقِّ سـاحرِ مُقلتَيْـ ... ـهِ وما تُكِنُّ من الفُتورِ

لا أشتغِلْ مُذْ غابَ عنـ ... ـهُ في العشاءِ والبُكورِ (6)

إلا بمَـدْحِ المُصْطفَى الْـ ... ـمَنْعُوتِ بالحَسَبِ الخَطِيرِ

مَوْلَى خزائنِ علمِـه ... في صَدْرِه لا في الصُّـدورِ

---

(1) غوير : [illegible] من العقبة والقاع ، في طريق مكة . انظر مراصد الاطلاع ١٠٠٦ . (2) في ب : «بالليل القصير» ، والمثبت في : ا ، ج . (3) في ا : «آلمت به روح المزور» ، والمثبت في : ب ، ج .
(4) الخورنق : قصر للنعمان الأكبر . والسدير : نهر بالحيرة ، ويقال : قصر فيه قباب متداخلة .
(5) في ب : «صمنت ووافت» ، والمثبت في : ا ، ج . (6) في ا : «لن أشتغل مذ غاب عنه» ، والصواب في : ب ، ج ، وفي ب : «في العشاء وفي البكور» ، وفي ج : «في العشاء والبكور» ، والمثبت في : ا .

فاقَ الأوائلَ بالعُـــلا والفضلِ في الزمنِ الأخيرِ [1]

إن نمّقتْ كفّاه طِرْ سًا خِيلَ كالرّوضِ المطيرِ

نَفَسًــا لِمَن جاراه فهْ وَ بغيرِ شَـــكٍّ في غُرورِ

لم يدرِ أنّ صِفـــاتِه في النّاسِ عزّتْ عن نَظيرِ

لو كانَ ذا عقـــلٍ لمَا قاسَ الجداولَ بالبحورِ

* * *

وكان بينه وبين السّيِّد موسى الرّام حَمْداني [2] مراجَعات ، فكتب بعضُ الظُّرفاء عن لسانه إلى السيِّدقصيدة شهيرة ، كالشمس وقتَ الظّهيرة ، واقتضى الأمرُ عدم إخْباره بذلك ، فراجعه عنها بقوله [3] :

يا ديرَ سمعـــانَ ذكّرتني رُسومُكَ الدُّرَّسُ الدَّريسا [4]

أوْدَتْ بسُكّانِكَ اللّيالي ولم تَدَعْ منهم أنيســـا

فـــلا أغبّتْكَ غادياتٌ ولا عدَتْ رَبْعَكَ الدَّريسا [5]

والنـــاسُ مثلُ الرّسومِ إلّا إذا جَنَوْا فاخراً نفيســـا [6]

فكتب إليه البَديعِيّ هذه القصيدة :

ليس إلّا بالقُرْبِ مابِكَ يوسَى مِن جَوًى دونَه يذيبُ النُّفوسا [7]

---

(١) في ب : « والفضل بالزمن الأخير » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ح : « السيد محمد موسى الرام حمداني » ، وهو خطأ صوابه في : ا ، ب ، وسيترجمه المصنف ، في القسم الخاص بحلب ، وسيأتي برقم ١١١ ، والرام حمداني نسبة إلى رام حمدان : من قرى حلب . خلاصة الأثر ٤/٤٣٥ . (٣) نقل المحبي هذا أيضا عن البديعي ، في خلاصة الأثر ٤/٤٣٧ — ٤٣٩ . (٤) دير سمعان : دير بنواحي دمشق ، في موضع نزه ، وبساتين محدقة به ، وعنده قصور ودور . معجم البلدان ٢/٦٧١ .

والدريس : الثوب البالي ، وهو يقع على الدرع أيضا . ويعنى به كل بال يذكره بأصحابه . انظر اللسان (درس) ٦/٧٩ .

(٥) في خلاصة الأثر : « فلا أغبتك غاديات » ، والدريس هنا بمعنى المدروس ، فعيل بمعنى مفعول .

(٦) في خلاصة الأثر : « إذا حبوا فخرا نفيسا » . (٧) في ا ، ح : « بالقرب بابك » ، وفي خلاصة الأثر : « ليس إلا بالقرب » ، والمثبت في : ب ، وفي ب : « دونه مذيب النفوسا » ، والمثبت في : ا ، ح ، وخلاصة الأثر .

قد سقتك الأيام خمرة وجد ... وأدارت من البعاد كؤوسا

بعدت عنك من تحب وهذا الد ... هر يولي الفتى نعيما وبؤسا

أين أوقاتك التي كنت فيها ... لم تبت من رضا حبيب يؤوسا

حيث يسقيك خندريسا حبيب ... ريقه العذب يزدري الخندريسا (١)

دو [illegible] ما [illegible] في الروض إلا ... [illegible] الغصن قده أن يميسا

ضلما دار في الدجى [illegible] ... [illegible] تحاكي في الشرب إلا كئوسا (٢)

[illegible] خوف اللائم ولدى يسكـ ... ـن وصلا يخاول [illegible] (٣)

[illegible] عهده يحاكي عهد الد ... مع من مقلتي [illegible]

[illegible] ما ذكرتها قط إلا ... حركت الشوق من غرامي رسيسا (٤)

واستهلت مدامعي كالغوادي ... وغدا القلب من جواه وطيسا

منذ فارقت أهلها لم يطب لي ... صفو عيش يحلو لدينا نفوسا (٥)

منها :

من أناس زكوا أصولا وكانوا ... من أناس تواطئوا [illegible] (٦)

نصروا دين ربهم بتواض ... كم أذلت جحافلا وخميسا

تقف الناس هيبة ووقارا ... بحماهم إذا رأوهم جلوسا

أذهب الله عنهم الرجس والفحـ ... ـشاء دون الأنام والتدنيسا (٧)

* * *

---

(١) في ا ، ب : « حيث يسقيك خندريسا حبيب » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر . و [illegible] : خمر .

(٢) في القاموس ([illegible]) . و [illegible] في أشكال [illegible] الإكليل .

(٣) في ج : « [illegible] » بفتح العين واللام المشددة المكسورة .

(٤) في ا : « حرك الشوق » ، والمثبت في : ب ، ج . و [illegible] الغرام : بقيته وأثره ، أو أوله .

(٥) في خلاصة الأثر : « صفو عيش [illegible] » .

(٦) في ج : « من أناس زكوا [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٧) في خلاصة الأثر : « [illegible] دون الأنام والتدنيسا » .

وبعد أن رأى هـذه القصيدة المنْحُولة ، أخذه ما أقامه وأقعده ، وملكه ما أزعجه وأكْمَده .

ولم يَبْقَ أحدٌ إلا زاره واشتكى ، وزأر[١] وبكى.

فكتب إليه معتذرًا :

مَالِمُوسَى الشَّرِيف أصبحَ يُبْدِى ... بعد ذاك الإقبالِ هَجْرِى وَصَدِّى

ما كَفَى أنّه أرادَ لِيَ الكَيْـ ... ـدَ مِراراً ولم يَنَلْ غيرَ وَجْدِ

زارَ دارَ النَّقِيبِ ذِى الفضلِ مَن أوْ ... صافُهُ الغُرُّ ليس تُحْصَى بِعَدِّ[٢]

ذِى المَعالِى والمكرُماتِ حجازِى ... مَن غَدا فى الأنامِ من غَيْرِ نِدِّ[٣]

سيِّدٌ جُـودُه لو اقتسمَتْهُ النَّا ... سُ طُرًّا لم تَلْقَ طالبَ رِفْدِ[٤]

الجليلُ الشَّهيرُ بابْنِ قَضِيبِ الْـ ... ـبانِ لا زالَ لِلْوَرَى بَدْرَ سَعْدِ

واشتكَى عنده وذمّ ولكنْ ... ذمُّ مِثْلِى مِن مِثْلِه ليس يُجْدِى

شاتِمًا مِنْ فِيهِ فى مَعرِضِ الهَزْ ... لِ وواللهِ لم يَرُمْ غيرَ جِدِّ[٥]

مُسْبِلاً دَمْعَهُ كأنَّ حبيبًا ... بعد قُرْبٍ رَماهُ منه بِبُعْدِ[٦]

مُبدِيًا من حرارةِ القَهْرِ ما لَوْ ... حلَّت الكونَ لم يكُنْ كُنْهَ بَرْدِ

وبدا مُغْرَمًا كأنْ يشتمى ... آدمىٌّ غَدا بصورةِ قِرْدِ[٧]

والذى أوجَبَ التخاصمَ أنِّى ... كنتُ قِدْمًا مَنَحْتُه صَفْوَ وُدِّى

ثُمَّ كَلَّتْ قَرِيحتِى عن مَدِيحٍ ... فاستعارَتْ له حَدِيقةَ حَمْدِ[٨]

---

(١) فى ب : « وراد » ، وفى خلاصة الأثر : « وحياه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى خلاصة الأثر : « زار دار النقيب ذو الفضل » . (٣) فى خلاصة الأثر : «من غير ضد» . (٤) فى خلاصة الأثر : « لم تبق طالب رفد » . (٥) فى ا : «غير وجد» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر.
(٦) فى خلاصة الأثر : « بعد قرب منه رماه ببعد » . (٧) فى ا : « كان يشتمى * آدميا » ، وفى خلاصة الأثر : «وبدا مغرما هناك يشتمى * آدمى ...» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) فى ا ، ب : « حديقة حمدى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

وَرَآهَا مِن بَعْدِ حَوْلٍ وشَهْرَيْـ … ـنِ بدَرْجٍ قد كانَ مِن قبلُ عندى

فَبَدَا منــــه ما بَدَا وسَقَانِى … وتَحَسَّى من أَكْؤُسِ الدَّمِ وِرْدِى[1]

وعَلَى كلِّ حالةٍ سيدُ الأحْـ … ـكَامِ أرْجُو وما سِواهُ تعدّ

* * *

ولمّا دار هذا القول ، وهدَرَ القومُ فيه هَدْرَ الشَّوْل .

كتب السيد أحمد بن النقيب[2] يُداعِب البَديعىّ بهذه الأبيات ، المخصوصة هنا بالإثبات .

وهى قوله :

مَوْلاىَ يُوسفُ إن يقولُوا سارِقٌ … للشِّعرِ فاحْذَرْ أن تضيقَ وتَضْجَرَا

هذا نَبِىُّ اللهِ يوسُفُ قبلُ قدْ … سرق الصُّواعَ وكان قولاً مُفترَى

لك من فَرائدِك الشَّوارِدِ شاهِدٌ … عَدْلٌ يَرُدُّ الخصْمَ عنك مُحيَّرَا

فإذا تناشَدَها العداةُ وأبْصَرُوا … من حُسْنِها ما لم يكنْ مُتَسَتَّرَا

ذهِلُوا عن الأيدِى ولكن قطَّعُوا … أكبادَهنّ [illegible] وتَحسُّرَا

* * *

وللبَدِيعىّ يودّع ابن الحسام[3] ، حين فارق الشّام ، بعد انفِصاله عن قضائها[4] ، وتوجّه إلى مركز عِزّه ، ويعتذِر إليه عن تخلُّفِه عنه[5] :

أُحاشِيه عن ذِكْرى حديثِ وداعِــه … وأُكبِرُه عن بَثّه وسَماعِــهِ[6]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وتحسى من أكؤس الدم دردى » . (٢) يعنى السيد أحمد بن محمد ، المعروف بابن النقيب ، وسيترجمه المؤلف ، فى القسم الخامس بحلب ، ويأتى برقم ١١٥ .

(٣) تقدم التعريف به فى صفحة ٢٠٣ (٤) فى ا : « قضايها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) الأبيات الستة الأولى فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٥ ، خلاصة الأثر ٤/٥١٠ .

(٦) فى ب : « وأكبره عن بشره » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « عن بثه واستماعه » .

وما كان صبرى عند وشك النوى على الأ ... جوى غير صبر الموت عند نزاعه

ونحن بأفق الشام فى خدمة الذى ... يضيق الفضا عن صدره واتساعه(1)

أجل قضاه الدين وابن حسامه ... وحامى حمى أركانه وقطاعه

عشية يوديع المنابر والعلى ... وكل فخار للورى فى رباعه(2)

وما سرت عن وادى دمشق ولم يسر ... وسؤدده فى مدنه وضياعه

سوى أننى لا أرتضى أن أرى به ... سواه على أعيانه ورعاعه

فأى فؤاد بعد يوم رحيله ... غدا سالما من وجده وانصداعه

فيا أيها السارى عن الشام بعدما ... ثوى عدله فى قاعه وبقاعه

ويا قادما بل راحلا عن بلادنا ... وفى كل أرض نير من شعاعه

فلا تنس عبدا نازحا شاع ذكره ... إلى بابك السامى علا بانقطاعه

ومن كان للأسد الضوارى انتماؤه ... له غنية فى دهره عن ضباعه(3)

وأنت الذى نوهت من قبل باسمه ... وأبقيت ذكرا خالدا باصطناعه

* * *

وله من قصيدة، يمدح بها النجم الحلفاوى(4)، مطلعها:

أتى زائرا وهنا ولم يخش عاذلا ... ونور ذكاء الأفق سار مراحلا

وجاد بما لو رمته من خياله ... لكان له أولى من الوصل باخلا

حبيب لو أن البدر أصبح حائزا ... ضياء محياه لما زال كاملا

رشيق كخوط الخيزران ما انثنى ... وما مال إلا وانثنى القلب مائلا

يحركه بالأعطاف أجنحة الهوى ... إذا حركت من فوقهن الغلائلا

---

(1) فى إعلام الأنبلاء، وخلاصة الأثر: «عن صدره باتساعه». (2) فى ب: «وكان فخار»، والمثبت فى: ا، ج، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر. (3) فى ب: «له عيشة»، والمثبت فى: ا، ج. (4) تقدم التعريف به، فى صفحة ٢١١.

فبتُّ أُعاطِيه سُلافَ مُدامةٍ ... تَرُدُّ الدياجى من سناه أصائلا[1]

إذا بزَغَتْ من راحتيه بدا من الـ ... ـزُّوَيرِ لنا ما كان من قبلُ آفلا

إلى أن نضا ثوبَ الشبابِ الدجى وقد ... غدت زهره إلا قليلا أوافلا

وذو الرَّعثات الخُمْرِ هَبَّ كأنما ... عليه صبيغ الفجر منه [illegible][2]

* * *

الرَّعَثات : جمع رعثة ، ورعثة الديك عثنونه .

قال الشاعر[3] :

* من صوتِ ذى رعثاتٍ ساكنِ الدار *

* * *

فكبَّر مولاه وقال إذ رأى ... طريق الدجى أضحى أدبر راحلا

وقام يحيِّينى من دونه كأنه ... وإياهم كسرى تحت القباب تلالا[4]

على قصب العقيان يمشى مجنَّبا ... جلابيب مثل الروض [illegible] الحافلا[5]

فسرنا إلى واد رحيب سماؤه ... تريك بدورا مشرقات كواملا[6]

إلى منزل للأنس فيه منازل ... حين غدا حسنا يفوق المنازلا[7]

حكى دنها أحشاؤه قد تضرمت ... بنار الأسى لو كان يشكو البلابلا

---

(1) في ا : « ترد الدجى من سنا » ، وفي ج : « ترد الدياجى من سنه » ، والمثبت في : ب .

(2) في ب : « منه متصلا » ، والمثبت في : ا ، ج . (3) هو الأخطل ، وهذا عجز بيت له ، صدره :

* ماذا يؤرِّقنى والنومُ يعجبنى *

ديوانه ٢/٤٢٦ ، واللسان (رعث) ٢/١٥٢ ، ومحاضرات الراغب ٢/٣٠١ ، [illegible]

(4) في ب : « من دونه كأننا » ، والمثبت في : ا ، ج . (5) في ب : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج . (6) في ب : « فسرنا إلى واد » ، والمثبت في : ا ، ج . (7) في ب : « [illegible] فيه وازل » ، والمثبت في : ا ، ج .

به يبذلُ الحسنَ المصونَ لمن به   وفى غيره لو كان ما كان باذلاً
ترى جُذْرَه كالعاشقين من الجوى   غَداةَ النَّوَى تبدِى دُموعاً هَواطِلا
لقد شادَهُ نجمُ الهدايةِ واحدُ الْ   أفاضلِ فى الشَّهْباء طَوْلاً ونائلا

(١) منها فى المديح :

وكم نَمَّقَتْ أفكارُه غَلَسَ الدُّجى   رياضاً سقاها الفضلُ طَلّاً ووابلا
حدائقَ لم يكسُ الحريرُ نظيرَها   ذُبولاً وقد كَسى الرياضَ ذوابلا
عرائسُ تلقاها بضافى ثيابها   فإنْ لاحَ مافيهنَّ قلتَ ثواكِلا
تجيبكَ عمّا رُمْتَ وَهْىَ صَوامِتٌ   ومَن ذا رأى خُرْساً تجيبُ المسائلا
بدائعُ فكرٍ للأواخرِ وَطَّدتْ   محاسنَ ذِكْرٍ تستقِلُّ الأوائلا

ألمّ فى هذه القطعة بقول السَّرِىّ الرَّفّاء ، فى وصف الكتب (٢) :

عندى إذا ما الرَّوضُ أصبح ذابلاً   تُحَفٌ أغضُّ من الرياض شمائلا
خُرْسٌ تحدّثُ آخِراً عن أوّلٍ   بعجائب سَفَهتْ وكنّ أوائلا (٣)
سُقِيتْ بأطرافِ اليَراعِ ظهورُها   وبطونُها طَلّاً أحمّ ووابلا (٤)
وتريكَ ماأوْدَتْ من دَهْرٍ مَضَى   حتى تراه بعيْن فِكرِكَ ماثلا

* * *

وله فى الشَّيْب :

يقولُ لِىَ الشَّيْبُ وقد راعَنِى   منه سَنًا قد أبادنى الوَسَنا

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، ويأتى فى ب عقب البيت الآتى .
(٢) ديوان السرى الرفاء ٢١٣ ، ٢١٤ .   (٣) رواية الديوان :
خُرْسٌ تحدّثُ آخِراً عن أوّلٍ   بعجائب سَبَقتْ ولَسْنَ أوائلا
(٤) فى ا : « وبطونها طلا أثم ووابلا » ، وفى ب : « وبطونها طلا أجم ووابلا » ، والمثبت فى : ج ، والديوان ، وبعد هذا البيت فى الديوان :
تلقاكَ فى حُمْرِ الثيابِ وسُودِها   فتخالُهن عرائساً وثواكِلا

إلى مَ لا تَرْعَوِى ألسْتَ تَرَى ... قد لبستْ كلُّ شعرة كفَنَـــا

* * *

وله فيه أيضا :

وسائلةٍ حالى وقـــدْ وَدَّعَ الصِّبا ... ولاحَتْ نجومُ الشَّيْبِ فى الرَّأسِ تَزْهَرُ

وما حالُ مَن يَغْدُو ومِن فَوْقِ رأسِه ... مدَى عُمْرِه لا زالت البِيضُ تَشْهَرُ[1]



(١) فى ب : « ما زالت البيض » ، والمثبت فى : ا ، ح .

١٣

محمد بن نور الدين الشهير بابن الدرا*

هو لمشامّ الأرواح نَسَمة ، وكأنه زَهرة تفتّحت عن كِمامة .

نزع في[1] أفق دِمَشق وبها برع ، وما أنحقه[2] إلا في نَعُوحة الترف ترعرع .

قمرة تتشبّه بالبدر إذا أقمر ، ونادِرة تتمثل بالغصن إذا أثمر .

وهو في ألطف الشمائل ، يتثنّى تثنّي نَوْر الخمائل .

ترقرق عليه ماء القَبول ، فنظم ما هو أرق[3] من نسيم القَبول[4] .

وشعرُه يكاد من كثرة مائه يتقطّر ، ويكاد القلبُ من غراميّاته يتفطّر .

ولأجل أنّه من أشعار الصِّبا ، وهي كما قيل : « الثمرُ باللِّبأ »[5] .

رقّ رِقّة دين الفاسق ، وشقّ عليه قلبَه العاشق .

وأنا من منذ ولعتُ بالشعر ، وساومت معه في سُوق الرقيق كلَّ غالي السعر .

شَغِفتُ به ... وأشعرُه ... تشغُّفَ المحبّ بمن يُحِبّ[6]

(*) محمد بن نور الدين ، المعروف بابن الدرا ، الدمشقي ، الشافعي .

ولد سنة ثمان وعشرين بعد الألف .

وقرأ العربية على النجم محمد بن يحيى الفرضي ، وحضر دروس النجم الغزي ، وكان قد حضر قبل ذلك دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي .

رحل إلى القاهرة ، وحج وجاور بمكة ، وفي مكة ألف شرحا على « سقط الزند » لأبي العلاء المعري ، لم يتمه .

وكان مغرما بالجمال ، كثير الهيام والتعشق ، وما أرق شعره ، وأعذب موقعه .

توفي سنة خمس وستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤ : ٢٤٩ .

(١) في ب ، ج : « من » ، والمثبت في : ا . (٢) في ب : « حققته » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « راق » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) القبول : ريح الصبا . (٥) اللبأ (كضلع) : أول اللبن . القاموس (ل ب أ) . وانظر دمية القصر ١ / ٨٠ ، تحقيق . (٦) في ا : « شغفت به ... لمن يحب » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « به ويحبه » ، والمثبت في : ا ، ج .

أنفكّه بيرِيع ثمرهِ ، وأعذه من لَيلِى ومن سَمَرِه .

وقد أنبت[1] منه بما أسال[2] فى[3] وَجْنة[4] الدّهر غرّةً ماءُ الحُسن فيها[5] مُتَرقرِق ، وحَسْبُكَ مِن شِعْرٍ إذا ماغَنّىَ به النَّبْتُ الهشِيمُ يُورِق .

فمنه قوله من قصيدة ، مطلعها :

ساقٍ أغنّ وروضـــةٌ غنّاء   ومُـــدامةٌ كَرْخيّةٌ صهباء

يسعى بها طَوْراً ويَخْنس تارةً   فيديرها من لحظه الإيماء

رَشأ تجاذَبَتِ المحاسنُ خَلْقَهُ   حتى لوَدّتْ أنّها أعضاء

خطّـارُ قامته الرّطيبةِ ماانْثنَى   إلا استلذّتْ فَتْكةَ الأحْشاء[6]

وشموسُ طلْعةِ حُسْنِه مذْأسْفرَتْ   جَمدتْ أفُولَ عقولِها العقلاء

فى جُنْح طُرّته وصُبْح جبينه   نِعْمَ الصّباحُ وحَبّذَ الإمْساء

أفديه إن أخذ الطّلا منه وقدْ   دَبّ الكَرى أجْفانُهُ الوطْفاء

نَخْمُوه من تُحَفِ الحديث لطافها   هى عندى الأكوابُ والنّدماء[7]

منها :

حتّى إذا أذْكى الحياءُ بخدّهِ   لَهباً به تتلهّبُ الأحْشـــاء

واحمرّ قلبُ عقاربِ الصُّدْغيْن وا   هْتَزّتْ بلؤلؤ عقْدِها الجَوزاء

فوقفتُ أحْيَرَ من مناطِقِ خَصْرِه   مُتوسِّلاً وذَعانِىَ اسْتِحْياء[8]

فأزاحتِ الخوْرُ نحْوَ غروبها   وبدا الشّمسُ جبينِهِ لألاء

ودَنا إلىَّ مُلاطِفـــاً بعتابهِ   ويَزِينه أدبٌ له وحَيـــاء

---

(١) فى ب : « أنبت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ا : « وجنته » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ج : « بها » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٦) فى ا : « إلا استذلت فتكة الأحشاء » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ب : « نخوه من تحف الحديث لطافة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ا : « ووقفت أحير » ، والمثبت فى : ب ، ج .

منها :

فَوَحَقِّ إفْحامِي بِمَا أَمْلاهُ لِي ... ولأَنَّنِي تَعْنُو لِيَ الفُصَحاءُ

لَأُعِيدُ ما أَسْدَتْه لِي حَسَنَاتُه ... أَنِّي وكَلِّي في هَواهُ وَفاءُ

لا بَلْ عَلَيَّ من العَفافِ وصَوْنِه ... وعُتُوِّ منْصِبِ خَشْيِه رُقَباءُ

ما ثَمَّ غَيْرُ تَلاثُمٍ وتَعانُقٍ ... وبَدَى مَفْرِشُ جِيدِه وغِطاءُ

وفَمِي على فَمِه وأشْكُوه الظَّمَا ... ظَمَأً جَنَاهُ لقَلْبِيَ الإرْوَاءُ

حتّى إذا أفْضَتْ أفاوِيهُ الصَّبا ... وأَتَتْ تُكَلِّلُ ذَيْلَها الأنْداءُ

وبَدَا الكَرَى يَسْطُو على إحْسَاسِهِ ... ورَقَى إلى أجْفانِه الإغْفاءُ [(١)]

عَطِسَ الصَّباحُ فَهَبَّ يَمْسَحُ نَعْسَةً ... لم يَشْفِهِ من مُقْلَتَيْهِ إفاءُ

* * *

قلت : قال المَرْزُوقِيّ في « شرح الفصيح » [(٢)] : عطس : فاجأ من غير إرادة ، ومصدره العَطْس ، والعُطاس الاسم ، جُعل كالأدْواء .

يقال : أرغم اللهُ مَعْطِسَه .

[(٣)] وعطس الصبحُ والفجرُ [(٣)] ، على التشبيه .

قلت : كما في قول ابن الوَرْدِيّ [(٤)] :

قلتُ له والدُّجَى مُوَلٍّ ... ونحنُ في الأُنْسِ والتَّلاقِي

قد عَطِسَ الصُّبْحُ يا حبيبي ... فلا تُشَمِّتْهُ بالفِراقِ

---

(١) في ح : « وبدا الكرى » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) نقل هذا أيضا الشهاب الخفاجي ، في ريحانة الألبا ٢ / ١٨٠ . (٣) في نسخ الريحانة : « وعطس الصبح : انفجر » . (٤) لم أجد هذين البيتين لابن الوردي ، في ديوانه ، وقد ذكرهما الخفاجي ، في ريحانة الألبا ٣ / ١٨١ ، قال : « ومن اللطف عند المتأخرين قوله : » .

ومثله غطاس الدهر، كما في قول الغزي [1] :

كم من بشكور إلى فخر ومنقبة … جملته لغطاس الدهر تشميت [2]

* * *

وله من أبيات، أولها :

عطفت على ود الهوى وولائه … وأخلفت أشراري لحفظ إخائه

وما ذاك إلا أن خاني شادن … يقطع أكباد الجفا بوفائه [3]

رخيم معاني الدل أدمت من رنوا … [illegible] خدود العاشقات ومائه [4]

سقيم حواشي الطرف والخصر عز أن … يلوح لرائي العين [illegible] قبائه

غلام كأن الله ألبس خده … لثام ورود مذهب بحيائه

وأودع جفنيه من السحر صارما … تلوح المنايا منه عند انتضائه [5]

فكم من فؤاد في وطيس [illegible] … جريح به مخضوبة بدمائه [6]

وللحسن بل لله [illegible] لقده … إذا [illegible] فيه طلا خيلائه

يهوديها [illegible] نحوى فيوهمني الهوى … بأداء [illegible] سلامه حتى [illegible]

وما هو إلا أن تحقق أن لي … [illegible] روح [illegible]

إلى الله أشكو أزقما فوق جيده … يجوس خلال الفكر حين [illegible]

---

(١) يعني أبا إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي، شاعر ضرب به المثل في صنعة الشعر، كانت له الرحلة إلى العراق وخراسان، ومدح آل بويه. توفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

شذرات الذهب ٤ : ٥٧ . نزهة الألبا ٣٨٧ ، وفيات الأعيان ١ : ٤١٦ .

والبيت في ريحانة الألبا ٢ : ١٨٠ .

(٢) في ريحانة الألبا : « [illegible] » ، وفي ب : « كم من تكور » ، والمثبت في : ا ، ج ، وريحانة الألبا . وانظر ما كتبه المحبي على هذا الأمر في خلاصة الأثر ١ : ٣٦٤ ، وفي [illegible] ريحانة الألبا ٢ : ١٨٠ ، ١٨١ . (٣) بعد هذا البيت في ب : « [illegible] » ، والأبيات في : ا ، ج .

(٤) في ا ، ب : « أدمت من روى ... خدود ... » ، والمثبت في : ج .

(٥) في ب : « عند انقضائه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « وكم من [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج .

ومهما تدامى وكره وهو يتقوى ... لوى كل عضو منهما بدائه

* * *

وله من قصيدة في الغزل ، مستهلها :

إليك شقيق في الصبابة أشتكى ... [illegible] به [illegible] وتطرب

أوانَ امتطينا فوق زهو مضمرا ... له قصبات السبق أين تذهب (١)

حملنا على جيش الهموم فلم يدع ... به [illegible] إلا ما يواريه مهرب

ولا رمح إلا من قوامه مهفهف ... ولا سهم إلا ما أراشته أهدب

ولا مرهف من غير ساج مدعج ... ولا درع إلا ثوب حسن مذهب

نصيرنا به مذ من بالوصل شادن ... صدوق الأماني في ترجيه يكذب

رقيق حواشي الحسن لولا مهابة ... له كاد بالألحاظ حاشاه ينهب (٢)

لطلعته في كل قلب مشارق ... وللعقل منها حين تشرق مغرب

خبير بأحكام الهوى [illegible] ... [illegible] الواشي لديه مكذب

وإذ كان مجبول الخلائق على [illegible] ... فاللاحي عليه معذب (٣)

* * *

وله مضمنا بيت المهيار (٤) :

فتنت به والصبح من فوق شعره ... بدا والشمس الراح فيه غروب (٥)

فكدت لما شاهدت لولا طلوعها ... بتشرق أفق الخد منه أذوب (٦)

---

(١) في ا : « أوان استطعنا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « كاد بالألحاظ أحشاه ينهب » ، والمثبت في ا ، ج . (٣) في ب : « إذا كان مجبول . . » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٤) في ب : « لمهيار الديلمي » ، والمثبت في : ا ، ج . وتقدم التعريف بمهيار ، صفحة ١٦٣ ، وهو أحد الأبيات في ديوان مهيار المطبوع ، وهي في خلاصة الأثر ٤ : ٢٥٦ . (٥) في خلاصة الأثر : « والشمس الروح فيه غروب » . (٦) في خلاصة الأثر : « بتشرق من أفق منه أذوب » .

وَلولا طُلوعُ الشَّمسِ بعــــدَ غُروبِها   هَوَتْ معَهـا الأَرْواحُ حينَ تَغيبُ

* * *

وله مضمِّناً(١) :

لقــد علِقْتُ ببَدْرٍ زانَهُ حَوَرٌ   في مُقلَتَيهِ به يسْطو على المُهَــجِ

وأهْلُه لم تَزَلْ تُغْرِيهِ في تَلَفِي   وكلّما ردَّ تيهاً زاد بي وهَجِي(٢)

فَلْيَصْنَعوا كُلَّما شاءوا لأنفُسِهِمْ   هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ فلا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجِ

* * *

(٣) ذَكَرْتُ هنا قول أيْمن بن محمــد السَّعدِيّ ، من مُوشّح أودع فيــه هذا البيت :

لَوْلا هــــوَى المُرادْ   ما كُنْتُ مِمَّن يُصــادْ

ولاَ شَجــــانِي البِعادْ   يا بَدْرُ أَهْلُكَ جَــادُوا

عليكَ جَــارُوا وزادُوا   لكنّهم بكَ ســـادُوا

فلْيَفْعَلوا مــــا أَرادُوا   فإنّهمْ أهْـــلُ بَدْرِ

* * *

(٤) ومن مبدعاته قوله :

ليس إلى الكِيمياءِ مُنْتَسِبــاً   مَن باتَ مِن حَرِّ نارِها موهَج

حتى استَحالتْ أجزاؤه ذهبــاً   بل مَن يعيــد العَقيقَ فيْرُوزَجْ

* * *

قلت : لله دَرُّه ، ما أبدع دُرَّه !

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .   (٢) في ب : « زاد بي وهج » ، وفي ج : « زاد في وهجي » ، والمثبت في : ا .   (٣) من هنا إلى نهاية الموشح ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .   (٤) في ب : « ومن قوله » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقد أخذ هذا المعنى شيخنا عبد الغني النابلسي[1] ، فقال :

قولوا لأهلِ الكيميا إنْ تدّعوا ... جَعْلَ النُّحاسِ كما زعمتُمْ عَسْجَدا

باللهِ هل في وُسْعِكم أن تصنعوا ... حجرَ العَقيقِ فتجعلوه زَبَرْجَدا

وللإشبيليّ ما[2] يقارب هذا في تبر :

لابْنَةِ الزَّنْدِ في الكوانينِ جَمْرٌ ... كالدَّرارِي في اللَّيلةِ الظَّلْماءِ

خبِّرُوني عنها ولا تكذِبُوني ... ألسِواها يكونُ لِلكِيمياءِ

سَبَكَتْ فحمَها صَفائحَ دُرٍّ ... رَصَّعَتْها بالفضّةِ البَيْضاءِ[3]

* * *

وله خمسة أبيات ، كالخمسة السيّارات ، يخرج من أوائلها اسم عثمان ، وهى :

على كلِّ عضوٍ فِيَّ دارتْ لِحاظُه ... كُئوسَ غرامٍ قد مُلِئْنَ من السِّحْرِ

ثَمِلْتُ بها وَجْدًا ولم أصْحُ صَبْوةً ... فها أنا بين الصَّحْوِ حَيْرانُ والسُّكْرِ[4]

معاذَ الهوى أن يُرْتجَى مِن يدِ الهوى ... خلاصِي وأنْ يقْضي بغيْرِ الهوَى أمْرِي[5]

أإن كان لي عن مذهبِ الحبِّ مَذْهبٌ ... فلا بَرِحتْ رُوحِي تُعذَّبُ بالهجْرِ

نعِمْتُ بهذا العَيْشِ والموتُ دونَه ... إذا كان يُرضِيه ولو كنتُ في أسْرِ

* * *

وله من رائية مُلِئتْ بنوافِث السِّحْر ، وغازَلَتْ عيونَ المَها بين الرُّصافةِ والجِسْر :

---

(١) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي ، من علماء القرن الثاني عشر ، وشعرائه ، دمشقي المولد والمنشأ ، رحل إلى بغداد ، ومصر ، والحجاز ، وتنقل في فلسطين ولبنان ، وهو من المؤلفين المكثرين ، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف .

تاريخ الجبرتي ١/١٥٩ – ١٦١ ، سلك الدرر ٣/٣٠ .

(٢) في ب : « بما » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « رصعتها في الفضة البيضاء » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا ، ب ، ج : « فها أنا بين الصحو . . . » .

(٥) في ب : « خلاص وأن يقضي . . . » ، والمثبت في : ا ، ج .

أما وظُبا الألحاظِ أرهفَها السِّحرُ وجالٍ فِرِنْداً في جوانبها الخمرُ (1)

فصالتْ بفتكٍ جاوزَ الحدَّ حدُّه على أنها مرضى وأجفانها فَتْرُ

ورايةِ قدٍّ ثقّفتها يدُ الصِّبا ولم يثنها إلا من الصَّلَفِ السُّكْرُ

خفرتْ على الأحشاء فتكاً وإنها لعادلةٌ بل لا أثيمَ بها وِزْرُ (2)

وعهدٍ بذي الوصلِ كان أُنساً به مباهجُه حيٌّ مراتعُه النَّضْرُ (3)

وحقِّ مواثيقِ الهوى بين أهلِه وعذبِ إشاراتٍ لهم دونها السِّحرُ (4)

لقد وضعتْ للحسنِ في التُّركِ آيةٌ على من عداهم مثل ما ابتسمَ الفجرُ

فكم فيهم من كلِّ أحورَ إن رنا أصابَ فؤادَ النُّسْكِ يتبعه الصبرُ

له حركاتُ الظبيِ تمزجُ عُجْبَها ويمشي الهُوَيْنَى ثم يدركه النَّفْرُ

وذي طُرّةٍ من فوقِ صلتٍ كأنها حواشي الدُّجى قد عنّ من تحتها البدرُ

تُمدِّدُها منه الرُّعونةُ شفقةً ولكن على تمديدها جمعُ التِّبْرُ

وخصرٍ ولكن لا مسمّى الكثيبِ معاطفُه حَسْرَى وما تحتها مَرُّ

يناجي معانيه الدقيقَ من الهوى فيبعثُ من بعدِ المماتِ له نَشْرُ

تعشّقته من بعدِ ما اندملَ الحشا ولم يبقَ نهيٌ للغرامِ ولا أمرُ

فيا ويحَ هذا القلبِ كم طعنَ الهوى ويعلمُ أنّ الحلوَ منه هو المُرُّ

فيا ربِّ إمّا لجَّ في غُلوائه فصبِّره للبلوى فقد برّحَ الضُّرُّ (5)

* * *

وجمعته مع مليحٍ لباله ، يشتهي القلبُ في شبهها نيلَه .

---

(١) في ا : « أم والظبا الألحاظ » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ج : « وجال فرند » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ا ، ب ، ج : « لعادلة بل لا أثم بها وزر » ، والتصويب من : د . (٣) في ب : « كان لهـا به » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا : « وعذب إشارات لهم دونه .. » ، وفي ب : « دونه سحره » ، والمثبت في : ج . (٥) في ب : « فقد برح الصبر » ، والمثبت في : ا ، ج .

والمجلس بتزاحم الرُّقباء شَرِق ، وكلٌّ منهم من فَرْطِ غَرامِه صَبٌّ أرِق .

فلاحتْ من المليح إيماءة مُعتقِد ، أعقبتْها وَجْلة مِن ناظِر مُنتقِد .

فلم يتمالك الشيخ[1] أن صوَّب النظر ، حتى كاد[2] يُفضي به إلى الأمرِ المُنتظَر .

فمذ استشعر الغلامُ عطَفَ عطفةَ مُشفِق ، وأراه في ضِمْن إعضائه موعدَ مُرفِق .

مُشيراً لكتمان[3] تارة بانطباقِ جفنٍ مُلِئ[4] سِحْراً ، وآونة بإظهارِ ثنايا أبانَتْ فَوْقَ ياقوت الشِّفاه دُرّا .

فقال :

قلتُ له والهـــوَى بينَنا ... يطوفُ بالكأسِ الهَنِيّ المَرِى

اكْفُفْ حُسامَ اللَّحْظِ عن مُهجةٍ ... ذابَتْ إذا رنّحك السُّكرى

فأغمدَ الهنديَّ مِن جفنِه ... ورصَّــعَ الياقوتَ بالجوهرِ

***

وله ، ويخرج منه اسم بكرى بطريقة النعمية[5] :

لَوَى ذو صُدْغٍ حالَهُ الخالُ مقرونًا ... أصابَ بها كَبِدِي العَذِيبَ ولا يَدْرِي

ولا بُدَّ مِن رَشْفٍ يبلُّ غصونَها ... فما شفَّ قلبي غيرُ منعِ لمى الثغرِ

***

طريقة حاله ، أن الواو بالحساب الهندي بستّة ، وترسم هكذا ٦ وأراد بليِّها قلبَها ، فتصير هكذا ٢ ، وهذا رسم الاثنين ؛ وله الباء .

وأراد بقوله « كبدى » ولا بُدّ ، الكافَ والياء ؛ و « رشفٍ يبلُّ غصونَها » الرّاء ، بالتنصيص عليه بقوله : « فما شفَّ » .

---

(١) في ب زيادة : « إلى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا زيادة : « أن » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « إلى الكتمان » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « مليئا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب : « طريقه » ، والمثبت في : ا ، ج .

وكونُ العمل فى البيت الأوَّل دون الثانى ، أو الآخر ، أو فيهما ، مما يُعاب عند أهل هذا الفن .

* * *

لكَ اللهُ دَعْنى مِن حديثكَ إنّه ... متى جئتَ تشقى مِن سوءِ المسامعِ[1]

وصُنْ رَوْنَقَ الوجهِ البديعِ جمالُه ... فإنْ لحتَ حاضتْ فى الجفونِ المدامعُ[2]

* * *

المعنى : أنّك إذا لُحْتَ سالت العيونُ دمًا ؛ لشدّةِ شغفِها بك . وفيه استعارة مصرّحة أو مكنيّة .

شبّه المدامعَ بالنساء ، والمرأة إذا اشتدّتْ شهوتُها وأفرطَتْ سالَ حيضُها .

وأصله قول المتنبى[3] :

خفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجمالَ ببرقعٍ ... فإنْ لحتَ حاضتْ فى الخدورِ العواتقُ[4]

والعواتق : هى الشوابُّ من النساء .

* * *

وله :

لِحاظٌ كأنَّ اللهَ أوْدَعَ جَفْنَها ... حَياةً لأرْبابِ الهوَى وهَلاكَا

إذا فوّقَتْ سَهْمًا يَخُطُّ دَمَ الحشَا ... عَلَى نَصْلِهِ أهْلاً جُعِلْتُ فِداكَا

* * *

وله :

رأتْ تَمَلّقَ عارضِه مُقْلَتى ... تعومُ على الثغرِ من غيرِ [illegible][5]

(١) فى ب : « تشقى من سوء السامع » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « وصن رونق الحسن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ديوان أبى الطيب ٧٠ . (٤) فى الديوان : « فإن لحت ذابت » ، وما فى المحبية بواعق ، فى بعض نسخ الديوان . (٥) فى ب : « رأت دمع عارضه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فسالَتْ دماً ثم قالتْ لنا ... ذبحْتُ كَرَاىَ على بِنْتِ نَملِ

* * *

وله :

وقد زعموا أنَّ القلوبَ بحبَّةٍ ... تُصادُ وقالوا إنَّها حبَّةُ الخالِ

ولكنَّه قد صادَ قلبي بحُبِّه ... بلا حبَّةٍ ربُّ الولا صاحبُ الخالِ

* * *

وله :

وَيْحَ قلبي مِن ظالمٍ لم يُبالِ ... بذهابِ النفوسِ تحتَ النِّعالِ

ما بدا للعيونِ إلا رأتْهُ ... مُرْهفاتٍ وأسهُماً وعوالِي[1]

لا ترُمْ وَصْلَه فقد قطعت بِيـ ... ـضُ سِرارِ الجبينِ رأسَ الوِصالِ

* * *

تناوله من قول الأمير المَنْجَكي[2] :

ألا دَعْني وشأني يا ابنَ وُدِّي ... ومحْوِى كلَّ شخصٍ مِن خيالي

أيُقْصَدُ مَن أسِرَّتُه سُيوفٌ ... طُبِعْنَ لضربِ أعناقِ السُّؤالِ

* * *

---

(١) فى ب : «مرهفات وأسهم وعوالى» على الرفع ليوافق القافية ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمعنى يتطلب نصب الكلمات الثلاث ، واضطر الشاعر إلى ترك النصب فى « عوالى » ليوافق القافية .

(٢) تقدمت ترجمته برقم ٧ ، فى صفحة ١٣٦ ، ولم أجد هذين البيتين بهذه الرواية فى ديوان منجك باشا ، ولكنى وجدت فيها قصيدة ولها هجا عما بن الأرنوط ، وقد نفه أنه انقص المنحكيين ، بدأها بقوله :

لَعَمْرِى ليس بالأشعار فخرى ... ولكن بالقواضب والعوالى

وختمها بقوله :

تسُبُّ صحابةَ المختارِ حيناً ... وحيناً تدَّعِى حُبًّا لآلِ

ويكرهُكَ الجميعُ كما كرِهنا ... لأرجُلِنا العتيقَ من النِّعالِ

أيُقْصَدُ مَن أسِرَّتُه سيوفٌ ... طُبِعْنَ لضربِ أعناقِ الرجالِ

(نفحة الريحانة ١/١٥)

ولى من أبيات :

أمْوَجُ إحْسانٍ أسِرَّةَ وَجْهِهِ   لِصَدِيقِهِ وسُيوفُ بَأْسٍ لِلْعِدَى

* * *

وله :

وكنتُ أصُونُ الدمعَ عن أن أُذِيلَه   إلى أن دَنَا يومُ التَّرحُّلِ لا كانا (1)

فقلّدتُها يومَ الوَداعِ بلؤلؤٍ   أحالَتْهُ أنفاسُ المُحَرَّقِ مَرْجانا (2)

* * *

وله :

أَلْزَمْتُ نفسي الصَّوْمَ عن سيِّدٍ   كالبدرِ يستوعِبُه الناظِرُونْ

آليْتُ لا أُفطِرُ إلّا على   وَجْهِ هِلالٍ ما رأتْه العُيونْ

* * *

وله :

وحقِّ هوًى مُصافحةُ المنايا   أخفُّ علىَّ منـــه باليدَيْنِ

إذا فكَّرتُ فيه لَمَسْتُ رأسي   كأنّى مُوقِنٌ بهجومِ حَيْنِي (3)

* * *

أصلُ هذا قولُ أبي نُوَاس في الأمين بن الرشيد (4) :

إنّى لَصَبٌّ ولا أقولُ بِمَنْ   أخافُ مَن لا يَخافُ مِن أحَدِ (5)

---

(1) أذال الدمع : امتهنه بإرساله . (2) في ب ، ج : « أنفاس مرتي » ، والمثبت في : ا .

(3) في ا : « بهجوم حين » ، والمثبت في : ب ، ج . (4) مختار الأغاني ٣/١٤٩ ، ١٥٠ ، وريحانة الألبا ٢/٢٩٦ ، طراز المجالس ٤ . (5) رواية مختار الأغاني :

أصبحتُ صَبًّا ولا أقولُ بِمَنْ   مِن خوفِ مَن لا يَخافُ من أحدِ

وفي الريحانة : « إنّى صب » ، ورواية النفحة توافق ما في طراز المجالس .

إذا تفكَّرْتُ فى هَـــوًى لهُ ... ألمسُ رأْسِى هل طارَ عن جَسَدِى [١]

وهـذا النَّوعُ من البَديع سمَّاه المُبرِّد فى « الـكامل » [٢] والتِّبريزىّ فى « شرح ديوان أبى تمّام » [٣] الإيماء .

وهو إما إيماء إلى تشبيه ، كقوله [٤] :

* جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قطّ *

أو إلى غيره .

قال الشِّهاب فى كتابه « الطراز » [٥] : « وكنت قبل هذا سمَّيْته طيفَ الخيال ، وهو أن ترسِم [٦] فى لوحِ فِكْرِكَ معْنًى صَوَّرَتْه يدُ الخيال، فتصُبّه فى قالب التَّحْقيق [٧] ، وترمز إليه بجَعْل رَوادِفِه وآثارِه مَحْسُوسة ادِّعاء ، كما أنّ ما يُلقى إلى المُتخَيِّلة فى المنام تُرِى ذلك [٨] ، ولا يلزمُ من ابْتِنائه على الـكِناية والتَّشْبيه أن يُعَدَّ منهما ، لأمرٍ مّا يدْرِيه مَن له خِبْرَةٌ بالبديع .

---

(١) رواية محار [illegible] :

إنْ أنا فـكَّرْتُ فى هَوًى لهُ ... مَسَسْتُ رأْسِى هَلْ طارَ عن جَسَدِى

وفى ريحانة : « أجس رأسى » ، وفى طراز المجالس : « مسست رأسى » .

(٢) الـكامل [illegible] ١/ ٢٧ . (٣) هكذا ذكر المحبى أن الشرح للتبريزى ، وكذلك [illegible] فى طراز المجالس ٤ ، وقد جاء فى ريحانة الألبا ٢/ ٥٠ ، ٥١ أن هذه التسمية جاءت فى شرح المرزوقى لديوان أبى تمام ، [illegible] حول هذا فى هامش الريحانة ، وانظر أيضا مقدمة [illegible] ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ، الجزء الأول ، صفحة ٣٣ من المقدمة . (٤) شرح الشواهد للعينى ٣/ ٦٤ ، وفيه : « عزى إلى العجاج ولم يثبت » ، طراز المجالس ٤ ، اللسان (م ذ ق) ١٠/ ٣٤٠ ، وروايته فيه :

* جَاءوا بِضَيْحٍ هلْ رَأيتَ الذِّئبَ قَطّ *

وصدر البيت :

* حتى إذا جَنّ الظّلامُ وَاخْتَلَطْ *

(٥) طراز المجالس ٤ ، وانظر ريحانة الألبا ٢/ ٤٩٦ ، ٤٩٧ . (٦) وطراز المجالس : « يرتسم » .
(٧) فى طراز المجالس : « المتحقق » . (٨) فى طراز المجالس : « كذلك » .

وفي كتاب « الإشارة » لابن عبد السَّلام [1] ، من المجاز تنزيلُ المتوهَّم منزلةَ المحقق ، كقوله : ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [2] ، أي في حُسْبان رائيها .

[3] ومثلُه من الشعر [3] قولُ أبي نواس .

وأنشد البيتين .

المتنبي [4] في منهزم [5] :

وَلَـكِنَّه وَلَّى وللطَّعْنِ سَوْرَةٌ   إذا ذَكَرَتْهَا نَفْسُه لَمَسَ الجَنْبَ

المنازي [6] :

يَرُوعُ حَصاهُ حَالِيَةَ العَذَارَى   فَتَلْمِسُ جَانِبَ العِقْـدِ النَّظِيمِ

المنجكي في وصف خط [7] :

لَوْ شامَ ذو الخالِ نَقْطَ أَحْرُفِهِ   لَرَاحَ باليَدِ لامِسَ الخَـدِّ [8]

وللشهاب [9] :

لِلّهِ نَهْرٌ صَفَا فأَبْصَرَ مَنْ   يَعُومُ في جَنْبِ شَطِّـهِ سَمَكَهْ

---

(١) ما بين الحاصرتين نقل من طراز المجالس ، وهو يعني عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي ، سلطان العلماء ، وأحد الأئمة المجتهدين ، المنافحين عن بيضة الإسلام ، توفي سنة ستين وستمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/ ٨٠ ـ ١٠٧ ، فوات الوفيات ١/ ٥٩٤ .

وكتابه هذا يسمى « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » ، وهذا القول فيه ، في صفحة ٥٢

(٢) سورة الكهف ٨٦ .   (٣) في طراز المجالس : « ومثاله » .   (٤) في ب : « والمتنبي » ، والمثبت في : ا ، ج ، وطراز المجالس .   (٥) ديوان أبي الطيب ٣٢٠ ، من قصيدة له ، وطراز المجالس ٤ .

(٦) يعني أبا نصر أحمد بن يوسف المنازي ، شاعر ، وزر لأحمد بن مروان ، صاحب ميافارقين ، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

معجم البلدان ٤/ ٦٤٨ ، وفيات الأعيان ١/ ١٢٦

والبيت له في : ريحانة الألبا ٢/ ٥١ ، ٤٩٧ ، طراز المجالس ٤ ، معاهد التنصيص ١/ ٨٥ ، معجم البلدان ٤/ ٦٤٩ ، وفيات الأعيان ١/ ١٢٦

(٧) سقطت هذه المقدمة والبيت من طراز المجالس ، والبيت في ديوان منجك ١٩ .

(٨) وروايته في الديوان :

لَوْ شامَ ذو الخالِ رَقْمَ أَحْرُفِها   لَرَاحَ بالكَفِّ لامِسَ الخَـدِّ

(٩) البيتان في طراز المجالس ٤ .

يَمُدُّ كَفًّا لَهُ لِيأْخُذَها يَظُنُّ نَسْجَ الصَّبَا لها شَبَكَهْ[1] »

وهو مأخوذ من قول عُمَر الحار[2] :

انْظُر إلى النَّهرِ فى تَطَرُّدِهِ وصَفْوِه قد وَشَى على السَّمَكِ
تَوَهَّم الرِّيحُ صَفْوَهُ فَغَدَا للنَّسْجِ فوقَ الغَدِيرِ كالشَّبَكِ[3]

* * *

قلت : ثم رأيت الشِّهاب ذَكَر بيتَ أبى نُوَاس فى آخر الرَّيْحانة[4] ، وقال :

« قد تلطَّف وأغْرَب فى قوله « أَمَسُّ رَأْسِى » ؛ لجعْله مايترقَّبُه واقِعاً به ، حتى فَتَّش عن رأْسِه ، وجَسَّها بيده ، ليعلَم هل قُطِعتْ أم لا[5] .

وهذا كقول المَنازِىّ .

وأنشد البيت .

وفيه التَّعْبير عن المَقال بالفِعال ، كقوله :

* ويَشْتُمُ بالأفعالِ قَبْلَ التَّكَلُّمِ[6] *

---

(١) فى طراز المجالس :

يَمُدُّ كَفًّا لَهُ لِيأْخُذَهُ لأنَّ نَسْجَ الصَّبَا بِهِ شَبَكَهْ

وهذا آخر النقل من طراز المجالس .

(٢) فى الأصول : « المختار » ، وهو خطأ .

وهو عمر بن مسعود بن عمر ، سراج الدين المحار الحلبى الكتانى ، شاعر ، وفق فى نظم الموشحات . توفى بعد السبعمائة ، كما ذكر ابن شاكر ، أو سنة إحدى عشرة أو اثنتى عشرة بعد السبعمائة ، كما ذكر ابن حجر .

الدرر الكامنة ٣/٢٧٠ ، فوات الوفيات ٢/٢١٩ .

والبيتان فى : الدرر الكامنة ٣/٢٧٠ ، ريحانة الألبا ١/١٠٩ .

(٣) فى الدرر الكامنة :

تَوَهَّمَ الرِّيحُ صَيْدَها فَغَدَا يَنسِجُ مَتْنَ الغَدِيرِ كالشَّبَكِ

وفى الريحانة : « ينسج فوق الغدير كالشبك » .

(٤) الجزء الثانى ، صفحة ٤٩٧ . (٥) فى الريحانة : « أولا » .

(٦) رواية الريحانة : « وتشتم بالأفعال » ، ورواية العكبرى فى شرحه لديوان المتنبى ١/٢٣٧ :

* ونَشْتِمُ بالأفعالِ لا بالتَّكَلُّمِ *

ومثله قول ابن رَشِيق (١) :

قَبَّلنِي مُحْتَشِماً شادِنٌ أحْوَجَ ما كنتُ لتَقْبِيلِه
أوْمأ إذْ حَيَّى بِنَا رَنْجَةٍ عَرَفْتُ منها كُنْهَ تأْوِيلِه (٢)
لَمّا تطيَّرتُ بمَعْكوسِها ضَمَّتْ بَنانًا نحوَ تَقْبِيلِه (٣)

قال : وهذا المازِ مَن ذكره ، وهو مما اسْتخرجْتُهُ ، وسمَّيتُه نُطْقَ الأفْعال » .

انتهى .

* * *

ولابن الدرّا مُذيّلًا بَيْتَي الخنّاقي (٤) ، الّذين أعار سهما ساحة (٥) الشَّرَفَيْن (٦) صَفْحَتَه ، وساقَ سهما إلى الوِرْدِ العالي (٧) نَفْحَتَه .

وهو قوله :

نَصَبا المرجةِ المُلَاّ ذَيْلَها عَلِّلِ القلبَ عَلَّ يَبْرُدُ وَيْنَه (٨)
وادّكِرْ يومنــــا بِيوْمَيْ حبيب شَامنا والسُّلافُ ترْكُضُ حبابَه (٩)
ونديمٍ رَقَّتْ حواشِيه لُطفا وتَحَكَّمِ الهــــوَى تجْتَبِي نِيه
سَمْهَرِيّ القَوامِ ما ماسَ تِيها أو دَلالا إلّا وأَشْبَهَ مَيْلَه

(١) ديوان ابن رشيق القيرواني ١٥٢ ، ريحانة الألبا ٢/٤٩٧ . (٢) في ريحانة الألبا :

أوْمأْتَ إذ جاء بتَرْجَمةٍ عرفتُ فيها كُنْهَ تأويلِه

وفي الديوان :

أوْمأَ إذ حَيَّى بتَرْجَمةٍ عرفتُ فيها كُنْهَ تأْوِيلِه

(٣) في ا ، ب ، ج : « نحو قبلة » ، وفي الديوان : « نحو تقبيل » ، والمثبت في ريحانة الألبا .

(٤) تقدم التعريف به في صفحة ١٢٠ ، وقد ذكر المحبي في خلاصة الأثر ٣/٣٧٤ ، ٣٧٥ ترجمة أبيات من المقطوعة الآتية ، منسوبة للخناقي ، وهي عنده الأبيات الثلاثة الأولى ، والبيت السادس .

(٥) في ج : « ساحة » ، والمثبت في : ا ، ب . (٦) تقدم التعريف بالشرفين ، في صفحة ١٦٥ ، وانظر نزهة الأنام ٧٠ . (٧) في ج : « العالي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٨) تقدم التعريف بالمرجة ، في صفحة ١٦٥ ، وانظر نزهة الأنام ٧٣ ، ٧٤ . (٩) في ب : « وذكر عهدنا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ٣/٣٧٤ .

ذِى مُحَيًّا كالبدرِ فى جُنْحِ لَيْلٍ ... باخْتِلاسِ العُقولِ قد جُنَّ لَيْلُهْ
جِئْتُ مِن تحتِ ذَيْلِهِ مُسْتَجِيراً ... والتَّجَنِّى علىَّ يَسْحَبُ ذَيْلَهْ
قلتُ يامَن فى حَلْبَةِ الحُسْنِ قد حا ... زَ السَّبْقَ حيثُ الجمالُ تَرْكُضُ خَيْلُهْ(1)
الأمانَ الأمانَ مِن حَرْبِ إعْرا ... ضِكَ عَن مُغْرَمٍ تراكَمَ وَيْلُهْ(2)

* * *

ومن مُجُونه المُسْتَغْرَب قوله :

لنا صاحِبٌ مُغْرًى بعَوْنِ ذوِى الهوَى ... يُشارِكُهُمْ فى وَجْدِهِمْ والتَّوَلُّهِ
إذا عَزَّ أن يَلْقَى مُحِبٌّ رَقَى عَلَى الشَّـ ... ـواهِقِ يَسْتَقْرِى دُخَنَ التَّأَوُّهِ

* * *

وله فى المَنْزِلة المعروفة بالوجْه، فى طريق الحاجِّ المِصْرِى :

شَكَا أهلُ وَجْهٍ قِلَّةَ الماءِ عندَهمْ ... وأنَّ الحَيا شَحَّتْ عليهمْ سَماؤُهْ
فقلتُ لهمْ قولا لهمْ فيــــه سَلْوَةٌ ... إذا قَلَّ ماءُ الوجْــــهِ قَلَّ حَياؤُهْ

* * *

المِصْراعُ الأخير مُضَمَّنٌ من قولِ القِيراطِى(3) فى هذا المحَلّ(4) :

أقولُ وقد جِئْنَا إلى الوَجْهِ جُمْعُنا ... عِطاشًا وكلٌّ خابَ فيه رَجاؤُهْ(5)
إذا قَلَّ ماءُ الوجْــهِ قلَّ حَياؤُهْ ... ولا خيرَ فى وَجْهٍ إذا قَلَّ ماؤُهْ

* * *

---

(1) فى ب : « يا من فى دوحة الحسن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (2) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (3) برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد القيراطى، فقيه ، أديب ، شاعر ، من أعيان القاهرة ، توفى بمكة أثناء مجاورته بها ، سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ١/٣٢ ، شذرات الذهب ٦/٢٦٩ .

(4) جاء هذان البيتان منسوبين إلى الشهاب الخفاجى ، فى ريحانة الألبا ٢/١٦٧ ، وذكر الخفاجى بيتى القيراطى الآتيين . وقد سقطت هذه المقدمة والبيت التالى لها ، وصدر البيت الثانى من : ب ، والمثبت فى : ا ، ج . (5) فى ريحانة الألبا : « إلى الوجه مرة » .

قلت : ووجهُ الهَجْوِ للوَجْه ، بسبَب قِلّة مائِه هو الوَجْه .

وللقطب المكّي[١] في مدحه[٢] :

أقولُ ووادِي الوَجْهِ سالَ مِن الحَيا ... وقد طاب فيه للحَجيج مُقامُ[٣]

على ذلك الوَجْـهِ المليحِ تحيّةٌ ... مُباركةٌ مِن ربِّنا وسَـلامُ

وللقيراطي فيه[٤] :

أتيْتُ إلى الحِجاز فقلتُ لمّا ... تبدّى وَجْهُه لي وارْتَويْتُ

وكَمْ في الأرْضِ مَن وَجْهٍ مليحٍ ... ولكن مثلَ وجهِك ما رأيْتُ

* * *

وهذا قد ظهَرت فيه الوِجْهَة ، واندَفعتْ عنه الشُّبْهة .

وبهذا تعلَمُ مذهبَ العرب، وأهل الأدب، في مَدْح الشيء وذَمّه ، كما فعل الحَريريّ في الدينار[٥] .

وقد ألّف الثّعالبيّ[٦] ، وابن رشيق[٧] في ذلك .

---

(١) قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد ، النهرواني ، الهندي ، الحنفي .

ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة ، وأخذ عن شيوخ عصره ، فبرع في الفقه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، وله شعر رقيق .

كتب « تاريخا لمكة المشرفة » ، وألف « طبقات الحنفية » ، وقد احترق في جملة كتبه .

توفي سنة تسعين وتسعمائة .

البدر الطالع ٢/٥٧ ، خبايا الزوايا لوحة ٨٧ ا، ريحانة الألبا ١/٤٠٧ ، سمط النجوم العوالي ٤/٣٩٧ ، شذرات الذهب ٨/٤٢٠ .

(٢) البيتان في ريحانة الألبا ٢/١٦٧ . (٣) في ا : « دس من احيا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وريحانة الألبا . (٤) البيتان في ريحانة الألبا ٢/١٦٧ . (٥) في المقامة الثالثة. المقامات الحريرية ١٩ ، وانظر شرح المقامات للشريشي ١/٤٠ . (٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المتوفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، ألف في هذا الفن كتابه « الظرائف واللطائف » ، وكتابه « اليواقيت في بعض المواقيت » ، وقد جمع بينهما أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي ، في كتاب طبع بالمطبعة العامرة الشرفية ، بمصر . (٧) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة . ولا أعلم له كتابا برأسه في هذا الفن ، وقد نقل الشريشي مقالة ابن رشيق في شرحه على المقامات ١/٤٧ .

قال ابن رَشِيق : أكثرُ ما تجرى هذه المحامِدُ[1] والمَذامُّ على جِهَةِ[2] المُمالحةِ ، لا مِن باب المُشاحَحة ؛ وإلّا فالشَّئُ لا يُوافِق ضِدّه ، فيكون الحسن قبيحاً[3] والقبيحُ حَسَناً[3] فى حال[4] واحدة[5] لمعنى[6] واحد[5] ، لكن لكلّ شيء كما ذكر الجاحظ مَساوٍ ومَحاسِن ، كما فعل عَمرو بن الأهْتَم[7] بَين يدَىْ رسولِ الله صَلّى الله عليه وسلم ، وقد استشهده الزِّبْرِقانُ بن بَدْر على ما ادَّعاه من الشَّرف فى قومه .

قال عمرو : أجَلْ يا رسولَ الله ، إنّه مانِعٌ حَوْزَتَه ، مُطاعٌ فى أَدْنَيْه[8] ، [9] شَديدُ العارضة[9] .

فقال الزِّبْرِقانُ : أمَا والله[10] لقد علِمَ أكثرَ ممّا قال ، ولكن حسَدنى شَرَفى .

قال عمرو : أما وقد[11] قال ما قال ، فو اللهِ ما علِمْتُه إلا ضَيِّقَ العَطَن[12] ، زَمِر[13] المُرُوءة ، لئيم الخال ، حديثَ الغِنَى .

فرأى الكراهةَ فى عَيْن النبىّ صلى الله عليه وسلم لَمّا اختلف قوله ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت ، وغضِبْتُ فقلت أقبحَ ما علمتُ ؛ وما كذبْتُ فى الأُولى ، ولقد صدقْتُ فى الثانية[14] .

---

(١) فى شرح المقامات : « المادح » . (٢) فى شرح المقامات : « على جهة المناصفة ومن باب المسامحة » . (٣) ساقط من شرح المقامات . (٤) فى شرح المقامات : « حالة » . (٥) ساقط من شرح المقامات . (٦) فى ب : « بمعنى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) قصة عمرو بن الأهتم مع الزبرقان بن بدر أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى البيان والتبيين ١/٥٣ . (٨) فى ب : « أذنيه » ، وهى رواية توافق بعض نسخ البيان والتبيين ، وفى شرح المقامات : « أنديته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والبيان والتبيين . (٩) ساقط من البيان والتبيين . (١٠) فى البيان والتبيين : « إنه » . (١١) فى البيان والتبيين : « لئن » . (١٢) فى البيان والتبيين : « الصدر » . (١٣) فى شرح المقامات : « زمن » ، وزمر المروءة : « قليلها » . (١٤) فى البيان والتبيين : « الآخرة » .

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِن الْبَيانِ لَسِحْراً ، [١] وَإنّ مِنَ الشّعْرِ لحِكْمَةً [١] » .

ولقد أحسن ابنُ الرُّومِيّ ، حيث قال :

في زُخْرُفِ القولِ تزْيينٌ لِباطِلِه ... والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغييرِ

تقولُ هذا مُجاجُ النَّحْلِ تمدحُه ... وإن تَعِبْ قلتَ ذا قَيْءُ الزّنابيرِ

مَدْحاً وذمّاً وما جاوزْتَ حدَّهما ... سِحْرُ البَيانِ يُرِى الظَّلْماء في النُّورِ



(١) ساقط من البيان والتبين

١٤

عبد الباقي بن أحمـــــد ، المعروف بابن السَّمَّان*

زهرة النَّاظِر المتنشِّق ، وزهرة المُجتلِى المتعشّق .

مسحتْ خلالَه قذَى العيون ، فما رأته إلَّا وهي نقيَّة الجفُون .

تتستَّر[1] الملاحةُ في غلائِله ، وتتقطَّر[2] الرَّجاحةُ من شمائِله .

يَعْشَقُه من كان غَـــــدَهُ ونُكْبِر الوجدَ نحوه الأمسُ

وله طبعٌ كالرَّوض صفَتْ بِهِ الصَّبا ديباجةَ وجْهِه الوسيمِ ، تَتَاقَى النفوس من[3] قبوله تلَقِّي المخمورِ بَرْدَ النَّسيم .

غرائبُ حديثِــه دُرَرُ العقولِ ونُجَعُ الأسماعِ ، يتجاوز بها غاياتٍ لم تختلجْ في خواطِرِ الأطْماع .

وشعْرُه يفعل بالألباب فعلَ نفثاتِ الدِّنان ، وما السِّحْرُ سِحْرُ مِراضِ الأجْفان ، ولكنَّما هو سِحْرُ البَيان .

وذِكْرُ مَبْدإ أمرِه ، ومطلعِ قصيدةِ عمرِه .

(*) عبد الباقي بن أحمد بن محمد ، المعروف بابن السمان ، الدمشقي .

ولد سنة خمس وعشرين وألف .

وقرأ النحو والفقه بدمشق ، على عمه أحمد القاضي .

ثم سافر إلى القاهرة ، ودرس على الشيخ عبد الباقي بن [illegible] المقدسي ، وعلى الشهاب أحمد بن محمد الحموي المصري ، وعليه تخرج في الأدب .

وسافر معهما إلى الروم ، وتنقلت به الأحوال حتى صار [illegible] .

اشتغل بالتدريس والتأليف .

وكان صديقا للمحبي ، وقد دار بينهما محاورات ومراسلات كثيرة .

توفي سنة ثمان وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٢ / ٢٧٠ .

(١) في ب : « تستتر » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « وتتعطر » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

أنه تمادى لاشتغال وخط غداره ما بقل ، ثم خرج إلى مصر وروضه على أول ما أثمره المقل .

ثم تتابعت عليه الرحل يميناً وشمالا ، وهو يترقى في المعارف سُبُلاً واشتمالا .

ولم يبق بلدة إلا جنى ثمرها ، واستفاد فوائدها وسمرها .

ولا رئيس[1] إلا فاز بنعمه ، وحصل على غرائب قسمه .

حتى وصل إلى مجلس السلطان في خاتمة المطاف ، فقام برهه في مبرات وألطاف .

وقد حطته الحظوة ، وما قصرت له الخطوة .

وخطته السعادة بأبصارها ، وتواردت[2] لكفايته بأنصارها .

ثم كثر فيه المخالط واللاغي[3] ، واشرأبت النفوس إلى ما في طبائعها من التباغي .

فأبعد بعد ذلك التقريب ، وأوشك أن يجفوه البعيد والقريب .

وجربه الدهر بالأقدار ، تجربة الياقوت بالنار .

ثم أعطي مدرسة بدار الخلافة ، فطاوعه البخت بعدما أراد خلافه .

واستقر الأمل لديه ، استقرار الطرس في يديه .

ولما كنت بأدرنة وردها فلقيته برهة ، لا أعدها من عمري إلا نزهة .

وكنت من الاغتراب ، في نهاية الوحشة والاضطراب .

فأنست به بعد التوحش ، وأنسيت مورداً أرواني من التعطش .

ولما كان مقامه بها كنغبة[4] طائر على وجل ، لاهتمامه بالعود إلى مقره على عجل ،

---

(١) في ب : « رأس » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « وتوازرت » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ب : « واللاغا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) النغبة : حسوة الطائر من الماء .

لم أَسْتَتِمَّ عِنَاقَهُ لِلِقَائِهِ حتى ابْتَدَأْتُ عِنَاقَهُ لِوَدَاعِهِ

فكتبتُ إليه عند الوَداع، رُقْعةً مُحْكَمة الإبْداع.

وهى :

إمامُكَ التَّوفيقُ والرُّشْدُ وخِدْنُكَ التَّأْيِيدُ والسَّعْدُ

وكُلَّما حلَّيْتَ فى مَنْزِلٍ قابَلَكَ الإقْبالُ والجَدُّ

مَوْلاى مَن ذِكْرُه أَنِيسى، فى وَحْشتى وغُرْبتى، وخيالُ لُطفِه جليسى، فى وِحْدتى وكُرْبتى،

أنتَ الكَرَى مُؤْنِسًا طَرْفى وبعْضُهمُ مثلُ القَذَى مانِعًا طَرْفى من الوَسَنِ [(١)]

لا زالت مَقاليدُ السَّعادةِ طَوْعَ يديْك، ومِرْقاةُ السِّيادة مشْغُوفةً بلَثْم قدمَيْك.

والعمرُ المديد، والطَّالِع السعيد.

هذا حَشْو ثِيابك، وذا خادِم رِكابِك،

فارْحَلْ لكَ البُشْرَى بأيْمَنِ طالعٍ وعلى السَّلامة والسِّيادةِ فانْزِلِ

يشْهدُ اللهُ أنى مِن مُنْذ شُدَّت [(٢)] الرِّكاب [(٣)]، وأزِف البَيْن بفِراقِ الأحْباب [(٤)].

حِرْتُ مُقَسَّمًا بين نفس مُقيمة بكَرْبِها، ورُوح رهينةٍ فى رَكْبِها.

على أن النَّفسَ وإن أقْعدَها الدَّهرُ قَسْرًا، لم تقْعُد عنك ساعةً فِكْرًا.

ولا غِبْتَ [(٥)] إلَّا على عيونِ الإقْبال فى إغْماضِها، وعلى نُفوس الآمال [(٦)] فى انْقِباضِها.

---

(١) البيت للشريف الرضى، وهو فى ديوانه ٥٢٩، وفيه: « لقد توامق قلبانا . . . »، والتمثيل والمحاضرة ١٢٠، وحسن التوسل ١٥٨.

(٢) فى ا، ب: « شهدت »، والمثبت فى: ب.

(٣) فى ب: « الركائب »، والمثبت فى: ا، ج.

(٤) فى ب: « الحبائب »، والمثبت فى: ا، ج.

(٥) فى ب: « عبث »، وفى ج: « غبت »، والمثبت فى: ا.

(٦) فى ب: « الاقبال »، والمثبت فى: ا، ج.

حيثُ رماني الزمن، بسهمِ الحِرْمان.

وإنَّ من أعظمِ البلوى أخا لَسَنٍ ... يبيتُ ضيفاً لمجدٍ في الورى خَرِسِ[1]

وإلى اللهِ أرفعُ قِصّتي، وأبتهلُ إليه في دفعِ غُصّتي.

عسى اللهُ إنّ اللهَ ليس بغافلٍ ... ولا بُدّ من يُسرٍ إذا ما تناهى العسرُ

وأسأله سبحانه أن يُيَسِّرَ نيلَ المُنى، ويُزيلَ عنّا هذا العَنا.

ويُطفئَ نارَ الجوى، على رغمِ أنفِ النوى.

فنشكرَ سيئةَ ألمِ الفِراق، بحُسنِ نعيمِ التلاق،

إنْ عاد شملي بمن أهواه مجتمِعاً ... لا أعتبُ الدهرَ فيما بالذي صَدَعا

ثم قدمتُ إلى القسطنطينية فالتقيتُ به تلاقِيَ رُوحٍ، بجسمٍ مطروح.

وامتزجتُ معه امتزاجَ، راحٍ بماءٍ قَراح.

ومضتْ لي معه أوقاتٌ عددتُها من حسناتِ الزمان، وعددتُها تاريخَ الأماني والأمان.

والأوقاتُ لا تتفاضلُ بذاتها، ولكنّ الأوقاتَ بمن فيها لذّات.

أتمتّعُ من لفظِه بائتلافِ العقود، ومن معناه بسلافِ العنقود.

حتى تولّاه مولاه بعفوِه ورضوانه، وقضى بتفريقِ شملِ أخدانِه وإخوانه.

فأضحى كالغُصنِ المرجَّم، وخبرُه كاللفظِ المرخَّم.

وقد فقدتُ به الوطرَ[2] في حضرتِه[3]، والعيشَ الذي ينقضي من نَبْتِ الربيع في[4] خُضرتِه[5].

وكان أعارني من فوائدِه صَدْراً وافياً، وأهدى إليّ من فرائدِه قدْراً كافياً.

---

(١) في ا: «وإن من عظيم البلوى أخا لسن»، والمثبت في: ب، ج. (٢) في ب: «الطرب»، والمثبت في: ا، ج. (٣) في ب: «نظرته»، والمثبت في: ا، ج. (٤) ساقط من: ب، وهو في: ا، ج. (٥) في ب: «خضره»، والمثبت في: ا، ج.

فعدمْتُ من فضْلِ ربيعِها ورداً ، وبقيتُ بعْدَها كالسَّيفِ فَرْدَا .

***

فممّا أخذْتُه عنه من أشعارِه التى أخذَتْ أطْرافِ الحُسْن ، وإذا تُليتْ على محْزون سَرَّتْ عن فؤادِه الحُزْن ، قولُه من قصيدة ، مُستبلها :

يُشوِّقُنا للدَّارِ ذِكرُ الحبائبِ ... ويُنْطِقُنا بالحمْدِ فَيْضُ المواهِبِ

وإنّا لقومٌ ماترى الحبَّ سُبَّـةً ... إذا ماراْتْهُ سُنَّةً آلُ غالِبِ[1]

ولا نَرْهبُ الأقْـدارَ إلا إذا رمَتْ ... سِهامَ المنايا من قِسيِّ الحواجِبِ

ولا نعذُل الأحْبابَ فى الصَّدِّ والجفَا ... ولا نَرْتجِى سِلْمَ العدوِّ المحارِبِ

إذا كان قلبُ المرءِ ليس يُطيعُـه ... فأجْدَرُ بالعصْيانِ قلبُ الأجانبِ

وليلٍ كقلْبِ السَّامِرىِّ وظِـلِّه ... كواكبُه لا تَهْتدِى للمغارِبِ

قطعتُ وأصْحابى سُكارَى من الكَرَى ... وقد سَمَّنا والدهْرَ نُوبُ الغياهِبِ[2]

على ضامرٍ كالسَّهْم سَـيْراً ورِقَّةً ... فأبْعَدُ مطلوبٍ وأقربُ طالبِ

أحاولُ سَبْقَ الشُّهْبِ وهْىَ تفوتُنى ... وأتْعبُ ماحاولتَ سَبْقَ الكواكبِ

جَوادٌ سَخِىُّ الكفِّ فى كلِّ حالةٍ ... يُداوِى بنَعماه جُروحَ النَّوائبِ[3]

دَفعْنا بجَدْواهُ الخطوبَ وجُودِه ... وقد يدْفعُ الدِّرْياقُ سمَّ العقاربِ

همامٌ أتى فى مَجْدِه وصِفاتِه ... وأفْكارِه دون الورَى بالعجائبِ

ومولى يكاد البحر يُشْبِهُ جُودَه ... ولكنّه كالشُّهدِ عذْبُ المشاربِ

به يفخرُ الأيّامُ والمجد والعـلا ... إذا افتخرت أمثالُه بالمراتبِ

---

(١) رواية ب للبيت :

وإنا لقومٌ ما نرى الحبَّ سُنَّةً ... إذا ما رأتْهُ سُنَّةً آلُ غالبِ

(٢) فى ب : « وقد نسما والدهر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « يداوى بنعماه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وتَخْشَى نهاياتِ العواقِبِ رأْيَه … إذا خافَ أهلُ الرَّأْيِ سُوءَ العواقِبِ

وعلاَّمةٌ لو كان من قبلِ مالكٍ … لَمَا اخْتلَفتْ أقوالُ أهلِ المذاهبِ

مفَكِّرُ دقيقِ الفِكْرِ في كلِّ مُشْكِلٍ … منَ الأمرِ كالسَّيفِ الرَّقيقِ المضاربِ[1]

بعثْتُ إليه بالقَوافِي كأنَّها … مقانِبُ شكرٍ تهْتدِي بمقانِبِ[2]

ولولاَ صُروفُ الدَّهْرِ أهْدَيْتُ ضِعْفَها … مُرصَّعَةً بالنَّيِّراتِ الثَّواقِبِ

ولكنَّها جُهْدُ المُقِلِّ وحَمْلةُ الْ … جَبانِ على ضَعْفٍ ونارُ الحُباحِبِ[3]

فسامِحْ وعامِلْ بالّذِي أنتَ أهلُه … فعَفْوُكَ عِندِي من أجلِّ المطالِبِ

***

وقوله من أخرى يمتدح بها أخا الوزير الفاضل[4]، وهو بتكْرِيت[5]:

بالنَّفْسِ يسْمَحُ مَن أرادَ نفِيسا … والحبُّ أوّلُ مايكونُ رَسِيسَا

وأطارَ عنِّي النَّوْمَ طيفٌ طارِقٌ … قطعَ القِفارَ وجاوَزَ القامُوسا[6]

أفاجِئْتَ كيفَ وصلْتَ للوِنْديكِ مِن … أقْصَى البلادِ وجئْتَها جاسُوسا[7]

أم كيفَ خِفْتَ الشَّامَ وأهْلَهُ … وترَكْتَ وادِي النَّيْربِ المأنُوسا[8]

أرضٌ إذا سرَّحْتَ طَرْفَكَ خِلْتَها … روْضًا يقِلُّ على الغصونِ شُموسا

---

(١) في ا : « الدقيق المضارب »، والمثبت في : ب، ج. (٢) في ب : « مناقب شكر تهتدى بمناقب »، والمثبت في : ا، ج، والمقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة. (٣) نار الحباحب : ما يرى في ذنبه كأنه نار، والحباحب : ذباب ذو ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج.

(٤) ذكر المحبي، في خلاصة الأثر ٢/٢٧١ أن أخا الوزير الفاضل اسمه مصطفى. (٥) هكذا [illegible] في النسخة، وفي خلاصة الأثر ٢/٢٧٠ أن ابن السمان المترجم لم يبق بلدة من أمهات بلاد الروم حتى دخلها، ووصل إلى جزيرة كريد، والوزير الذي وصل ساحلها، فمدحه، وكذلك مدح أخاه مصطفى، وهو يعني [illegible] « جزيرة كريد » ما يعرف الآن بجزيرة كريت، في البحر الأبيض المتوسط.

وتكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا. معجم البلدان ١/٨٦١.

وقد ذكر المحبي، في خلاصة الأثر ٢/٢٧١ البيت الأول فقط من هذه القصيدة.

(٦) القاموس : البحر، أو معظمه وأبعده غورا. (٧) ضبط كلمة « الونديك » من : ج.

(٨) تقدم التعريف بوادي النيرب، في صفحة ٧٣.

إن كان غَيَّرها الزَّمانُ فإنَّنى أمْسَيْتُ منِّى قبلها مأيُوسَا

والحبُّ أمْرٌ حار فيه أُلو النُّهَى وأضَلَّ بِقْراطًا وجالِينُوسَا

كالدَّهْرِ يلْعبُ مايشاء بأهْلِه يضعُ الرَّئيسَ ويرْفَعُ المرْؤُوسَا

لا سامَحَ اللهُ النَّوَى من كافرٍ عَبْدٍ ولا رحِمَ الرَّحِيمُ العِيسَا [1]

ومَهامِهٍ قَفْرٍ يضِلُّ بها القَطَا ويرَى الدَّلِيلُ بسَهْلِها التَّغْلِيسَا [2]

لِلْجنِّ فى أقْدارِها زَجَلٌ فلا تلْقَى بها إنْسًا وليس أنِيسَا

* * *

العربُ إذا وصفَت المكانَ بالبُعْد جعلَتْه مساكِنَ الجنِّ ، كقول الأخْطَل [3] :

ملاعبُ جِنَّانٍ كأنَّ تُرابَها إذا اطَّرَدَتْ فيها الرِّياحُ مُغَرْبَلُ [4]

وقولِ ذى الرُّمَّة [5] :

لِلْجنِّ باللَّيْلِ فى حافاتِها زَجَلٌ كما تجاوبَ يومَ الرِّيحِ عَيْشُومُ [6]

وهو نَبْت ، أو شجر [7] .

* * *

سايَرتُ فيه النَّيِّراتِ بسابِقٍ يحْكِى المَهاةَ ويُشْبِهُ الطَّاوُوسَا

كالبَرْقِ مَرًّا والغَمامِ تأوُّبًا والمِسْكِ نَفْحًا والنَّقَا ملْمُوسَا

يُلقِى الصَّواعقَ مِن حوافِرِه إذا وَطِئَ الجنادِلَ حين لاتَ وَطِيسَا [8]

نَشْوانُ كالبُرْجِ المُشَيَّدِ فوقَه بطَلٌ يجُرُّ مِن المَهابِ خَمِيسَا

(١) فى ا ، ج : «عنده» ، والمثبت فى : ب . (٢) التغليس : السير فى ظلام آخر الليل ، والتغليس أيضا : ورود القطا الماء فى الغلس . انظر اللسان (غ ل س) ٦/١٥٦ . (٣) ديوانه ٦ .

(٤) فى الديوان : « إذا اطردت فيه الرياح » . (٥) ديوانه ٥٧٥ . (٦) فى ب : « يوم الريح ميشوم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٧) فى الديوان : « عيشوم : من ضروب النبت يتخشخش إذا هب عليه الريح » . (٨) فى ا ، ب : «يلقى الصواعق» ، والمثبت فى : ج

مُتَقَدِّدٌ زُرْقَ النِّصالِ كأنَّما خُلِقَتْ لِتَرْدِى الضَّارِيَاتِ نُفُوسَا [1]

نَهَبَتْ من الأعْمارِ ما بَقِيَتْ به وتَجَرَّعَتْ ماءَ الحِمامِ بَئِيسَا

تَرْمِى بِهِـا حَنْىَ الضُّلوعِ قَوَاضِبٌ كحواجبِ الغِيدِ الخرائدِ شُوسَا [2]

لو خالَهـا الكُسَعِىُّ سُحْرَةَ ليلةٍ ذمَّ الحريصَ وأحْمَـدَ التَّعْرِيسَا [3]

أو صادَمتْ شُمَّ الجبالِ تَصَـدَّعَتْ وبَنَتْ لِـكُلِّ حديدةٍ نَاوُوسَا [4]

ونَسائِقٌ لأقْدَرَ مِنْهِـا أسْهُمٌ تَفْرِى الحديدَ وتَخْرِقُ الملبُوسَا

مَنْعوذُ الشَّيطانِ مِنهـا حيثُ لا يَخْتَشِى الرُّجُومَ ويرهَبُ النَّاقُوسَا [5]

من حاذقٍ أو خارقٍ أو حاذمٍ أو زاهقٍ لا يقْبَلُ التَّلْبِيسَا [6]

---

(١) فى ا : « لتردى الضاريات » ، وفى ب : « لتردى التيوس » ، والمثبت فى : ج . (٢) « حنى الضلوع » كذا بالأصول . (٣) فى ا ، ب : « لأخالها الكسعى » ، والمثبت فى : ج .

والكسعى هو : محارب بن قيس الكسعى ، كما ذكر الثعالبى ، وابن منظور ، أو عامر بن الحارث الكسعى ، كما ذكر الفيروزابادى . ولم يقطع الميدانى ولا الشريشى بواحد منهما .

وكان من خبره أنه اتخذ قوسا من نبعة ، وكمن فى قترة ، فمر قطيع ، فرمى عيرا ، فأمخطه السهم ، وصدمه الجبل ، فأورى نارا ، فظن أنه قد أخطأ ، ورمى ثانيا وثالثا إلى آخرها ، وهو يظن خطأه ، فعمد إلى قوسه فكسرها ، ثم بات ، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة ، وأسهمه بالدم مضرجة ، فندم فقطع إبهامه ، وأنشد :

ندمتُ ندامةً لو أنَّ نفسى تطاوعنى إذنْ لقطعتُ خمْسِى

تبيَّن لى سَفاهُ الرأْىِ منِّى لعمرُ أبيكَ حين كسرتُ قوسِى

القاموس (ك س ع) .

وانظر تفصيل الخبر فى ثمار القلوب ١٠٤ ، ١٠٥ ، وهو بنصه أكثر وأكثر فى مجمع الأمثال ٢ / ٣٠٤ . وشرح الشريشى على المقامات ١ / ١١٠ ، ١١١ ، ولسان العرب (ك س ع) ٨ / ٣١١ ، ٣١٢ .

والكسعى هذا هو الذى عناه الفرزدق بقوله :

ندمتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمَّا غَدَتْ منِّى مُطلَّقةً نَوارُ

انظر ديوانه ١ / ٣٦٣ .

(٤) الناووس : المقبرة ، أو حجر منقور تجعل فيه جثة الميت . (٥) فى ب : « حيث ما * يخشى الرجوم ويرهب الناقوسا » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ج : « منعوذ الشيطان » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٦) فى ب : « من حاذق أو خارق أو حاذم » ، وفى ج : « من حاذق أو مارق أو حادم » ، والمثبت فى : ا ، والحاذم : القاطع .

فكأنَّها أقلامُ أفضلِ مَن مَشَى ... فوق الثرَى وحوَى الفخارَ رئيسا

فرعُ المعالي خيرُ مَن بلغ السُّهَى ... مجداً وسامَى في العلا إدريسا[1]

والفارسُ الكرّارُ مِعوارُ الوغَى ... ومُعيدُ سَعْدِ المشركين نُحوسا

بفضلِ آكده الأوائلُ أسسوا ... وأفدن التأكيدَ والتأسيسا

تدعو بسطوته الزمانَ فيرعوى ... فرَقاً وتطرُد باسمه إبليسا

ونخطُّ أحرفه الكريمةَ رُقيَةً ... لشفاء ما أعيي أرسطاليسا

تُردِي الحسادَ بجسمِ مَن أردَى به ... ويرُدُّ مُبتسِم الكُماة عَبوسا

قد أنطقَ الإسلامَ صامتُ سيفِه ... بعد السُّكوتِ وأخرسَ الناقوسا

يمن تمدّت على السماع بحبّه ... وقرأتُ فيه مِن الغرام دُروسا

أنا مَن عمتَ ودادَه وجهتَه ... وسيصحبنَ لدى علاكَ جَليسا

أغرقتَه بالجود قبلَ ورودِه ... ثقةً ومثلُك لا يكون حَسيسا

لا زلتَ صدراً للصدورِ مقدَّماً ... أبداً بحفظِ إلهِه محروس

في عزِّ داود ودولةِ يوسفٍ ... وعُلا سليمان ورفقةِ عيسى

* * *

وقال يمدح الوزير الفاضل ، وهو بسكريت[2] ، وكان دخوله إليها لأجل مدحه[3] :

أخفُّ النوَى ماسهَّلته الرسائلُ ... وأحلَى الهوَى ما كدَّرته العواذلُ[4]

ولا مِلحَ في عيشٍ إذا لم يكنْ لهُ ... حبيبٌ يُجافي تارةً ويُواصلُ

ولا خيرَ فيمَن حوَّلَ البعدُ قلبَه ... ولا في ودادٍ غيَّرته العواملُ

---

(١) في ب : « خير من بلغ العلا » ، والمثبت في : ا ، ح . (٢) انظر ماتقدم ، في التعليق على مقدمة القصيدة السابقة ، صفحة ٢٤٠ . (٣) ذكر المحبي ، في خلاصة الأثر ٢ / ٢٧٠ البيت الأول فقط ، وأبياتا أخرى خلال القصيدة . (٤) في ا : « أخف الهوى » ، والمثبت في : ب ، ح ، وخلاصة الأثر .

وَقَفْنا على الأَطْلالِ واللَّيْـلُ شائِبٌ ... وأَعْنَقْنا فَوْقَ المطَايَا مَوائِلُ
ولمَّا رآها الدَّمْعُ والدَّمْعُ حائِرٌ ... أَناخَ وحَتَّى تُرْبَهـا وهْوَ راجِلُ

* * *

هذا[1] من قول أبي الطَّيِّب[2] :

ولمَّا رأَيْنَا رَسْمَ مَن لم يَدَعْ لنا ... فُؤاداً لِعِرْفانِ الرُّسُومِ ولا لُبَّا[3]
نزَلْنَا عن الأَكْوارِ نَمْشِي كَرامـةً ... لِمَنْ بانَ عَنْـه أن نُلِمَّ به رَكْبَا[4]

قال ابن بَسَّام في « الذخيرة » : أَوَّلُ مَن بكى الرَّبْعَ ووقَف واسْتَوقَفَ المَلِكُ الضِّلِّيل ، حيث يقول[5] :

* قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حبيبٍ ومنْزِلِ[6] *

ثم جاء أبو الطَّيِّب فنَزل ، وترَجَّل ، ومشَى في آثار الدِّيار ، حيث يقول :

* نزَلْنا عن الأَكْوارِ . . . *

البيْت ، وما قبله .

ثم جاء أبو العلاء المَعَرِّيّ فلم يقْنَعْ بهذه الكَرامة حتّى خشَع وسجَد ، حيث قال[7] :

تَحِيَّةُ كِسْرَى في المُلوكِ وتُبَّعٍ ... لِرَبْعِك لا أَرْضَى تَحِيَّةَ أَرْبُعِ[8]

* * *

ولَيس بنا حُبُّ الدِّيارِ وإنَّما ... لنَا بهوَى السُّكَّانِ شُغْلٌ وشاغِلُ

* * *

---

(١) في ج بعد هذا زيادة : « بيت » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) ديوانه ٣١٨ . (٣) في الديوان : « وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا » . (٤) في ا ، ج : « لمن بان ميه » ، والمثبت في : ب ، والديوان .
(٥) ديوانه ٨ . (٦) زاد في ب عجز البيت وهو :

* بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ *

(٧) شروح سقط الزند ٤/١٤٨٧ ، من قصيدة يخاطب بها أبا أحمد عبد السلام بن الحسين البصري .
(٨) في شروح سقط الزند : « تحية كسرى في السناء وتبع » .

هذا من قول الآخر :

أُحِبُّ الحِمَى من أجْلِ مَن سكَنَ الحِمَى ‏ ‏ ومن أجْـــلِ أهْلِيها تُحَبُّ المَنازِلُ

وقوله [١] :

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي ‏ ‏ ولـٰكنْ حُبُّ مَن سكَنَ الدِّيارَا

* * *

خُلِقْنا وحِفْظُ الوُدِّ منَّا سَجِيَّةٌ ‏ ‏ وحُسْنُ الوفَا طَبْعٌ ونِعْم الشمائلُ

ونَغفِرُ عَوْراءَ الحَسُودِ وإن جَنَى ‏ ‏ ونَعْـــلم أنَّ الخَصمَ ماشاء قائلُ

يُعَـــيِّرني قومٌ بِقومي ومَحْتِدِي ‏ ‏ كما عِيبَ بالعَضْبِ الصَّقِيلِ الحمائلُ [٢]

أجَلْ حَسَدُوني حيثُ فُضِّلْتُ دُونَهمْ ‏ ‏ وكمْ حُسِدتْ في النَّاسِ قبلي الأفاضلُ [٣]

وما الفَخْرُ بالأجْسامِ والمـالِ والعُلَى ‏ ‏ ولـٰكن بأنْواعِ الكَمالِ التَّفاضُلُ

ومَن يَكُ أعْمَى القلبِ يَلْزَمْ بقولِهِ ‏ ‏ كما تَحْذَرُ الأعْمَى العَصا إذْ تُقاتِلُ [٤]

وما يَصْنعُ الإنْسانُ يوماً بنُورِهِ ‏ ‏ إذا عادَاتْ فيـــه النُّجومَ الجَنادِلُ

وفِيمَ نُضِيعُ العُمْرَ في غـيرِ طائلٍ ‏ ‏ إذا ما اسْتَوى في الناسِ قُسٌّ وباقِلُ

وأصْعبُ ماحاولْتَ تَثْقِيفُ أعْوجٍ ‏ ‏ وأثْقلُ شَيْءٍ جاهِــلٌ متعاقِلُ [٥]

إذا جاء نَقَّادُ الرِّجالِ من الوَغَى ‏ ‏ تَميَّزَ عن أهْلِ الكَمالِ الأراذِلُ [٦]

عَنَيْتُ الوزيرَ ابنَ الوزيرِ الَّذي بِهِ ‏ ‏ تَذِلُّ وتَعْنُو للشُّعُوبِ القبائلُ [٧]

جَوادٌ إذا اسْتَوْهَبْتَه السَّيفَ في الوَغَى ‏ ‏ وأنت له خَصْمٌ فإنَّكَ نائلُ

* * *

(١) البيت لمجنون بني عامر ، وهو في ديوانه ١٧٠ . (٢) هذا البيت والأبيات الثمانية التالية له ، في خلاصة الأثر ٢/ ٢٧٠ ، ٢٧١ . (٣) في ا : « قبلي الفضائل » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) في ب : « يلزم قوله » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في ب : « جاهل متعاقل » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) سقط عجز هذا البيت والبيت الذي يليه كله وصدر الذي يليهما من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٧) شعوب : هي المنية .

هذا من قول أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي (١) :

كريمٌ متى استُوهِبْتَ ما أنتَ راكبٌ   وقــــد لَقِحتْ حَرْبٌ فإنّكَ نازلُ

وأصله خبرٌ عن حاتم الطّائيّ ، أنه بارز عامرَ بن الطُّفَيل (٢) ، وقد رَمَح عامراً ، فخافَهُ ، فقال له : لأُبَخِّلَنَّكَ .

قال : بماذا ؟

قال : ادْفَعْ إليّ رُمحَك أقاتِلْك به .

فرمى إليه برُمحه ، ورجع مُوَلِّياً .

وقال بشّار ما ينظر إلى هذا المعنى (٣) :

لو كان لي سيفٌ غَـــداةَ الوَغَى   طابَتْ به نفسي لأعـــدائي (٤)

وأحسن ما قيل فيه قول البُحْتُرِي (٥) :

ماضٍ على عَزْمِهِ في الجود لو وهَبَ الـ   ـشّبابَ يومَ لقــــاءِ البِيضِ ما ندِمَا

أبو إسحاق الغَزّيّ :

مُتيَّمٌ بالذي لو قالَ سائلُه   هَبْ لي جميعَ كرى عينيكَ لم يَنَمِ

* * *

إليه مَصيرُ الأمجدين [illegible] وإنما   تُصَبُّ إلى البحرِ المحيطِ الجداولُ

* * *

---

(١) ديوانه ٣٦٦ ، [illegible] . (٢) عامر بن [illegible] العامري ، [illegible] العرب في الجاهلية ، شاعر ، فارس ، أدرك الإسلام ، و[illegible] الإسلام [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاد إلى قومه يعد لأمر الحرب ، فمات في طريقه ، في السنة الحادية عشرة للهجرة .
خزانة الأدب ١/٤٧١ ، الشعر والشعراء ١/٣٣٤ .

(٣) ديوانه (الظاهر) ١/١٣١ ، وديوانه (العلوى) ١٥ . (٤) رواية صدر [illegible] في ديوانه (الظاهر) : « لو كنت لي سيفاً ألاقي به » ، وفي ديوانه (العلوى) : « لو كنت لي سيفاً غداة الوغى » ، وهي رواية المختار من شعر بشار ١٧٥ . (٥) ديوانه ٣/٢٠٥٠ .

وهذا أيضاً من قول أبى الطّيّب[1] :

ترى كلّ ذى مُلْك إليك مَصيرُهُ ... كأنّك بحرٌ والملوكُ جداولُ

وهو أخذه من قول ابن المعتز[2] :

مَلِكٌ تواضعتِ الملوكُ لعِزّهِ ... قسْراً وفاضَ على الجداولِ بحْرُهْ

* * *

ويهتزُّ قلبُ الأرضِ خوفاً إذا مشى ... فتحسَبُ أنّ الرُّعْبَ فيه زلازِلُ[3]

له نِعَمٌ تُفْنِى المديحَ وهِمّــةٌ ... لهـا كلُّ قَدْرٍ شامخٍ متضائِلُ

يُيَمّمه الجبّارُ والكِبْرُ بُرْدُه ... فتلقاه فى أعتابه وهو راجلُ

أتى مُشْركى قصرٍ وكانوا جماعةً ... يظُنُّون أنّ الحِصْنَ للقومِ حائلُ[4]

وسـار بجيشٍ آصفىّ عَرَمْرَمٍ ... هو البدرُ فيهم والنجومُ الجحافِلُ[5]

فمـا وجَدوا إلّا الأمانَ وسيـلَةً ... إلى عَفْوِ مَن تخشَى عُلاه الوسائِلُ

ولا مَلْجَأً من سيفِـه غيرَ سَيْفِـه ... وكلُّ نصيرٍ غيـرَه فهو خاذِلُ

فجاد عليهم بالنفوسِ تفضُّلاً ... وعَفْواً ولم يُخْطِ العطَا منه سائِلُ[6]

وعادَ بتأييـــدٍ وعزٍّ ودَوْلةٍ ... لهـا فوق فَرْقِ الفرقدَيْن منازِلُ

يموجُ به البحرُ الخِضَمُّ تفاخُراً ... وتحسُدُ أعلامَ الجوارى الرّواحِلُ

أقصَّ ختامِ المُلْكِ والخاتِمَ الّذى ... أتى بمـا لم تستطِعْه الأوائلُ

فلو كان بدراً لم يمحْ قطّ كوكبٌ ... ولو كان بحراً لم يُحدّده ساحلُ

إليك عُقوداً يكسِفُ الشّمسَ نورُها ... وتخجلُ بدرَ الأفقِ والبدرُ كامِلُ[7]

---

(١) ديوان أبى الطيب ٣٦٦ . وهذه المنسمة ، والبيت بعدها مما سقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) ديوانه (زند) ١/١١٧ (٣) فى ب ، ج : «فتحسب أن الرعب فيها زلازل» ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى ج : «أتى مشركو قصر» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « أن الحصن للقوم حامل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) تقدم التعريف بآصف ، فى صفحة ٣٥ . وفى ا : « وسار بجيش » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ب : « فجاء عليهم بالنفوس وسيلة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) فى ب : « وتخجل بدر التم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أتتكَ تجرُّ الذيلَ تيهًا ورفعةً ... بأنكَ ممدوحٌ وأنّىَ قائلُ[1]
وهاتيكَ أبياتٌ لها فتفطّرتْ ... وأنتَ لها بالبرِّ والجودِ واصِلُ[2]

* * *

وهـذا معنًى حسن ، وقد اختلسَهُ من قول السّيّد محمـد العُرْضى[3] ، وهو الفاتح لهذا الباب[4] :

هابَ القريضُ مديحَهُ ... فانشقَّ أنصافًا سُطُورُهْ[5]

وتبعه البَابِىّ[6] ، [7]فى وصف قصيدة[7] فقال :

أوهمتُها مدحَ السّوَى ... فتميزتْ بالغيظِ وهْمَا

* * *

سمّة القصيدة :

ومثلكَ مَن لا يُظهِرُ المدحُ قدرَهُ ... ولكنْ من لم يشكُرِ الفضلَ جاهِلُ
ألم ترَ أنّ الرّوضَ يثنى لحى الحيا ... بنشرٍ إذا ما باكرتْه الحوامِلُ
فكيفَ بمَن أحييتَهُ بهباتِهِ ... صقيلُ الثنا والجودُ بالحمدِ كافِلُ
فأوليكَ مدحًا ينقضى الدّهرُ دونَهُ ... تسيرُ به رُكبانُنا والقوافِلُ
وأصدحُ بالحمدِ الذى أنتَ أهلُه ... كما صدحتْ فوقَ الغصونِ البلابلُ
ألا كلُّ مجدٍ غيرُ مجدِكَ عاطِلٌ ... وكلُّ مديحٍ لم يكنْ فيكَ عاطِلُ

* * *

(١) فى ا : « وأنك قائل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : « وهاتيك أبياتا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) يعنى محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضى الحلبى ، وسيترجمه المؤلف فى القسم الخامس بحلب ، وسيأتى برقم ١١٣ . (٤) البيت فى خلاصة الأثر ٤/٩١ . (٥) فى ب : « هاب القريض سطوره » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) يعنى مصطفى بن عبد الملك ، وقيل : عثمان ، البابى الحلبى ، وسيترجمه المؤلف فى القسم الخامس بحلب ، وسيأتى برقم ١١٠ .
(٧) فى ب : « قصيدته » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله لاميّة عارض بها[1] امْرَأ القَيْس ، الذى انْتَسَبَ إليه حُسْنُ السَّبْك ، وبشِعْره ترنَّمتْ وُرْقُ البَلاغة ، وذاك أشهرمن «قِفَا نَبْكِ» .

ومطلعها :

* تَوَكَّلْ على الرَّحْمٰنِ حَقَّ التَّوَكُّلِ *

وهى طويلة جدًّا ، وقد ذكرتُها فى تاريخى[2] ، ولا إفادةَ فى الإعادة .

* * *

واتفق بيْنِى وبينَه مُراجَعات ، أقطعها جانِبَه الظَّرف ، وترَدَّتْ كالنَّسيم بين الرَّوْضتَيْن طَيِّبةَ الشَّمِيم والعَرْف .

اكْتفَيْت بذكرها فى التَّاريخ[3] ، كما وقع عليه الاختيار ؛ لأنَّها من قِسْم الخبَر ، والتاريخ موضوعُه الأخبار .

* * *

وذكرتُ عندَه يَوْمًا بعضَ المَوالِى مِمَّن أكاذِيبُه فى قلب[4] الأمانى قُرُوح ، ووَعْدُه كخُلَّبِ بَرْقٍ يَلُوح .

وكنتُ مِمَّن اغْتَرَّ بزخارِفه ، وطَمِعَ فى عارِفةٍ من عَوارِفه .

فنَشَد ضَالَّةً له فى ذِمَّةِ مطْلِه ، وأنشد ما قاله فى مَخِيلَةِ وَعْدِ مِثْلِه :

وَلَا تَرْكَنَنَّ إلى غَـــادةٍ ... ولو خادَعَتْكَ بزُورِ المُحالِ[5]

فَفَتْكُ الظُّبا دُون فَتْكِ الظِّبَا ... وعَهْدُ الغَوانِى كعَهْدِ المَوالِى[6]

---

(١) فى ب : « عارض فيها معلقة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) القصيدة برمتها فى خلاصة الأثر ٢/٢٧٦ ـ ٢٨٠ ، وتعرض المحبى هناك لبعض إيضاحاتها .

(٣) أطال المحبى ترجمته فى خلاصة الأثر ، وذكر هذه الأخبار ، وترجمته فى الخلاصة ، فى الجزء الثانى ، من صفحة ٢٧٠ ـ ٢٨٣ . (٤) فى ب : « قالب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) المحال ، بالضم : معروف ، وبالكسر : الكيد وروم الأمر بالحيل . (٦) فى ج : « كوعد الموالى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ولعَمْرى لقد أنصف، فى الذى وَصَف.

وحَكَم (١) حُكْماً يشهد (١) به العَيان، وليس بعد العَيان، حاجة إلى البَيان.

* * *

ولما وَلِىَ المدرسةَ المعروفةَ بزال باشا(٢)، وهى آخرُ ماوَلِيَه من المَدارس.

وهشَّت(٣) له الأمانِى، وتاهَتْ به التَّهانى.

وظن(٤) أنه سالمَتْه الخطوب، وجلَتْ عن وجهِ رجائِه القطوب.

ولم يدرِ أن القدرَ عليه بالمَرْصَد(٥)، ويدَ المنون تخترِمه دون المَقصِد.

نَظَم قصيدة مطلعها:

ألم تَرَ أنَّ الهمّ زالَ بزالا ... وأحسنَ آمالاً لنا ومآلا

فلما رأيتُه لم أشكّ فى استحكام الفأل؛ وأُلقِىَ فى رُوعِى الطِّيَرة من لفظه «زال».

وفارقْتُه عشيّةَ يوم أردتُ السفر، وأجدُ فى لبّى ذلك الذِّكْر.

حتى جفا جنبىَّ المضجعُ، وجانبَ جفنىَّ الرقدةُ والهجعة.

فما انشقَّ الفجرُ عن جَيْب الظّلام، حتى أتانى مخبرٌ أنّه يعالج الحِمام.

فبادرْتُ إليه فوجدتُه أخذَه الشَّرق، وهو يلفِظ آخرَ الرَّمَق.

ونَفَسُه الباقى، قد بلغ التَّراقى.

ثم قضى نَحْبَه، ولَقِىَ ربَّه.

---

(١) فى ب: «عدلا شاهدا»، والمثبت فى: ا، ج. (٢) انظر فى خلاصة الأثر ٢/ ٢٨١، ٢٨٢، وقال: «التى بأيوب، وفرح فرحا شديدا، واتفق لى أنى كنت عنده، فجاءه للتهنئة المولى زكى، المدرس بمدرسة إبراهيم باشا، بمدينة القسطنطينية، فهنأه، ثم ذكر له أن هذه المدرسة مشهورة بالنحس، ومن [illegible] أنه لم يقع لأحد من المدرسين أنه مات وهى عليه. فعجبت من هذا، ووقع فى وهمى أنه يكون [illegible] بعض مدرسيها، وانفصل المجلس». (٣) فى ب، ج: «هشت»، والمثبت فى: ا. (٤) فى ب: «فظن»، والمثبت فى: ا، ج. (٥) المرصد: المكان يرصد منه.

فالله يستثمره[1] عائدة الأخرى آجلا، كما استنجزه[2] فائدة الأولى عاجلا.

***

وقد قلتُ أرثيه من قصيدةٍ، مطلعها[3]:

كُلُّ حَيٍّ على البَسيطةِ فانِ ... غيرَ وَجْهِ المُهَيمِنِ الرَّحمٰنِ

إلى أن قلتُ فيها:

أينَ رُوحُ الزَّمانِ مَن كنتُ حيـ ... ـنا وإيّاه كَنَخْلَتَيْ حُلْوانِ[4]

***

« نَخْلَتا حُلْوان » يُضرَب بهما المثلُ في طُولِ الصُّحْبة[5].

وكان المَهْدِيّ[6] خرج إلى أكناف[7] حُلْوان[8] متصيِّداً، فانتهى إلى نَخْلَتَيْ حُلْوان، فنزل تحتهما ودعا بالشراب، فغنّته المغنّية[9]:

أيا نَخْلَتَيْ حُلْـــوان بالشِّعب إنّما ... [illegible] عن نخل جوخى [illegible][10]

---

(١) في ب: «يثمره»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ب: «ستخرجه»، والمثبت في: ا، ج.
(٣) القصيدة كلها في خلاصة الأثر ٢٨٢/٢، ٢٨٣. (٤) في ب: «من كنت حيى و[illegible]» وفي خلاصة الأثر: «من كنت في حين وإياه كنخلتي حلوان»، والمثبت في: ا، ج. (٥) ثمار القلوب ٥٨٩. (٦) انظر الأغاني ٣٣٣/١٣، وثمار القلوب ٥٩٠. (٧) في ب: «أطراف»، والمثبت في: ا، ج. (٨) حلوان: مدينة عامرة، وليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها، وهي قريب من [illegible]. معجم البلدان ٣١٧/٢. (٩) في الأغاني ٣٣٣/١٣ [illegible] ينسبان إلى عمر بن أبي ربيعة، غنتهما حسنة جارية المهدي، في هذا المقام، هما:

أيا نَخْلَتَيْ وادي بُوانةَ حبّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيل جَناكُما

فطِيبُكما أرْبَى على النخل بهجة ... وزاد على طُول الفَتاء فَتاكُما

(١٠) في ا: «عن نخل حرجى»، وفي ب «عن نخل جرجى»، والمثبت في: ج.
وجوخى: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، بالجانب الشرقي منه الراذان، وهو بين خانقين وخوزستان، ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخى. معجم البلدان ١٤٣/٢.

إذا نحنُ جاوَزْنا الثَّنِيَّـــةَ لم نزلْ على وَجَـلٍ من حَيْرِه أو نراكُما [1]

فَهَمَّ بقَطْعِهما [2] ، فكتب إليه أبوه المنصور [3] : مَهْ يا بُنَيّ ، واحْذَر أن تكون ذلك النَّحْس الذى ذكَرَه الشّاعر فى خطابِهما ، حيث قال [4] :

وأعلما إن علمتُما أن نَحْساً سوف يَلْقاكُما فتفترِقانِ [5]

* * *

تتمة المرثية [6] :

كان فينا كالورْدِ فى وَجَنــاتِ الْـ ـغِيد والسِّحرِ فى عُيــونِ الحِسانِ

عاجلَ الدَّهرُ نَيِّرَ الفضــلِ بالكَسْـ ـفِ وبدْرَ الـكمالِ بالنُّقْصانِ

رجع الجوهرُ النَّفيسُ إلى الأصْـ ـلِ وأضحَى مقرُّه فى الجِفــانِ

ليتَ شِعْرِى وليس يُجْدِى أعن عَمْـ ـدٍ رمَتْــهُ الخطوبُ أم نِسْيانِ [7]

كيف دكَّيتَ أيهـا الخطْبُ رضْوَى ونقضتَ الهضابَ من ثَهْلانِ [8]

---

(١) و ب : « لو نراكا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ذكر الثعالبى ، و ثمار القلوب ٥٩٠ أن الذى حمل الهدى على قطع النخلتين بما مضى من إنشاد ، وهما :

أسْعدانى يا نخلتىْ حُلْوانِ وأبـكيا لى من رَيْبِ هذا الزمانِ

واعلما إن علمتُما أن نَحْسا سوف يَلْقاكُما فتفترقانِ

(٣) هكذا ذكر الثعالبى أيضا ، وذكر أبو الفرج الأصفهانى ، فى الأغانى ١٣/٣٣٣ أن جاريته حسنة هى التى أشارت عليه بألا يكون النحس المفرق بينهما . (٤) الأغانى ١٣/٣٣٣ ، وثمار القلوب ٥٨٩ .
(٥) فى ا ، ب : « وأعلم إن علمتا » ، والمثبت فى : ج ، وثمار القلوب . وفى ا : « أن نحسا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والأغانى ، وثمار القلوب ، ورواية الأغانى لصدر البيت :

* أسْعدانى وأيقنا أن نَحْسًا *

(٦) تتمة المرثية أيضا فى خلاصة الأثر ٢/٢٨٢ ، ٢٨٣ . (٧) فى خلاصة الأثر : « أمن عمـ * ـد رمته الخطوب » . (٨) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « أيها الحتف » .
ورضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢/٧٩٠ .
وثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ١/٩٤١ .

منها (١) :

يا صَديقي تركتني لهمومٍ ينقضي قبلَها زمانُ الزمانِ (٢)

لستُ أرضَى عليك حُكمَ لَبيدٍ مذهبي في الوفاء حكمُ ابنِ هانِي

عِيلَ صبري وإنما أتأسَّى بهمومِ المُصابِ في الأعيانِ

أسعدُ الصاحبَيْنِ مَن مات مِن قبْـ ـلُ وأبْقى الصديقَ للأحزانِ

إنّما هذه مَراحلُ تُطْوَى والبرايا تُساقُ كالرُّكبانِ (٣)

***

ومُرادي بحُكمِ لبيد قوله (٤) :

إلى الحَوْلِ ثم اسْمُ السلامِ عليكما ومَن يبْكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعْتذَرْ

وبحكم ابن هانئ (٥) :

سأبكي عليه مُدَّةَ العُمْرِ إنني رأيتُ لبيداً في الوفاءِ مُقصِّرا

---

(١) ساقط من : ب ، ج ، وهو في : ا ، ووافق خلاصة الأثر يؤيده ، فبين البيتين هناك ستة أبيات .

(٢) في ب : « تركتني بهموم » ، وفي خلاصة الأثر : « تركتني لخطوب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ب : « إنما هذه المراحل تطوى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) ديوانه ٢١٤ . (٥) لم أجد هذا البيت في ديوانه .

١٥

عبد الحيّ بن أبي بكر ، المعروف بطرز الريحان*

أدب طرزه تطريز لرقم برود تحبيره ، ونقّه تحلية جيد الكلام بجواهر(1) تعبيره .

تنتهى إليه محاسن الألفاظ ، وترنو له ربيبه عن غمزات الألحاظ .

وله من الشعر ، ما يسحر بالسحر .

فلو كان إنسانه فى حيّز الإمكان ، لاستحقّ أن يُصلَب عليه الملكان(2) .

إلى ظرف رداؤه يرف ، وطبع هواؤه(3) يشف .

ومحاضرة مع الراح تتفق ، ولا تفترق ،

وتأنيف ، ولا تحترف .

(*) عبد الحى بن أبى بكر ، المعروف بطرز الريحان [illegible] الأصل ، الدمشقى المولد ، الحنفى .
قرأ على أبيه ، وعلى الشيخ محمد [illegible] .
وأخذ عن [illegible] ، وأخذ [illegible] .
وولد [illegible] بكر [illegible] المشهور [illegible]
كان [illegible] حسن [illegible] ، رقيق [illegible] ، [illegible] الشعر .
و[illegible] به الأمر إلى أن دخل [illegible] ، وساح [illegible] البلاد ، ودخل الروم ، ومصر ،
وحلب ، ثم استقر بدمشق ، وتزوج .
[illegible] آخر عمره ، ورجع [illegible] .
وقد جمع لنفسه « ديوانا » .
ووجه شهرته بطرز الريحان ، إلى موشح قاله فى أيام صبوته ، مطلعه :

* طرز الريحان حلة الورد *

وفى سنة [illegible] وسبعين وألف ، عن خمس وستين سنة ، ودفن بمقبرة الفراديس .
خلاصة الأثر ٢ / ٣٢٨ . وضبط « طرز » من : ح .

(1) فى ب : « بجوهر » ، والمثبت فى : ا ، ح . (2) يعنى هاروت وماروت . (3) فى ب ، ح : « رواؤه » ، والمثبت فى : ا .

إلا أنه كان عليه للهوى وَثَبات ، لا يُرْجَى له فيها قرارٌ وثَبات .

فإذا عارضته رأيتَ غَمَراتِ[١] بَواعِثَ طامحة ، وجَمَراتِ لواعِجَ لافحة .

وهموماً على جَوانِحَ جوانح ، وآلاماً منها[٢] في جَوارِحَ جوارح .

وكنتُ عاشرته لأستمطِر دِيمته ، وأختبرَ في هذا المعرض شيمته[٣] .

وكان عَفَّ عن الصَّبْوة ونَسَك ، وكَفَّ عن الشَّهواتِ وأمْسَك .

ولم يَبْقَ فيه إلا بَقِيَّة ، تحلَّتْ على[٤] بيضاء[٥] نقيَّة.

فرأيته مَغلوبَ سَوْرَةِ طِباعه ، وقد استَوْلت النَّفْرةُ على طِرْفِ اطِّباعه .

إلمامُه فلتة غَبِيّ ، وإغبابُه[٦] فَتْرَةُ نَبِيّ .

فكنتُ معه على أحْسنِ فِطرة ، لم تلحقني في هواه فَتْرة .

واختلستُ منه أوقاتاً كلَمْعةِ شارِقٍ ، وخَطْفةِ سارِق .

ونقرِ العصافير ، خوفَ النواطير[٧] .

وأنا من منذ فقدتُه لم أرَ عنه بدَلا ، وأعطاني ممنوءه به ترَنُّما وجذَلا .

وكان في آخره حجّ ورجَع رفيقَ زُهْدٍ وإنابة ، فلم يلبثْ حتى دعاهُ الدّاعِي الذي لا بُدَّ لَهُ من إجابة[٨] .

فيالَه من حجٍّ وعُمْرة ، خَتَم بطابِعِ النَّقاء عُمْرَه .

والحمد لله الذي أحسنَ له الاختيار ، فقبضه إليه[٩] قَبْضَ الأخيار .

* * *

(١) في ب ، ج : « غمزات » ، والمثبت في : ا . (٢) ساقطة من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) في ا : « بنيته » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « عن » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) في ب : « بيضة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « وإغباؤه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وأغب القوم : جاءهم يوما وتركهم يوما . (٧) الناطور : حارس الكرم أو الزرع .

(٨) في ا : « الإجابة » والمثبت في : ب ، ج . (٩) في ب بعد هذا زيادة : « الجبار » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقد أوردتُ من أشْعارِه التى هى فروعُ أماليه ، مايُحرِّكُ الجماداتِ إذا ماتحرَّك تالِيه .

فمن ذلك قوله فى الغزل[1] :

خَلِّيـــانى ولَوْعتى ونَحيبى ... ليس إلا صابِ بدمعٍ صَبيبِ

وابْكِيانى فإنَّ مَن جَرَح الأَلْحـ ... ـظُ قتيلٌ وما له من طبيبِ[2]

أىُّ صَبٍّ سمِمْتُما علِقَتْهُ ... أعْيُنُ الغِيدِفهْو غـــيرُ سليبِ

بأبى مُعرِضٌ ألُوفٌ نِفارٌ ... ذُو اختلاقٍ تفنُّنًا للذُّنوبِ[3]

فِعْـــلُه كلُّه حبائلُ فَتْكٍ ... قد أُعِدَّتْ لصَيْدِ كلِّ القلوبِ

تتحرَّى مقاتِلَ الصَّبِّ عَيْنـا ... هُ بَرْشقِ النِّبالِ فى التَّصْويبِ

ذُو وَقارٍ أَهابُهُ أنْ أُحَيِّــ ... ـيهِ إذا مابدَا بلفْظِ حبيبِ

فَهْوَ لم أدْرِ جاهلٌ خُـــبْرَ حالى ... أمْ يُرينى تجاهُلاً كمُريبِ[4]

أبدًا دأْبُه ودأْبِىَ هـــــذا ... وكِلانا فى الحالِ غيرُ مُصيبِ

ليْتَه لو أقرَّ قلْبى على الحبِّ ... بَلا رِيبَةٍ ووَجْــــه قَطُوبِ

وإذا شاء بعـــد ذاك تجنِّى ... لَذَّةُ الحبِّ غُصَّـــةُ التَّعْذيبِ

ما يُبالِى مَن اسْتَهلَّ عليـــه ... من سَماءِ الغَرامِ غَيْثُ اللُّغُوبِ[5]

جابَ كلَّ البِلادِ يَحْسَبُ أنَّ الْـ ... ـحظَّ شىْءٌ يُعْطَى لــكلِّ غريبِ

* * *

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٣ ، ٣٣٤ . (٢) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر : « بأبى معرضا . . . تعنتا للذنوب » .

(٥) فى ب : «أم يرينى تجهلا» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ج : «لايبالى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر

وأنشدنى قولَه فى الغزل[1] :

سقَتْكَ الغرُّ ياعهــدَ الشَّبيبَهْ ... تُرنِّحُ منك أغصاناً عسِيبَهْ[2]

وإلاَّ فالنَّواقِـعُ من جُفُونِى ... وإن بِكَ لاروَاء ولا عُذُوبَهْ[3]

فـكم لِى فى ظِلالِكَ مِن مَقِيــلٍ ... حَسَوْتُ به الهوى كأساً وكُوبَهْ

بكلِّ نَدِىّ جسمٍ كنتُ أُظْمِى النَّـ ... ـواظِرَ عنــه خَشْيةَ أن نُذِيبَهْ

كأنَّ بكلِّ عُضْــوٍ منه بَدْراً ... مُنــيراً أو مُدبَّجَةً خَصِيبَهْ

وكلَّ مُرنَّحِ الأعْطافِ يَخْطُو ... فيــكْتسِبُ الصَّبا منه هُبُوبَهْ

إذا ما رامَ يعْبَثُ بى دَلالاً ... يُقطِّبُ والرِّضَا يَمْحُو قُطوبَهْ

فَمَن لكَ بالسَّــلامةِ إن تَثَنَّى ... وهزَّ قنـــاةَ عِطفَيْهِ الرَّطِيبَهْ

وأبْلَجَ مُستديرِ الشَّكْلِ أبدَتْ ... به الأصْداغُ أشْكالاً عجيبَهْ

يُرِيكَ بِسيمياءِ الحسنِ رَوْضاً ... حَذاراً منه أن تَصْلَى لَهِيبَهْ

وفاحِمَ طُرَّةٍ شُــكْراً لِلأَ ... دَى الرُّعُونةِ كم بهاأمسَتْ لَعُوبَهْ[4]

تُبدِّدُها كذَوْبِ المِسْكِ طَوْراً ... على غُصْنٍ تجسَّد من رطوبهْ

وطَوْراً يظْهرُ الشَّرْبُوش مِنْها ... كأطْرافِ البَنانِ غدتْ خَضِيبَهْ[5]

وآوِنةً يُرى منهـــا زباناً ... يلُوحُ وكم به كَبِدٌ سليبهْ[6]

فأنَّى يطْرُقُ السُّـــلوانُ قلباً ... حَمتْهُ جيوشُ خَضْراء الكتيبهْ[7]

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٧، ٣٣٨ . (٢) فى ا : «ياعين الشبيبة» ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ب ، ج : « لا دواء ولا عذوبة » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى ب : « شكر الأيادى » ، والتصويب من : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى القاموس (ش ر ب ش) : « الشربش : هدب الثوب . مولد » وانظر Dozy 1/742 (٦) «زبانا» كذا فى الأصول . وفى خلاصة الأثر : «وكم به كبد لسيبه» ، و السيبة : الملدوغة . (٧) فى ب : « فأنى يطرق السلوان قلبى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر، وعجز هذا البيت وصدر الذى يليه ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ح ، وخلاصة الأثر .

ولا كنواعِسٍ أرْشَقْنَ قلبى   صَوائبَ غادرتْهُ أخَا مُصيبَهْ
شَهرْنَ ظُبًا وفُقْنَ ألا صَبُورٌ   فكانت مُهجتِى أولَى مُجيبه[1]
لَحاهَا اللهُ أىَّ عَنًا تلقَّتْ   تقمّص منـــه جُثْمانِى شُحُوبَهْ
ولم ألْحُ أَلْحَاهَا إلّا اضْطِـــراراً   فلم تكُ بالّذِى فعلتْ مَعيبَهْ[2]
هىَ الأحْداقُ ما مَسَّتْكَ إلَّا   وفُزْتَ من الشَّهادةِ بالمَثُوبَهْ
جرَى قلمُ القَضاء لنا بهـــذا   ولا يعْدُو امْرُؤٌ أبداً نَصِيبَهْ

* * *

ومِن أهاجِيه ، التى هى[3] من قسم أفاعِيه ، قوله فى هجاء[3] غلام تَناهى بتِيهِه[4] ، ويتلاعبُ فى العالَم بتَمْوِيهِه .

فإذا فطِن بهوى مُغرَم ، صَيَّره هدفًا لكل مَغْرَم .

وكان يُرافِقُه ، ولا يُوافِقه

ويُقاربه ، لكن يُواربُه .

وهو مُغضٍ على قَذَى ، مُتَّقٍ على الأذَى ...

حتى بالَغ فى هَجْرِه ، فبلَغ نِهايةَ هُجرِه .

واتّفق لشيخ مجلسٌ رآه فيه يلعب بالنَّرْد ، فتعرّف إليه ، فعامله بالإعراض والردّ ؛ فقال[5] :

أنكرَتْنِى ذاتُ السّوارِ الصَّموتِ   عجبًا مالعرْفتِى من ثُبُوتِ
لا بلِ الغانياتُ يعْـــدُدْنَ من أمْ   سَكَ مِن وَصْلِهِنَّ حيًا كَمِيتِ

---

(١) فى ج : « شهرن ظباه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « وفقن ألا سيوف » ، وفى خلاصة الأثر : « وفقن ألا صيود » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « بالذى فعلت مصيبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) ساقط من ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٤) فى ب : « بتنبهه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

ومريدٌ من الغواني وفاءً   مستدلٌّ بشعرة العنكبوتِ
لا رعى الله مهجةً علقته   نَّ ولا أُسعفت بفضل القوتِ (١)
حقرت هندُ ذمتي واستعاضت   من صدوح الرياض بالعفريتِ (٢)
لستُ أنسى يومي بمجتمع النهـ   ـر وفكري فيها يجيد نعوتي (٣)
إذ بدت في غلالة التيه والعجـ   ـبِ وبرد الجلال والجبروتِ
تتهادى في السرب حتى إذا ما   وصلت حوزتي أرتني موتي
بتماضٍ مع التفات إلى الدو   نِ ومقتٍ ولستُ بالممقوتِ
ونحيا لم تحيني بين جمعي   لو تحيي قمنا لها حييتِ
وتلاهت بالبرد في ذلك الجحـ   لس خوف اتهامها بالسكوتِ
ثم ولت وخلفتني أعض الأ   كفَّ مستدرك القضا بعد فوتِ
هندُ قلي من التجني فسنا   من يرضيه فضلة من فتيتِ (٤)
لستِ لاثنين أو ثلاث فأبي   أن تحظي بعضاً وبعضاً تفوتي (٥)
أنتِ وقفٌ على العباد ومن يطـ   ـمع في الوقف واجبُ التبكيتِ
أتظنين أن لي بكِ شغلا   لي قلبي إن شئتِ ذا أو أبيتِ (٦)
إنني عفت نيت حسنك ماهو   لا قوتي وما به خير بيتِ
ليس عندي بعد احتقارك قدري   لكِ كفؤٌ غير الطلاق البتوتِ (٧)

---

(١) في ب : « لا رعى الله مهجة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) في خلاصة الأثر : « حقرت هند ذمتي . . عن صدوح . . . » . (٣) في ج : « لست أنسى يومه » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفي خلاصة الأثر : « وفكرى يجيد فيها نعوتي » . (٤) في خلاصة الأثر : « من يرضيه فضلة من فتيت » . (٥) في ب : « أو ثلاث فأبي » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) في ب ، ج : « لي قلب » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر . وفي ب : « إن شئت ذا أو شئت » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وهو فيهما جميعا : « أو أبيت » .
(٧) في ا : « لي عندي بعد احتقارك قدري » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

لا أسُوفًا على جمالِكِ إن بُدْ   لَ قُبحًا ومرَّ طعمُ الشتيتِ [١]

غيرَ أنِّى أسِفْتُ أن ضاع شِعْرى   فيكِ لكن ما باختيارى حُبيتِ

إذ بَلائى بِمُبْتَلاكِ دَعا الفكْ   رَ لأن شادَ فيكِ بعضَ بيوتِ [٢]

آهِ من صُحْبةِ العِبادِ وآهًا   لزمانٍ تمرُّ فى تشتيتِ [٣]

صدَق القائلُ السلامةُ فى الصمْ   تِ كذا الحُسْنُ فى لُزومِ البيتِ [٤]

طالَ ما قد جررْتُ ذيلَ التصابى   وتناسيْتُ غُصّةَ التفويتِ

لا يَظُنَّنَّ عاقلٌ بِىَ مَيْلاً   لمَليحٍ مُؤانِسٍ أو مَقُوتِ [٥]

رفَضتْ نفسِىَ الهوى خِيفةَ الذُّ   لِّ وأن تبتلِى برقٍّ فبيتِ [٦]

وهجرتُ المُدامَ ممّا يؤدّى   لافتضاحِ الفُؤولِ والسِّكِّيتِ

واختلاطَ بغيرِ مَرْضِىِّ عقلٍ   واطِّراحٍ مع قُرْبِ ذى تَنْكيتِ [٧]

فإذا ما ادّكرتُ أيّامَ لهوى   قلتُ أيّامَ صَبْوتى لا سُقيتِ [٨]

لَذّةُ الحُرِّ فى اكتسابِ المعالى   لا افتراشِ الدُّمَى وحَسْوِ الكُميتِ [٩]

* * *

وله فى الغزل [١٠] :

قاتِلى أنتَ لا مَحالَ فحسِّنْ   قِتْلةَ الصَّبِّ سيّدى بحياتِكْ

---

(١) ثغر شتيت : أفلج .   (٢) فى ح : « إذ بلائى بمتلاك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ا ، وخلاصة الأثر : « بعض بيوتى » ، والمثبت فى : ب ، ح .   (٣) فى خلاصة الأثر : « آه من صحبة العباد وواها » .   (٤) فى خلاصة الأثر : « كذا الخير » ، وفى ج : « فى لزوم البيوت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .   (٥) فى ب ، ج : « لمليح موانسى » ، وفى خلاصة الأثر : « لمليح من آنس » ، والمثبت فى : ا ، وفى ح : «أومغوت» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .   (٦) فى ا ، ب : وأن تبلى برق فلبت » ، والمثبت فى : ح ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى ب ، ح : « مرضى عقلى » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « مع كل ذى تنكيت » .   (٨) فى ب ، وخلاصة الأثر : « فإذا ما دكرت » ، والمثبت فى : ا ، ح . وفى خلاصة الأثر : « قلت أيام ذاتى » . وفى ا : « لا استقيى» ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر .

(٩) فى ب : « لاافتراس الدمى » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وخلاصة الأثر .   (١٠) مكان هذه المقدمة فى ب : « وأنشدنى أيضا من قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أنت فى الحِـــلِّ من دَمِى فأبِدْنِى　　　عنه تعجيـــلَ جَنَّتِى وَجِنايِكْ [1]

هَبْكَ أظْمَأْتَ ناظِرِى فارْوِ سَمْعِى　　　بكُؤوسِ العِتابِ من لَفظاتِكْ

إنَّ حُبِّيكَ قَيَّـــدَ الفِكْرَ حتَّى　　　عَزَّ لو رُمْتُ وصْفَ غيرِ صِفاتِكْ [2]

أىُّ ذنْبٍ جَنَيْتُـــه يُوجِبُ الهجْـ　　　ـرَ ويُجْدِى الحِرْمانَ مِن حسَناتِكْ

بحياةِ العيونِ جُدْ لِصَرِيعٍ　　　مارَمَى قلْبَه سِوَى لحظاتِكْ

لا بِغَيْرِ الحديثِ ياحالِىَ اللفْـ　　　ـظِ ومُرِّ المَـــذاقِ فى نَفَراتِكْ [3]

إن لَحَظَاتِكَ عَـــذَّبانِى ولكِــنْ　　　تمرَّدَ الجوهرىُّ أعْـــذَبُ فاتِكْ

ما لِجَفْنَيْكَ فى الخلائقِ مُزْرٍ　　　أوَفى الحُسْنِ وَجَدُوا غيْرَ ذاتِكْ [4]

حُسْنُكَ الفرْدُ مِثْـــلُ مِنْكَ عِشْقِى　　　فارْعَ لى بِنْتَى التَّعَصِّى سِماتِكْ

من تَجَنِّيكَ مارحْتُ طَرِيحًا　　　ومُصابى من جَفْنِكَ انْتِهابُكْ

خَلِّنِى ياعَـــذُولُ إنَّ سَمْعِى　　　صَمَمًا لا أعِى إلى فَشْراتِكْ

أنا مَنْ جادَ بالشُّـــهُودِ إن لا　　　مَ ودَلنَوْمِ للعُيونِ الفَواتِكْ

أنا من قالَ للعَذُولِ قَدِيمًا　　　أنْحِ عنِّى فما لنا فى بَناتِكْ

ياعُيُـــونًا خَمَرْنَ قلبِىَ رِفْقًا　　　لستُ أصْحُو ماعِشْتُ من سَكَراتِكْ

لِىَ قلبٌ يرْوِى حـــديثَ سَقامِى　　　وصَحِيحَ الغرامِ عن كَسَراتِكْ

فإلى كمْ تلكَ الأمانى الكَذُو　　　باتُ تعنِّى الأطْماعَ فى تُرَّهاتِكْ [5]

كُنْ كما شئْتَ إنَّ قلبِىَ جَلْدٌ　　　لرُكوبِ الأخْطارِ فى مَرْضاتِكْ [6]

---

(١) فى ب : « تعجيل وجنتى وجنانك » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٢) فى ب : « غرصفاتك » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٣) فى ب : « من نفراتك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ج : « ... لعدلك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « فى الخلائق تعدى » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وفى ح : « أوفى الحسن واجد غيرذاتك » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ا : « إلى كم » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسقطت كلمة « تلك » من : ب ، ح ، وهى فى : ا ، وفى ج : « الأمانى الكاذبات » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ب : « إن قلبى جليد » ، وفى ح : « إن قلبى جلدا » ، والمثبت فى : ا .

حَمَّلَهُ الحبُّ وهْوَ خِلْوٌ وتكليه ... فلكَ مالا تُطيقُ نَزْعُ جِبالِكْ

* * *

ومن غُرَرِه البديعة قصيدتُه الحائية ، التي مدح بها آلَ البيت ، وتخلّص فيها لمدح بعض الأمراء .

ومستهلّها :

مَهَبَّ الصَّبا حَيَّتْكَ غُرٌّ طَوافِحٌ ... سَوافِرُ بالعِيصِ العَمِيمِ سَوافِحُ (١)

تُتَوِّجُ منكَ الهَضْبَ تاجاً كأنَّما ... حَبَتْهُ بأنواعِ النقوشِ القرائحُ (٢)

فإنَّ الصَّبا فَوْحٌ لها عِنْدَ مَنْ صَبا ... أبدْ كما شاءَ العراءُ وضائحُ

تُفَتِّحُ أقفالَ القلوبِ كأنَّما ... تُراها لأسرارِ القلوبِ مَفاتِحُ

وتَعْبَثُ بالأشواقِ تَبْعَثُ مَيْتَها ... فما هِيَ للأرواحِ إلّا مَراوِحُ (٣)

تَقُدُّ قميصَ السُّحْبِ عن مَنْكِبِ الضُّحَى ... سَحَراً فتقضي وهْيَ ثُمَّ المصابحُ (٤)

مُؤدِّيةً أسرارَ عَرْفٍ تَعَرَّفَتْ ... لأهليه في ذاك الأداءِ مَصالحُ (٥)

قريبةَ عَهْدٍ من مَواطِنِ جِيرةٍ ... مَواطِنُهُم في الرَّقْمَتَيْنِ الجَوانِحُ (٦)

لذلكَ أرجو أن تَهُبَّ نَدِيَّةً ... مُعطَّرَةَ الأرْدانِ مما تُصافِحُ

على أنَّ واديها المُقدَّسَ في غِنًى ... عن الطِّيبِ مما طَيَّبَتْهُ الضَّرائحُ

مَشاهِدُ فيها من دَمِ الشُّهَداءِ ما ... يَطِلُّ منه نافِجُ المِسْكِ نافِحُ

---

(١) في ا : « بالعيص العميم سوافح » ، وساقط في : ب ، ج . (٢) في ا : « تتوج [illegible] » ، والبيت في : ب ، ج . (٣) في ا : « تبعث بها » ، والبيت في : ب ، ج .

(٤) في ب : « فتقضى [illegible] ثم المصابح » ، وفي ج : « فيقضى وهي ثم المصابح » ، والبيت في : ا . (٥) في ا : « مؤدية أسرار » ، وفي ج : « مؤديه أسرار » ، والبيت في : ب ، وفي ا ، ج « [illegible] » ، والبيت في : ب . (٦) الرقمتان : قريتان من البصرة والنباج ، [illegible] ماوية شقاء البصرة ، وبعد حفر أبي موسى [illegible] ، وهي على شاطئ الوادي . معجم البلدان ٢/٨٠١ .

معاهدُ لم يَحْفَظْ بها عَهْدَ أَهْلِها   عِصابةُ سُوءٍ قد كَسَتْها المَفاضِحْ
تَعَدَّوْا حدودَ اللهِ فى آلِ أحمـد   فآلُوا بِخِزْىٍ ليس عنه مُسامِحْ
ولم يكُ إلا لعنةَ اللهِ كَسْبُهمْ   بصَفْقةِ خُسْرٍ خاب فيها المُرابِحْ
لِيُحْرِزَ سبْقَ السَّعادةِ شأوَها   ويَمْحَص للأشقى الشَّقا والفضائحْ
قضاءٌ له حكمُ الإرادةِ واضِحٌ   به جَفَّتِ الأقلامُ والأمرُ واضِحْ
ألَا عَدِّ عمَّا يصدَعُ القلبَ ذِكرُه   ويُذْكِى تباريحَ الأسَى منه بارِحْ
وإنِّى وإن مَوَّهْتُ عنـه فإنَّنى   حليفُ جَوًى مما تَجُنُّ الجوانحْ[1]
ولكن لنا فيمن مضَى أُسْوَةُ الهوَى   إذا ما وَرَى زَنْدٌ من الوَجْدِ قادحْ[2]
سقَى صَيِّبُ الرِّضوانِ أرْضًا بنُورِها   تُنيرُ على صاحِى السَّماءِ الصَّحاصِحْ[3]
مراقدُ مثْوَى العلمِ والحِلْمِ والحَيا   وكلُّ حميدٍ ما امْتدَحَتْه المدائحْ
رياضُ الرِّضا مَغْنَى الغِنَى مُنْتدَى النَّدَى   جِنانُ الجناحيْنِ المُنَى والمنائحْ
يمينًا بهم لولا مُرُّ الصَّبا على   مَضاجِعِهِم ماطابَ منها المُصافِحُ
همُ السَّادةُ الطُّهْرُ الذين بحُبِّهم   أدينُ إلهى يومَ يرْبَحُ رابحُ
وهُمْ عُمْدتِى فى كلِّ كَرْبٍ وعُدَّتى   إذا ماغزَى صَبْرِى الزَّمانُ المُكافِحْ
ولى من سَنا آثارِهم كلَّما دَجَى   علَىَّ ظلامُ المُوبِقاتِ مَصابحُ[4]
وحاشا جَنابَ الأكْرمين يَضِيعُ مَن   لأعتابِهِمْ قـد طَوَّحَتْه الطَّوائحْ
وإنِّى لِمَن والاهمُ لَمُحاسِنٌ   وإنِّى لِمَن عاداهمُ لَمُقابِحْ[5]
ولستُ بمَن وافاهمُ المدْحَ حقَّهُ   وعُذْرِى وقد قصَّرْتُ فيه لَواضِحْ[6]

---

(١) فى ب : «حليف جنى» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : «فيما مضى» ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٣) الصحاصح : جمع الصحح والصحصاح والصحصحان ، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد .
(٤) فى ب : «ولى فى سنا آثارهم» ، والمثبت فى: ا ، ج (٥) فى ب : «وإنى لمن والاهم لمسامح» والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ا : «ولست لمن وافاهم المدح حقه» ، والمثبت فى : ب ، ج .

وإنّى لفكرٌ أعقمته همومُه ... وأصمته أصداء الزمان الفوادحُ [1]

يقوم مقاماً تخرس الفصحاء عن ... علاه فكيف الأخرس المتفاضحُ

ولكننى أرجو المفاز ولو أن ... يشاع مجازاً أننى الآن مادحُ

وحسبى حبٌّ للنبىّ وآله ... ومَن قد أحبوه ولستُ أكاشحُ

ومما اقتضانى حبهم حبُّ ذى علا ... يطارحنى ذكراهم وأطارحُ

محبٌّ حبيبى موطنٌ لمحبتى ... وإنى له خِلٌّ صدوقٌ مناصحُ

هو الأروع الليث الذى حشو ثوبه ... وقارٌ تغضّ الطرفَ عنه الملامحُ [2]

همامٌ بعيد الهمّ رؤيةُ وجهه ... دليلٌ لوحدانية الله راجحُ [3]

أغرّ يريك النجحَ مهما خطبته ... أساريرُ منها كوكبُ السعد لائحُ [4]

إذا سمعت أذنٌ بأوصاف مجده ... تقول غلوٌّ بالغٌ وتسامحُ [5]

وحتى إذا ما عاينت منه ما سمعت ... وقالت نعم فى قدرة الله صالحُ

رأيتُ علاه فامتلأتُ مهابةً ... ومَن لاقَ ليثاً فهو لا غرو جامحُ

وقد قلتُ لا أستطيع جوباً وإنما ... اقتضبتُ لسانَ تقيه الجوارحُ

كأنّ مدادى حين أرقم مدحه ... غوالى الغوالى والروىّ الروائحُ

عجبتُ لأقلامى سعت فى مديحه ... على رأسها سيراً بما هو سائحُ

وقد طال ما نهّضتها لمهمة ... وعيّت طلابى وهى ثكلى نوازحُ

ولا غرو أن تسعى لمخدومها الذى ... جميعُ مساعيها لديه نواجحُ

فدتك يا ابن الأكرمين ومَن به ... خزاعة لم يرجح عليها مراجحُ

---

(١) فى ب: «أصداء من الفوادح»، والمثبت فى: ا، ح. (٢) فى ب، ح: «تغض الطرف عنه اللامح»، والمثبت فى: ا. (٣) فى ا، ب: «همام بعيد الهم»، والمثبت فى: ح.

(٤) فى ب: «يريك النجح مهما نصحته»، والمثبت فى: ا، ح. (٥) فى ب: «بأوصاف مدحه»، والمثبت فى: ا، ح.

حَنَانَيْكَ إذْ كانَ الجُيُوشُ تَهابُ مِن ... لِقائِكَ واعْذُرْ عاجزاً يتكادَحُ[1]

وأىُّ لسانٍ لا يَكِلُّ حديدُهُ ... لدَى ذَرِبٍ ينبُو لديْهِ الصفائحُ

على أنّنِى للشعرِ كنتُ مُحارِباً ... ولمْ أَلْقَ فيما بيْننا مَن يُصالِحُ

وقد كنتُ أبْوابَ القَريضِ غَلَقتُها ... إلى أنْ أتَتْها مِن يَدَيْكَ الفواتِحُ

ومَن لم يكن فى مِثْلِ مجْدِكَ شاعراً ... عصَتْهُ القَوافى واعْتصَتْهُ القَرائحُ[2]

ولستُ بمَن يختارُ لُبْثاً بغيْرِ ما ... مُقامِكَ لولا أفْرُخٌ تتصادَحُ[3]

تُسائِلُ عنّى مَن يروحُ ويغتدى ... سُؤالَ شَجِىٍّ دَمْعُهُ يتسافَحُ

وأنتَ خَبيرٌ أنَّ تلكَ عَلاقَةٌ ... تَسُدُّ على الوحْشِ الفضَا وهوَ سارِحُ

ولو كان لى مِن فارِهِ الفَحْلِ مَرْكَبٌ ... أُغادِى به مَغْناكُمُ وأُراوِحُ[4]

لَما قَعَدتْ بى عن حِماكُمْ عزيمةٌ ... ولَا اطَّرَحَتْنِى مِن سِواكَ مَطارِحُ[5]

ولى نفسُ حُرٍّ تأنَفُ الذُّلَّ لَو أتَى ... لها بِقرابِ الأرْضِ مما يُشاحِحُ

أَلِفْتَها باللُّطْفِ حتّى نأمَتْ ... وحنَّتْ إليْكُمْ والدِّيارُ نوازِحُ

وحتّى إذا وافَتْكَ وافَتْ مُهذَّباً ... يُبِيدُ رُواءَ الدهرِ والدّهرُ كالِحُ[6]

حَليماً لدَى البأساءِ قُطْبَ رَحَى الوغَى ... رَزِينَ الحِجَا لا يرْدَهِيهِ مُمازِحُ

بصيرٌ بتدْبيرِ الخطوبِ كأنّما ... ذَكاهُ بأعْقابِ الأمورِ يُصارِحُ

له مَنْطِقٌ يسْتنْزِلُ العُصْمَ فى الرِّضا ... وفى البأسِ رُسْلٌ للمنايا فواضِحُ

فطِبْ عُمَرُ الثانِى بِسِيرَتِكَ التى ... بِها كلُّ محزُونٍ من الجَوْرِ فارِحُ

---

(١) فى ح : «حنانيك إن كان الجيوش» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : «واعتصته المدائح» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ح : «ولست بمن يختار لبا» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ا ، ح : «من ذروة الفحل مركب» ، والمثبت فى : ب . (٥) فى ب ، ح : «لما قعدت بى عن حماك عزيمة» ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ب : «يعيد رواء البحر» ، والمثبت فى : ا ، ج .

إليك أتت رعبوبة الحسن غادة ... لها من بديع المكرمات ونائح [1]

وبلقيس حسن فى منصة عرشها ... بلابل أفنان الفنون صوادح [2]

شهود بأنى فى البلاغة واحد ... كأنت علا كل بمعناه طافح [3]

حسبى هزة من أريحيتك التى ... تناشدها الركبان غاد ورائح

تملّ من جارالله فى حلبة العلى ... تلقى وفد الفضل أنى يصافح

ودم وابق واسلم غصن مجد بروضه ... أغاريد مداح العلى والمدائح

* * *

ومن غزلياته الرقيقة، التى هى الخمر على الحقيقة، قوله من قصيدة.

مطلعها [4]:

لحظات لا تحامى التوددا ... قد تناهبن الحشا والكبدا

منها [5]:

يا لحاظا نستلذ فتكها ... لا عدمنا عضبك المجردا [6]

ذوبت الصبر أحشائى جنودها ... وأحالت شمل السلو بددا [7]

وامنعى وردا ووردا لمحب ... والحياة من جنى أو وردا

ذم ميل الغصن من عطفيه ميل ... واعتدال لم تلق من وال اعتدى

---

(١) فى ب: «إليك غدت»، والمثبت فى: ا، ج. والرعبوبة: الناعمة. (٢) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، أو بلقيس بنت شرحبيل، ملكة سبأ، آمنت مع قومها بالله رب العالمين، على يد سليمان عليه السلام، فتزوجها، و [illegible].

التيجان ١٣٧ – ١٧٠، شرح المقامات للشريشى ٢/١٦٩، ١٧٠، نهاية الأرب ١٤/١٣٤.

(٣) فى ا: «كأنت علا كل»، وفى ب: «كأن على كل»، والمثبت فى: ج. (٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٠. (٥) الأبيات متصلة فى: ب، ج، وخلاصة الأثر.

(٦) فى خلاصة الأثر:

بلحاظ نستلذ فتكها ... لا عدمنا لحظك المجردا

(٧) فى ج: «جمع السلو»، والمثبت فى: ا، ب، وخلاصة الأثر.

يا مَقَـــاطَ القُرْطِ من نُغْنُغِه ... قد تركْتَ الظَّبْىَ يجرى فى الكُدَى [1]

كيف لِلظَّبْىِ بفَرْعٍ فاحِمٍ ... زَانَ بالتَّصْفيفِ جِيـــداً أجْيَدَا

مُذْ غدا المِحْرابُ من حاجِبِه ... قِبْلَةً خَرَّتْ جُفونِى سُجَّدَا [2]

هـــكذا الحبُّ وَعِزُّ شأْنِه ... صَنْعَةَ اللهِ تعـــالَى مُوجِدَا [3]

مالِكِى بالحُسْنِ والحُسْنَى احْتَكِمْ ... حَقَّ أنْ تُضْحِى لِمِثْلِى سَيِّدَا [4]

إنَّ مَن كنتَ له مَوْلًى فقدْ ... عاش يا مَوْلاىَ عَيْشَ السُّعَدَا

صَبَّحَ اللهُ بكلِّ الخَيْرِ مَن ... كان مَرْآكَ لعينَيْهِ ابْتِدَا [5]

أنت رُوحِى فإذا ما غِبْتَ عَنْ ... ناظِرِى فارَقَ رُوحِى الجَسَدَا

* * *

وله يُوَدِّع بعضَ إخوانه [6] :

حَيَّاكَ عَهْدَ الحبيبِ عَهْدُ ... أوْطَفُ جَفْنِ السَّحابِ وَرْدُ [7]

بعـــدَكَ ما جَفَّ مِن جُفونِى ... دَمْـــعٌ ولم يَخْفُهنَّ سُهْدُ

كأنَّمـــا كان لِلَّيـــالِى ... دُيونُ بَيْنٍ وحَانَ وَعْـــدُ

ياليْتَ مـــذ فَرَضْتَ بِعـاداً ... سَنَنْتَ وَداعاً غـــداةَ تبْدُو [8]

أسْتَودِعُ اللهَ مَن جَفـاِنى ... ضَرُورةً وهْوَ لِى بِوُدّ

---

(١) النغنغ : الذى يكون فوق العنق . انظر القاموس (ن غ ن غ) . وفى ج : « يجرى فى كدا » والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . والكدى : جمع الكدية ، وهى الأرض الصلبة الغليظة .

(٢) فى ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « من غدا المحراب » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « هكذا الحسن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « يعز شأنه » . (٤) فى ا ، وخلاصة الأثر : « مالكى بالحسن والحس احتكم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « أصبح الله » ، وفى : ب ، ج . وخلاصة الأثر . (٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٣ . (٧) فى ب : « وطف ورد السحاب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) فى ج : « حنت وداعا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وفى خلاصة الأثر : « غداة شدوا » .

سَارَ بِقَلْبِي حِمَاهُ رَبِّي ... وَلَمْ يَقُلْ كَيْفَ بَعْدُ تَغْدُو

حَدَاهُ أَنِّي أَنْتَحِي فَلاحٌ ... وَقَادَهُ لِلنَّجَاحِ رُشْدُ

وَمَا عَلَيْهِ بِذَاكَ عَتْبٌ ... إِرَادَةُ اللهِ لا تُرَدُّ

* * *

وله في الغزل[1] :

مَا الَّذِي أَوْجَبَ صَدَّكْ ... وَلِمَا أَخْلَفْتَ وَعْدَكْ

أَلِشُغْلٍ دُنْيَوِيٍّ ... أَمْ عَذَابِي كَانَ قَصْدَكْ

أَدَلالٌ أَمْ تَجَنٍّ ... أَمْ قَرِينُ السُّوءِ صَدَّكْ

وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ ... أَسْعَدَ الغُفْرَانُ جَدَّكْ

بِالَّذِي وَلَّاكَ رِقِّي ... سَيِّدِي لا تَنْسَ عَبْدَكْ[2]

أَنَا فِي قُرْبٍ وَبُعْدٍ ... حَافِظٌ لِلهِ عَهْدَكْ

وَفُؤَادِي حَيْثُمَا كُنْـ ... ـتَ وَأَيْمُ اللهِ عِنْدَكْ

أَلُطْفُكَ المَعْهُودُ خَلَّا ... نِي أَسِيراً لَكَ وَحْدَكْ

هَلْ مِنَ الإِنْصَافِ إِقْصَا ... ءُ الَّذِي يَنْحُو قَصْدَكْ

حَاشَ أَلْطَافَكَ مِنْ أَنْ ... تَمْنَعَ الظَّمْآنَ وِرْدَكْ

أَنَا مَنْ شَادَ كَمَا شَا ... ءَ التُّقَى وَالصَّوْنُ وُدَّكْ[3]

كَمْ خَلَوْنَا وَالمُرُوءَا ... تُ وَشَتْ بُرْدِي وَبُرْدَكْ

وَعَفَافُ الذَّيْلِ قَدْ طَوَّ ... قَ جِيدَ الصَّبِّ زَنْدَكْ

هٰكَذَا نَحْنُ فَظُنَّ الْـ ... ـخَيْرَ يَا سَائِلُ عَهْدَكْ

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٣٣٢ ، ٣٣٣ . (٢) في ا : «بالذي أولاك رقي» ، والمثبت في : ب ، ح ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « كمن شاء التقى » ، والمثبت في : ا ، ح ، وخلاصة الأثر .

أنا مَن يتبعُ غَيَّ الـ ... حبِّ فاتْبَعْ أنت رُشْدَكْ

* * *

وله[١] :

إليكَ يا ابْنَ أبي عنِّي نصيحةَ مَن ... يَدُ التَّجارِبِ قامَتْ عنه بالأَوَدِ[٢]

إيّاكَ صُحْبَةَ غيرِ الجِنْسِ ما بَشَرٌ ... يقوَى لأنْ يَجْمَعَ الضِّدَّيْنِ في جَسَدِ

* * *

وله :

حَيِّ وَجْهـــاً إذا سَفَرْ ... أخْجَلَ الشَّمْسَ والقَمَرْ[٣]

ومُحَيّاً لَهُ الحَيا ... وخُدوداً لَها الخَفَرْ

وقُـــدوداً إذا انْثَنَتْ ... ظَلْتُ أُثْنِي على القَدَرْ

ومَهاً في جُفونِها ... عالِمُ السِّحْرِ قد مَهَرْ

يَسْتَفِزُّ الحِجـــا بلا ... حاجَـةٍ لِسِوى النَّظَرْ

وظِباءً ظُبـــاؤُها ... ليسَ تُبقِي ولا تَذَرْ

غازَلَتْني بِغَزْوِهـــا ... ثُمَّ وَلَّتْ على الأَثَرْ

ودَعَتْـنِي وأَوْدَعتْ ... جَفْنِيَ النَّوْحَ والسَّهَرْ

وتَباكَتْ وقـــد بَكَيْـ ... ـتُ وعند الهَوَى الخَبَرْ

ساجِيـاتِ الجُفـونِ لا ... تَتَّخِـــذْنَ البُكا سُتَرْ

لستُ فِيـكُنَّ لابِساً ... مِن غَرامِي على غَرَرْ

ليس مَن دَمْعُه حَياً ... مِثْلَ مَن دمعُه حَـذَرْ[٤]

---

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٢) في خلاصة الأثر : « إياك يا ابن أبي » .

(٣) في ب : « حي وجها إذا سطر » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا : «مثل من دمعه حدر» ، والمثبت في : ب ، ج.

أين دَمْعُ الدَّلالِ مِنْ ... عَـــبْرةِ الهَمِّ والعِبَرْ

غيَّرَ الـكُحْلُ لَوْنَ ذا ... واسْتحالَتْ بذا الغِيَرْ (١)

ليس مَن قَلْبُـــه فَتٍ ... كالَّذِى قلبُـــه انْفَطَرْ

ليس مَن باتَ هاجِعاً ... مثْـلَ مَن نَوْمُـه هَجَرْ

ومِن الفَرْشِ والوِسا ... دِ يُسْتَثْبَتُ الخَبَرْ

* * *

وله (٢) :

أطالَتْ وقالتْ مَن تَصبَّرَ يظْفَرَ ... فدَيْتُكِ لـكنْ مُـدّةُ العُمرِ تقصُرُ

فَفِى كلِّ قُطْرٍ غُرْبةٌ وتشَتُّتٌ ... وفى كلِّ عصْرٍ حُرْقةٌ وتحسُّرُ

تخيَّـلُ لى فى كلِّ قَفْراء أ[illegible] ... بها الآنَ أشْراكُ الهوانِ فأقْصِرُ (٣)

أُهجِّرُ منهـــا حيثُ تستعِرُ الحصا ... وتصْخَب حِرْباءُ الهَجيرِ وتزْفِرُ (٤)

وحـتَّى إذا شَمْسُ الأَصيـلِ تقمَّصَتْ ... حِداداً على فَقْدِ النَّهارِ أُشمِّرُ (٥)

فأخْتَبِطُ الظَّلْماءَ أحسَبُ أنَّهـا ... مَسافةُ خَطٍّ بالخطى تتقصَّرُ (٦)

ولو أنَّ لى فيكِ النِّفاقَ مودَّةً ... لَما كنتُ أطْوِى فى البلادِ وأنْشُرُ

* * *

(١) فى ب :

غيَّرَ الـكحلُ لونَه ... واستحالتْ به الغِيَرْ

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٤ . (٣) كرر عجز البيت السابق مكان عجز هذا البيت فى : ج ، وفى خلاصة الأثر : « أشراكُ الهوان فأنفر » . (٤) فى ب : « أأهجر منها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتهجير القوم : ساروا فى الهاجرة . (٥) فى ب : « على فقد النهار تُسمر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ا ، ب : « بالخطاء فتقصر » ، وفى ج : « بالخط فتقصر » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

وله (١) :

الأهمَّ الأهمَّ إن كان لابُدَّ ... فإنَّ الزمانَ فينا قصيرُ (٢)

لا تُضِعْ فُرْصةَ الحياةِ فما الْـ ... ـعمرِ حيثُ انْتَهى مَداهُ مُعيرُ (٣)

* * *

وله (٤) :

ألا قُلْ لمن أبدَى اعتذاراً وقد أبَى ... زِيارَتَنا والرَّيْبُ فى ذلك العُذْرِ

عليكَ أمانُ اللهِ ما دُمْتَ عندنا ... من القتلِ والتَّشْبيحِ ثم فلا أدْرِى

* * *

وله (٥) :

إذا كان فقرُ المرءِ يُزْرِى كِلَهُ ... فتنْفِرُ منه الأصْدقاءُ بلا عُذْرِ (٦)

فياضَيْعةَ الحسْنَى ويا خَيْبةَ الرَّجا ... ويا مَوْتُ زُرْ إنّ الحياةَ على خُسْرِ

* * *

وله :

أسَفٌ يُردِّدُ بالنَّفَسْ ... ومَدامِعٌ لا تُحتَبَسْ (٧)

وصَبابةٌ من وَقْدِها ... نارُ الجوانحِ تَقْتَبَسْ

شَوقاً إلى مَن بُعْدَهم ... لم يَبْقَ لى إلّا نَفَسْ (٨)

وشَتاتُ شَمْلِى بينَهم ... قد سَلَّ رُوحِى واختَلَسْ

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٢) فى ب : « إن كان لا بد طاقة فإن الزمان . . » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ب : « لا تدع فرصة الحياة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) سقط هذان البيتان من : ب ، وهما فى : ا ، ج . (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٦) فى ب : « فتقصر منه الأصدقاء » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى ج : « ومدامة لا تحتبس » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٨) فى ب : « شوق إلى إبعادهم ... إلا النفس » ، والمثبت فى : ا ، ج .

صَــبْراً الدَّهْرِ ما ابتسمْــتْ تَجَلُّداً إلَّا عَبَسْ

* * *

وله ، ويخرج منه اسم إبراهيم بطريق التَّعْمِيَة :

إنَّ رَقِيباً صَدَّ مَنْ نَعْشَقُهُ عَنَّا وآذانا بلاَ تَحاشِي
راحَ بلاَ عاقبــةٍ مَحمودَةٍ إذْ حالَ بيْنَ الماء والعِطاشِ

* * *

وله [1] :

تولَّى زَمانِي بالتَّلاعُبِ وانْقَضَى وحَــلَّ شَبابِي بالمَشِيبِ تَنَقُّصا
أُراقِبُ لَمْعاً من سُهَيْلِ مَطالِبِي وأرْصُــدُ بَرْقاً من أمانِيَّ أوْمَضا
يُخَيِّلُ لى أنَّ الدُّجَى وَجْهُ باخِلٍ وكَفَّ الثُّرَيَّا للسُّؤالِ تَعرَّضا
فآنَفُ مِن نَيْـــلِ الغنى بمَذَلَّةٍ وأُلْوِى عِنانَ القَصْدِ عَنْهُ مُفوَّضا [2]
وأَعْيَى طِلابِي مِن زَمانِيَ صاحِبٌ يكونُ لحالِي بالوفاء مُنَهِّضا [3]
فأيْقَنْتُ أن الخِــلَّ أَفْقَدُ ثالِثٍ مع الغُولِ والعَنْقاء في قَوْلِ مَن مَضَى
وقد صَحَّ عندِي أنَّما الخِلُّ خَلَّةٌ أرُومُ لهــا سَدَّ الـكَفافِ مع الرِّضا
إذا قطع الإنسانُ أطماعَ نفسِهِ مِن النَّاسِ كان اليَأْسُ أهْنا مُعوِّضا
هُناك يـكونُ المرْءُ باللهِ مُقْبِلاً على شأْنِهِ ما إن يـكادُ له مَضَا
فذاكَ الَّذِي بالعَقْلِ صَحَّ اتِّصافُهُ ومَنْ لا فَلاَ واللهُ بالِغُ ماقَضَى

* * *

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٢٣٨ . (٢) في ح : « من نيـل الغنى » ، وفي ا : « من نيل المنى » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر . (٣) في ا ، ب ، ج : « من زماني صاحب » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

وله :

قبلَ التّغزُّلِ منّى فيه كانَ لَهُ   بعضُ الْتِفاتٍ إلى حالِي وقد مُنِعا

أمِنْتُ فيه من الأغيارِ فانْتَدَبتْ   لِلمَنْعِ بِنْتُ لِسانِي ليت لو قُطِعا [1]

يارَبِّ حتى أنا ساعٍ على تَلَفِي   ماذاكَ إلّا لِسُوءِ الحظِّ قد وُضِعا

* * *

وله :

أيُّهـا الغاصِبُ قلبي   خَلِّهِ مِنْكَ وَدِيعَهْ

لا تكُنْ ضامِنَ فى الغَصْـ   ـبِ بإتلافِ القَطِيعَهْ

* * *

وله ، وقد أجاد :

يا بَعِيدَ الغَوْرِ من خَصْـ   ـرٍ عفا لَوْلا المعاطِفْ [2]

وبَعِيدَ القُرْطِ مِن لمـ   ـعَتِهِ قدْ أطرافِ المطارِفْ

أعَمُودُ الصُّبْحِ ماأطْـ   ـلَعْتَ مِن طَوْقِ المَاشِفْ

أم بَدا مِعْصَمُ كَفٍّ الْـ   ـبَرْقِ لِلأبْصارِ خاطِفْ

أمْ طَـلا ظَبْيٍ مُراعٍ   مُسْرِعِ اللَّفَتاتِ واجِفْ

ياقَضِيباً مِنْ لُجَينِ الْـ   ـطَفِ نامٍ فى حَقائِفْ [3]

باتَ يُسْقَى صَيِّبَ الدَّ   لِّ فأضحى وهْوَ وارِفْ

إنْ عَرَى مِن حُلَلِ الْـ   ـخَزِّ اكْتَسَى حُلَلَ اللَّطائِفْ [4]

---

(١) فى ا : « من الأغيار فابتدأت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « بنت لسانى ليته قطعا » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ج : « من خص * ر عفى » ، والمثبت فى : ا ، ب.

(٣) الحقف : ما اعوج من الرمل .   (٤) فى ج : « اكتسى حلى الاطائف » ، والمثبت فى : ا ، ب.

دارَهَيـــانُكَ هَيْما نَا لأخبارِ المراشِفْ[1]
ولقَدْ طـــالَ الّذى فاتَـ ـمَ بإرْسالِ السّوالِفْ[2]

* * *

قالتُ[3] : هــذا شعــر أبْهَى من إرْســال السّــوالف ، وأشْهر من ذِكْر اللّيالى السّوالِف .

* * *

وله إلى مُعذّر طرّزت حاشِيتا خدّيْه بالقلَمِ الرّيْحانىّ ، وعززت[4] صحيفتا وجْنَتَيْه بالطّراز السّبْحانىّ :

هــذا طِرازُ المُلْكِ يَحْلُو وأَنُهُ لِواءُ الحسْنِ يعْلو
فَنواطِقُ الأرْواحِ آ ياتِ الصَّبــابةِ فيــه تتْلو
نسَخَ العِــذَارُ بِخطّهِ عُذْرَ السلوّ فكيف نسْلو
عجَبًا لجَمْرٍ منه يصْلى الـ قَلْبَ دَبَّ عليه نَمْلُ[5]
ولِعَقْرَبٍ من عنْبَرٍ حامَتْ على وَرْدٍ يُطِلُّ
ولِحُمرهِ فيها تَوَلَّـ دَمن حظُوظِ الصّبِّ شكْلُ[6]
وحِقــافِ ياقُوتٍ عمَيْـ ـه من الزّمُرّدِ صِيغَ قُفْلُ
إنَّ الجمالَ الصِّرْفَ مَعْـ نًى عن تعلّقِهِ يجِــلُّ
أسْتغْفِرُ الله العظيـ ـمَ توَهّمُ الأفْكارِ شُغْلُ
هٰذِى طلاسِمُ قدْرِه لِلجَيْنِ كنْزٌ فيه لَعْلُ[7]

(١) صرف « هيان » لضرورة الوزن . (٢) فى ح : « ولو طال المدى . . » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) هذا القول كله ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « وعززت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « عجبا لجمر فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ب : « من خطوط الصب » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٧) فى ب : « فيــه مل » بدون نقط ، وفى ح : « فيه سهل » ، والمثبت فى : ا ، ولعل : حجر كريم . القاموس (لعل) ، وانظر Dozy 21536

بل ظِلُّ أهْـداب شَخْصِـ ـنَ وفى مَرائى الحُسْنِ صَقْلُ
فغدا صَفـاه أديمُها خيالِ ذاكَ الظلِّ يجلو[1]

* * *

وله فى الغزل[2] :

مِـنْ فِتنى لِميلِكَ المُستميلِ مُتّاقٍ على مَراحِ القَبُولِ
وعجيبٌ مَيْلُ الغصونِ إلى نَحْـ ـوِ مُحِبِّ الهوى بغيرِ مُميلِ
لكنِ المَيْلُ بانجذابِ هوى النَّفْـ ـسِ أبِيُّ الزَّوالِ والتَّحويلِ
حبّذا مَيْلةٌ خشيتُ بها القَلْـ ـبَ انخِلاسَ الشَّمولِ خرَّ المَقولِ[3]
مِعطَفٌ عاطِفٌ وجيـدٌ مُحاذٍ والْتِفاتٌ يَسْبِي بطَرْفٍ كَحيلِ
وطُـلًا واضِـحٌ ولفظٌ خَلوبٌ يَنفُثُ السِّحْرَ فى حلالِ المَقولِ
ونُزوحي إذ تغاضَبْتَ وتيهٌ ثَمَّ يمتزُّ عن رضًا فى نُكولِ[4]
[illegible]بٌ فى تأدُّبٍ وتَجَنٍّ ضِمْنَ عَطْفٍ ومَنْعةٌ فى حصولِ
هٰـكذا هٰـكذا تبارَكَ مَن أَبْـ ـدَعَ فى ذا الجمالِ كلَّ جميلِ[5]

* * *

وله[6] :

بِزوحِي لدى أتّقى العيونَ الرَّقابةُ وأخْرَجَ عن حَـدِّ التَّعادلِ أحْوالِى
تمَلُّه لأشـوقٍ لى فإذا أرى مَليحاً على بُعْدٍ تفنَّاهُ بَلْبالى[7]

---

(١) فى ا : « تعرف ذا الظل » ، وفى ب : « خيال ذلك الظل » ، والمثبت فى : ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٣١ ، ٣٣٢ . (٣) فى ب : « خلاس النفوس حر المتول » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى خلاصة الأثر : « وبزوحي إذا تغاضبت . . » . (٥) فى خلاصة الأثر : «من أودع فى الجمال» . (٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٢ . (٧) فى ا : «تطناه ببلبال» ، وفى ج جاء عجز البيت هكذا :

* مليحاً على بعدٍ أقولُ هو الغالى *

والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر . ومعناه : أعمل الظن فيه .

فأقْصِده قَصْدَ العِطاش توهَّمتْ ... شراباً فقد دانته إذْ هو بالآلِ[1]

فصرت بحال لو أراهُ حَقِيقةً ... بكَرتْ على عَيْني وكذَبْتُ آمالى[2]

* * *

وله[3] فى تهنئة[3] بختان :

الغُصْنُ يخدَمُ باقْتِضابِ فَواصِـــلٍ ... منْهُ لِينْمُوَ فى الرَّوضِ ويَحْملاَ

وكذاكَ أقْـــلامُ الـكَمالِ لِبَرْيِهَا ... تعْنُو لهـــا سُمْرُ الرِّماحِ تَمَثُّلاَ

والشَّمْعُ لا يَزْهُو ويُزْهِرُ نُورُها ... حتى تَقُصَّ من الذُّبالةِ مُرْسَـــلاَ

* * *

تنــاول هــذا من قول محمد بن قاسم الحلَبِى[4] ، مِن تهْنئتِه بختــانٍ ، يقول فيها[5] :

هُو الشَّمْعُ إن قُطَّ لا غرْوَ أنْ ... أنارَتْ به حالِـكاتُ اللَّيالى

وظُفْرٌ بتَقْليمِـــهِ لا يزالُ ... [illegible] كفُّ المكارمِ منه حَوالِى[6]

وتَشْميرُ ذَيْلٍ لدى الاسْتِباقِ ... لنَيْلِ الأمانِى وكَسْبِ المعالِى

ومَا لِليَراعِ إذا لَمْ يقطَّ ... فضْـــلٌ يُعدُّ على كلِّ حالِ

---

(١) فى ا : « سرابا فما دانته أو هى بلال » ، وفى ب ، ج : « فقد أدنيه إذ هو بالآل » ، وفى خلاصة الأثر : « فلما حان إذ هو بالآل » ، ولعل الصواب ما أثبتــه . (٢) فى ا : « فصرن بحــال لو رآه حقيقة » ، وفى ب : « فصرت بحال لو رآه حقيقة » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ب : «يهنيه» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) محمد بن أحمد بن قسم ، الشهير بالقاسمى الحلبى .

نادرة الزمان ، وفريدة العصر .

ولد بحلب ، ثم قدم الروم ، وصار بها من كبار المدرسين ، ثم كف بصره فتقاعد برزق عين له من قبل السلطان .

مات بالروم ، ودفن بدار الخلافة ، سنة أربع وخمسين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٢٧٥ ، خبايا الزوايا لوحة ٢٥ ب ، ريحانة الألبا ١/٧٨ .

(٥) الأبيات فى ريحانة الألبا ١/٨٨ ، ٨٩ . (٦) فى ا : « منــه حوالى » ، وفى ب : « منــه خوالى » ، وفى ج : « وكف المكارم منه خوالى » ، والمثبت فى الريحانة .

ومن بَعْدِ يَرَى الغُصونِ ازْدَهَتْ   عليها أسِنَّةُ سُمْرِ العَوالِى

وإن كان سبقه فى البعض ابنُ فضلِ الله[1]، فى خِتان الناصر[2]:

لم يُرَوِّعْ له الخِتانُ جَناناً   مُذْ أصابَ الحديدُ منه حَدِيدَا
مِثْلَما تنقصُ المصابيحُ بالقَطِّ   فــتَزْدادُ فى الضِّياءِ وَقُودَا

وكذلك الصَّنَوْبَرِىّ[3] فى قوله[4]:

أرَى طُهْراً سيُثْمِرُ بَعْدَ غَرْسٍ   كما قد تُثْمِرُ الطَّرَبَ المُدامَهْ[5]
وما قَلَمٌ يُغْنِى عنكَ إلّا   إذا ما أُلقِيَتْ عنه القُلامَهْ

ومن الفصول المُطْرِبة فى هذا الباب، فصلٌ للقاضى الفاضل[6]:

الحمدُ لله الذى أطلعه بثنيّاتِ الكمال، وبلّغه غاياتِ الجمال، ويسّره لدرجات الجلال، ونقّله تنقّلَ الهلال، وشذّبه[7] تشذيبَ الأغصان، وهذّبه تهذيبَ الشُّجعان، وأجرَى فيه سُنّةً سنّ لهـا الحديد، فنقصه للزيادة، واستخلصه للسيادة، ودرّبه للاصْطبار، وأدّبَه للانْتِصار، وألقى عنه فضلة فى اطّراحها الفضيلة[8]، وقطع عنه

(١) شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن فضل الله بن المجلى القرشى العمرى.
كان إماما فى كتابة الإنشاء، عارفا بتدبير الممالك، مليح الخط، غزير العقل، وخدم عدة سلاطين.
توفى بدمشق، سنة سبع عشرة وسبعمائة.
الدرر الكامنة ٣/٤٢، فوات الوفيات ٢/٤٦، النجوم الزاهرة ٩/٢٤٠.

(٢) يعنى محمد بن قلاوون، الملك الناصر.
ولى سلطنة مصر والشام، وهو صبى، ثم خلع منها، وأعيد إليها مرة ثانية، فأقام بالقلعة محجورا عليه، وأظهر رغبته فى الحج، وكانت خدعة [illegible] إلى ملكه.
عرف بكرمه، ورغبته فى العمران، ومبالغته فى الحرص على ألا يصل إليه ظلم أو جور.
توفى بالقاهرة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة.
الدرر الكامنة ٤/١٦١، فوات الوفيات ٢/٥٢١، النجوم الزاهرة، الجزء الثامن والتاسع.
والبيتان فى ريحانة الألبا ١/٨٩، فوات الوفيات ٢/٤٩.

(٣) فى ب: «الصورى»، والمثبت فى: ا، ج، وريحانة الألبا. (٤) البيتان فى ريحانة الألبا ١/٩٠. (٥) فى ريحانة الألبا: «أرى طهرا سيثمر بعد غرس»، وما هنا أقرب إلى الصواب.
(٦) ذكر الخفاجى هذا الفصل أيضا، فى ريحانة الألبا ١/٨٩. (٧) فى ا، ب، ج: «وشذب به»، والمثبت فى ريحانة الألبا. (٨) فى ا: «فصلة»، والمثبت فى: ب، ج، وريحانة الألبا.

عَلَقَةٌ[1] حَقُّ مِثْلِها ألا تـكون بِمِثْلِهِ مَوْصولَة .

فلم يزَل النَّقاليمُ مُنَوِّهًا بالأغصان ، ومُنَبِّهًا للثَّمَر الوَسْنان ، ومُبَشِّرًا بالنَّماء ، ومُيَسِّرًا للنَّشْوِ[2] والانْتِشاء .

* * *

ولطرز الريحان مُضَمِّنًا بيت الأمير المَنْجَكي[3] :

عَجِبْتُ مِن طالِعِ المُحِبِّ ومِنْ ... سُرعةِ إكْذابِ نَجْمِه الأمَلا[4]

إن زارَهُ مَن يُحِبُّ عن غَلَطٍ ... أتاه كابوسُ بَقْتِه عَجِلا

كأنَّه طـارقُ المَنونِ فلا ... حِيلَةَ في دَفْعِه إذا نَزَلا

أو الغريمُ المُلِحُّ في زَمَنِ الْـ ... ـعُسْرِ أو الدَّاءُ صادفَ الأجَلا

ثقيلُ رُوحٍ يزورُ في زَمَنٍ ... لو زارَ فيـه الحبيبُ ما ثَقُلا

يقولُ إيهٍ وقد وجَمْتُ ومَن ... يَصْدُقُ أو مَن يُطيقُ مُحتمِلا[5]

يسألُ ما تَشْتكي فقلتُ لَهُ ... داءٌ عُضالٌ فقال لا وصَلا[6]

فقلتُ آمينَ ياحبيبُ أرى ... ما تَشْتَكِيه في بَدَنِه فَقَلا

ياليتَ لو أنَّه استُجيبَ لنا ... دَعَوْنا ذاكَ وانْتَكَسْ خَجِلا

لم يَخْلُ بل ضاعَ وَقْتُنا هَدَرًا ... وقلَّ منه الخبيثُ وارْتَحَلا[7]

---

(١) في ب : « غلقة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وريحانة الألبا . (٢) في ا : « للنشوء » ، والمثبت في : ب ، ج ، وريحانة الألبا . (٣) تقدمت ترجمة المنجكي في صفحة ١٣٩ ، برقم ٧ .

وبيت المنجكي هو الخامس في هذه الأبيات ، وهو في ديوانه ١٥٠ ، وقد تقدم أيضًا ترجمته ، في صفحة ١٥٩ .

وأبيات طرز الريحان في خلاصة الأثر ٢ : ٣٣ .

(٤) في ا ، ب : « سرعة الكذب » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في ب ، ج : « ينطق أو يطيق محتملا » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٦) في ا ، ج : « يسأل [illegible] تشتكي » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر ، وفي ا : « [illegible] لا وصلا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) في ب ، ج : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

وله، متغزلا :

أُبُنَيَّ لا أُعْدِمْتُ فضْلَكْ ... وأدام لى مولاىَ ظِلَّكْ

ياجامعًا شَمْلَ البَهَا ... لا فَرَّقَ الرحمنُ شَمْلَكْ

أفديكَ لم تَرَ فى الهوى ... مِثْلِي ولا أبصرتُ مِثْلَكْ

حاشَا طِباعَكَ والوَفَا ... من أن تَمَلَّ وأن أمَلَّكْ

وكُفِيتَ نَزَغاتِ الوُشا ... ةِ وجَلَّ قَدْرُكَ أن تُزَلَّكْ[(١)]

كم ذِى جَمالٍ باهرٍ ... لم أرْضَهُ لِيُدِيرَ نَعْلَكْ

ومُمَنَّعٍ فى الحُسْنِ لَيْ ... سَ إلى وِصالٍ منه مَسْلَكْ

أمْسَى يعرِّضُ نَفْسَهُ ... لِيَحُلَّ من قلبِي مَحَلَّكْ

هيهاتَ ماللرُّوحِ مِن ... بَدَلٍ ولو أوْسَعْتَ بَذْلَكْ

ها أنتَ رُوحِي ليس بُدٌّ ... منكَ دَعْ مَن شاء يَهْلَكْ

بحياةِ ما بَيْنِي وبَيْـ ... ـنكَ لا تُضِعْ ياخِلُّ خِلَّكْ

أسَفِى على زمنٍ يَضِيـ ... ـعُ ولم أُشاكِلْ فيه شَكْلَكْ

عيْناكَ قد نَصَبتْ على ... كنزِ المحاسنِ منكَ مَهْلَكْ[(٢)]

فبحقِّها لا ترْمِ مِنْ ... لحظاتِها إلا سِوايَ نَبْلَكْ

إنِّى أغارُ إذا بغَيْـ ... ـرِ حُشاشتى أغمدتَ نَصْلَكْ

يَفْدِيكَ كُلِّى لا تَمِلْ ... لِمُماذِقٍ فى الوُدِّ كُلَّكْ

وانظُرْ بِعَيْنِ العَدْلِ تَعْـ ... ـلَمْ مَن هَداكَ ومَن أضَلَّكْ

ومَنِ اجْتَلاكَ لأجلِ لَذَّ ... ةِ مُشْتَهاهُ ومَن أجَلَّكْ

قَسَمًا بمغناكَ الذى ... مِنِّى تَمَلَّكَ ما تَمَلَّكْ

---

(١) فى ا ، ب : « وكفيت نزعات الوشاة » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ا : « قد نصبت لنا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لَوْلاكَ لم أَكُ قائِلاً   شِعْراً قَلاهُ القَلْبُ قَبْلَكْ

فكر بكاساتِ الخطو   بِ لعلّ تَطْمَعُ أن يُمِلّكْ

إنّى وأحْوالُ الشَّبا   بِ تَحَوَّلَتْ والدَّلُّ دَلُّكْ

لكنّ مَيْلِى للعما   لِ طَبيعةٌ والطَّبعُ أمْلَكْ

ويصوغُ مجْهودُ القَرِ   يحة ما حِسابُ الشَّوْقِ فَذْلَكْ[1]

إنْ رُمْتَ إرْجاعَ الفَوا   تِ فال ضِيقُ الوقتِ مَن لكْ

فتَقولُ للتعبِ اقْتَنِعْ   بالظّلّ لسْتَ تَطُولُ وَيْلَكْ[2]

وأبيكَ لو أُنْبِيكَ بَـ   ـعْضَ أليمِ ما أُخْفِى أمِلّكْ[3]

لكنّنى أوْجَزْتُ خشْـ   ـيةَ أن تقولَ أطَلْتَ فَضْلَكْ[4]

وسَطّلْتُ عُــذْرِى فى هَوا   كَ عساكَ تقْبَلُهُ وعَلّكْ[5]

* * *

وله هذه القصيدة فى الغزل وهى أشهر شعره[6] :

نَفسٌ أمانِيها ... تَعَلِّلُها ... تارة و...

ولَوْعةٌ فى الضُّلوعِ أضْعَفُ ما   يُذيبُ صُمَّ الحِجارِ أسْهَلُها

غَــداةَ بانوا فلاَ وربِّك ما   ظَنَنْتنى فى الرَّكابِ أثْقَلُها[7]

رِقّةً بها حادِى المَطِىّ فَفِى   خِلْبِ فؤادِى تَدوسُ أرْجُلُها[8]

وفى سبيلِ الغَرامِ لِى كَبِدٌ   تَبِيتُ أيْدِى النَّوَى تُمَلْمِلُها

---

(١) فى ا : « ويصوغ مجهود القريحة » وفى ب : « ويجود مجهود القريحة » ، والمثبت فى : ح . (٢) فى ا : « تطول ويلك » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٣) فى ح : « وأبيك لو أملت » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ب ، ج : « أوجزت خش * ية » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : « أطلت فضلك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « تقبله لعلك » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٢٨-٣٣٠ . (٧) فى ب : « فلا وربك لا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) الخلب : لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع أو الكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شىء أبيض رقيق لازق بها . القاموس (خ ل ب) .

تَعِلَّةُ المنونِ فائدةٌ آخرُها كاذبٌ وأوّلُها

أُساوِرُ النَّجْمَ أبْتَغِي قِصَراً لِلَيْلَتِي والجوَى يُطوِّلُها

وليتَ ساجِي اللِّحاظِ يَرْحَمُ مَنْ يَبيتُ مِن أجْلِه يُدمِّلُها

اللهَ فى ذِمَّةٍ أضَعْتَ وفى حُشاشَةٍ مَلَّها مُعَلِّلُها (١)

أمَا وجَفْنَيْكَ والفُتورِ وما أوْرَثَ جِسْمِي ضَنًى مُذَبِّلُها (٢)

وأسْهُمٍ قد أراشَها حَوَرٌ تَقْصِدُ حَبَّ القلوبِ أنْصُلُها

أمُهْجَتِي فى هواكَ تَكْبُرُ أن يَصُدَّها ما يقولُ عُذَّلُها

إلى مَ نقضى وفى الحَشا حُرَقٌ لا تستطيعُ الجبالُ تَحْمِلُها (٣)

صَبابَةٌ إن أرَدْتُ أُجْمِلُها أملكَ ذُلُّ الهوى يُفصِّلُها

أوْجَمُ تاللهِ مذ أرَكْ فقد أعْجِزُ عن كِلْمَةٍ أحَصِّلُها (٤)

ومنطقٍ فيكَ عن فصاحتِه يعودُ سَحْبانُ وهْوَ باقِلُها (٥)

وهٰذه حالةُ الكئيبِ ولو جَحَدْتَها ما أظُنُّ أجْهَلُها (٦)

تركْتَنِي واستمعْتَ عَنِّى من تَخْفِتُ ألفاظُه أناقِلُها

أعْدَمَنِي اللهُ فى هوَى فِئَةٍ ثَنَاكَ عن وُصْلَتِي تَقَوُّلُها

هم أشْرَبُوا طَبْعَكَ القَساوَةَ هل تَراكَ يوماً لِلُطْفٍ تَبْذُلُها (٧)

أما عرَفْتَ العَفافَ مِن دَنِفٍ مَداخِلُ السُّوءِ ليس يَدْخُلُها

يأنَفُ بالطَّبْعِ كلَّ فاحِشَةٍ مَذاهِبُ الشَّرْعِ ليس تَقْبَلُها

---

(١) فى ب : « ملها تعللها » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى خلاصة الأثر : « من لها معللها » .

(٢) فى ا : « منى مذبلها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر : « لذ م تقضى » .

(٤) فى ب : « أوجم والله » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى ب : « ومنطق فيك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر : « ما أظن تجهلها » .

(٧) فى ا : « تراك يوم العطف بدلها » ، وفى خلاصة الأثر : « تراك يوم العطف تبدلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

غُذِي لِبانَ الهوى على صِغَرٍ　　فهْوَ لأهْلِ الشُّجونِ مَوْئِلُها

إن راحَ يَحْكِي صَبابةً خضَعتْ　　لَهُ القوافِي ودَانَ مُشْكِلُها

يُعلِّمُ النَّوْحَ كلَّ ساجِعةٍ　　فهْوَ صَدَى دَوْحِها وبُلْبُلُها

وَيْحَ قلوبِ المُتَيَّمِينَ إذا　　تصَرَّمتْ في الهوى حبائلُها

أفْدِيكَ يا قاتِلي بلا سببٍ　　قَتْلَهُ مُضْناكَ من يُعَلِّلُها (١)

أصْبحْتُ شَيْخَ الغَرامِ فيكَ وذا　　روايةٌ أدْمُعِي تُسَلْسِلُها (٢)

وفيكَ حُلْوُ الشَّبابِ مَرَّ ولَمْ　　أفُزْ بأُمْنِيَّةٍ أُؤَمِّلُها (٣)

تلْكَ لَعَمْرُ الهوى رِضاكَ فإنْ　　عزَّ فيـــا خَيْبةَ آمِلِها

تاللهِ لو شاهَــدَتْ عُيونُكَ ما　　ألْقـــاهُ سَحَّتْ وجْداً [illegible]

عَساكَ تحْنو لِمَنْ مَطامِعُهُ　　عليكَ دونَ الورَى مُعَوَّلُها

وكمْ ليالٍ سَهِرْتُهُنَّ ولي　　رامِحُها سامِرٌ وأعْزَلُها (٤)

ومَفْرَشِي وَسْطَ كُلِّ [illegible]　　قَتادُها والوِسادُ قَنْقَلُها (٥)

وليس إلّا هواكَ يُؤْنِسُني　　[illegible] مِثْلُكَ لي [illegible]

أما كفَى يا ظَلومُ ما فعَلتْ　　غُـــزاةُ جَفْنَيْكَ لي وعُزَّلُها

ولسْتُ أشْـكوكَ بل بذَلْتُ لِمَنْ　　تَوَلَّهَتْ نفْسُهُ تَذَلُّلَها (٦)

فأنْتَ عِنْـدي ولو هدَرْتَ دَمِي　　خيرُ وُلاةِ الورَى وأعْدَلُها (٧)

وإنْ توارَتْ شُموسُ حُسْنِكَ عَنْ　　نَواظِري فالفُؤادُ مَعْقِلُها

---

(١) في ا : « قتلت مضناك » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ا ، ج : « من علّلها » ، والمثبت في ب : وخلاصة الأثر .　(٢) في ب ، وخلاصة الأثر : [illegible] « روايه » ، والمثبت في : ا ، ج .　(٣) في ج : « ولم أفز بأمنية أؤملها » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٤) الأعزل والرامح : نجمان نيران . القاموس (س م ك) .　(٥) [illegible] : شجر صلب له شوك . والقنقل : المكيال الضخم . القاموس (ق ت د ، ق ن ق ل) .　(٦) في ا : « لمن * تولهت [illegible] بذلها » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .　(٧) في ا : « وإن هدرت دمي » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وإن تناءتْ ركائبي ودَنتْ   رسَائلي فالرِّياحُ تنقُلُها (١)
فاسْلَمْ ولا تكثّرتْ بحُرقةِ ذِي   نَفْسٍ أمَانِيها تعلّلُها (٢)

* * *

وله :

هو الحبُّ أبحاثُهُ مُشْكِلَهْ   وكم نَظَرٍ ضَالٌّ في مَسْأَلَهْ
ومَن يستدلُّ بغيرِ العَفافِ   على طُرقِ الحبِّ أن يُوصِلَهْ
وما القلبُ قلبي إنْ عاقَهُ   مُعيقٌ عن الحبِّ أو أشغلَهْ
ولا العمرُ عمرٌ إذا لم يكُنْ   به الوَجْدُ آخِرُهُ أوّلَهْ
سقَى اللهُ رَيْعانَ صَبْوِي بما   يُرنِّحُ منه غُصُونَ الوَلَهْ
وأكثَرَ في كلامِ الحَسُودِ   وخيَّبَهُ في الذي أمّلَهْ
يعيبُ الصَّبابةَ مَن لا يَرى الصَّ   بابةَ والنُّسْكَ غيرَ الوَلَهْ (٣)
ولا عَيْبَ في الحبِّ إلا عَنا   فةَ الطَّبعِ والرِّقَّةَ الحاصلَهْ (٤)
ومَن كانَ عن ذاكَ في معزِلٍ   فغيرُ مَلومٍ إذا أهمَلَهْ
وحَسْبُ المباشِرِ أمراً من الأ   فَضيحةِ فيه بأنْ يَجْهَلَهْ
ألا حدَّدَ اللهُ نَبْلَ الزَّما   نِ وللهِ رَامِيهِ ما أنْبَلَهْ (٥)
كحيلُ العيونِ مُثيرُ الفُنونِ   دَليلُ المُنونِ إلى المَقْتَلَهْ (٦)

* * *

---

(١) في ا : « ودنت * رسائلي » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٢) في خلاصة الأثر : « بحرقة ذي * نفس » .

(٣) في ب : « غير الوله » ، والمثبت في : ا ، ح .   (٤) في ب : « إلا عنا * فة الطبع » ، والمثبت في : ا ، ح .   (٥) في ا ، ح : « نبل الزنا » ، والمثبت في : ب .   (٦) في ح : « مثير المتون » ، والمثبت في : ا ، ب .

وله :

مَسَكْتُمْ زِمامَ الرُّوحِ ثم قَضَيْتُمُ ... بِرِحْلَةِ جِسْمِي فاسْمَحُوا بِخَيالِكُمْ
عَقَدْتُمْ عُرَى عَقْلِي وقلتمْ تَجاهُلاً ... كأنَّ بِهِ جَذْباً نَعَمْ بِحِبالِكُمْ

* * *

وله [1] :

عَنِّي إليكُمْ بَنِي هذا الزَّمانِ فقد ... عاهَدْتُ قَلْبِيَ أن لا رَامَ وُدَّكُمْ
أباحَكُمْ بيتَ وُدٍّ كان تَصْدِيَةً ... صلاتُكم عندَه فالآنَ صَدَّكُمْ [2]

* * *

وله ، ويخرج منه اسم عمر ، وعمرو ، بطريق التَّعْمِيَة :

بَدْرٌ كَسَتْ شَمْسُ العُلَا وَجْهَهُ ... حُسْناً وأَغْنَى حَقْفُهُ وابْتَسَمْ
فَقُلْتُ بِهِ عُمَرًا واعْتَلَقْ ... منه نِطاقَ الخَصْرِ عقداً وتَمْ [3]

* * *

قوله : « بِهِ عمرا وتمْ » هذا كالمثل ...

قال ابن مُكَرَّم في « مختصر الأغاني » [4] في ترجمة بَشَّار : كان أبو الوزير مولى ... القَيْس من عُمَّال الخرَج ، وكان عفيفاً بَخيلاً ، [5] فسأل عمر بن العلاء [6] ، وكان جواداً شجاعاً ، في رجل ، فوَهَب له مائةَ ألفِ درهم .

---

(١) ... في خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ . (٢) التصدية : التصفيق . وأخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . سورة الأنفال ٣٥ .

(٣) في ب : « منه نطاف الخصر » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) مختار الأغاني ٢/٦٧ ، ٦٨ .
(٥) تكملة من مختار الأغاني على ما في الأصول . (٦) في ب في هذا الموضع وما بعده : « عمرو بن العلاء » . وفي مختار الأغاني في هذا الموضع وما يليه أيضا : « عمر بن أبي العلاء » ، والمثبت في : ا ، ج .
وعمر بن العلاء هو أحد قواد المهدي ، كان عامله على طبرستان ، وهو مولى عمرو بن حريث .
سمط اللآلي ١/٥٥١ .

فدخل أبو الوزير على المَهْدِىّ ، فقال : ياأميرَ المؤمنين، إن عمر بن العَلاء خائن .

قال : ومن أين علمْتَ بذلك[١]؟

قال : كَلَّمْتُه فى رجلٍ كان أقصى أمله ألفَ درهم ، فوهَب له مائةَ ألفِ درهم .

فضحك المَهْدِىّ ، وقال : كِلَاكُما عمِل على شا كِلَتِه ، أما سمعتَ قول بَشَّارٍ فيه[٢]:

إذا دهَمَتْكَ عِظامُ الأمورِ ... فنَبِّه لهـا عُمَرًا ثُمَّ نَمْ[٣]

فتًى لايبيتُ على دِمْنَـةٍ ... ولا يَشْرَبُ المـاءَ إلَّا بِدَمْ[٤]

وقول أبى العتاهية[٥] :

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنَّهـا ... قطعَتْ إليكَ سَباسِباً ورِمالَا

فإذا ورَدْنَ بنا ورَدْنَ خفائفاً ... وإذا صدَرْنَ بناصدَرْنَ ثِقالَا[٦]

أوَليس هو الذى يقول أبو العتاهية فيه[٧]:

يابْنَ العلاء ويابْنَ القَرْمِ مِرْداسٍ ... إنِّى لأُطْرِيكَ فى أهْلِى وجُلَّاسِى[٨]

---

(١) فى مختار الأغانى : « ذاك » . (٢) ديوانه (الطاهر) ٤/١٦٠ ، ١٦١ ، وانظر تخريج البيتين فيه ، وديوانه (العلوى) ٢١٧ ، وانظر تخريجه للبيتين ، وسمط اللآلى ١/٥٥١ ، وانظر تخريج الميمنى أيضا للبيتين . (٣) رواية صدر البيت فى ديوان بشار (الطاهر ، والعلوى) :

* إذا أيقَظَتْكَ حروبُ العِدَى *

وروايته فى سمط اللآلى :

* إذا أرَّقَتْكَ جسامُ الأمورِ *

(٤) رواية الديوان (الطاهر) لصدر البيت :

* فتًى لا ينـامُ على ثأرِهِ *

ورواية الديوان (العلوى) : « فتى لا ينام على دمنة » .
والدمنة : الحقد .

(٥) ديوان أبى العتاهية ٣٢٠ ، وأمالى القالى ١/٢٤٣ . (٦) فى الأمالى :

* فإذا أتَيْنَ بنا أتَيْنَ مُخِفَّـةً *

(٧) ديوان أبى العتاهية ٣٢٩ ، الأمالى ١/٢٤٣ . (٨) رواية عجز البيت فى الديوان والأمالى :

إنِّى امْتَدحتُكَ فى صَحْبِى وجُلَّاسِى

حتّى إذا قيلَ ما أعْطاكَ مِن نَشَبٍ ... أُلْفيتُ مِن عُظْمِ ما أوْلَيْتَ كالنّاسي[1]

ثم قال: « مَن اجْتمعتْ أَلْسُنُ الناسِ على مدحِه، كان حقيقًا أن يُصدِّقَها[2] بفِعْلِه » انتهى.

* * *

وله يمْدح الأستاذ محمد بن[3] زين العابدين البَكْرِيّ[4]، بمصر[5]:

بعثتْ له الذِّكْرَى شَجَنْ ... فصَبَا وحَنَّ إلى الوَطَنْ

دَنِفٌ إذا ابْتسَم الخَلِيُّ ... غَشَّاهُ تَعْبيسُ الحَزَنْ

قَلِقُ الرَّكائبِ ما اسْتقرَّ ... به النَّوَى إلَّا ظَعَنْ[6]

والبَيْنُ أصْعبُ ما يرا ... هُ أخو الشَّدائدِ والمِحَنْ

مَن مُبْلِغٌ تلكَ المرا ... بِعِ والمَراتِعِ والدِّمَنْ

أشْواقَ اللّاتي زجَّـ ... ـنَ الرُّوحَ في مَثْوَى البدَنْ

في ذِمَّةِ اللهِ الذيـ ... ـن هُمُ فُروضِي والسُّنَنْ

لِي منهمُ الرَّشأُ الغضيـ ... ـضُ الطَّرْفِ فتّانُ الوَسَنْ[7]

مُتناسِقُ الألْحاظِ أيْـ ... ـنما لحظْتَ به فِتَنْ

مَلِحٌ تَعلَّمَ عاشِقِيـ ... ـهِ بهِ التَّغزُّلَ والفِتَنْ

فكأنَّها من رَوْضِ مَدْ ... حِ بني أبي بكرٍ فَنَنْ

الضَّارِبينَ على الفَخا ... رِ سُرادِقًا مِن كلِّ فَنْ

---

(١) رواية البيت في الديوان، والأمالي:

حتى إذا قيل ما أوْلاكَ من صُفَرٍ ... طأطأتُ من سوءِ حالِي عندها راسِي

وفي الأمالي: « ما أعطاك من صفد »، « من سوء حال ».

(٢) في ح: « تصدقه »، والمثبت في: ا، ح، ومختار الأغاني. (٣) ساقط من: ا، وهو في: ب، ج. (٤) سيترجمه المؤلف في القسم الخاص بمصر، وسيأتي برقم ٣٢٤. (٥) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٣٣٠، عدا أبيات، سأدل عليها في موضعها. (٦) في خلاصة الأثر: « به السرى إلا ظعن ». (٧) في ب: « لى منهم الرشأ »، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر.

السَّادةِ البِيضِ المآ   ثرِ في العُلا غُرَرِ الزَّمَنْ

ومُقلِّدِي أعناقَ هـ   ـذا الخَلْقِ أطواقَ المِنَنْ(١)

بوراثةٍ نبويّةٍ   كُلًّا أتتهُ على سَنَنْ(٢)

حتّى استقلَّ بها الإما   مُ ابنُ الإمامِ المؤتَمَنْ

قُطْبُ العلومِ محمَّـ   ـدٌ ذو الخُلْقِ والخَلْقِ الحَسَنْ

منَحٌ كلَّ نفيسةٍ   في الفضلِ ليس لها ثَمَنْ(٣)

عن فيضِ وَهْبٍ جلَّ عنْ   كسْبِ التفهُّمِ والفِطَنْ

طَلَعتْ بأُفْقِ فؤادِهِ   شمسُ العرامِ فلم يَرِنْ(٤)

وسـدَتْ معارفُهُ تطو   فُ على العقولِ ببنتِ دَنّ

وكذلكَ السِّرُّ المصو   نُ فوَيْحَ مَن فيه طَعَنْ

ياسيِّدي ولئن قبلـ   ـتَ تعبُّدي فلأفخرَنْ

عطفًا على قلبِ الكسـ   ـرِ بنظرِهِ فلأجبرَنْ

إنّي أخذتُ مصيبتي   بمصحفِ مجدِكَ فاقبلَنْ(٥)

مولايَ دعوةُ موثَقٍ   بيدِ القطيعةِ مُرتَهَنْ

متصبِّرٍ والصبرُ أو   لى ما تداوى المُمتحَنْ

لكن يُغايرُ بالجرا   حِ مفرِّطًا ألقى اليجَنْ(٦)

ومديحُ عليا كم بنى الصِّـ   ـدِّيقِ جنّةَ ذي الشَّجَنْ(٧)

---

(١) في خلاصة الدهر: « أعناق هـ * ذا الدهر ». (٢) في ب: « على السن »، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر، وفي خلاصة الأثر: « مهلا أتته على سنن ». (٣) لم يذكر المحبي في خلاصة الأثر هذا البيت والأبيات الأربعة التالية له. (٤) ران الشيء يرين عليه: غلب عليه.

(٥) في ب، وخلاصة الأثر: « بمصيف مجدك »، والمثبت في: ا، ج. (٦) في ب: « يغاير بالجو * ح مفرط ألقى الفتن »، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر. (٧) في ا: « جنة ذي شجن »، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر.

وبحبكم تشفى القلو ب وتنجلي ظلم الشحن[1]

هذا هو الفخر العلي وما سواه فممتهن[2]

من جاء يفخر عندكم قولوا له أنت ابن من

يا سادة الناس الذيـ ـن من استعان بهم يعن[3]

قسما بكم لولا هوا كم في الجوانح قد سكن

لم ينتج الفكر العقيـ ـم من القريحة ما استجن

فالفضل في إيجاده لكم وإن يقبل أهن[4]

وشعاري التقصير لـ كني قدمت بحسن ظن

أبمدحتي أوفيكم حق الولا هيهات أن

لكنني أبقي محـ ـض زلتي فأمل أن[5]

غوثاه يا أهل الحفـ ـظ العون في ضيق العطن

إن لم ألذ بحبكم أخطأت والله المظن

وإذا سعدت بنظرة منكم كفتني عن وعن

نهج الهداية حبكم من زاغ عنه قد افتتن

فعليكم سحب الرضا ماضن مشتاق وأن

وعلى ضريح ضم جسـ ـمكم شآبيب المنن[6]

ما الصبح جاء بنوره والليل بالظلماء جن

* * *

(١) في ا ، ح : « ظلم الشجن » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر ، والشحن : جمع الشحنة ، وهي العداوة . (٢) في ب : « وما سواه يمتهن » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) من أول هذا البيت إلى آخر القصيدة ، لم يذكره المحبي في خلاصة الأثر . (٤) « أهن » من التهنئة .
(٥) في ب : « أبقي بعد * من زلتي » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

وله من قصيدة :

عاطِيـانِى غُـلالةَ الأشجانِ ... بكئوسِ ادّكارى وروضِ الأمانِى

بأبِى أنتُما عسَى ينفَح الشَّوْ ... قُ رسِيساً جنَّتْ مَطاوِى الجنانِ

أوَليسَ العجيبُ والغَبْنُ عَيشُ الْ ... مَرْءِ عيشَ المَشِيبِ فى العنفُوانِ

ماعتذارُ الفؤادِ للغِيدِ والشَّيْـ ... بُ يُنادِى عليه بالحِرْمانِ

حَقُّ مَن يركُض الجديدان فيهِ ... أن يُرَى فيهما طَلِيقَ العِنانِ[1]

* * *

وله مجيباً لمن عاب عليه كِتمانَ الحبِّ ، وأثرَ الشهوة[2] ، وقال بأن كَتْمَ الحب من الجبن[3] :

ليس جُبْناً كَوْنِى أموهُ فى الحبِّ ... وأُخفِى وأستَشِينُ البيانا[4]

غيرَ أنِّى أُجِلُّ مالِكَ رِقِّى ... أنْ مِثلِى يشدُو بِهِ إعلانا

فإذا مافخَرتُ أفخَرُ بالصَّبْـ ... رِ وألقَى لِسِرِّهِ صَوّانا

وإذا ماشكَوتُ فلَتْكَ شكوَا ... ىَ إليه عساهُ أن يتَدانَى

فشُجاعُ الهوى الجَسُورُ على جَرْ ... حِ مُباريه صارماً وسِنانا[5]

لا الَّذِى إن تَشُكَّهُ بادِرةُ الطَّ ... رْفِ تراهُ يَقرعُ الأسنانا

أنا مَن قسَّمَ الفؤادَ فأعطَى ... منـه كُلًّا كما يلِيقُ مكانا[6]

---

(١) فى ا : « أن يرى فيه طليق العنان » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا ، ب : « الشهوة » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ٢/٣٣٢ . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر : ٢/٣٣٢ . (٤) فى ب : « وأستبين البيانا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى خلاصة الأثر : « فشجاع الهوى الصور » ، وفى ب : « المبارين صارما وسنانا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) فى ا : « إنى من قسم الفؤاد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومَراحُ الغَزالِ فيـه مَصونٌ   عَن سِواهُ وحَقُّه أنْ يُصـانا[(١)]

* * *

وله :

لا تَترُكِ الجِدَّ فى جَمعِ الكَمالِ لأنْ   بارَتْ تِجارةُ سُوقِ العَقْلِ فى الزَّمنِ[(٢)]
لابُدَّ أن تُرغِمَ الجُهَّالَ حاجَتُهم   إلى كَمالِكَ أن يُرضُوكَ فى الثَّمَنِ[(٣)]
وحَسْبُكَ اللهُ إنْ لمْ تَلْقَ مُشْـتَرِيًا   عن الغَنِيِّ بِعَرْفِ العُرْفِ أنْتَ غَنِي

* * *

وله[(٤)] :

نفسى لَتُؤثِرُ أن تَفْـنَى بِحُبِّهِمُ   لأنَّها سِوَى الأحْبابِ لم تَكُنِ[(٥)]
المرءُ يُرجَى لِخَيرٍ أوْ لِمَنْفَعَـةٍ   وما خُلِقْتُ لِغيرِ الحُبِّ والشَّجَنِ

* * *

وله :

لا تَقْطَعَنَّ مَوَدَّةً فَرُبَّمـا   تَحتاجُ مَن أقْصَيْتَهُ تُدْنِيـهِ
فالسِّلْكُ بعد القَطْعِ يُمكِنُ وَصْلُهُ   لكِنَّ عُقْدَةَ وَصْلِهِ تُزْرِيهِ[(٦)]

* * *

(١) فى خلاصة الأثر : « ومراح الغزال فيه مصان » .   (٢) فى ب : « بارت تجارة سوق الفضل مزمن » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) بعد هذا البيت فى ب زيادة : « وله » ، والأبيات متصلة فى : ا ، ج .   (٤) البيت الأول ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والبيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٣٩ .   (٥) فى ج : «أن تمى بحبهم» ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .   (٦) فى ج : « عقده وصله تزريه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

هذا كثير فى الشِّعْر ، مِن قول أبى الفتح المالكىّ[1] :

مَن لى بِرَدِّ مَعــــاشِر كَثُرُوا علىَّ فــأكْثَرُوا

صــادَقْتُهمْ وأرَى الخرُو جَ عن الصَّــداقةِ يَعْسُرُ

كالخَطِّ يَسْهلُ فى الطُّرو سِ ومَحْوُه يتَعَــذَّرُ[2]

وإذَا أرَدْتَ كَشْطَهُ لَــكنْ ذاك يُؤَثِّرُ

* * *

وقوله أيضا[3] :

ويُمكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ مِن بَعْدِ قَطْعِهِ ولٰكنَّه يَبْــقَى به أثَرُ الرَّبْطِ

* * *

وللشهاب الخَفَاجِىّ ، من فصل[4] : « أنتَ وإنْ وصَلْتَ بعد القطْعِ حَبْلَ الموَدَّةِ ، فقد بَقِيَ من أثَرِ ذلك فى القلْبِ عُقْدَة » .

* * *

وله[5] :

ياوَاصِلِينَ حِبــالًا كانَتْ لِشَدِّ المَوَدَّه[6]

---

(١) أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام المالكى ، المغربى .

ولد سنة إحدى وتسعمائة ، ودخل دمشق وهو شاب .

كان فقيها أصوليا ، علامة فى علوم العربية وأكثر العلوم العقلية والنقلية . وله الباع الطويل فى الأدب ونقد الشعر ، وله شعر حسن .

ولى نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى زمنا طويلا مع الوظائف الدينية .

وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

تراجم الأعيان ١/٢٤٩ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٩ ب ، ريحانة الألبا ١/١٧٤ ، سلافة العصر ٣٩٧ ، الكواكب السائرة ٣/٢١ .

(٢) سقط هذا البيت ، والذى يليه ، من : ب ، وهما فى : ا ، ج . (٣) البيت فى ريحانة الألبا ١/١٨٣ .

(٤) هذا أيضا فى ريحانة الألبا ١/١٨٣ . (٥) أى وللشهاب الخفاجى ، كما جاء فى الريحانة ١/١٨٣ .

(٦) فى ريحانة الألبا : « كانت تشد المودة » .

لا تَقْطَعُوهَا بِبُعْدٍ قد غيَّر النَّاسُ عَهْدَهْ[1]
فإن تقُولوا وصَلْنا مِن بَعْدِ ذا القطْعِ شَدَّهْ[2]
يَبْقَى وَحقِّكَ فيها مِن ذلكَ الوَصْلِ عُقْدَهْ[3]

* * *

وله :

وكم لى فى طِرازِ العُمْرِ شَطْحٌ بِهِ أقْلَبَ الزَّمانُ فعاد شَحْطَا
ونُسْخَةُ لَوْعَةٍ صحَّتْ بقَلْبِي فلم يَنظُرْ بها الوَاشُونَ كَشْطَا[4]

---

(١) فى ريحانة الألبا : « قد غير النأى عهده » . (٢) فى ب : « من بعد ذى القطع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى ريحانة الألبا : « من ذلك القطع عقده » . (٤) فى ب : « ونسخة عوده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٦

إبراهيم بن عبد الرحمن السُّؤالاتيّ *

وافِرُ الحظِّ من البَراعة، صائبُ اللَّحْظ في زَخْرَفةِ اليَراعة.

اكتسب الأدبَ بكَدِّه وجِدِّه، وانْتهى مِن [1] القوافي و [1] الفقه إلى أقصى حَدِّه.

وكان وبعارِضِه رَيْحانةٌ شرِقتْ بماء شَبابِه، وَمَزَجَتْه وَجْداً وصَبابة بقُلوب أحْبابِه.

وضَع عقلَه في يدِ الهوى، وطَوَّح [2] معه في كل مَهْوَى.

فأقام حِيناً [3] وله إلى التَّصابِي حَاجَة، [4]وما حَلَّى يَمِينَه[4] في مواسم العيش إلا زُجاجَة.

(*) إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشق، الفقيه الحنفي، المعروف بالسؤالاتي.

كان في ريعان عمره شاعراً جيد القريحة، حسن البديهة.

وتقلبت به الأحوال، وصبر على ضنك العيش.

سافر إلى الروم، ثم عاد إلى دمشق، فبرع في كتابة الأسئلة للمفتي الحنفي؛ لاستحضاره الغريب فروع المذهب.

وابتلى بمرض، عالجه مدة مديدة، حتى مات به، سنة خمس وتسعين وألف، وقد جاوز الستين، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان.

خلاصة الأثر ١/٢٨.

(١) زيادة من: ب، على ما في: ا، ج.

(٢) في ا: « وتطرح »، والمثبت في: ب، ج. (٣) ساقط من: ا، وهو في: ب، ج

(٤) في ب: « وما جلى يمينه في يمينه »، والمثبت في: ا، ج.

(١وله في١) غُصون ذلك مُوشَّحات وشَّحَتْ(٢) كلَّ جَمْع ، وشنَّفت بجَواهِر كلِماتِها كلَّ سَمْع .

ثم تعاورته نوائبُ جلَّت فكادت تتجلَّى ، وتوالَتْ عليه مصائبُ توالَتْ فما أوشكَتْ تتولَّى .

وانقلبَتْ به المُحاسَنة ، إلى المُخاشَنة .

وتبدَّلت المُجامَلة ، إلى المُحامَلة .

فأقلع عن تلك الهَنات ، ومَحَا كثيراً من سيِّآتِه بحسنات ، ولزِم الفقهَ متجرّاً في مسائِله ، وكان لتحصيل(٣) أمانيه من أعْظم وسائِله .

وقد صحِبْتُه والأيَّامُ أمالَتْ قَناتَه ، وأمرَ المرضُ المؤلِمُ مجتنَاه(٤) ، فاستحالَتْ صِفَته ، وتقلَّصتْ شَفَته .

لكنها وإن ذبُلت خمائله ، فلم تزَلْ غضَّة شمائِله .

وإن تفرَّقَتْ دِيمهُ ، فما برِحتْ ملتئِمةً شِيَمُه .

فكنتُ أتمتَّعُ من مُنادَمتِه الحُلوة ، بلطائفَ لها في كلِّ قلب خَلْوة .

وأخذتُ عنه من أشْعارِه ما يَبْهَر الشَّمس في الشروق ، ويتمشَّى تمشِّيَ الرَّاح السَّلْسَل(٥) في العروق .

وها أنا ذا(٦) أورِد منه ما يُطْرِي ويُطْرِب ، ويجعله زادَه كلُّ مُشرِّق ومُغرِّب .

* * *

---

(١) في ا : « ولي من » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ا : « وشحت » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « لتعظيم » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « مجتناه » . والمثبت في : ب ، ج . (٥) في ب : « المسلسل » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

فمن ذلك قولُه يمدح المولى عارف ، المذكور فى ديباجة الكتاب[١] :

جَذَبَتْ محاسنُكَ القُـــلوبَ حتى غدَوْتَ لهـــا الحبيبا

وطَلَعْتَ من أُفْقِ العلا بدْراً لخـــرَّدِهِ خَطِيبا

ونَفَثْتَ رُوحاً فى النُّفو سِ سرَتْ فكنتَ لها الطَّبِيبا

وغَـــدا بقُطْرِ نَداك رَوْ ضُ الفضْلِ مُخْضَـــلاً خَصِيبا

وكَسوْتَ من خُـــلَلِ الرَّبيـ ـعِ جِنانَهُ بُرْداً قَشِيبا

فَحَدائقُ الآدابِ منْـ ـكَ تنفَّستْ مِسْـــكاً وطِيبا

وتجـــاذَبتْ فيهــــا نَسا ئمُ لُطْفِك الغُصْنَ الرَّطِيبا[٢]

وغـــدَا يُناغِى فوقَهُ الْـ ـقُمْرِىُّ بُلْبُلَها الطَّرُوبا[٣]

وأدرْتَ مِن سَلْسالِها ما بيْننا كأْساً وكُوبا

وأبحْتَ خِـــلاَنَ الشُّرُو رِ من العلاَ الصَّدْرَ الرَّحِيبا

يا فاضـــلاً أنْسَى العِما دَ بَديعَه وسَمَـــا الخَصِيبا[٤]

وجلاَ على الأسمـاعِ مِنْ أبْـكارِهِ عُرُباً كعُوبا

مَن للثُّغـــورِ مِنَ الحِسا نِ عن المحابِرِ أن تنُوبا

وخُدودُهنَّ تـــكون قِرْ طاساً لراحَتِـــه رقِيبا

وقدودُهنَّ يَراعـــةً من أمْسِ أنْمُلِهِ قريبا

---

(١) تقدم ذكره فى المقدمة ، صفحة ١٦ .

(٢) فى ب : « الغض الرطيبا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « بلباه الطروبا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) لعله يعنى العماد الأصفهانى أبا عبد الله محمد بن محمد ، صاحب « خريدة القصر » .

كان من كبار الكتاب ، أديبا مؤرخا .

توفى بدمشق ، سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقـــة الخامسة) ٩٧/٤ ، مرآة الزمان ٥٠٤/٨ ، وفيات الأعيان ٢٣٣/٤ .

ونواظرُ الأحْـــداقِ أنْ ... فَاماً إذا أشْنَى نسيبا

مَولاىَ يارَبَّ الـكما ... لِ ومَن غدا الشَّهْمَ الأريبا

ياعارفَ الوقتِ الذى ... تخِذَ الفَخــارَ له نَصيبا

أبْدَيْتَ بالسِّحْرِ الحــلا ... لِ من البَيانِ لنا العجيبا

وتلَوْتَ من آياتِ فَضْ ... لِكَ ما بهَرت به اللَّبيبا

وأعَدْتَ للدَّاعِى الوُجــو ... دَ وكنتَ سائلَهُ مجيبا

فشُموسُــه بكَ أشرقَتْ ... من بعْدِ أنْ دَنَتِ الغروبا

وبعَثْتَ ما فضَح الرَّبِيـ ... عَ مِن البَديعِ لنا ضُروبا

أشْهَى إلى الظَّمآنِ مِنْ ... فَضْفاضِ كَوْثرِه ضَرُوبا(١)

وأرَقُّ مِن مرِّ النَّسيـ ... مِ على خمــائلِه هُبوبا

فصَغِفْتُ بالــشُّمِّ مُشْمِعِى ... لِكُؤوسِها ثغراً شَنيبا(٢)

وتقــولُ فى جنَّاتِ أسْـ ... طارٍ طِرْسِها عَيْناى طُوبَى

لا زِلْتَ ترْقَى فى الفضا ... ئلِ والعلى الشرفَ الحسيبا

وبقِيتَ تُهدِى للنفــو ... سِ نفائساً تجلو الكروبا

***

ومن غزليّاته قوله :

حتّى مَ تُعرِضُ عن محِبِّكْ ... وتصُدُّنِى عن طيبِ قُربِكْ

إنْ دامَ هــذا الهجْرُ أُفْ ... نِى بالمحبّةِ إى وربِّكْ

يا أيُّهـــا التّيّاهُ فى ... زهوِ الصِّبا رِفقاً بصَبِّكْ

---

(١) الضرب ، بسكون الراء وتحريكها : العسل الأبيض الغليظ . (٢) ثغر شنيب : أبيض الأسنان حسنها .

مَا كنتُ بالسَّالِى هَوَا ... كَ ولستُ بالتَّالِى لِعَتْبِكْ

تَجْنِى عَلَىَّ وتَجْتَنِى ... ظُلْمِى وتَأْخُذُنِى بذَنْبِكْ

شرَّقتنى بالدَّمْـــعِ مُذْ ... غَرَّبتِ عَنِّى تحتَ حُجْبِكْ[1]

أأَبِيتُ فى فُرُشِ الضَّنَى ... وتبيتُ مُلْتَهِياً بِسِرْبِكْ

يا مُنْيــــةَ القلْبِ الأما ... نَ فلستُ مِن أكْفاءِ حَرْبِكْ

* * *

وقوله :

لا تَمُنِّى أنَا الألوفُ وقَدْ ... مُتَّ غَراماً مِن فَقْدِ إلْفٍ رقيبِ

هــكذا فى الرَّقيب حالِى فقُلْ لِى ... كيفَ حالى وقد جَفانِى حبيبى

* * *

وقوله ، وهو[2] مما قاله بديهة :

همُّ المَعيشـــةِ حالَ ما ... بَيْنِى وبيْنَ حَبـــائِبى

ولَرُبَّمـــا نَهضتْ إلى ... سُبُلِ العُـــلُوِّ مراتِبى

فيَعُوقُنِى همُّ المعِيـ ... ـشةِ عن جميعِ مَطالِبى

فكأنَّنِى الدُّولابُ أصْـ ... ـعَدُ للهُبُـــوطِ بجانِبى

لو كُلِّفَ السَّيْفُ المَا ... ضِى نَبا بكَفِّ الضَّارِبِ

* * *

وله فى الغزل[3] :

إن الغزالَ الذى فى طَرْفِهِ حَوَرٌ ... فى مِرْشَفَيْهِ سُلافُ الرَّاحِ والحَبَبُ

---

(١) فى ب : « غربت عنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٨ .

حارتْ لرُؤْيَتِهِ الأَبْصارُ حِينَ بَدَا ... غُصْنُ الجمالِ حَلاهُ اللُّطْفُ والأَدَبُ
مامَالَ مِن هَيَفٍ مَيَّالُ قَامَتِهِ ... إلَّا عليهِ فُؤادُ الصَّبِّ يضْطرِبُ[1]
دارَتْ إليه قلوبُ العالَمِينَ فما ... قلبٌ لِغَيْرِ هَوَاهُ اليومَ ينْقلِبُ[2]

* * *

وله[3] :

تَقَمَّصَ ثَوْبَ اللَّاذِ مِن فوقِ لُؤْلُؤٍ ... ورَصَّعَ بالدُّرِّ الجُمانَ بَدِيدَا[4]
وألْبَسَنِي مِرْطَ النُّحولِ مُحَقَّقاً ... وأعْدَمَنِي بُرْدَ الشَّبابِ جَدِيدَا[5]
غَزالُ كِناسٍ لَوْ رأتْهُ مِن السَّمَا ... كَواكِبُها خَرَّتْ إليه سُجودَا

* * *

وله :

رِياضُ سَقَتْها سُحْبُ جَدْواكَ لا ذَوَتْ ... ولا بَرِحتْ بالفَضْلِ مُعْشِبة خَضْرَا[6]
ولا بَرِحتْ رُسْلُ المحامِدِ والثَّنا ... إليكَ مَدَى الأيَّامِ واردةً تَتْرَى[7]

* * *

وله[8] :

تَصَبَّرْ فَفِي اللَّأْوَاءِ قد يُحْمَدُ الصَّبْرُ ... ولولا صُروفُ الدَّهْرِ لم يُعْرَفِ الحُرُّ
وإنَّ الذى أَبْلَى هو العَوْنُ فانْدُبْ ... جميلَ الرِّضا يَبْقَ لكَ الذِّكْرُ والأجْرُ
وثِقْ بالذى أعْطى ولا تَكُ جازِعاً ... فليس بحَزْمٍ أن يُرَوِّعَكَ الضُّرُّ
فلا نِعَمٌ تَبْقَى ولا نِقَمٌ ولَا ... يدومُ كِلاَ الحالَيْنِ عُسْرٌ ولا يُسْرُ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « مياس قامته » . (٢) فى ا : « دارت عليه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٨ . (٤) اللاذ : ثوب حرير أحمر صينى . (القاموس (ل و ذ) . (٥) فى ب : « برد الجمال » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٦) فى ب : « مشعبة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « واردة تقرا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٨) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٨ .

تَقَلُّبُ هــذا الدَّهْرِ ليس بدائِمٍ   لديه مع الأيّامِ حُــلْوٌ ولا مُرُّ

* * *

وله[1] :

حتّى مَ يا ظَبْيَ النقا   عنّى تُحجَبُ فى كِناسِكْ

لا تَنأَ عن عَيْنِى وتَهْـ   ـجُرْنى فلى من دونِ نَاسِكْ

أنا عَبْدُ رِقِّكَ أرْتَجِيـ   ـكَ وأحْتَشِى سَطَواتِ بأسِكْ

لا تَبْـغِ بالإعراضِ قَتْـ   ـلِى واسْقِنى بحباةِ رَاسِكْ

* * *

وله :

وحَبـائِبِه وحَبـابِهِ   إنّى لرُؤْيَتِهِ كَلِفْ

صَنَمٌ لَبِسْتُ الغَىَّ فيـ   ـهِ وفاتُ للرُّشْدِ أنْصَرِفْ

حسَنٌ وإن كان الْمُسِـ   ـىءُ لمن بِمَشْقتِهِ تَلِفْ

ما استَحْسَنَتْ عَيْنِى سِوَى الْـ   ـحُسْنِ ولا قلْبِى ألِفْ

* * *

وكتب إلى بعض الأعيان ، يمدحه :

أهدَيْتَنى وأجزْتَنى وبَرَرْتَنى   وشَمِلْتَنى بالبِرِّ والألطـافِ[2]

ولئنْ بِشُكْرِكَ راحَ لفظِى كاسِياً   نُعْماكَ كاسيـةٌ بهـا أعطـافِى

لا بِدْعَ إن أسْدَيْتَ مَعْروفاً فذا   لَكَ من عوائِدِ سُنَّةِ الأسْلافِ

* * *

ومدح بعضَ الكبار بقصيدة ، فانتقصه[3] ، فكتب إليه :

مدَحْتُكَ لا رَغْبةً فى نَداكَ   وإنْ مَلَكَتْهُ الورَى رِقُّهَا

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٢٨ .   (٢) فى ب : « أهديتنى وأجزتنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

ولا رهبةً من سطاكَ الذى … أذاقَ الأعادىَ ماذاقها
ولكن لمعنًى تراهُ الكرامُ … وذاكَ لأقضى العُلى حقَّها

***

ومما أنشده لنفسه قوله:

على مَ الصُّدودُ ولا ذَنْبَ لِى … وفيمَ التجنّى وصَبْرى بَلِى[1]
مَن أوْدعَ السِّحْرَ فى مُقْلتَيْكَ … وحكَّمَ لَحْظَيْكَ فى مَقْتَلِى
دَعِ الصّدَّ وارْفُقْ بمَن قلبُه … على حَرِّ نارِ الغَضا ينْقلِى
إلَى اللهِ أشكُو أليمَ الجوَى … وقلباً بحَرِّ الجوَى مُبْتَلِى
نحَى اللهُ قلبِى الظَّلومَ الَّذِى … عن النُّصْحِ ما انفكَّ فى مَعْزِلِ
كَتيمُ الصَّبابَةِ لاينْتهِى … عن الوَجْدِ فى رَشَأِ الأكْحَلِ[2]
رثَى لِىَ فى الحُبِّ مَن لامنِى … ورَقَّ حَسُودِى ومارَقَّ لِى
يميناً به حسبه ماسلوتُ … ولا مِلْتُ عنهُ إلى عُذَّلِى
مليحٌ أبى اللهُ إلا هَوَاهُ … على رَغْمِ أنفِ البليدِ الخَلِى

***

ومن سرمياته قوله:

ياهلْ تُرَى لو نظرَ الـ … ـعاذلونَ حالِى رحِمُوا
أوْ علِموا ماصنَعُوا … بِى من أسًى ندِمُوا
يامَن لوَجْدِى عَمَّرُوا … والصَّبرَ مِنِّى هَدَمُوا

---

(١) فى ا ، ح : « وصبرى ملى » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ب : « كليم الصبابة لا ينثنى » ، والمثبت فى : ا ، ح .

لِلّٰهِ مِنْ بَعْدِكُمْ كُلُّ وُجُودٍ عَـــدَمُ

* * *

وله مُضمِّنا :

واصَلْتُ وُدَّكَ بِالْوَفَا فقطَعْتَنِي ورَفَعتُ ذِكْرَكَ فى الورَى فوَضَعْتَنِي[1]
وزَعَمْتَ أنَّكَ ذُو غِـنًى فنَصَحْتَنِي أَيَمِـيْنِ مُفْتَقِرٍ إليـكَ نَظَرْتَنِى

* * *

وهذا المِصراعُ من مقطوع يُرْوَى للمُتَنَبِّى ، ولم يُوجَد فى « ديوانه » ، وبعده[2] :

. . . . فَهَنْتَنِي وقَـذفْتَنى من حالِقِ
لستَ المَلُوم أنا الموُمْ لأنّنى أنْزلْتُ آمالِي بغـيرِ الخالِقِ

* * *

وله :

عَشِقَ المَعْشوقُ ظَبْيًا مِثْلَه واعْتَرَاه فى هَواهُ وَلَهْ
كانَ مَعْشُوقًا فَأَمْسَى عاشِقًا فقضَى الحبُّ عليْـهِ وَلَهْ

* * *

وله[3] :

بِي أُغَيِّدٌ تَشْخَصُ الأبْصارُ حِينَ بَدَا فى طَلْعةٍ جَلَّ مَن بِالْحُسْنِ عَـدَّلَهَا
كأنّمـا الحُسْنُ لَمّـا زانَ صُورَتَهُ قدقال لِلْحُسْنِ كُنْ زَوجًا فكانَ لَهَا

* * *

---

(١) فى ا : « بالوفا قطعتنى » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) البيتان فى معاهد التنصيص ١/١١ ، قال العباسى : «ومن شعره مما ليس فى ديوانه ، بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى ، بسند صحيح متصل به ، بيتان وهما : » . (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٨ .

ورأيتُ بخطِّه، وقد نسبه[1] إلى نفسه[1] :

فى أزرقِ المَلْبوسِ مرَّ مُعذِّبى ... مُتَمايِلاً كالغصنِ فى خُيَلائِهِ
ورَقى دُخانُ التَّبْغِ غشَّى وَجهَهُ ... من فِيهِ مِثْلَ الغَيمِ يومَ سِنائِهِ
وكأنَّهُ لمَّا بَدا من شَرْقِهِ ... بدرٌ تبدَّى فى أديمِ سَمائِهِ
ستَرَ الجمالَ عن العيونِ مخافةً ... أنْ لا تكونَ النَّاسُ مِن قَتلائِهِ

* * *

مثله لبعضهم :

ولمَّا بدَا فى أزرقٍ مِن قِبائِهِ ... تَتِيهُ لِفَرْطِ الحُسْنِ فى خُيَلائِهِ[2]
خلَعْتُ عِذارِى ثم صِحتُ عَواذِلى ... قِفُوا وانظُروا بَدْرَ الدُّجى فى سَمائِهِ[3]

* * *

قلت : وفى لَوْنِ السَّماءِ للأدباءِ اختياراتٌ، وذلك بحسب حالاتٍ واعتباراتٍ[4] : فبعضهم يصِفُه بالزُّرْقة، كما وقع[4] لبعض الشاعرين، وقد تبِعَ أبا عثمان النَّاجِمِ[5] فى قوله، وقد رأى جارية[6] وعليها ثوبٌ أزرق :

ماتعدَّتْ قَبُولُ حِين تَحَدَّتْ ... شِبْهَ زِىِّ لِحُبِّها ذِى البَهاءِ[7]
لَبِسَتْ أزْرقًا فجاءتْ بوَجْهٍ ... يُشْبِهُ البدرَ فى أديمِ السَّماءِ[8]

---

(١) فى ب : « إليه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « فى أزرق من قبائه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « وانظروا بدر التم فى سمائه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) يعنى سعد بن الحسن بن شداد السمعى، راوية شعر ابن الرومى، أديب، حسن الشعر .
توفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة .
انظر الوفيات ١/٣٤٥ ، معجم الأدباء ١١/١٩٣ .
وانظر سمط اللآلى ١/٥٢٥ .

(٦) فى ب : « جاريته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « حين تحدت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) فى ب : « وجاءت بوجه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهذا مذهب القدماء ، وزرقتُه عارضةٌ من شُعاع الشمس ، وهو مائل إلى البياض ، كما أن العِرْق الأبيض إذا جرى فيه الدّمُ رُئِيَ لازَوَرْدِيًّا ، فتولّدَ من اللّوْنَيْنِ لونٌ آخرُ .

وبعضُهم من أهل الآثار يجعله أخْضر ؛ لحديث[1] : « مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِن أَبِي ذَرٍّ » .

وبعضُهم يجعله لازَوَرْدِيًّا ؛ كما قال أبو حفص[2] بن بُرْد[3] ، في غلام بدا له في ثَوْبٍ لازَوَرْدِيٍّ[4] :

لَمّا بَدا في لازَوَرْ ... دِيِّ الحَرِيرِ وقد بَهَرْ[5]

أكبرتُ مِن فَرْطِ الجما ... لِ وقلتُ ماهذا بَشَرْ[6]

فأجابَني لا تُنْكِرَنْ ... ثَوْبَ السَّماءِ على القَمَرْ

وبعضُهم يجعله بنَفْسَجِيًّا ، كما قال ابن المُعْتزّ في غلام عليه ديباج حرمى[7] :

وبنَفْسَجِيِّ اللَّونِ قَتْـ ... ـلُ مُحِبِّهِ مِن رائِه[8]

الآن صِرْتَ البدْرَ إذْ ... أُلبِسْتَ لونَ سَمائِه[9]

---

(١) أخرجه الترمذى ، فى سننه ، بشرح ابن العربى (باب مناقب أبى ذر ، من كتاب المناقب) ١٣/٢٠٩ ، ٢١٠ ، وابن ماجة فى سننه (باب فضل أبى ذر ، من المقدمة) ١/٥٥ ، والإمام أحمـد ، فى مسنده ٢/١٦٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٣ ، ٥/١٩٧ ، ٦/٤٤٢ .

(٢) فى الأصول : « أبو جعفر » ، وهو خطأ ، صوابه من المصادر التالية . (٣) أحمد بن محمد بن أحمد ابن برد ، شاعر ، كاتب ، مبدع فى التشبيه والتمثيل ، بارع فى الحكمة والتخييل ، من أهل بيت جليل بالأندلس . توفى بعد سنة أربعين وأربعمائة .

جذوة المقتبس ١٠٧ ، الذخيرة ، المجلد الثانى من القسم الأول ١٨ ـ ٥٢ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٢٧ .

(٤) الأبيات فى الذخيرة ، المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٢٩ .

(٥) فى المطرب من أشعار أهل المغرب : « لما بدا فى اللازورد * دى الحرير » .

(٦) فى ب : « من فرط الردا * م ... » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والذخيرة ، والمطرب . وفى الذخيرة والمطرب « كبرت من فرط ... » . (٧) لم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع ، وهما فى الذخيرة ، المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧ . (٨) فى الذخيرة :

وبنفسجىِّ الثوبِ قتـ ... ـلُ مُحِبِّه من دابِه

(٩) فى الذخيرة :

لآن صرتَ البدرَ حيـ ... ـن لبستَ ثوبَ سحابِه

١٧

أبو بكر العُصْفُورىّ

باهرُ السَّمت فى النَّظم والنَّثْر، طائرُ الصِّيت فى الآفاق بقادمَتَي النَّشر.

المعانِي الأبْكار مُخْترِع، ولِبَنَاتِ الأفكار مُفْترِع.

وكان خرج مِن عُشّه وهو صغير السِّنّ، لكنّه إذا قَدح زَنْدَه بالبراعة يرِنّ.

ومن أمثالهم « الدِّيكُ الفصيح، من البَيْضة يصيح ».

حَلّ بمصر وأفياءُ الكرم مَساقِطُه، وحَبّ القلوب مَلاقِطُه.

وأقام يصْدحُ فى سَرْحَةِ المجد، ويُفْصِح فى ناديها بلِسان الوجْد.

وتُنْصَب حِبالةُ الوَلا، فتقتنصُه أشْراكُ العلى، ولا تضمّه إلا أقفاصُ النُّبلا.

وقد أبْدَى من أشْعاره التى تُطرب تَرَنُّمًا ولَحْنا، وإذا تُليتْ فى مَحْفَلٍ تَضمّ عليها الجوانحُ وتُحْنَى.

ما هو لصُدورِ البُزاة يُنسَب، ومن أرقاب الحَمام فى البَذْرَقَة[1] يُحْسَب.

وثَمّةَ ألفاظ استعار الروضُ منها أصْناف المُلَح، وخطوطٌ كأنّما فيها المِنَ يُبْصر من رِيش الطَّواوِيس لُمَح.

وله مُوشّحاتٌ إذا أُنْشِدت[2] كأنّما أدار الكأسَ مُديرُها، وجاوَب المثانىَ والمثالِثَ [3] بَمُّها[4] وزِيرُها[3].

(١) البذرقة : الخفارة . القاموس (ب ذ ر ق) .

(٢) فى ا : « كأنما دار » ، وفى ب : « كأنما فيهـا أدار » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ب : « بمها وزائرها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) البم : أغلظ أوتار العود ، وأغلظ صوته .

وأغانٍ لم تتنحْنَح بأمثالِها الحناجِر ، ولم تتقَلَّب لأشْباهِها الخناصِر والبنَاصِر .
وكنتُ أتمنَّى لُقياه ، لأتملَّى بطَلعةِ مُحيّاه .
فصادتهُ قبل وُصولى إلى مِصر خَطاطيفُ المَنون ، فَعرَّس بفِناء الفَنا ، وخلَّد عَرائِسَ الفُنون .

* * *

وهذه قطعة مِن تحائف خاطِره ، تَستَدِلُّ منْها على غائِبه بحاضِره .
فمنها مقْصورتُه التى امْتدح بها الأستاذ[1] محمد البَكْرِى[2] .
ومطلعها :

عيذَتْ بك الدُّنْيا وعيذَ لكَ الهنَا	واعتدَّتِ الحُسْنَى وعُدّ لك المُنى[3]
عجباً لمن نظَرَ الهلالَ وما رأى	أن الهـلالَ إذا بَدَوْتَ له بَدَا
شغَفـاً بطلْعتك التى قَسَماتُهـا	مَهْما تبدَّتْ تُنْكسِفْ شمسُ الضُّحَى
وبِغرَّةٍ قمَــرِيَّةٍ فى [طُرَّةٍ]	[سَ]حْجيَّة كالبَدْر فى غَسَقِ الدجَى[4]
مَا البدْرُ ما الشَّمْسُ المُنيرةُ ما الضُّحَى	ما الظَّبْىُ ما الرَّشأُ الشُّوَيدِنُ ما الطَّلاَ[5]
غَسَقٌ على شَفَقٍ على قَمرٍ على	فَنَنٍ على دِعْص على قَدّ علاَ[6]
مثلُ الغزالةِ فى السَّماء وفى الفَلاَ	فَهُمَا وأنتَ إذا اعتبرْتَ سَوًا سَوَا[7]
أرأيتَ رائعـــةَ الفَلاَ أريتَ آ	لِقَةَ العَرَا أرأيتَ شـاردة المَهَا
وبِصُبْح وَجْهٍ إن تبسَّم ثَغرُهُ	يَبْدو الصَّباحُ ويَحمَدُ القومُ السُّرَى

(١) بعد هذا فى ب زيادة : « مولانا » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٢) سيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بمصر ، وسيأتى برقم ٣٢٤ . (٣) فى ح : « عذيت بك الدنيا » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) سحجية : سوداء . وفى ب : « كالبدر فى أفق السماء » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٥) الشويدن : تصغير الشادن ، وهو ولد الظبية . والطلا : ولد الظبية أيضا . (٦) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع . القاموس (د ع ص) . (٧) فى ب : « سوى سوا » ، والمثبت فى : ا ، ح .

ياقاتلي من غير ماذنب ألا … تدنو فتبصر مالقيت من النوى

قلبي تمزق فيك كل ممزق … أسمعت ماقالوه في أيدي سبا

ألف الضنى جسمي فلو فارقته … لفنيت من أسف على فقد الضنى

وتعودت عيني السهاد فلو غفت … لرأت خيال السهد في سنة الكرى

وألفت سمع العذل حتى لو صغت … أذني لغير العذل شققت القبا

وعلمت أن الصبر مر طعمه … لكنني عاينته حلو الجنى

ونعمت بالصدين حتى استقطرت … عيناي ماء الدمع من جمر الغضا

وسهام جفنك بعدما ريشتها … بغشا الكلى وسقيتها دم الحشا

هيهات تحسن نزعها من بعدما … نبتت وأطلع غصنها ثمر الهوى (١)

وبحق أشواقي لوجهك إن لي … زفرات وجد لا أروم لها انقضا (٢)

وجوى يوذ حشاشتي لو أنه … كان انطفا ويسوؤها مهما انطفا

وشفاء سقمي في لمائك ولثمه … يشفي غليلي برد ذيالك اللمى

ويزيدني قربي إليك حرارة … كالوق في البيداء يقتلها الظما

ياسلم الله المحبة إنما … أمشت فؤاداً سلمته إلى الجوى

ياقاتلي وأنا الفداء لقاتلي … أبداً بغير حديثه لا يشتفي

العين بعدك ماغفت والطرف بعـ … ـدك ماسها والدمع بعدك مارقا (٣)

لله جفن تحت وعدك ساهر … أملاً يشوب المرسلات بهل أتى (٤)

حافظ على صدق العهود فإنه … مما يدل على المودة والصفا

---

(١) في ح: «هيهات تحسن نزعها»، والمثبت في: ا، ب. (٢) في ب: «لا أروم لها انقضا»، والمثبت في: ا، ح. (٣) رقأ الدمع: جف وانقطع. (٤) يشير إلى سورتين من القرآن الكريم، هما: سورة المرسلات، وسورة الإنسان.

أتشكُّ أنَّ الصدقَ ينفع أهلَه   أوَ لستَ تعرف غيْرَ صَحْبِ المصطفَى

* * *

ويستحسن له [١] قوله :

فى الاشْتقاق وفى التّذبيجِ قد نظَموا   بيْتاً له من بديعِ الحُسْنِ لألاء

الحُسنُ أحمرُ والتّحسين أصفر والْـ   إحسانُ أخضر والحسناء بيضاء

* * *

وقوله :

ليس بِدْعاً عتابُ خـيرِ البَرايَا   إنما يعتِب الحبيبُ الحبيبَا

بل عجيبٌ تقديمُه العفوَ قبل العَـ   تْبِ حِرْصاً عليـه أن يستريبَا [٢]

* * *

أصل هذا ماذكره أصحابُ السِّيَر ، أن أبا بكر الصدِّيق ، رضى الله عنه ، دخل على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو ميّت مسجّى ، فكشف عن وجهه الشريف ، وقبّل بين عينيه ، وقال : [٣] وبنفسى من أقسم اللهُ بتراب قدمه ، فقال : [٤] ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [٣] ، فديتُ من قدّم الله له العفوَ [٥] قبل العَتْب [٦] ، فقال : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [٧] .

* * *

ومن مُوشّحاته التى أحكم فيها [٨] المناسبة [٨] والصنعة [٩] ، قوله :

أَخِذْ بريقِكَ ما أذْكيْتَ من وَهَجِ   فما تركتَ فؤاداً فيكَ غيرَ شَجِ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) فى ا : « قبل الذ * نب خوفاً عليه » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٤) سورة البلد ١ ، ٢ .
(٥) فى ا : « العرض » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٦) فى ا ، ب : « الذنب » ، والمثبت فى : ج .
(٧) سورة التوبة ٤٣ .   (٨) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .   (٩) فى ب : « والصيغة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وارحمْ حُشاشةَ صَبّ فيكَ قد فَنِيتْ   مابين مُعْتَرَكِ الأحْــداقِ والمُهَجِ

وعالِجِ القلبَ بالتَّمنِّى   أو فاقْتُلِ الصبَّ بالتَّجنِّى

أنا القتيــلُ بلا إثْمٍ ولا حَرَجٍ   ولم أقلْ جَزَعاً يا أزمةُ انفرِجى

* * *

دَوْر [1]

قَضتْ بإحْراقِ روحى فتنةُ النَّظرِ   وأَلَّفَ الحبُّ بين الجَفْنِ والسهرِ [2]

فأثَّرتْ تلك فى الأحْشاء فاشْتعلتْ   ومُعْظَمُ النارِ من مُستصغَرِ الشررِ [3]

فخَــلِّ لَوْمِى وخَلِّ عَتْبِى   فالعينُ عيْنى والقلبُ قلبى

وهل رأيتَ مُحِبًّا بالغرامِ هُجِى   لاخيرَ فى الحبِّ إن أبْقَى على المُهَجِ [4]

* * *

دَوْر

السحرُ فى اللحْظِ أم هذا هو الحَوَرُ   والوردُ فى الخدِّ أم هذا هو الخَفَرُ [5]

لم يــكْفِ وَجْنَتَكَ الحمراءَ ما فعلتْ [illegible] حتى غدتْ   بدمِ العشّاقِ تفتخرُ

لــكننى مُقْسِمٌ بِذَاتِكْ   بذُلِّ مِثْــلِى لِعزِّ مِثْلِكْ

مَن كحَّلَ المُقْلةَ السوداءَ بالدَّعَجِ   وخضَّبَ الوَجْنــةَ الحمراءَ بالضَّرَجِ

* * *

دور

أجُؤذُرٌ أنت يا إنسانُ أم مَلَكٌ   يامُشرِقاً تحتَ وجهِهِ الفَلَكُ [6]

---

(١) هذه الكلمة ، فى هذا الموضع . وفى كل ما يأتى ، زيادة من : ح على ما فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « قضت بإحراق قلبى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « فأثرت تلك فى الأحشاء فاحترقت » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٤) فى ا ، ح : « بالغرام هجا » ، والمثبت فى : ب .

(٥) فى ب : « السحر فى العين » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٦) فى ب : « يا مولاى أم ملك » ، والمثبت فى : ا ، ح .

وصائدِى بخُدودٍ نارُها اشْتعلتْ   والخالُ حَبّتُها والعارضُ الشَّرَكُ

الثَّغْرُ والشَّمْرُ والمحيّا   البدرُ والليـــلُ والثُّريّا

فإن ضَلِلْتُ بداجِى شَعْرِه السَّبَجِ   أهْدى لعينى الهوى صبحٌ من البَلَجِ [1]

* * *

دور

أمْنُنْ علىَّ بوصلٍ منك يأسكنِى   أو جُدْ بوعْدِى وكاتِبْنِى به وَمِنِ [2]

ألا ترى رُقْعـةَ الأستاذ قـد وصلتْ   فقلّدتْنِى أطْواقاً من المِنَنِ

كأنه إذْ رأى اتِّباعِى   لِكُتْبِه وهْو ذو اطّلاعِ [3]

أهْدى إلىَّ سُحَيْراً أطْيبَ الأرَجِ   فى كلِّ معنى لطيفٍ رائقٍ بَهِـجِ

* * *

دور

ياواحداً لا أرى فى الناسِ ثانِيَهُ   وأوحداً لم نَجِدْ فى الدهرِ شانِيَهْ [4]

محبَّتِى فيك لا واللهِ ما نُبذِلتْ   وبيتُ حبّك لم أُخْرِبْ مبانِيَهْ [5]

وإننى يشقيق رُوحِى   ويا غَبوقِى ويا صَـــبُوحِى

أُوفى محبٍّ بما يُرضيك مُبْتهِجِ   وخاطِرِى أين كُنّا غيرُ مُنْزعِجِ

* * *

وهذا الأسلوب تقدّمه فيه جماعة ، وزاد بعضهم التّضْمِين فى كل القطعة بين [6] شعر [7] غيره [8] .

---

(١) السبج : الأسود . (٢) « من » من المَنّ ، وهو الكذب . (٣) فى ج : « يكتبه وهو ذو اطلاع » ، وفى ب : « ذو صطلاع » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ج : « يا واحدا لم أرى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « لا أخرب مبانيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) فى ا : « منه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ج : « شعره » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٨) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

وهذا موشحه :

أجاب دمعى وما الدّاعى سوى طَلَلِ ... وظل يسْفَح بين العُذْرِ والعَذَلِ

ياسا كِنى السفحِ كم عين بكم سفَحتْ ... مِلْءَ الزمانِ ومِلْءَ السهلِ والجبلِ (١)

قلبٌ مُعَنى ومَدْمَعٌ صَبّ ... يجُرُّ أذْيالَه ويسْحبْ

يشكو إلى القلبِ مافيـه من العِلَلِ ... والقلبُ يسحبُ أذيالاً من الوَجَـلِ

* * *

فالمِصْراعان الأولان ، والرابع للمتنبىّ (٢) .

والثالث لابن النَّبيه (٣) .

والخامس للشريف الرَّضِىّ (٤) .

والسادس لابن اللَّبَّانة (٥) .

---

(١) فى ب : « كم عنى بكم سفحت » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٢) ديوانه ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، من سيفية له .

والمصراع الأول ، صدر افتتاحية القصيدة ، والعجز :

* دعا فلبّاه قبل الرَّكْبِ والإبلِ *

والمصراع الثانى عجز البيت الثانى فيها ، وصدره :

* ظللْتُ بين أُصيحابى أُكَفْكِفُهُ *

والمصراع الرابع عجز بيت فيها ، وصدره :

* ضاقَ الزمانُ ووَجْهُ الأرضِ عن مَلِكٍ *

(٣) كمال الدين أبو الحسن على بن محمد بن الحسن ، ابن النبيه ، تولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى ، وكان شاعرا مجيدا .

توفى سنة تسع عشرة وستمائة .

فوات الوفيات ٢/١٤٣ .

والمصراع الثالث صدر افتتاحية قصيدة له فى مدح الملك الأشرف ، والعجز :

* تَزَحْزَحُ فهى بعد البُعْدِ ما نزَحتْ *

ديوانه ٢٣ .

(٤) ليس فى ديوانه

(٥) أبو بكر محمد بن عيسى اللخمى ، شاعر أندلسى ، كانت له مكانة سياسية عالية .

توفى سنة سبع وخمسمائة .

التكملة ، لابن الأبار ١/٤٠١ ، فوات الوفيات ٢/٥١٤ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٧٨ ، المغرب فى حلى المغرب ٢/٤٠٩ .

والأخيران لابن سَناء المُلْك (١) .

* * *

دور (٢)

لِتُهْنَ عينٌ غــدتْ بالدمعِ فى لُجَجِ	وكانَ جَفْنٍ إلى الإغفاء لم يَعُجِ (٣)
ومُهْجــة فيك للأشجان قد صَلُحتْ	لا خَيْرَ فى الحبِّ إن أَبْقَى على المُهَجِ
لم تُبْقِ لى فى الهوى مَلاذَا	ياليتنى مِتُّ قبلَ هٰذَا
تركْتنى أصحبُ الدنيا بلا أمَــــلِ	فما أقول لشيْء ليت ذلك لِى

* * *

الأول للعز المَوْصِلى .

والثانى ، والرابع لابن الفارِض (٤) .

والثالث لابن النَّبِيه (٥) .

---

(١) أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدى ، المصرى .
شاعر جيد الشعر ، كتب فى ديوان الإنشاد بمصر مدة ، وهو من ملائها .
توفى سنة ثمان وستمائة .
خريدة القصر ــ قسم مصر ــ ١/٦٤ ، شذرات الذهب ٥/٣٥ ، وفيات الأعيان ٥/١١٢
ولم أجد المصراع السابع فى ديوانه ، على الرغم من نظرى فى صدور أبيات الديوان .
والمصراع الثامن فيه ٥٨٠ ، وهو عجز بيت ، صدره :

* والعينُ تُسحبُ ذَيْلًا من مَدامِعِها *

(٢) زيادة من : ج فى هذا الموضع وما يليه ، على ما فى : ا ، ب .
(٣) فى ا : « لهنّ عين » ، وفى ب : « ليهن عين » ، والمثبت فى : ج ، وفى ب : « وكل قلب إلى الإغفاء لم يعج » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) المصراع الثانى فى ديوان ابن الفارض (بشرح البورينى والنابلسى ٢/ ٥٠) وهو عجز بيت صدره :

* وكلُّ سَمْعٍ عن اللّاحى به صَمَمٌ *

والرابع فى ديوانه أيضا ٢/٥١ ، وهو عجز بيت ، صدره :

* وخُذْ بقيَّةَ ما أبْقيتَ من رَمَقٍ *

(٥) لم أجد هذا المصراع فى ديوان ابن النبيه ، على الرغم من نظرى فى صدور أبياته .

والخامس لابن الخَرّاط [١] .

والسادس لابن نُبَاتة [٢] .

والأخير للمتنبي [٣] .

* * *

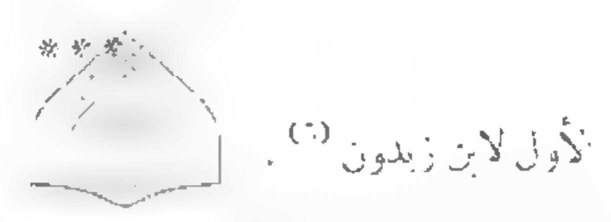
دور

ما جال بعــــدك لحظي في سَنا القمرِ ‏ ‏ فإن ذلك ذنبٌ غـــــير مُغتفَرِ [٤]

لي همّـــــة لديَّ قطُّ ما طمحتْ ‏ ‏ لمــــا تواضعَ أقوامٌ على غَرَرِ

وأيّما كنتَ كنتَ عبدَكْ ‏ ‏ فإن قلبي أقام عنـــدكْ

على بقاء دعوى لهـــــوى يَسْلِي ‏ ‏ وأنت تعلمُ أني بالغرامِ مَلِي [٥]



الأول لابن زيدون [٦] .

(١) أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن سلمان ، ابن الخراط ، الناصري .
أديب ، شاعر ، تنقل في مناصب القضاء والإنشاء بين حلب وطرابلس ، والقاهرة .
توفي سنة أربعين وثمانمائة .
شذرات الذهب ٧/٢٣٥ ، الضوء اللامع ٤/١٣٠ .

(٢) ديوان ابن نباته المصري ١٧٧ ، وهو عجز بيت ، صدره :

* وقال جفنٌ له سقيمٌ *

(٣) لم أجد المصراع السابع في ديوان أبي الطيب ، على الرغم من نظري في صدور أبياته .
والمصراع الثامن فيه ، صفحة ٣٢٠ ، وهو عجز بيت ، روايته في الديوان :

تمسي الأمانيُّ صرعى دونَ مبلغِه ‏ ‏ فما يقول لشيءٍ ليت ذلك لِي

(٤) في ب : « ما جال لحظي بعدك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب : « على بقاء دعاوى » .
وفي ج : « على بقايا دعاو » ، والمثبت في : ا . (٦) صدر بيت له ، عجزه :

* إلا ذكرتُكِ ذِكْرَ العينِ بالأثرِ *

ديوانه ٩٢ .

والثانى، والرابع لأبى العلاء [1] .

والثالث لابن نُباتة [2] .

والخامس، والسادس للبهاء زُهَير [3] .

والسابع للقَرافِيّ [4] .

والثامن لابن الجَوْزىّ .

* * *

دور

تنا بِعِطْفَيْكَ من تِيهٍ ومن صَلَفِ   تَلافَ مُضْناكَ قــد أشْفَى على التَّلَفِ

فالموتُ إن غُضَّتِ الأجفانُ أو فُتِحتْ   يا أكْحلَ الطَّرفِ أو يا أزْرقَ الطّرَفِ

لِسائلِ الدمعِ صِرْتُ ناهِرْ   وسِرْتَ والقَدُّ منك خاطِرْ [5]

تَدْرِى الطَّعينَ وصدرُ الرّمحِ لا يصِلُ   [illegible] مَن سأل الحاجت بالأسَلِ

* * *

(١) المصراع الثانى عجز بيت له، صدره: [illegible]

* لاتطويا السِّرَّ عنِّى يوم نائبةٍ *

شرح التنوير على سقط الزند ١/٣٣، شروح سقط الزند ١/١٣٢ .
والمصراع الرابع عجز بيت له، صدره:

* علوْتُمُ فتواضعتم على ثقة *

شرح التنوير على سقط الزند ١/٤٠، شروح سقط الزند ١/١٦٧ .

(٢) ليس فى ديوانه .   (٣) ديوان البهاء زهير، وجاء فيه:

إن كان قد سار عنكَ شخصِى   فإن قلبى أقام عنــــدكْ

وحيثما كنتَ كنتُ مَوْلًى   وأينما كنتَ كنتُ عبــدكْ

(٤) فى ج: « للغزى »، والمثبت فى: ا، ب، ولعله يعنى بالقرافى بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافى، المصرى، المالكى، المتوفى سنة ثمان بعد الألف .
انظر ريحانة الألبا ٢/١٠٤ .

(٥) فى ج: « لسائل الدمع صرت ناهل »، والمثبت فى: ا، ب .

الأولان ، والرابع لابن الوَرْدِيّ [١] .

والثالث لابن نُباتة [٢] .

والاثنان من [٣] مُوَشَّح .

والآخِران للشريف [٤] .

* * *

ومن مشهور شعر العُصْفُورِيّ قوله ، فى غلام يلعب بتفاحة :

بتفَّاحـــةٍ فى الخدِّ وكُلّ لَحْظَهُ ليحفظَهامن ناظِرى أن يَؤُودَهَا [٥]

سَهَا فهَوَتْ من خدِّه فهو دائمـاً يُرَدِّدُها فى كفِّه ليُعيدَهَا

* * *

وقد سبقه إلى هذا أبو تَمّام غالب الحجّام [٦] ، فى قوله :

عايَنْتُه وبخدِّه تفـــاحةٌ قد أُلبِسَتْ من وَجْنتَيْه بُرْدَهَا

يرْمِى بهـــا فى وجْهِهِ ويظنُّها من خدِّه سقطتْ فيبْغِى رَدَّها

* * *

وقوله فى وصف جدول ماء : [illegible]

لنا جـــدولٌ صقَلَتْه الشّمالُ كما صقَل القَيْنُ صافِى الأثَرْ [٧]

جرى ذهباً فى أوانِ الأصِيلِ كما قد جَرى فِضّةً فى السَّحَرْ [٨]

* * *

(١) لم أجد شيئا من ذلك فى ديوانه . (٢) عجز بيت له ، صدره :

* ذو ناظرٍ بالحياوالسحرِ مُكتحلٍ *

ديوانه ٩٧ .

(٣) زيادة من : ج ، على ماق : ا ، ب .

(٤) لم أجدها فى ديوانه . (٥) فى ج : « أن يودها » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) لعله يعنى أبا تمام غالب بن على بن محمد اللخمى ، الشلوبى ، طبيب من العلماء ، توفى سنة إحدى وأربعين وستمائة . انظر الأعلام ٥/٣٠٣ .

(٧) فى ب : « كما صقل العين » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ب : « كما قدجرى فضة والشجر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله فى فَوَّارة ماء :

وفَوَّارةٍ الماء تحسَب أنَّها قضيبُ لُجَين فوقه عِقْدُ جوهرِ
تُقابلها شمسُ الأصيل فتغتدى أنابيبَ شَذْرٍ خيطُه سِلْكُ مَرْمَرِ (١)
وتعطفُها ريحُ الشمالِ كأنها قوامُ رَدَاحٍ فى قِباءٍ مُعَصْفَرِ (٢)

* * *

ومن مُوَشَّحاته قوله :

أيها المُمتنِع الأوْ صافِ عن إدْراكِ مُدْرِكْ
أفلا يُمكِنُ أن تجْ ملنى هِمْيانَ خَصْرِكْ

يوم أحْظَى بتلاقِيكْ
وبكاساتى أُساقِيكْ
وبأشْواقى ألاقيكْ

مَرْتعى بين تَراقيـ كَ ورُمَّاناتِ صدرِكْ (٣)
آختنى سَوْسَنَ صُدْغَيْـ كَ ونُوّارةَ ثغرِكْ

حَيْـثُ يومَ ألقاكْ
يومَ أستنشِقُ رَيّاكْ (٤)
وتُعاطِينى حُمَيّاكْ

وأرَى شمسَ مُحَيّا كَ بدَتْ فى ليلِ شَعْرِكْ
فهنا أنْظِمُ دُرَّ الثَّغْـ رِ فى لَبّاتِ نَحْرِكْ (٥)

---

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه . (٢) الرداح : الثقيلة الأوراك .
(٣) سقط قوله : « مرتعى بين تراقيك » من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وفى ب : « ورمانة صدرك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ج : « حين أستنشق رياك » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٥) فى ب : « فها أنا أنظم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أَهصرُ العِطْفَ وأَضْمُمْ
وأُفَــدِّيكَ وأَلْثِمْ
آخِذًا بالجَيْبِ والْكُمْ

وأُجِيلُ الخَمْسَ من يُمْنا ... ى في جَــوْنَةِ عِطْرِكْ
وأَهُزُّ الغُصْنَ المُثْـ ... ـمِرَ من أَعْطافِ هَصْرِكْ

* * *

وله في القهوة :

سوداءُ مثلُ المِسْكِ لا كالنِّقْسِ ... وجامُها الأصفرُ مثلُ الوَرْسِ
جِلِيَةٌ للأُنْسِ بعد الأُنْسِ ... حلَّتْ حُلولَ زُحَلٍ في الشمسِ

* * *

وله في شريف تعذّر :

طَمَّ العِـذارُ بخدِّ أَهْيَفَ سيِّدٍ ... يَحْلُسْ بخُضْرَةِ نَبْتِهِ وَرِياشِهِ[1]
فَمِن حُبِّ ... تَحَالُه ... مُنْتَمِيًا ... مَبْذُولَ طَيِّةٍ من شَاشِهِ[2]

* * *

وله في حامل شمعة :

وَفَى وفى راحته شَمْعَه ... ضُــــاء على وَجْنته لَمْعَه
نخْتَه البدرَ وفى كفِّه ... بَهْرامُ والمنزلةُ الهَنْعَه[3]

* * *

وله :

له لسانٌ مُفْرِطٌ كِذْبُهُ ... كأنَّه مِقْوَلُ صَـــوّاغِ

---

(١) في ب : « بخد سيد أهيف » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « في شاشه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) الهنعة : منكب الجوزاء الأيسر . انظر القاموس (هـ ن ع) .

ووجهه أقبح ما في الورى ... كأنه راحة صبّاغْ

«راحة صبّاغ» يُضرب مثلا لما يُستقبح ، ويُشبّه به مالا يُستنظف

* * *

وله :

له كلّ حين على مُمْتفيه ... إذا أمّه نعمةٌ سابغَهْ [1]

كأن يدًا ملّكته الرّقاب ... يدُ الباهليّ على النّابغَهْ

* * *

وله من قصيدة ، مستهلها :

أغازل منه الجفنَ أكحلَ أوطفا ... وأهصر منه القدّ أسمرَ أهيفا [2]

وأقطف منه وردةَ الخدّ غضّة ... وأرشف منه خمرةَ الثغر قرقفا [3]

ويعجبني أني أقبّل خطّه ... ولم أر قبلي من يقبّل مرهفا

أفدّيه معسولا لحاظا ومرشفا ... وأفديه عسّالا قواما ومعطفا

وأطلب منه قوت قلبي تعلّلا ... وألتذّ بالأقدام منه تلطّفا [4]

بنورِ عقيقٍ صان لؤلؤ ثغره ... ومدّ عليه بالزبرجد رفرفا

أقام عليه حيّة الشّعر حارسا ... وزرفنه بالصّدغ كنزا مكنّفا [5]

أعدّد أشجاني إليه إذا صحا ... وأسهر أجفاني عليه إذا غفا

وأوقظه أن لا يسوء مزاجه ... فأحسب أني قد هززتُ مثقّفا

نظرتُ إليه نظرة فالتهقتْ ... عليه حشًا لا تستطيع تدنّفا

---

(١) في ا : «على معتصيه» ، وفي ب : «على معتطيه» ، والمثبت في : ح .

(٢) الأوطف : كثير شعر الحاجب والعينين . (٣) القرقف : الخمر .

(٤) في ب : «وألتذ بالأقدام» ، وفي ح : «وألتاذ بالأقلام» ، والمثبت في : ا .

(٥) في ب : «أقام عليه حارس الشعر حية» ، والمثبت في : ا ، ح . والزرفين : حلقة الباب ، وزرفن صدغيه : جعلهما كالزرفين . القاموس (ز ر ف ن) .

فصمّد ما لو قابلَ الدمعَ ما طفا وقطّر ما لو سامَتَ الوجدَ لانطفا(1)

فقِسْتُ بُدرَّ الدمعِ لؤلؤَ ثغرِه فلم أدرِ أيّه كان أصفى وأصلفا

ولم أرَ بدرا قبلَه ظلّ كاملا ولا شمسَ حُسْنٍ قبلَه ان تكسّفا(2)

* * *

وله (3)وهو مما يستعذب(3) :

سألتُه في ثغرِه قبلةً فقال ما أبردَ هذا السؤالْ

ما مرّ إلّا وحلا وصلُه لو كان مَنْ يسمحُ لى بالوصالْ

عطّلني من وصلِه بالجفا والحمدُ لله على كلّ حالْ

* * *

ابن نُباتة المِصْرى(4) :

حلّوا بعقدِ الحسنِ أجيادَهم وحاولوا صبرى حتى استحالْ

فدِهِ من عاطلِ صبرٍ مغنى والحمدُ لله على كل حالْ

* * *

وله في ساقي قهوة :

ساقٍ يفوقُ السقاةَ كلَّهم بالأدبِ السّابريّ والحكمةْ(5)

يبيتُ يسقيك من أناملِه في جامدِ النورِ ذائبَ الظلمةْ

* * *

وله من قصيدة مدح بها ابنَ الحسام(6) المفتي ، وكلها غُرَر ؛ فلذا أثبتّها برمّتها :

---

(1) في ج : « ما لو قابل الدمع ما طفى » ، والمثبت في : ا ، ب . وسامت الوجد : قابله ووازاه .

(2) في ب : « ولا شمس حسن قبله ليس تكسفا » ، والمثبت في : ا ، ج . (3) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب . (4) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

والبيتان لابن نباتة المصرى ، في ديوانه ٤٢١ .

(5) في ا : « بالأدب السرى » ، والمثبت في : ب ، ج ، وصف أدبه في رقته ولينه بالثوب السابرى .

انظر لطائف المعارف ، للثعالبي ١٩٥ .

(6) تقدم ذكر ابن الحسام ، في صفحة ٢٠٣ .

نِظامُ سُلوكِ القَطْرِ فى إبَرِ المُزْنِ   تَخِيطُ قميصَ النَّهْرِ مِن وَرَقِ الغُصْنِ

وقَدْحُ زِنادِ الرَّعْدِ فى راحةِ الصَّبا   يُؤَجِّجُ نارَ البَرْقِ فى فَحْمةِ الدَّجْنِ

ورَشْفُ رُضابِ الطَّلِّ مِن أكْؤُسِ الرُّبَى   يُرَنِّحُ عِطْفَ الغُصْنِ لا قَرْقَفُ الدَّنِّ

وتَزْرِيرُ جَيْبِ الشَّمْسِ يُؤْذِنُ بالحَيا   لِما قامَ غُصْنُ البانِ مُنْحَسِرَ الرُّدْنِ (١)

وخَطُّ عِذارِ النَّهْرِ أشْكَلَ رَسْمُهُ   فأعْرَبَتِ الوَرْقاءُ عنهُ بلا لَحْنِ

وتَنْكِيسُ رأسِ الغُصْنِ فى الرَّوْضِ مُشْعِرٌ   بإصْغائِهِ مُسْتَمْلِيًا كما تُمْلِي

وتَقْطِيبُ ثَغْرِ الزَّهْرِ يَضْحَكُ بالنَّدَى   كما ضَحِكَتْ تلك الطُّيورُ بلا سِنِّ

وقد نُصِبَتْ للنَّوْءِ فى الجَوِّ خَيْمَةٌ   تَكَنَّفَتِ الأقْطارَ مِن ناصِعِ القُطْنِ (٢)

وهَبَّ صَبًا أحْيَتْ مَواتًا من الرُّبَى   كأنْ هَبَّ إسْرافيلُ يَنْفُخُ فى القَرْنِ

إذا سُلَّ سَيْفُ البَرْقِ مِن جَفْنِ مُزْنَةٍ   أسالَ دُموعَ القَطْرِ من ذلك الجَفْنِ

ودُونَ عُقابِ الجَوِّ إنْ عَنَّ ضَوْءُهُ   أطارَ غُرابَ اللَّيْلِ عن سُحُبٍ دُكْنِ (٣)

تَخالُ عَنانَ اللَّوْحِ بَحْرًا مائِجًا   على مَتْنِهِ تلك السَّحائبُ كالسُّفْنِ

وللنَّوْءِ قَوْسٌ أوْتَرَ الجَوُّ مَتْنَهُ   نِبالٌ سَما رِيشَتْ بأجْنِحةِ المُزْنِ (٤)

مُوَشَّى الحَنايا دَبَّجَتْهُ شِياتُهُ   كما دَبَّجَ الطاووسَ قادِمُهُ المَحْنِي (٥)

كأنْ قد أتَى فَصْلُ الرَّبِيعِ تَخالُهُ   أصالةَ مَعْنًى رامَهُ رائِقُ الذِّهْنِ (٦)

كأنْ قد تَهادَى الغُصْنُ فى عَذَباتِهِ   كما اهْتَزَّ تَحْتَ الخَزِّ قامةُ ذى حُسْنِ

وإلّا كما اهْتَزَّتْ يَراعَةُ سَيِّدِى   بما أثْمَرَتْ بالمَنِّ والأمْنِ واليُمْنِ

عِمادُ ذَوِى الدُّنْيا وعِصْمَةُ أهْلِها   وحِصْنُهُمُ أكْرِمْ بذلك مِن حِصْنِ

---

(١) فى ب : « وبروبز جيب الشمس » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « وقد نصبت لنور » ، وفى ج : « وقد نصبت للو » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ب : « إن عز ضوءه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « والجوقوس » ، وفى ج : « والنوقوس » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ب ، ج : « مادمة الحنى » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ب ، ج : « إصالة معنى » ، والمثبت فى : ا .

لهُ السُّمْعةُ الحسْناءُ فى المُدْنِ والقُرَى ... ومَعْدَلَةُ القِسْطاسِ فى الإنْسِ والجِنّ

إذا ظَنَّ منه الرِّفْدَ يوْماً مُؤمِّلٌ ... أبا كَرَماً أنْ يُبْدِيَ الظَّنَّ بالظّنِّ[1]

جَزانِي جَزاهُ اللهُ خَيْرَ جَزائِهِ ... وبَوّأهُ قُصْوَى مَكارِمِهِ عَنّى

وعلّمنِي نظْمَ الأناشيدِ فَضْلُهُ ... وقدْ كانَ شِعْرِي قبْلُ أبْرَدَ مِن صِنّ[2]

وإنِّيَ مَهْما غِبْتُ عنهُ لَمُجْهِدٌ ... بإمْداحِ ما تَحْوِي مناقبُه ذِهْنِي

أُواصِلُ ذِكْراهُ مَساءً وغُدْوةً ... وشُكْرُ الذى أسْدَى إلىَّ مِنَ المَنّ

مَثابَتُهُ أمْنِي ومَثْواهُ كَعْبَتِي ... وفى بابِهِ حَجِّي وعَقْوَتُه رُكْنِي[3]

ومن أنا يَسْتَدْعِيهِ بالكُتْبِ مِثْلُهُ ... أجَلْ هذه واللهِ فاتِحةُ اليُمْنِ

أطلْتُ ولكنِّي اشْتغلْتُ وأيْنَ لِي ... ويقْبُحُ من مِثْلِي أطلْتُ ولكنِّي

وهلْ أنا إلاَّ عَبْدُه القِنُّ أفْتَدِي ... جميعَ الذى يقْصِيهِ فى عَبْدِهِ القِنّ

وقد جِئْتُهُ من بعد لأْيٍ مُهنِّياً ... به رمضانَ العامِ تَهْنِئَةَ المُثْنِي[4]

أزِفُّ إلى عَلْيائِهِ كلَّ غادةٍ ... تجوسُ حِمَى الآذانِ منه بلا إذْنِ

نَقِيهِ من البَأْساءِ فى الدِّينِ والعُلا ... وقَى النَّفسِ والأهْلِينَ والمالِ والإبْنِ

دُعاءٌ إذا ظَنَّ القَبولُ فإنَّنِي ... أُحقِّقُ أنَّ اللهَ يقْبَلُه مِنِّي

* * *

ومن إنشائه ما كتبه لبعض الأدباء بدمشق، جوابا عن كتاب:

« المحبّةُ وما أدْراكَ، والعَلاقةُ (٥ ويا ما هنالك ٥).

---

(١) فى ا: « إذا ظن منه الوعد »، والمثبت فى: ب، ج. (٢) الصن: أول أيام العجوز. القاموس (ص ن ن). (٣) العقوة: ما حول الدار والمحلة. (٤) سقط صدر هذا البيت من: ا، وهو فى: ب، ج. وفى ا: « به رمضان العلم »، والمثبت فى: ب، ج.

(٥) فى ب: « ويا مهناك »، والمثبت فى: ا، ج.

إلطافٌ كلُّه[1] ألطاف ، وإتْحافٌ فضلُه غيرُ خافٍ ، وقِطافٌ جناها لِطافٌ ، ونِطافُ نُمْرِعِ المرابعِ[2] والمَصْطاف .

تُطلِق من لِسان الألكن ، وتُغلِق مِقْوَلَ المِصْقَعِ الألْسَن .

وتُلينُ العَريكةَ ، وتُهينُ ذِى الأريكة الوَرِيكةَ[3] .

وتذهبُ بذى الطِّباع السَّليمة ، إلى طُمَأنينةٍ خايِفة وسُلالةِ شَكيمة .

والحبُّ أوّلُ ما يكونُ لجاجَةً   فإذا تمكّنَ صار شُغْلاً شاغِلاَ

شمسٌ لها مَطْلَعان ، وسَهْمٌ له[4] موقعان ، وجِهةٌ لها قِبْلَتان ، وقضيّةٌ لها نَتِيجتان ، عَقْدُها لازِمٌ من الطرفَيْن .

والحبُّ رَوْضُهُ مَريعٌ ، ودَهْرُه رَبيع .

ورِدُه صافٍ ، أشْتَى أوْ صافَ

ليلُه كلُّه سَحَر ، وغَسَقُه جميعه قَمَر .

عيشُه عيشُ السَّلاطين ، وطَيْشُه طَيْشُ الشَّياطين .

وأنينُه أنينُ النّاكين الباكين ، وحَنينُه حَنينُ الباكِين المُسْتَكين[5] .

ليس لِمسْكينِ الهوى رَاحِمٌ   ولا لِمَقْتولِ الهوى من يَدِى

وهو والمُلْك سَوا ، لولا النَّوَى .

وهو والعَروش سِيّان،لولا اللّيان.

يَنْقضِى دهرُه فى أينَ وأنَّى ، وكيفَ وعسَى ، وحتى ومتى ، ولَوْ ولولا ، وأيّانَ وبَيْنَ .

---

(١) فى ب : « كل » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب ، ج : « المرابع » ، والمثبت فى : ا .
(٣) فى ب : « الأريكة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا ، ج : « لها » ، والمثبت فى : ب .
(٥) فى ت : « الشاكين » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبَيْنا تَفِي بالوَعْدِ أَهْلَكَ إِنَّ لي　　فُؤاداً مَحُولاً والوِصالُ على مَهْلِ

وقْتُه هَنا، بتَساوِيف المُنَى.

ويومُه عِيدٌ، بأَمَانِيِّ المواعيد.

إن برَقتْ بارِقة، ظنَّها وارِقة.

أو خفقَتْ خافِقة، خالَها صادِقة.

وإن صَبَّ صَبا، مالَ وصَبا.

وإن ساجِعٌ عَنَّ حَنَّ، وإن غَنَّى مُغَنٍّ هُتِرَ وارْجَحَنَّ.

* كما انتفضَ العُصْفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ * [1]

وشِيمَتُه، ما أهمَّه.

ويا عَوْلَةَ أَبيه، ما أكثرَ تَعابيه.

يرقُبُ سُهَيْلاً في الليل، ويفتر الويل[2] بالذيل.

يأخذ الوِصال بالمثاقيل[3]، ويُعطي دُرَّ دمعِه بالمكاييل[4].

وهو إذا جاد باكِي العيون، محزون كالجواد المعيون.

مشغوفٌ، كالبعير المأنوف[5].

إن تهدَّد هدَّد، وإن زُدَّ أزاد، ومتى قِيدَ انقاد، وأين ما رُبِدَ ربدَ وزاد.

فلا مُعين فيه إلا به، ولا مَفرَّ منه إلا إليه.

---

(١) عجز بيت لأبي صخر الهذلي، صدره:

* وإني لتعروني لذكراك هِزَّةٌ *

شرح شواهد المغني ٢/١٢٤، شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٧، وصدر البيت فيه:

* إذا ذكرتْ يرتاحُ قلبي لذكرِها *

(٢) ساقط من: ب. وهو في: ا، ج.　(٣) في ا: «بمثقال»، والمثبت في: ب، ج

(٤) في ا، ج: «بالكيل»، والمثبت في: ب.　(٥) أنف البعير: اشتكى أنفه من البرة.

وكما تكونُ تَصَنُّعاً أو طِباعاً ، تكونُ نظراً أو سماعاً .

فالنَّظَرِيَّةُ ، دارَتُها قَمَرِيَّة .

والسَّماعِيَّة ، دارَتُها طَمَاعِيَّة .

ومَن لى بأن ينقلبَ السَّمْعُ نظراً ، كما تحوّلَ الخُبْرُ خَبَراً .

وقد ورَد أعزَّكَ اللهُ كتابُكَ البَعيدُ الوَصْف ، البديعُ الرَّصْف .

ففَضَضْتُ صَدَفَةَ وثيقة[1] عن دُرٍّ مَكْنُون ، وحَظِيتُ[2] منه أبكارَ عرائس مُنْتَقِبة[3] بالجوْهرِ المَصُون .

وشَفَيْتُ الغليلَ من مِياهِ ثُغُورِه ، وصَاداتِ عُيونه .

وسرَّحْتُ طَرْفَ طَرْفِى فى رِياضِه ، وأوْرَدْتُ عقيلةَ عَقْلى فى زُلالِ حِياضه .

وحُسْنُ خِلالَه ، وتَفَيَّأْتُ ظِلالَه ، وأكْثَرْتُ إكْرامَه وإجْلالَه .

حتى لاحَتْ لى[4] غُـرَّةُ الدُّرَّة[5] ، وشِمْتُ مَخِيلَةَ الخميلة ، ولَمَعَتْ بارِقةُ الشَّارِقة .

فيالكَ من دُرٍّ يُسكَّنُ ويُثمَّن ، ومِن حسَنِ ألْفاظٍ يُزان ولا يُزَن[6] .

حَفِظَ اللهُ مَن نظَمَ سِلْكَه[7] وأحْسَنَ تأليفَه ، وأبقَى مَمْلَكَتَه التى وطَّدتْ فى الآداب مَسالكَه ، ورحِمَ مَن خَدَمه .

وقد تطفَّلَ المحبُّ بهذه العُجالة[8] على جَنابِه ، فَلْيَغْضِ عليه طَرْفَ حِلْمِه ، ولْيَجْرِ فى التَّرسُّل على سَنَنِه ورَسْمِه » .

❁

---

(١) فى ب : «وثقيته» ، وفى ج : « وثيقته » ، والمثبت فى : أ . (٢) فى ب : « وحلت » ، والمثبت فى : أ ، ج . (٣) فى أ ، ب ، ح : « منصته » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى أ : « الديرة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) لا يزن : لا يتهم . (٧) فى ب : « سـ كـه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ب : « العاجلة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٨

السيد أحمد بن على الصَّفُّورِى *

حَسِيبٌ طرَّزَ كُمَّ الأحْساب ، ونَسِيبٌ باهَتْ بنِسْبَتِه الأنْساب .

مَحَلُّه سِرُّ المطْلوب ، وقَرارةُ محَبَّتِه حَبَّةُ القُلوب .

مِن سَراةٍ أنوفُهم شُمٌّ ، ووُجوهُهم غُرٌّ ، وعِزَّتُهم [1] قَعْساء ، ونَسَبُهم حُرٌّ .

لهم القَدْرُ الأعْلى ، وشرفُهم الشَّرفُ الأعْلَى .

وهو ممَّن نأثَّلَ مجْدُه فى بَحْبُوحَةِ ذلك [2] الشَّرف ، وتبوَّأ من السِّيادةِ أسْنَى الغُرَف .

مُرْتَوِيةٌ أفْياؤُه بماءِ النُّبُوَّة ، متأرِّجةٌ أرْجاؤُه بعَبِيرِ الفُتُوَّة .

مع مَهارةٍ فى العلوم ، ومُحاضرةٍ مستفِزَّةٍ للحُلوم .

وأخْلاقٍ صقَلها الكَرَمُ الوَضَّاح ، وطَبِيعةٍ شُغِف بها الكَمالُ الفَضَّاح .

(*) السيد أحمد بن على بن علاء الدين الصفورى ، الحسينى ، الشافعى ، الدمشق .
ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة .
وقرأ بدمشق على عبد الحق الحجازى ، والحسن البورينى ، والشرف الدمشق .
وسمع الحديث من الشمس الميدانى ، والنجم الغزى ، وكان معيدا لدرسيهما فى « صحيح البخارى » بجامع دمشق .
سافر إلى حلب ، ودرس بدار الحديث الأشرفية ، وتولى قضاء الشافعية بمحكمة الباب بدمشق .
وكانت له معرفة تامة بالفقه، والعربية، وأنواع الأدب .
توفى سنة ثلاث وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .
خلاصة الأثر ١/٢٤٦ .
وفى ج : « السيد أحمد بن على العصفورى » ، وهو خطأ صوابه فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
والصفورى : نسبة إلى صفورية ، بفتح أوله وتشديد ثانيه وواو وراء مهملة ، ثم ياء مخففة ، وهى كورة وبلدة من نواحى الأردن بالشام ، وهى قرب طبرية . معجم البلدان ٣/٤٠٢ .

(١) فى ج : « وغرتهم » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وله أدبٌ تَرَدَّى بالبَراعة وتَوَشَّح ، وشِعرٌ اسْتَعَدَّ للقَبول التّامّ وتَرَشَّح .

* * *

فمنه قوله [١] :

أيارَبَّ قد مَكَّنْتَ في القلبِ حُبَّهُ ... وحَكَّمْتَه في الصَّبِّ بالقَوْلِ والفِعْلِ [٢]

وألْهَمْتَهُ الإعْراضَ عنّى ولم تَدَعْ ... لِقَلْبِي صَبْراً عنه في الهَجْرِ والوَصْلِ

فألْهِمْهُ إحْساناً إلىَّ فليس لِي ... سِوَى لُطْفِكَ المَعْهودِ إنْ لم تكُنْ تُبْلِي [٣]

وإلّا فَسَوِّ الحبَّ بيْنِي وبَيْنَهُ ... فإنَّكَ يامَوْلاىَ تُوصَفُ بالعَدْلِ [٤]

* * *

وهذا أسلوب [٥] لطيف ، وهو [٦] نَقْلُ أسلوب من الكلام إلى آخر [٦] تَظَرُّفاً ، كاستِعمالِه في الغَزَل ماعُهِد وُرودهُ في الدُّعاء والمُناجاة .

كقول صَدرِ الدين بن الوكيل [٧] :

يارَبِّ جَفْنِي قد جَفاهُ هُجوعُهُ ... والوَجْدُ يَعْصِي مُهْجتِي ويُطيعُهُ [٨]

يارَبِّ قلْبِي قد تصَدَّعَ بالهَوَى ... فإلى مَتَى هذا البِعادُ يَرُوعُهُ [٩]

يارَبِّ بَدْرُ الحَيِّ غابَ عن الحِمَى ... فمتى أراهُ وفي القِبابِ طُلوعُهُ

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢٤٦ . (٢) في ج : «يارب» ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « إن لم تكن تبلى » . وفي خلاصة الأثر : « إن لم يكن من لى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا ، ب : « وإلا فسوى الحب » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) في ا ، ج : « لأسلوب » ، والمثبت في : ب . (٦) في خلاصة الأثر : « نقل الكلام من أسلوب إلى آخر » . (٧) أبو عبد الله محمد بن عمر بن مكى ، صدر الدين ، ابن الوكيل .

شاعر ، من فقهاء الشافعية ، تنقل بين مصر وحلب ، وتوفى سنة ست عشرة وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٤/٢٣٤ ، فوات الوفيات ٢/٥٠٠ .

والبيتان الأولان والرابع في ريحانة الألبا ١/٤٧ .

والأبيات جميعا في خلاصة الأثر ١/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٨) في ج ، وخلاصة الأثر : « وتطيعه » ، والمثبت في : ا ، ب ، وريحانة الألبا . (٩) في ا : « قد تصدع في الهوى » ، وفي خلاصة الأثر وريحانة الألبا : « قد تصدع بالنوى » ، والمثبت في : ب ، ج .

يارَبِّ فى الأظْعانِ سارَ فُؤادُهُ ياليْتَه لو كانَ سارَ جميعُهُ

يارَبِّ لا أدَعُ البُكا فى حُبِّهمْ مِن بَعْدِهمْ جُهْدُ المُقِلِّ دُموعُهُ

يارَبِّ عَذِّبْ فى الهوَى مَن ساءَنى بِمَقالِهِ أحْلَى الهوَى مَمْنُوعُهُ

يارَبِّ هذا بَيْنُه وبِعادُهُ فمَتَى يكونُ إيابُهُ ورُجوعُهُ[1]

* * *

ومثله استِعْمالُ الغَزَل على طِرازِ الأوامِرِ السُّلطانيّة ، كقول الشاب[2] الظريف[3] :

أعَزَّ اللهُ أنصارَ العيونِ وخَلَّدَ مُلْكَ هاتيكَ الجفونِ

وأسْبَغَ ظِلَّ ذاكَ الشَّعْرِ يوْماً على قَدٍّ بِهِ هَيَفُ الغصونِ[4]

* * *

وللسيد أحمد ، كما رأيته بخطّه[5] :

إذا أنْتَ لم تَقْرُبْ يناجيكَ خاطِرى وإن تَدْنُ مِنّى فالجوارِحُ أعْيُنُ

لأنّكَ مَطْلوبى على كلِّ حالةٍ وإنْ أنْتَ مُختارى فرُؤياكَ أحْسَنُ[6]

* * *

ولى حِكمةٌ تُؤْثَرُ عن الإمام محمد بن الحَنَفِيَّة ، وهى :

---

(١) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٢) زيادة من : ب على ما فى : ا ، ج . (٣) محمد بن سليمان بن على ، التلمسانى ، الشاب الظريف ، ابن العفيف .
شاعر رقيق الشعر ، ولى عمالة الخزانة بدمشق .
توفى سنة ثمان وثمانين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٤٢٢ ، الوافى بالوفيات ٣/١٢٩ .
والبيتان فى ديوانه ٦٤ ، وريحانة الألبا ١/٤٨ ، فوات الوفيات ٢/٤٢٤ ، وخلاصة الأثر ١/٢٤٧ .
(٤) فى الديوان : «وأسبغ ظل ذاك الشعر فيه» ، وفى خلاصة الأثر : «وأسبغ ظل ذاك الشعر منه» .
وفى ريحانة الألبا : «وأسبغ ظل ذاك الشعر دوما» .
وترتيب البيت الرابع فى الديوان ، وفوات الوفيات .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٤٨ . (٦) فى خلاصة الأثر : «وإنت مختارى فرؤياك أحسن» .

« ليس بحكيمٍ [١] مَن لم يُعاشِر بالمعروفِ مَن لم يجدْ [٢] من معاشرته بُدًّا [٢] ، حتى يجعلَ اللهُ له فرَجاً ، [٣] ومن الضيق [٣] مَخرَجاً » .

فنظَمها فى قوله [٤] :

إذا أنتَ لم تقدِرْ على تركِ عِشْرَةِ ... لِذى شَوْكةٍ فانْصَحْ وعامِلْهُ بالرِّفْقِ
ولا تَضْجَرَنْ مِن ضِيقٍ مافَدْ لقِيتَهُ ... عسَى فرَجٌ يأْتِيكَ مِن خالِقِ الخَلْقِ

* * *

وكتب إلى صديقٍ له يعتذِر عن وَعْدٍ لم يُوَفِّه [٥] :

أيامَن فَضْلُه والجودُ سارَا ... مَسِيرَ النَّيِّرَيْنِ بلا مُعارِضْ [٦]
وعَدْتُكَ سيِّدِى والوعْدُ دَيْنٌ ... ولٰكنْ ماسلِمْتُ من العوارِضْ



---

(١) فى ح : « الحكيم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ١/٢٤٨ . (٢) فى خلاصة الأثر : « بدا من معاشرته » . (٣) ساقط من : خلاصة الأثر . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٤٨ .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٢٤٨ . (٦) فى ا : « أمر النيرين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

١٩

السيد محمد بن على، المعروف بالقُدْسِىّ *

فَرْعٌ من شجرة طَيِّبةِ المَنابِت (١)، ثبَت أصْلُها وزاحمتْ أغْصانُها الثَّوابِت.

تسامَت بِنِسْبةِ النُّبُوَّةِ معالِيها، واخْضرَّتْ بماء الرِّسالةِ أعالِيها.

فلمَّا كُسِيتْ من (٢) سُنْدُس الجَنَّات، قَطفتْ عنها مِرْآة الزَّمانِ بِحُسْنِ الحسَنات.

وهذا السيد وإن فارَقتْ رِحلتَه مِن السِّنين مِئة، فذِكْرُه مخلَّدٌ فى ألْسِنةِ الجِيل بعد الجِيل (٣) والفِئة بعد الفِئة (٣).

تتحاسَد على رِقّة طَبْعه الطِّباع، كما تتحاسدُ على رِباعِه المُقدَّسة الرِّباع.

فرَوْض فضله مُمْرِع خَصِيب، وله من الأدبِ الغَضّ أوْفَى حَظٍّ ونَصِيب.

إلَّا أنه فى آخرِه (٤) غلبتْ عليه سوداؤُه، فبلغ من نفسِه ما كان يتوقَّع أن يبلُغه (٥) أعداؤُه.

* * *

(*) السيد محمد بن محمد، شمس الدين [illegible]، الشافعى، الدمشقى، المعروف والده بابن القدسى.

واسمه العاشى [illegible]، وفى دمشق [illegible] القدسى.

هكذا جاء فى خلاصة الأثر.

كان من أهل الفضل والأدب، نشأ على الجد والاجتهاد، حتى ساد وبرع وسما بين أهله وجيله.

تنقل بين مصر، والروم، واشتغل بالتدريس والقضاء.

ولاه شيخ الإسلام يحيى بن زكريا قضاء الشافعية بدمشق، فختل تدبيره، وختم على سائر أمره.

وصار يأتى من الأعمال، ما لا يليق وبمكانته، فقيده ولده فى داره، ثم عرض له فالج قبل موته بنحو سنة.

وتوفى سنة ثمان بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

خلاصة الأثر ٤/١٥٤.

(١) فى ا: « النبات »، والمثبت فى: ب، ج. (٢) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج.

(٣) فى ا: « والفائه بعد الفائه »، وفى ب: « والغاية بعـد الغاية »، والمثبت فى: ج.

(٤) فى ب: « آخريه »، والمثبت فى: ا، ج. (٥) فى ا: « يبلغه »، والمثبت فى: ب، ج.

فمن شعْرِه ، قولُه فى هِجاء الشَّمْس بن المِنْقار [١] ، لَمَّا تعصَّب على الدَّاوُدِىّ [٢] ، ومنَعَه التَّحْدِيث [٣] :

منَعْتَ ابْنَ دَاوُدَ الحــديثَ بِجامعٍ وما مِثْــلُه فى الشَّامِ واللهِ مِن قَارِ

وتزْعُمُ حَصْرَ العلمِ فيكَ بِجِلِّقٍ فتنْقُرُ أهــلَ العلْمِ فيهــا بِمِنْقَارِ [٤]

سيَأْتِيكَ مِن رَبِّى بَلاءٌ وَفى غَــدٍ ستَلْقَى بوَجْهٍ يا ابْنَ مِنْقَارَ مِن قَارِ [٥]

* * *

وحكَى البورِينِىّ [٦] أنه صَحِبه إلى مَنِين [٧] ، فى يوم أدِيمُه مُطرَّزٌ ، ونَدِيمُه فى مجْلس أُنْسِه مُعزَّز .

فحَلوا فى رَوْضٍ نَسَّام ، يضْحَكُ عن زَهْرٍ بَسَّام .

---

(١) يعنى شمس الدين محمد بن القاسم ، ابن المنقار ، الحلبى ، الدمشقى ، الحنفى .
ولد سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، وكان من أعيان العلماء ، مناظرا قوى الساعد فى العلوم ، ولكنه كان ضيق الخلق ، توفى سنة خمس بعد الألف .
إعلام النبلاء ٦/١٥٢ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ا ، خلاصة الأثر ٤/١١٥ ، ريحانة الألبا ١/١٢٨ .

(٢) يعنى شمس الدين محمد بن محمد بن داود الداودى ، المقدسى ، الدمشقى ، الشافعى ، المحدث ، الفقيه .
تنقل بين القدس ، ومصر ، ودمشق ، فأخذ عن علماء البلدان الثلاثة .
وكانت له مشاركة جيدة فى الفقه ، ومشاركة تامة فى المعانى والبيان وسائر علوم العربية ، واستحضار جيد للشواهد والأمثال .
وأما الحديث فكان فيه متقنا ماهرا .
كان مولده سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة .
وتوفى سنة ست بعد الألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .
خلاصة الأثر ٤/١٤٥ .

(٣) القصة والأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١١٦ .
قال المحبى فى ترجمة ابن المنقار : « وجرى له فى أيام سنان باشا بن قباد بن رمضان لما كان نائب بدمشق ، فى سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، أنه تعصب على الشمس محمد بن محمد بن داود المقدسى ، بسبب قراءة الحديث بالجامع الأموى ، بين العشاءين ، على أسلوب الأستاذ الكبير محمد بن أبى الحسن البكرى بالديار المصرية ، ومنعه من ذلك ، وشنع على أهل العلم بفعله ، فقال السيد محمد بن محمد بن على بن حبيب القدسى ، نزيل دمشق . . . هذه الأبيات يخاطب ابن المنقار بها : » .

(٤) فى ب : « منها بعقار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ا ، ب ، ج : « يا ابن منقار منقار » ، وتلك الكلمتين من خلاصة الأثر . (٦) نقل المحبى هذا أيضا فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ عن البورينى . (٧) منين : قرية فى جبل سنير ، من أعمال الشام ، وقيل من أعمال دمشق . معجم البلدان ٤/٦٧٤ ، وانظر نزهة الأنام ٣٤٥ .

أصائِلُه مُتوافقة مع[1] أسْحَرِه ، وشمسُه لا تُرَى إلَّا من فُرَجِ أشجارِه .

بيْن ماء يتدفَّقُ ، وهواء عن المِسْكِ يتفتَّق .

وبيْنهم حديثٌ أحْلَى من الشُّهْد فى الفَم ، وألَذُّ من قُبَلِ الغيدِ عنْد الشَّم .

فلما دَنَا وقْتُ الظَّهيرة ، ولفَح حَرُّ الهجِيرة .

انْفَرَد السَّيِّد فى مكان ، ليأْخُذَ من القَيْلولَةِ حَظًّا بقَدْر الإمْكان .

فخاطَبه البُورِينِىّ[2] :

خليلَىَّ لا تُضِعْ فُرْصةَ المُنَى	وبادِرْ إلى هــذا الغَديرِ المُسَلْسَلِ
وإنْ لَم تجِدْ زَهْــرَ الرِّياضِ فإنَّنَا	نُرِيكَ زُهوراً من كلامٍ مُرَتَّلِ

فنشِط من ذلك المَقِيل ، نَشاطَ مالك إلى أخيه عَقِيل[3] .

ثم كتب فى وَصْف المجلس بيْتَيْن[4] :

على غَــدِيرٍ جلسْنا فى مُعارَضةٍ	ودَوْحُه قامَ مِن شَوقٍ على ساقِ[5]
فخِلْتُ أغْصانَ ذاكَ الدَّوحِ باكيةً	تُرِيدُ تكْتُبُ ما نُمْلِى بأوْراقِ

فخاطَبه البُورِينِىّ[6] :

جلسْنا برَوْضٍ فيــه زَهْرانِ أُسْقِيَا	بماءِ افْتِكارٍ والمِيــاهِ الدَّوافِقِ
فمِن زَهَرٍ يُبْدِيه روضُ كلامِنا	ومِن زَهَرٍ يُبْدِيه رَوْضُ الحدائقِ[7]

* * *

---

(١) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ .

(٣) يعنى مالكا وأخاه عقيلا ابنى فارج بن مالك ، من بنى القين من قضاعة ، نديمى جذيمة الأبرش ، وفدا عليه ، ونادماه أربعين سنة ، بعد أن كان لا ينادم إلا الفرقدين ، ولقد أمتعاه بحديثهما ، ولم يعيدا عليه خلال هذه المدة حديثا قط .
ثمار القلوب ١٤٣ ، وانظر الأعلام ٦/١٤١ .

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ .

(٥) فى ب : « ودوحه قام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر : « جلسنا فى مذاكرة » .

(٦) البيتان أيضا فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ .

(٧) فى ا : « رفض كلامنا » ، وفى ج : « رقص كلامنا » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

ولما رجعوا من مَنين ، مَرُّوا على التَّلّ (١) ، فأقاموا بها يومَهم يَرْوُون الأبصار من رَوْضِه المُبْتَلّ ، ثم فارقوها ، فكتب السَّيِّد إلى البورينيّ مُداعِبه (٢) :

أيا رَوضةَ الآدابِ والفَضْلِ والحِجا ... ومَن فاقَ فى جَمْعِ الكمالِ على الكُلّ

تُرَى هل يعودُ الدَّهْرُ يَوْماً بجَمْعِنَا ... فنَرْقَى كما شاءَ الفُؤادُ على التَّلّ (٣)

فراجعَه بقوله (٤) :

أيا سَيِّدَ السّاداتِ يامَن بَنانُهُ ... تُضِيفُ الورَى بالجُودِ فى زَمَنِ المَحْلِ (٥)

إذا ساعَد الحظُّ السَّعِيدُ فإنَّما ... نُطِلُّ على الوادِى ونَرْقَى على التَّلّ

* * *

وكان بدمشق (٦) خطيبٌ (٧) يعرَف بابن يُونس (٨) ، أعْرَج أعْوَج ، كما قال الفاضل : قامتَ العصاَ بيَدِه مكانَ رِجْلِه ، وقَدَّتْ أعْوادُ الأغْصانِ من أجْلِه .

فعرَج إلى الأرض لا إلى السَّما ، وغُرِس العود بكَفِّه ولكن ما أوْرَقَ ولا نَما .

وكان مُتَّهماً فى الاعتقاد ، لا يزالُ يرْمِيه سَهمُ الانتِقاد .

---

(١) تقدم ذكر وادى التل ، فى صفحة ٧٦ . (٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ . (٣) رواية خلاصة الأثر :

تُرَى هل يعود الدهرُ يوماً يؤمُّنا ... ونَرْقى كما رامَ الفؤادُ على التَّلّ

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ . (٥) فى خلاصة الأثر : « فى الزمن المحل » . (٦) نقل المحبى هذا الخبر أيضا ، فى خلاصة الأثر ٤/١٥٥ – ١٥٨ . ببعض تصرف . (٧) فى خلاصة الأثر بعد هذ زيادة : « الجامع الأموى » . (٨) هو شرف الدين محمود بن يونس بن يوسف ، الخطيب ، الطبيب ، الحنفى

تلقى الفقه عن الشيخ عبد الوهاب ، خطيب الجامع الأموى ، والطب عن أبيه ، والقراءات والتجويد عن الشهاب الطيبى .

وحج سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، فأخذ بمكة عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمى ، وعبد الرحمن ابن فهد ، وغيرهما .

ولى خطابة الجامع الأموى ، ودرس بالحاتونية ، وبالجقمقية ، وتجرأ على الفتوى ، فوقعت له الفتنة التى يسوق المؤلف خبرها فى هذا الموضع .

توفى سنة ثمان بعد الألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٣٢٤ .

وكان من جَهْله يتعرَّض للفُتْيا (١) ، ويعدُّ نفسَه أثقبَ القومِ رأْيا .

فكتب يوماً على حُكْمٍ لقاض (٢) : إنه باطل ، ومن حَلْى الحقيقة عاطِل .

فأحضره (٣) القاضي في مجلس غاصّ (٤) ، جمع بين عالمٍ وخاصّ .

ثم أفسد ماقاله ، وما أهمله من التَّعْزير ولا أقاله (٥) .

فكتب بعضُ القوم فيه رِسالة أوْسَع فيها المَقال ، وقرَّظ عليها علماء ذلك العصر ، ومنهم السَّيِّد فقال :

« وقفتُ على هذه الرِّسالة ، التي سارَت بسيرَتِها الرُّكْبان ، وتناقَلها أكابرُ الفُضلاء في هذا الزَّمان .

فوجدْتها عربيةَ المِثال ، مُعربة عن فائدتها (٦) بأن لسان الحال أفصح (٧) من لسانِ المَقال .

قد تضمَّنتْ ما انطوى (٨) عليه هذا الغُمْرُ من القبائح ، وما تذكر منه في هذا العُمْر القَصير من الفضائح .

فإنه قد مَشى على غير الاستقامة (٩) سمتاً ومعنى ، وقد أنشد قول القائل في ذلك المعنى :

مَن يستقِمْ يُحْرَمْ مُناهُ ومَن يزِغْ ... يُختصّ بالإسعاف والتمكينِ

انظُرْ إلى الألِفِ استقامَ ففاتَهُ ... عَجْمٌ وفازَ به اعوجاجُ النونِ

---

(١) في ب : « على الفتيا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) في خلاصة الأثر أن هذا القاضي هو ولي القضاء باسم مصطفى بن بستان . (٣) في ج : « فاستحضره » ، والمثبت في : ا ، ب . (٤) في ب : « خاص » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ب ، ج : « ولا داه » ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : « بلسان » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) في ا : « أفسح » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) بعد هذا في خلاصة الأثر زيادة : « فإنه تعدى طور الجهل والعناد ، وانتضى حسام الزور والشرة بين العباد ، وأخذ أموال الناس وتوصل بها إلى حكامه ، وحصل ضرره وفساده في الأرض لعامة الناس وخاصة » . (٩) في خلاصة الأثر : « استقامة » .

تصدَّر للفُتْيا مع أنّه أجْهَلُ من تُوما الحكيم ، [1] وأنْصفه حمارُ ابن حُجَيج [1]

فركِبَه في اللّيْلِ البَهيم .

قد فتح فاهُ بجهْلِه ، وصدَّر فُتْياه بقوْله :

الحمدُ للهِ سُبْحانَه ، والشُّكر له تعالى شَانَه .

ولم يُميِّزْ في السَّجْعتيْن بين الفاعِل والمفعول ، فكأنّه اشْتغل ببابِ البدَل مع حبّه [2]

حُصِّل له [3] هذا المدْهون .

لأنّه رأى في كُتب النُّحاة [4] المهذّبة ، أنّ الفاعلَ [5] على ما أُسْنِد إليه فِعْله [5] ،

فظنّه مِنْه المرْتبة .

ولو سُئِل لأبْرَز من ضميره هـذا الخاطِر ، وحلَف بأبي حمزة [6] أنّ هـذا

هو الظاهر [7] .

لا يستوى مُعْرِبٌ فيـه وذو خَلَلٍ ... هل تَسْتوى النّعْلَةُ العرْجاء والفرَسُ

وطالمـا عرج على درَج المِنبر ، وجعل أمْرَده أمامَه ، ولولا التَّقيّة لجعله إمامَه .

وما تلفّتَ على [8] المِنْبر يمينًا وشمالا ، إلا ليقْتنِص ظَبْيًا أو يصيدَ غزالا .

وإذا ترنّمَ وأظهر الخشوع ، واهتزّ لغير طرَبٍ وأجرى الدُّموع .

فلأجْل مَليح رآه [9] عند المحْراب ، ولم يسْتطِع أن يشافِهه بالخطاب .

أو ليخْدعَ بعضَ الحضّار ، من الأتقياء الأخيار .

فأنْشدْتُه ارتجالا ، وأنْفاسى تتصعّد [10] ، ومُهْجتى بنارِ الكمَدِ تتوقّد :

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وأنصف حماره ابن حجيج » . (٢) فى ا : « عنه » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « بروحه » . (٤) فى خلاصة الأثر : « النحو » . (٥) فى خلاصة الأثر : « ما أسند إليه فعل » . (٦) فى خلاصة الأثر : « بأبى حمزة » . (٧) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة تربو على ستة أسطر ، فلم نر إثباتها . (٨) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « أعواد » . (٩) فى خلاصة الأثر : « يراه » . (١٠) فى ب : « تتصعد » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وخلاصة الأثر .

أفاضِلَ جِلَّقٍ أينَ العلومُ … وأينَ الدِّينُ ماتَ فلا يَقُومُ

يُجاهِرُكُمْ خَطِيبُكُمْ بِفِسْقٍ … ويُفْتِي فيكمُ تُوما حَكِيمُ

وما أراه ارتقى هذه المكانة ، إلا بالرشوة والتزوير[1] والخيانة .

وما كفاه أخذه التدريس بالتدليس ، وخوضه فى الفتن التى فاق فيها على إبليس .

حتى دخل على العلماء من غير باب ، وردّ أقوالهم بغير صواب .

تراهُ مُعِدًّا للخلافِ كأنَّهُ … بِرَدٍّ على أهلِ الصَّوابِ مُوَكَّلُ[2]

فيا أيها المُجترِى ، والغمرُ المُفترِى .

أراك قد سوَّل لك زعمُك الفاسد ، وصوَّر لك فِكرُك الكاسد .

أن الله قبض العلماء ولم يبقَ منهم أحد ، واتخذ الناسُ رؤساءَ جُهّالاً فى كلِّ بلد .

فتضِلَّ الناسَ كما ضللتَ وتَعتبِر ، وتُنفِّق بضاعتَك الكاسدةَ بقولك أفتيتُ .

قولوا لأعرجَ جاهلٍ متكبِّرٍ … قد جدَّ يطلُبُ رِفعةً وتقدُّما[3]

دَعْ ماترُومُ فإنَّ حظَّك سِنْدَمًا … تحتَ الحضيضِ ولو عرجتَ إلى السَّما

كلا ، إن أمرك هذا يدل على جهلك المركّب ، وعدم فهمك الذى هو من ذلك أعجب .

إنك ترى دمشق مشحونة بالأفاضل ، الذين ليس لهم فى الدهر من[4] مماثل .

وهم[5] مشغولون بالعلوم وتحريرها ، وتنقيح المسائل وتقريرها .

وأنت تغالط بنفسك ، وتدخلها مع غير أبناء جنسك .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وفى خلاصة الأثر بتصرف كثير . (٢) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر : « رتبة وتكرما » . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

وتترفّعُ على مَن لا يرتضيك لتقبيل[١] رِجْلِهِ ، ولا يراكَ أهْلًا لخدْمة نَعْلِه .

دع الفخرَ فلستَ مِن فرسانِ هذا الميْدان ، ولا أنت ممَّن أحرزَ[٢] قصبَ السَّبْقِ يومَ الرِّهان .

ومالَكَ[٣] شيخٌ فى العلوم والتَّدْريس ، سِوى أبى مُرَّة اللَّعين[٤] إبْليس .

فما زلْتَ تسلكُ فى مَسالِكه ، وتقعُ فى مَهاوِى مَهالِكه .

حتى أنْشد لسانُ حالِك ، فى قبيح سِيرتِك وخُبْثِ أفعالِك[٥] :

وكنتُ فَتًى فى جُنْدِ إبليسَ فارْتقَى ... بِىَ الحالُ حتى صارَ إبْليسُ من جُنْدِى[٦]

فلو عِشْتُ يوماً كنتُ أُحْسِنُ بَعْدَهُ ... طَرائِقَ فِسْقٍ ليس يُحْسِنها بَعْدِى[٧]

ولَمَّا تبيَّن أمرُك طرَدك حضْرة المَوْلَى وأقْصاك ، وحجَب سَمْعَه عن تُرَّهاتِك وما آذَاك .

فتضاعفَ له الدُّعاء مِن سائر الوَرَى ، وترادَف له الشُّكْرُ مِن أهْلِ المدائن والقُرَى[٨]

فالله يمدُّ أطْنابَ دولتِه السَّعيدة ، ويُديمُ صَولَتَه الشَّديدة .

بمُحمَّدٍ وآله ، ومَن سلكَ على مِنْوالِه » .

---

(١) فى ا : «لتقبل» ، وفى خلاصة الأثر : «تقبل» ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) فى ا : «يحرز» ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر بعد ذلك زيادة : « فى ذلك ومالك » .
(٤) ساقط من خلاصة الأثر . (٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/ ١٥٧ ، ١٥٨ ، وريحانة الألبا ١/ ٣٣٤ .
(٦) فى خلاصة الأثر ، وريحانة الألبا « من جند إبليس » . (٧) رواية ريحانة الألبا لصدر البيت :

* ولو مات من قبلى لأحْيَيْتُ بعدَهُ *

(٨) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة ، تراجع هناك .

٢٠

حفيده السيد محمد بن على*

هو الحفيدُ السَّيِّد ، صاحبُ القريضِ الجَيِّد .

له الطَّلاقَةُ الهادِرَة ، والبَداهَةُ الغَرِيبةُ النَّادِرَة .

أدركْتُه وقد شاخ ، لكنَّ جَمْرَ عَزْمِه ما بَاخ(١) .

ورَماه وَهْنُ العَظْم ، بِكَلالِ الخاطِرِ عن النَّظْم .

إلَّا أنَّ له فى مصادَمةِ الشَّدائدِ قوَّةً نَفسِيَّة ، هى أحْرَى بأن تُعَدَّها قوَّةً قُدْسِيَّة .

فهو فى حِلِّه وتَرْحالِه ، وخِصْبِه من الآمالِ وإمْحالِه .

لايَقَرُّ له قَرار ، ولا يَنجَلِى له مِضْمار .

كأنّ له عزمًا لايرَى بُدًّا من إمْضائه ، مودَعًا فى ذِمَّةِ الأيَّام لايَنْثَنِى عن اقْتِضائه .

ورُبَّما نال فى بعضِ الوَثَبات ، ما يُجِدُّ العزائمَ والرَّغَبات .

حتى جاء من العُمْر على أوْفاه ، واقْتَصَّ من مَداه الطَّويلِ واسْتَوْفاه .

* * *

(*) السيد محمد بن على بن محمد ، القدسى ، الدمشقى ، الشافعى ، ابن خصيب .

ولد سنة اثنى عشرة بعد الألف ، وقرأ بدمشق على الشمس الميدانى ، ثم رحل إلى القاهرة ، فقرأ بها القرآن للسبع على شيخ القراء ، الشيخ عبد الرحمن اليمنى ، وأخذ التفسير عن الشهاب أحمد بن عبد الوارث البكرى ، ولازم الشهاب الغنيمى ، والبرهان الميمونى ، وغيرهم ، وأجازه هؤلاء جميعا بالإفتاء والتدريس .

ثم قدم إلى دمشق ، فدرس بها ، ثم رحل إلى الروم ، ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، ثم درس بالمدرسة اليونسية .

وكان مع كرم حسبه ، وتكامل شرفه ، يرجع لمدعلم طائل ، وأدب باهر .

توفى سنة اثنتين وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٦٠ .

(١) باخ الجمر : خمد .

وقد أثبتُّ من شعره ما كسا أعطافه بروداً مخضرّة، وصيّره في الإشراق للشمس ضرّة.

فمن ذلك قوله في قصيدة، مطلعها:

يا نسمةً نمّت بحبّي ... وتمسّكت منه بطيبِ (١)

وغدا يحرّك لطفها ... أعطافَ باناتِ الكثيبِ

تمشي وتسحب ذيلها ... قبلَ العيونِ على القلوبِ

إنْ جزتِ وادي جلّقٍ ... وحللتِ بالرّوضِ الرّحيبِ

ونظرتِ أنهارَ الحمى ... ومررتِ بالظّبي الرّبيبِ

ورأيتِ من غزلانه ... ما منهُ أشجانُ الكئيبِ

وصدفتِ متلفَ مهجتي ... يزوَرُّ باللّحظِ الغضوبِ

يرمي سهامَ لحاظه ... فترى النّدوبَ على النّدوبِ

يرنو فلا تخطي لحاظـ ... [illegible]

أوْ جزتِ أرضَ النّيربيـ ... ـنِ مع الصّباحِ أو المغيبِ (٢)

ودخلتِ جامعَها الشّريـ ... ـفَ مقامَ أربابِ القلوبِ

ورأيتِ بالشّرفين ما ... يدعو المحبَّ إلى الحبيبِ (٣)

وسمعتِ مطربَها بنادٍ ... بناً بحيّ على الطّروبِ

[illegible] ... العودَ بالكفِّ الخضيبِ

أو صغتِ بالمرجِ النّضيـ ... ـرِ رفقي القليلَ وعرضي بي (٤)

واقري التّحيّةَ أهلَهُ ... عنّي وبالتّذكارِ نوبي

(١) في ب، ج: «يا نسمة نمت بحبي»، والمثبت في: ا.

(٢) تقدم التعريف بالنيربين، في صفحة ٧٣. (٣) تقدم التعريف بالشرفين، في صفحة ١٦٥، وانظر نزهة الأنام ٧٠. (٤) في ب: «... وعرضي بي»، والمثبت في: ا، ج.

واسْتَنْطِقي بالدُّفِّ ثُمَّ الجُنْكِ أنواعَ الضُّروبِ[1]
ثم اثْنِي الخَلْخالَ في سُوقِ الغُصونِ مع الكُعُوبِ
فسَقَى دِمَشْقَ وما حوَتْ مِن أنْهُرٍ مِثْلُ الضَّرِيبِ[2]
فلِبانِياسَ ورَقْمِهِ نَقْشٌ على كَفٍّ رَطِيبِ[3]
وبِبَرْدِهِ بَرَدَى يُزِيـ ـلُ بِجَيْنِهِ صَدَأَ القُلوبِ[4]
قَنَواتُهـا بِرَحِيقِها الـ ـمَخْتُومِ وَصْفِي العَجِيبِ
ونُحُورِ ثَوْراها فيَزْ وِي الخَرْتَ مِن تلك الشُّعوبِ
كم وجْنَةٍ مِن عَقْرَبا فيها بَدَا أحْوَى دَبِيبِ[5]
ويزيدُ دَمْعِي إن ذَكَرْ تُ يَزِيدَ سَحًّا بالغُروبِ[6]
ما جِئْتِ داعِيَةَ الهَوَى إلّا ودارَ لِي رقِيبِي
وإذا ذَكَرْتِ مَقاسِمَ اللـ ـذَّاتِ لا تَنْسَيْ نَصيبي[7]
يا نفْسُ مالي إنْ ذَكَرْ تُ سِوَى دِمَشْقَ لا تُجِيبِي
أصْفَتْكِ خالِصَ وُدِّها ووقَتْكِ مِن مَسِّ اللُّغُوبِ

* * *

ومن مقاطيعه قوله[8] :

---

(١) الجنك : من آلات الطرب . (٢) الضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح ، والثلج ، يريد تشبيهه به في صفائه ونقائه . (٣) انظر في ذكر نهر بانياس: نزهة الأنام ٩٣ ، ومنادمة الأطلال ٣٩٥ـ٣٩٧، وفي ب : « على كف خضيب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) انظر في ذكر نهر بردى أيضا . نزهة الأنام ٩٣ ، ومنادمة الأطلال ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، وفي معجم البلدان ١/٥٥٦ : « بردى . . . أعظم نهر دمشق . . مخرجه من قرية يقال لها: قنوا ، من كورة الزبداني » . (٥) عقربا : اسم مدينة الجولان ، وهي كورة من كور دمشق ، كان ينزلها ملوك غسان .
معجم البلدان ٣/٦٩٥ .

(٦) انظر في نهر يزيد معجم البلدان ٤/١٠١٨ ، ١/٥٥٦ ، ٥٥٧ ، نزهة الأنام ٩٣ ، منادمة الأطلال ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .

(٧) في ج : « وإذا وصلت مقاسم » ، والمثبت في : ا ، ب . (٨) ابيات في خلاصة الأثر ٤/٦٢ .

جذبْتُ بمغناطيسِ لحظىَ خالَهُ ... فصارَ لجفنى ناظرًا وعلاجَا
ومُذْ خِفْتُ من عيْنِ المراقبِ أنبتتْ ... دُموعُ رقيبى للجفونِ سياجَا[1]

* * *

وله من قصيدة ، أولها[2] :

أما آنَ أنْ تقضَى تقلبى وعودُهُ ... ويورِقَ من غصْنِ الأحبةِ عُودُهُ
فقد شفّهُ داءٌ من الصّدِّ متلِفٌ ... وليس له غيْرُ الضّنَى مَن يعودُهُ[3]
وما حالُ مُشتاقٍ تناءتْ ديارُهُ ... وأحبابهُ مُضْنَى الفؤادِ عَميدُهُ
يُراقِبُ مِن دوْرِ النّسيمِ إرادَةً ... فإنْ جاءهُ يُذْكِى الجوَى ويزيدُهُ[4]
حكى النّجمَ بين السُّحْبِ يبدُو ويختفِى ... إذا سالَ أجفانًا ونارٌ وقودُهُ
ولَوْ كانَ يسْعَى للزّمانِ ممكّنًا ... أسارَ ولكنْ أثقلتْهُ قيودُهُ[5]

* * *

ومن أخرى :

سلُوا الجؤذرَ الفتّانَ بالمقلةِ المرضَى ... أبا للحْظِ أمْ بالقدِّ أحرمَنى الغمْضَا
فإنْ كانَ غيْرى حبُّه شابَه سِوًى ... فإنّى امرؤٌ حُبّى لَهُ لم يزلْ محْضَا
أرَى حبَّ غيْرى سُنّةً ومحبّتى ... يقينًا على هِجْرانِه لم يزلْ فرْضَا
لقد طالَ بى ليلُ الصّبابةِ والمُنَى ... فهل لِىَ من وَصْلٍ به مُهْجَتِى ترْضَى
وبى ساخِطٌ أمّا هَواهُ فمالِكٌ ... من المُهْجَةِ المقْروحَةِ الْكُلَّ والبعْضَا

* * *

(١) فى خلاصة الأثر : « ومذ خاف من عين الراقب » . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٦٢ .
(٣) فى خلاصة الأثر : « غير السقام يعوده » . (٤) فى خلاصة الأثر :

* يراقبُ من زَوْرِ النسيمِ زيارةً *

وفى ا : « يذكى الهوى ويزيده » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) فى خلاصة الأثر :

* ولو كان يسعى للزيارةِ ممكنا *

وله من أخرى ، مستهلها[1] :

سواك فتى لم يخنّي … وغير مديحك لم يحل لي
وغيرك عند انعقاد الأمور … إذا اشتدّت الحال لم يحفل
قصدتك سعيًا على ضامر … حكى نحولا ولم ينحل
يكاد يسابق برق السما … ولولا وخوده لم يمهل[2]
وجرّدت من خاطري صاحبا … لشكوى الزمان وما نابني
أعاطيه كأس الهوى مترعا … [illegible] فلذة لم يذبل[3]
وصحب تحقق خالصهم … سواهم [illegible]
وخضت بدمعي مذ فرقوا … وبالخد منزل داعي بلى[4]
فقالت لجاري شئوني قفا … لذكرى حبيب مع المنزل[5]
وفتّانة سمتها وصلها … فضنت بناظرها مقلتي[6]
بقد [illegible] … وخد به الورد لم يذبل
مهاة من الحور في ثغرها … رحيق من الريق السلسل[7]
تختّم الجمال به شامة … تبيح اللآلئ كالمسبل[8]
تحرّش طرفي ألحاظها … وكان عن العشق في معزل[9]

(١) القصيدة في خلاصة الأثر : ١ : ٦٢ ، (٢) في ب : « برق السما » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) في ب : « فلم يذبل لي » ، وفي ج : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر . (٤) في ب : « [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في خلاصة الأثر : « لذكرى حبيب مع المنزل » . (٦) في ب : « [illegible] » ، وفي خلاصة الأثر :

وفتّانة [illegible] وصلها … فضنت بناظرها مقلتي

والمثبت في : ا ، ج
(٧) في خلاصة الأثر :

« … رحيق حكيناه مع السلسل »

(٨) اللآلئ : [illegible] . (٩) في خلاصة الأثر : « [illegible] » .

وَبِتُّ بِمُهْجَتِهِ لِلْحِمَى أَسِيرَ ظُبا طَرْفِها الأَكْحَلِ
وقَدَتْ شَرَكَ دُجَى شَعْرِها فصادَتْ لطَائِرِ دَمْعِي وَلِي (1)

* * *

وله من أخرى ، أولها :

مَنْ سامِعٌ لِشَــكايةِ المَظْلُومِ مِن يَوْمِ أَصْمَتْهُ ظِباءُ الرُّومِ
هــــذا بلفتتِهِ وذا بعيونِهِ يرْنُو وذاكَ بخَصْرِهِ المَهْضُومِ (2)
مِن حين صارَمَنِي بصارِمِ لحْظِهِ ورعَى فؤادِي مثْلَ ظَبْيِ صَرِيمِ
أنْسِيتُ أهْوائِي وعِفْتُ لَذائِذِي وبه غَرامِي كانَ صاحِ غَرِيمِي

منها :

لولا حَلاواتُ الوُعودِ وصِدْقُها ما سَرَّ مُوسَى مَوْعِدُ التَّكْلِيمِ
والشُّهْبُ لا تأْتِي الكَمالَ لِبَدْرِها إلّا تعبُّدَ النَّقْصِ لِمُتَمِّمِ (3)
والسُّمْرُ لا تحْظَى إذا ما ثُقِّفَتْ بِيَدَيْ حمِيدٍ بالصِّعادِ عليمِ
والمرْءُ لا عِزٌّ عليهِ إذا شحَتْ [illegible] الجُدودُ وخُطَّةُ التَّعْظِيمِ (4)

---

(1) في ا، ب، ج : « فصادت لطائر دمعي ولي ». (2) في ب، ج : « بخصره المهضوم »، والمثبت في : ا. (3) في ب : « والشهب لا تأتي »، والمثبت في : ا، ج. (4) في ج : « إذا تجهمت الجدود ... »، والمثبت في : ا، ب.

٢١

محمد الجوخى *

نبيه نبيل ، ما إلى استيفاء صفاته سبيل .

له الحيا المنهل ، والمحيا المتهلل .

والبشرة النيرة ، والأفعال الخيرة .

وهو مع انتعاشه ، وسلامة أسباب[1] معاشه .

بعيد الهم فى توفير الهمة ، مستعمل للأهم فى الأمور المهمة .

مده بلا جزر ، وفضله غير نزر .

لم يؤت جمعه من قلة ، إلا أن شعره دون[2] قلة .

فمنه قوله ، وكتب به فى صدر رسالة لبعض أحبابه[3] :

وما شوق ظمآن الفؤاد رمت به   صروف الليالى فى ململمة قفر[4]

(*) شمس الدين محمد بن محمد بن الجوخى ، الشافعى

كان جيد المشاركة ، محسنها فى كثير من العلوم .

ترك له أبوه ثروة كبيرة ، اشتغل بتنميتها ، ومع هذا لم يترك الاشتغال بالعلم ؛ فأخذ الفقه عن أبى الفداء إسماعيل النابلسى ، والشهاب العيثاوى ، وأخذ العربية عن النابلسى أيضا ، وعن العماد الحنفى ، والشمس الميدانى ، وأخذ التفسير عن القاضى محب الدين ، جد المؤلف .

ثم سافر إلى مصر ، فأخذ عن شيوخها ، وتملك كتبا كثيرة .

توفى سنة اثنتين وعشرين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/١٦٥ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « دونه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٦٦ .   (٤) فى ب : « فى ملمعة قفر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . والململمة : الأرض يلمع فيها السراب

شَكَى مِن لَظَى نارَيْن ضُمَّتْ عليهما ... أضالِعُه نارَ الهَجِير مع الهَجْرِ (١)

يُرَوِّى غَلِيلَ الأرْضِ من فَيْضِ دَمْعِه ... وليس له جُهْدٌ إلى غَالِ الصَّدْرِ (٢)

إلى عارِضٍ من مُزْنَةٍ عطَفَتْ بِهِ ... نَسِيمُ صَبَا الأحْبابِ من حَيْثُ لا يدْرِى

بأبْرَحَ مِن شَوقٍ لرُؤْيتِك التى ... أعُدُّ لعَمْرِى أنها لَذَّةُ العُمْرِ (٣)



(١) فى ب : « من الهجر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى ب : « إلى غلل الصدر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وغال الصدر : داخله وما توارى منه . (٣) فى خلاصة الأثر : « بأبرح من شوق لرؤياكم التى » .

٢٣

ولده أبو اللُّطف *

ماجد تكوَّن عنصره من معدِن اللُّطف، وغازلت عيونُ أشعاره جفونَ الوَطْف

رَبا مقتفِيَ الأرَب، مُعانِقَ الحظوة والطَّرب.

تزهو به أربُعٌ وأدواح، وتنشرح على مُرادِه أنفسٌ وأرواح.

إلاّ أنه اختُضِر وهو صغيرُ السِّنِّ فتيُّه، واهتُصِر وهو رطبُ الغصنِ طريُّه.

* * *

وله شعرٌ من ماء الشباب مُرتوِي، إلا أنه [illegible] الثمر [illegible] نضيج،

ومنها مُستوِي.

فمنه قوله[1]:

يعيشكم أهلَ الصبابة والصِّبا ... [illegible] رأيتم مثل قلبي معذَّبا

فلم أرَ لي في محنة الحبِّ منجداً ... ولم أستطعْ من فيضِ دمعي تحجُّبا

وقد صرتُ من حرِّ الفراقِ نحيفاً لو ... يشاهدُ حالي كلُّ واشٍ تعجَّبا[2]

ومنيتُ من أهواه في الليل زائري ... فمثلي مُعنًّى صار في حبِّه هبا[3]

وأنتَ الذي قد قدَّرَ البُعدَ بيننا ... سيجمعنا يوماً يكونُ له نبا

(*) ترجم له المحبي أثناء ترجمته لأبيه، فقال:

«وكان ثم له ولد اسمه أبو اللطف، وكان نبيل وفاضل، وله أدب وشعر.

وكان بينه وبين الأمير المنجكي مراجعة».

وقد [illegible] له المحبي ترجمة لأنه لم يقف على تاريخ وفاته [illegible]: «وأحسب أنه [illegible]

[illegible]».

خلاصة الأثر ١ : ١٦٦.

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١ : ١٦٦.

(٢) في خلاصة الأثر [illegible].

(٣) في ب، وخلاصة الأثر [illegible]

وقوله :

قلبٌ تقلَّبَ في قَليبِ محبّةٍ ... حتى القَرارِ ولم يَقَرَّ وجيبُهُ

مُتَرَدِّدٌ بين المَنِيَّةِ والمُنَى ... متوَدِّدٌ خِلّاً حَلا تعذيبُهُ(1)

لم يَبْرَ من حُبٍّ بَرَى أعضاءَهُ ... إذ عَمَّ غَمٌّ هو الضَّنا وصَبيبُهُ

حاكَى مَعِينُ العَينِ عَيْناً إذ جرَى ... وعَقِيبَ ذا وادِي العَقِيقِ نَحِيبُهُ

بل رامَ أن لو رِيمُ رامةَ زارَهُ ... ضَيفاً يَزُورُ الطَّيفُ يُطفي لهيبَهُ

وأصابَ لمّا أن صَبا الأوصابِ صَبَّـ ... ـتْ فَوْقَه ورمى أصابَ مُصيبُهُ

أنفاسُهُ نِبراسُهُ في ليلِهِ ... أو هل هَجْرٌ ماعَلاهُ مَشيبُهُ(2)

قد شابَ فَوْدَاهُ وشَبَّ فؤادُهُ ... مُذْ طالَ حينَ شبابِهِ تشبيبُهُ

مِن مِثْلِ بَدْرٍ يَصطَلي في نارِهِ ... لم يَسْلُ أصلاً لو سَلاهُ حبيبُهُ

* * *

وكتب إليه(3) محمد الحادي(4) الصيداوي(5)، يطلب منه شدًّا(6) :

يا أبا اللُّطفِ إنَّ لُطفَكُمُ ... ليس يُحصَى بكثرةِ العَدِّ(7)

شُدَّ ومُنَّ بشدٍّ تَرى كَرَماً ... ولا تُماطِلْ فكثرةُ الشَّدِّ

فيسَّر له ما طلب، وكتب معه(8) :

مَقصِدُ ذا العبدِ من تفضُّلِكُمْ ... من غيرِ مَنٍّ قَبولُ ذا الشَّدِّ(9)

قد سُدْتَ فضلاً وشِدْتَ كلَّ عُلاً ... وقد شَدَدْتَ القلوبَ بالوُدِّ(10)

---

(1) في ب: «حلى تعذيبه»، وفي ج: «حلى تعذيبه». والمثبت في: ا. (2) الهجر: نصف النهار، وشدة الحر.

(3) في ا: «إلى». والمثبت في: ب، ج. (4) في ا، ج: «الهادى»، وهو خطأ صوابه في: ب. (5) يعنى شمس الدين محمد بن محيي الدين عبد القادر، الحادى، الصيداوى، الشافعى، سيترجمه المؤلف في هذا القسم، وسيأتي برقم ٩٢. (6) البيتان للصيداوى في خلاصة الأثر ٤/١٣.

(7) في خلاصة الأثر: «إن فضلكم». (8) البيتان في خلاصة الأثر ٤/١٣، ١٤. (9) في خلاصة الأثر: «من دون من قبول ذا الشد». (10) في ب: «قد سدت فضلا وسدت كل علا»، وفي ج: «قد شدت فضلا وشدت كل علا»، والمثبت في: ا، وخلاصة الأثر. وفي ا: «وقد شددت القلوب بالشد»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر.

٢٣

تاج الدين بن أحمد المَحَاسِنِيّ*

هو لمَفْرِق الرِّياسة تاج، ولِراية السَّماحة عَقيلةُ نِتَاج.

رحَل مِراراً إلى القاهرة مُهاجِراً، واعْتمدَها في طلب العلْم تَاجِراً.

ليجتهد في جَمْعِه وكَسْبِه اجْتِهاد مُغْتَرِب، ويَملأ من بضائِعِه ونفائِسِه وِعاءَ غَيْرَ سَرِب[1].

فما رجع حتى خوَّله اللهُ كمالَ محاسنه ومحاسِنَ كماله، وأمدَّ جمالَ زَهْوِه ورَوْنقَ جماله.

فأقام وله الذِّكْرُ المُسْتَطاب، والثَّناء الذي ملأ الوِطاب[2].

وهو في الأدب وأنواعِه، جامعٌ لإبداعِه وإيداعِه.

وله كلماتٌ تنْتشِي الزخارف فيها، وتتعلم منها النَّقْدَ الصَّيارِف.

وقد أوردتُ من شِعْرِه، ما يُغالِي في سِعْرِه.

* * *

فمنه ما كتبَه في صدر رسالة من مصر إلى ابنه محمد[3]:

(*) تاج الدين بن أحمد، المعروف بابن محاسن، الدمشقي.

ولد سنة سبعين وتسعمائة.

وكان من أعيان التجار ميسورا، وكان مع ثروته لا ينفك عن المذاكرة.

حصل كتبا، ورحل إلى مصر والحجاز للتجارة.

وذكر المحبي أنه وجد في بعض المجاميع أن نسبة بني محاسن في الأصل [illegible].

واستشهد صاحب الخلاصة على ذلك بأبيات قالها أبو المعالي درويش محمد الطالوي، في زواج صاحب الترجمة.

توفي المحاسني سنة ستين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

خلاصة الأثر ١/٤٥٦.

(١) وعاء سرب: لا يمسك الماء. (٢) الوطاب: جمع الوطب، وهو سقاء اللبن.

(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٥٦، ٤٥٧.

أبداً إليكَ تشوُّقى يتزايدُ ... ولديكَ من صِدْقِ المحبّةِ شاهدُ
وأليّة إنّ البعــادَ لمتلِفى ... إنْ دامَ مايُبدى النَّوَى وأُكابِدُ[1]
كم ذَا أُعلِّلُ حرّ قلبى بالمُنَى ... فيُعيدُه مِن طُولِ نأيكَ عائِدُ
جارَ الزّمانُ علىّ فى أحكامِهِ ... ولَطالَما شكَتِ الزّمانَ أساوِدُ

* * *

فيه نقد ، إذ الأساوِد جمع أسْود ، وهو العظيمُ من الحيّات ، وليست من عِظَم القدر بمثابة أن يُلْتفَت إلى شكايتها من الزّمان ، وكأنه ظَنّ أن الأساوِد جمعُ أسَد ، وليس كذلك .

* * *

والدهرُ حاولَ أن يُصدِّعَ شَمْلَنا ... فامتدَّ منــهُ للتفرّقِ ساعِدُ
ياليتَ شِعْرِى هل يرقّ وطالَما ... ألفيْتُه لأُلِى الكمالِ يُعـانِدُ
أشْكوكَ للمولَى الذى ألطافُه ... تُزْرِى الخطوبَ إذا أتتْ وتُساعِدُ[2]

* * *

وله[3] :

ياأحبّــاىَ والمحِبُّ ذَكُورٌ ... هلْ لأيّامِ وَصْلِنــا من رُجُوعِ
ويرَى العيْنُ منكمُ جَمْعَ شَمْلٍ ... مِثْلَما كانَ حَــالةَ التوْديعِ

* * *

وأهدى[4] إلى بعض[4] العلماء سجّادة ، وكتب معها[5] :

مَوْلاىَ قد أهْــديْتُ سَجّادَةً ... هَــدِيةً مِن بَعْضِ إنْعامِكُمْ[6]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وأليته إن البعاد » . (٢) فى خلاصة الأثر : « تزوى الخطوب » .
(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٥٦ . (٤) فى ب : « لبعض » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٥٧ . (٦) فى خلاصة الأثر : « قد أرسلت سجادة » .

فَتَقَبَّلُوهُ إِذْ مَرَدِى [illegible] نُوب فى تَقْبِيلِ أَقْدامِكُمْ

* * *

مثله للشهاب ، وقد أَهْدَى مِنْدِيلا :

[illegible]شْتُ إليك بأَقْصَى الأَمَانِى ... بِمِنْدِيلٍ فإِنْ يُقْبَلْ لَدَيْكَا[1]

فَلَيْسَ بِضَاعَةً تُهْدَى ولٰكِنْ ... [illegible] بِه يُقَبِّلُ لى يَدَيْكَا

* * *

ولابن [illegible][2] ، وقد أَهْدَى سجّادة :

إِنَّ سَجّادَتِى الحَقِيقَةَ قَدْرًا ... [illegible] تُقْتَهِبُ فى [illegible]ك المُعَظَّمْ[3]

[illegible]رْفُ إِذْ [illegible] إِليكَ وأَمْسَتْ ... وعليها [illegible] الصَّلاةُ والتَّسْلِيمْ

* * *

وقال [illegible] ، يتشوّق إلى دمشق[4] :

[illegible] فارقتُ جِلَّقًا [illegible] ... [illegible] مقلتى [illegible][5]

وسكانها الأحبّة [illegible] ... [illegible] لا [illegible]

فسقى الله [illegible] كلّ غيث ... وحمى الله أهلها وحماها

* * *

و[illegible] أبناء [illegible] المُشْطِ فى التساوى ، إذا عدّت محاسن غيرهم فهى بالنسبة إليهم مساوى .

[illegible] كَبْتِن لاحقًا فى سماته ، وبعضهم الله [illegible] الكمال ، معوّذين[6] بأسمائه :

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « [illegible] » . و[illegible] (٢) [illegible] [illegible] لابن [illegible] المصرى فى ديوانه ، ولا [illegible] أورده [illegible] و[illegible] من [illegible] . (٣) فى ا : « [illegible] » . و[illegible] فى ب ، ج . (٤) الأبيات وخلاصة الأثر ١/٢٥٦ . (٥) فى [illegible] : « [illegible] » ، وفى خلاصة الأثر : « [illegible] » ، والمثبت فى ا ، ج . (٦) فى ا : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٢٤

ولده عبد الرحيم*

هو من أولاده الكبير، الفائح نشره بالعنبر والعبير.

نشأ في حجره، وشدا[١] بين سحر القول وفجره.

فهو شاب تدفق شؤبوب براعته، وتفتق عن زهر الربيع روض يراعته.

فأمطر وما استبرق، وأثمر وما استورق.

فبدت مدائح شمائله، ونمت أزهار المحاسن خمائله.

بحظ من الكمال وافر، ووجه من الجمال سافر.

إلى همة أثارت مطامعه، وضمت على الشغف بالأدب أضالعه.

لكنه لم تمهله[٢] التقادير، حتى قصف قصفة[٣] الغصن النضير.

* * *

وقد رأيت له شعرا سطر في صحف الإحسان وثبت، وبلغني أنه أطلعه ونبت، ووجهه قد هم أن ينبت أو نبت.

(*) عبد الرحيم بن تاج الدين بن أحمد بن محاسن، الدمشقي، الحنفي.

ولد بدمشق، سنة عشر بعد الألف، ونشأ بها.

ورحل به أبوه إلى القاهرة، فأخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الطوري، والشيخ محمد [illegible] الحنفي.

وكان يحفظ كتبا عدة، منها «تاريخ ابن خلكان». وكان كاتبا [illegible]، ويرمي بالسهام رميا جيدا، ويعوم، وله معرفة باللغة الفارسية.

وبالجملة، فقد كان فاضلا، أديبا، ذكيا، قوي الحافظة.

توفي بالقاهرة، مطعونا، سنة سبع وعشرين وألف.

تراجم الأعيان ٢/٣٧٥، خلاصة الأثر ٢/٤٠٧.

(١) في ا: «وشدا»، والمثبت في: ب، ج. (٢) في ب، [illegible]: «[illegible]»، والمثبت في: ا، ج. (٣) في ب: «قصف»، والمثبت في: ا، ج.

فثبت[1] منه ما نستحسنه استحسان خطّ العِذار ، ونستطيبه استطابة منجاةٍ مجتنين بعتب واعتذار .

فمنه قوله في الغزل[2] :

مَلّتِ العذّالُ عن عَذْلِي وما مَلّ جَفْناكِ من الفتكِ بقلبي[3]

لو رآكِ الناسُ بالعينِ التي أنا رائيكِ بها ما ازداد كَرْبِي

واستراحَ القلبُ من عَذْلِهمُ إنّ طولَ العذلِ داءُ المُحِبِّ

بل ولو كان بهم مثلُ الذي بفؤادي لم يَمُتْ شخصٌ بنَحْبِ

* * *

ويُستحسَن له قوله[4] :

تطاولتِ الخمرُ اختباراً لِعقلنا فقالتْ لنا إني كجفنيهِ أسكِرُ[5]

فبادرها الإنكارُ منّا لقولها على أننا والله بالحق نشكرُ[6]

ورقّت لنعفو واستحت فلأجل ذا ترى وجهها يبدو لنا وهو أحمرُ

* * *

على ذكر استحياء الخمر ، تذكرت[7] لطيفة ، وهي[8] : أن بعض الظرفاء كان يشرب الخمر[9] سِرًّا ، وكان والده يمنعه ، وما زال أبوه يترصّده إلى أن لقيه يوماً ، ومعه زجاجة خمر ، فقال : ماهذا ؟

قال : لبن .

---

(1) في ب : « فثبت » ، والمثبت في : ا ، ج .

(2) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/٨٠٤ .

(3) في ب : « عن عذلي لما » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(4) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/٨٠٤ .

(5) في خلاصة الأثر : « إني كجفنيه أكسر » .

(6) في ب : « والله للحق » ، وفي ج : « بالحق نشكر » ، وفي خلاصة الأثر : « على أننا بالحق والله نشكر » ، والمثبت في : ا .

(7) في ب : « تذكر » ، والمثبت في : ا ، ج .

(8) هذه القصة في خلاصة الأثر ٢/٨٠٤ أيضا .

(9) في خلاصة الأثر : « يستعمل الشراب » .

قال : اللّبنُ أبيض ، وهذا أحمر !

قال : صدقتَ ، لما رآك خَجِل واحمرّ[1] ، وقبّح اللهُ من لا يَستحى .

فخجل ، وانصرف ، وخلّاه .

* * *

وقوله[2] :

أسيرُ وقلبِى عندكُمْ لستُ عالماً بما فيه هاتيكَ اللواحظُ تَصْنعُ
ومازِلتُ مُشتاقًا لِطَيْفِ خَيالِكُمْ وإنّى من الدُّنيا بذلكَ أَقْنعُ

* * *

وقوله[3] :

قال العَذولُ دَعِ الذى فى خَمْسِـــهِ عَيْنَاكَ قد سَمَحتْ بدمعٍ هامِـعِ
فأجَبْتُه إن كنتَ لستَ بناظرٍ هذا الغزالَ فلستُ منك بِسامِـعِ

* * *

وقوله[4] :

لى فؤادٌ على المَــــودّةِ بَاقِ لم يَزِغْ عن تَذَكُّرِ الميثاقِ
غيرَ أن البِعادَ جارَ عليـــه فبَراهُ ولم يَدَعْ منه بَاقِى[5]
وجُفونٌ جفَتْ لَذيذَ كَراهَا واستفاضَتْ بمَدْمَعٍ غَيْداقِ[6]
كلما طـال عهدُها طـال منْها مَدْمَعٌ يَرْتقى وليس براقِ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) هذان البيتان ساقطان من ب ، وهما فى ا ، ج . والبيتان فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ .

(٣) البيتـان فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٩ . (٤) الأبيـات فى خلاصة الأثر ٢/٤٠٨ .

(٥) عدل عن نصب « باقى » لضرورة القافيـة . (٦) مدمع غيـداق : كثير الدموع منصبها .

إنْ ذُرَّ أو دمعُهُ لَدَى ... دُرٌّ مُذْ نُثِرَ من الآماقِ[1]

وهذا معنى مشهور.

* * *

وله:

يامن رأى متحيرا بجبينه ... صدغيه متحيرا في شاقِ[2]

هلّا وقد أنفذتني ومنيتي ... أرسلتَ طيفَكَ في الكرى يلتقي

أمطرتُ من عبرةٍ هي عبرةٌ ... فضحتْ هوى متسترا خلاقي

* * *

هذه الأبيات فيها التوشيح.

قال ابن الأثير في «المثل السائر»[3]: «وهو أن يبني الشاعر أبياته على بحرين مختلفين، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيما، من بحر آخر[4]، على عروض[5]، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح.

وكذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور، فإن كل[6] فقرة منهما تصاغ من سجعتين، وهذا لا يكاد يستعمل إلا قليلا، وليس من الحسن في شيء، واستعماله في الشعر[7] أحسن[8] منه في الكلام المنثور» انتهى.

وتسميته بالتوشيح مخالف[9] لما عليه أصحاب البديعيات: فإنهم يسمونه التشريع، إلا ابن أبي الإصبع: فإنه سماه الالتزام[10]، وأراد بذلك مطابقة التورية المسمى. والاصطلاح لا مشاحة فيه.

---

(١) في ا: «ورد مذ نثر»، والمثبت في: ب، ح، وخلاصة الأثر. (٢) في ح: «يا من رأى متحيرا»، والمثبت في: ا، ب. (٣) صفحة ٦٥ : ٦٦. (٤) من [illegible] المثل السائر. (٥) بعد هذا في المثل السائر: «وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر، على عروض». (٦) في ب: «كان»، والمثبت في: ا، ح، والمثل السائر. (٧) في ب: [illegible]، والمثبت في: ا، ح، والمثل السائر. (٨) في ا: «من [illegible]»، وفي ب: «من [illegible]»، والمثبت في: ح، والمثل السائر. (٩) في ب، ح: «مخالفة»، والمثبت في: ا. (١٠) [illegible] ٥٤٧.

٢٥

ولده محمد الخطيب*

لَوْذَعِيٌّ فضائلُه لا تتناهَى ، ومحاسنه تتحمَّل الأوقاتَ وتتَبَاهَى .

إذا قام على مِنْبر المسجد الجامع ، تمنّت الجوارحُ أن تكون كلُّها مَسامِع .

وهو لكلِّ عينٍ تراه حبيب ، ولسانُ الدَّهر بمحاسِنه خطيب .

تُنْشَرُ في كلِّ وَادٍ مدائحُه ، كما تُشْكَرُ في كلِّ نادٍ مَنائحُه .

وتَهْتَزُّ أعوادُ المنبرِ باسْمِه ... فهل ذكرتْ أيّامَها وهْيَ أغْصَانُ(١)

فضائلُ الدُّنيا في ذَرَاه محصُورة ، وأسْبابُ العَلْيا على جنابه مقْصُورة .

وله آثارُ أقْلام كأنّها في محاريب رَقِّه(٢) المنْشور(٣) ، قَنَادِيلُ ليلٍ قُيِّدتْ بسَلاسِلِ السُّطور .

أدْرَكْنَهُ وشُمُوسُ محاسِنه تتلألأ ، وصُوَرُ فضائله في مَرَايا المحامد تُجْتَلَى .

ثم أدْرَكَهُ الأجَل ، فوُضِع على الأعْوادِ ، ووُدِّع من القلبِ بالسُّوَيْداء ، ومنه النَّاظِرُ بالسَّواد .

(*) محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسنى ، الدمشقى ، الحنفى ، الخطيب بجامع دمشق .

كان فاضلا ، كاملا ، أديبا ، لبيبا ، لطيف الشكل ، حسن الصوت .

قرأ على جماعة من علماء عصره ، منهم : الشرف الدمشقى ، وعبد اللطيف الجالقى ، والعمادى المفتى ، وغيرهم .

وسافر إلى الروم فى صحبة والده ، ثم رجع إلى دمشق ، واشتغل بالخطابة فى الجامع الأموى ، وجامع السلطان سليم بصالحية دمشق ، وجامع دمشق ، وبالتدريس فى المدرسة الجوهرية .

وأقرأ « صحيح مسلم » ، وله عليه تعليقات .

توفى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٣/٤٠٨ .

(١) البيت فى ريحانة الألبا ١/٤٠٠ ، ٤٤٠ . (٢) فى ا : « رقة » ، وفى ب : « رقه » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ا : « المنثور » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فاسْتَوْحَشَ الجامعُ لِبُعْدِه ، وتبدَّلت مَعالمُه مِن بَعْدِه .

حتى اشْتعلتْ مَصابيحُه بنارِ مُصابِه ، وتقوَّس لِفُرْقة ذاك الصَّدْرِ ظَهْرُ مِحْرابِه .

* * *

وقد ذكرتُ من شِعْره ما يَنْفَحُ عن زَهْر مَعانيه ، [١] ويُنْبِئُ فى حُسْن الأُسْلوب عن غرَض [٢] معانيه [١] .

فمن ذلك قوله من [٣] نَبَوِيَّة ، مطلعُها :

تَذَكَّرَ مِن أسْماء رَبْعًا ومَعْهدَا	فَعَنَّ له وَجْـدٌ أقامَ وأقْعَدَا
وأطْلَقَ مِن عَيْنَيْه سُحْبَ مَدامِعٍ	حكتْ فَوْق خَدَّيْه الجُمانَ المُنَضَّدَا
بَعيدٌ عن الأحْبابِ دانٍ بِقَلْبِه	يَهِيمُ إذا ماساجَعُ الدَّوْحِ غَرَّدَا
مَتَى وعدتْ آمالَه الوَصْلَ مَرَّةً	ألَمَّ بها داعِى المِطَالِ فَفَنَّدا [٤]
أمَا وهَوًى بين الجوانِحِ كامِنٍ	به الصَّبُّ مَجْدُودٌ وإنْ كان ذَا جَدَا
لئن زارَنِى طَيْفُ الأحِبَّةِ مَرَّةً	وأوْطأْتُه خَدًّا ووسَّدْتُه يَدَا [٥]
غفَرْتُ ذُنوبَ الدَّهرِ من بَعْدِ ماسَطَا	وسالَمْتُ صِلَّ الدَّهْرِ من بَعْدِ ماعدَا
وعدْتُ إلى رُشْدِى بمدْحِى مُحمَّداً	نَبِىَّ الهُدَى والعَوْدُ مازالَ أحْمَدا [٦]

* * *

وقوله [٧] :

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) فى ب بعد هذا زيادة : «زهر» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : «فى» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ب : «لأن زارنى» ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : «وأوسدته يدا» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٧) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٠٩ .

وتنفُّسى الصُّعَداء ليْسَ شِكايةً ... مِمَّا قضتْهُ سوابِقُ الأفْكارِ[1]

لٰكنْ بقَلْبِي جُمْـــلَةٌ تفصيلُهَا ... صَعْبٌ لَدَى العقلاء والأحْرارِ

فجعلْتُ مَوْضِع كلِّ ذلكَ أنّةً ... ضَمنتْ مُرادِي مِن عطاءِ البَارِى

* * *

ومن ماجه مُوشَّحه الذى عارض به مُوشّح بنت العرَنْدَس[2] الشّيعيّ[3]، ومطلعه[4]:

أهْواهُ مهَفْهفًا من الوِلْدانِ ... ساجِي الحدَقِ

قد فَرَّ من الجِنانِ من رِضْوانِ ... تحت الغَسَقِ

* * *

من رِيقته سكرتُ لا من رَاحِي[5]

كم جدّدَ لى رَحيقُهـــا أفراحى

كم أسكرنى بخمرِها ياصـــاحِ

* * *

[6]كم أرّقنى بطَرْفِه الوسْنانِ ... حتى الفلَقِ

لو عامَلَه بعدلِه ذا الجانى ... أطفأ حُرَقِى[6]

* * *

من باهرِ حُسْنِه يَغـــارُ القمرْ

فى روضِ جمالِه يَحـــارُ النظرْ

قـــد عزّ ندًى إن بدا المُصْطَبَرْ

---

(١) فى ا : « سوائق الأفكار » ،وفى خلاصة الأثر : «سوائق الأقدار» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى القاموس (ع ر ن د س) : « العرندس ، كسفرجل : من الإبل الشديد . . . والسيل الكثير ، والأسد » . (٣) فى ب : « الشعبي » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

وموشح محمد الخطيب فى خلاصة الأثر ٣/٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٥) فى ا : « من ريقتــه سكرت لأنه راحى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) تكملة من خلاصة الأثر .

ما اهتزَّ يميل ميلةَ الأغصانِ للمعتنقِ
إلّا وأتاح المُحِبَّ العاني كلَّ القلقِ (1)

* * *

يوشّح مجلسه إذا ما خطرا
كالبدر يلوحُ في الدياجي سَحَرا
إن أقبل ولم تقضِ المنى وطرا

* * *

فالويلُ إذا لمُغرَمٍ ولهانِ في الحبِّ شَقِي
قد حمّل في العشقِ من الهِجْرانِ ما لم يُطِقِ

* * *

القدُّ رشيقٌ مثلَ خُوطِ البانِ (2)
والألحاظُ كسيفِ الهندِ في الأجفانِ
والخالُ شقيقُ المسكِ في الألوانِ

* * *

والخدُّ مُورّدٌ أسيلٌ وفي شِبْهُ الشفقِ (3)
والعارِضُ قد سُلْسِلَ كالرَّيحانِ للوردِ يَقِي

* * *

ياعاذلُ لو أبصرتَ مَن أهواهْ
ناديتَ تبارك الذي سوّاهْ
قد أحْسن خَلقَهُ وقد تمّمَهْ

* * *

(1) في ب: «إلا وأبيح»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر.
(2) الخوط: الغصن الناعم. (3) في ا: «مثل الشفق»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر.

إذ كمّله وخصّ بالنقصانِ بدرَ الأفقِ
قد أفرغه في قالَبِ الإحسانِ زاكِي الخُلُقِ

* * *

الصبرُ على لُقياهُ مثلُ الصَّبْرِ (١)
والقلبُ غدا من هَجْرِه في جَمْرِ
ما ألطفَه في وَصْلِه والهَجْرِ

* * *

ما ألْقَ له في حُسنِه من ثانِي حُلوِ المَلَقِ (٢)
[illegible] وصالٌ بَعد بُعْدِه أحياني [illegible] الأرقِ

* * *

ومطلع الموشّح الذي عارضه (٣) ، وهو هذا (٤) :

ما رنّحتِ الصَّبا غصونَ البانِ بين الورَقِ
إلّا وسبَا الهوى فؤادِي العانِي [illegible] الحرَقِ (٥)

* * *

مذهبُ [illegible] انحولَ القلبُ صَبّا لاقَى وَصَبا
ببدرٍ سما سما على بدرٍ تمّـا لمن سَبا
صبّي [illegible] تسألُ منّي ذَهَبـا عقلي ذَهَبـا

* * *

(١) الصبر بكسر الباء، وقد سكن في الشعر ضرورة، وهو عصارة شجر مر.

(٢) في خلاصة الأثر: «في وصله من ثاني». (٣) في ب، هـ: زيادة: «به»، والمثبت في: ا، ج. (٤) مطلع موشح [illegible] في خلاصة الأثر ٣ / ١٠ ، ٤١١ . (٥) في خلاصة الأثر: «[illegible] في العاني».

والقلبُ منّي مُوقَدُ النِّيرانِ   نامِي القَلَقِ[1]

والناظِرُ قد أسال من أجفانِي   مــاءَ الغَدَقِ

* * *

ولِمَحاسِنِي من قصيدة :

أيا مَرْبَعاً عَهْدِي به وهْو آهِــلُ   سَقاكَ مِن الغَيْثِ المُلِثِّ هَواطِلُ[2]

لكَ اللهُ من رَبْعٍ تَفَيَّأْتُ ظِــلَّهُ   وواصَلَنِي فيــه الحِسانُ العَواطِلُ

ألَمَّتْ به نَشْوانَ مِن خَمْرةِ الصِّبا   تَفُوقُ الصَّبا في اللُّطْفِ منه الشَّمائلُ

إذا ما تَثَنَّى فهْو غُصْنٌ وإن بَدَا   له تَسْجُدُ الأقْمارُ وهْي كَوامِلُ

أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ يَرْنُو فتَنْثَنِي   وفي القَلْبِ مِن تلك اللِّحاظِ ذَوابِلُ

أقام بقَلْبِي منـــه حُبٌّ مُبَرِّحٌ   وما القَلْبُ إلّا للغَرامِ مَنــازِلُ

وخُضْتُ بِحارَ العِشْقِ حين لَقِيتُه   وما لِبِحارِ العِشْقِ ويْلاه ساحِلُ[3]

وما كنتُ أدرِي يابْنةَ القَوْمِ ما الهوَى   وهــل يَعرِفُ الإنسانُ ما لا يُنازِلُ

رَضِيتُ بأن أقْضِي قَتِيلَ يَدِ الهوَى   إذا كان يُرْضِي الحِبَّ ما أنا فاعِلُ

رعَى اللهُ أيّامــاً تَقَضَّتْ بحاجِرٍ   إذِ العيشُ غَضٌّ والحبيبُ مُواصِلُ[4]

زمـــانٌ به غُصْنُ الشَّبِيبةِ يانِعٌ   يَرِفُّ وطَرْفُ الدَّهْرِ وَسْنانُ غافِلُ

وحَيِّي على رَغْمِ الوُشاةِ لَيالِيــا   أطَعْتُ الهوَى لمّا عَصَيْتُ العواذِلُ[5]

لَيالِيَ لا رَيْحانةُ العِشْقِ صَوَّحَتْ   ولا رَنَّقَتْ عن وارِدِيه المَناهِلُ[6]

---

(١) في خلاصة الأثر : « موقد النيران » . (٢) لث المطر : دام أياما . (٣) في ب : « بحار الحب » ، والمثبت في : ا ، ح . وفي ب : « والله ساحل » ، والمثبت في : ا ، ح . (٤) حاجر : موضع قبل معدن النقرة . مراصد الاطلاع ٣٧٠ . (٥) في ح : « وحي على رغم الوشاة » ، والمثبت في : ا ، ب . (٦) في ب : « ولا رعت عن وادييه » ، والمثبت في : ا ، ح . ورنق الماء : تكدر صفوه .

أيا برقُ سَلْ عن زَفْرَتي ساكنَ الغضا ... ويا غيثُ سَلْ عن مَدْمَعي وهْوَ سائِلُ

ويا بانةَ الوادي تشفَّعتُ بالصَّبا ... لديكِ هل الرَّكْبُ اليمانيُّ قافِلُ(١)

ويا ظبيات القاع لولاكِ لم أبتْ ... وفي القلبِ من هجرِ الوُشاةِ بلابلُ

ويا نسمةَ الأحبابِ هل فيكِ نفحةٌ ... يُحَيِّي بها صبٌّ شجتْه بلابلُ

ترى يسمحُ الدَّهرُ الخؤونُ بأوبةٍ ... وأُمنيتي منــهُ غرورٌ وباطِلُ

فما كان منهُ صادقًا كان كاذبًا ... وما كان منــهُ مُخصبًا فهوَ ماحِلُ

لحى اللهُ دهرًا أثقلتْني صروفُهُ ... يُذيبُ الرَّواسي بعضُ ما أنا حامِلُ

فيا دهرُ قـد برَّحْتَني وتركْتَني ... ترامينَ بي منكَ الضُّحى والأصائلُ

وأشمتَّ بي الأعداءَ حتَّى تيقَّنوا ... بأنِّيَ لا عونٌ لديَّ يُحــاوِلُ

وهل أختشي دهرًا وبدرُ مآربي ... بدا وهْو مذ يمَّمْتُ أحمدَ كامِلُ(٢)

* * *

وله :

فَسَما بالعفافِ في الحبِّ عمّا ... يُغضِبُ اللهَ من كلا الطَّرفينِ

لم يُغيِّرْ ما بيننَا البُعــدُ إلّا ... أنَّ طيبَ الرُّقادِ فارقَ عيني

---

(١) في ب : « تسعفت بالصبا » ، والمثبت في : ا ، ح . (٢) في ح : « وبدو ماربي » ، والمثبت في : ا ، ب .

٢٦

أحمد بن محمد، المعروف بابن المِنْقار *

هو من عُرِف بِكرَم الشِّيمة، من منذ تنصَّل من المَشِيمة.

فجاء كما شاءت الظُّنون، مُتحقِّقاً بجميع الفنون.

وأعاد رَسْماً من بيْتِه دَثَر، ونظَم شَمْلاً كان قد انتَثَر.

وما استعار مَجْدًا، ولا أضاف إلى جَدِّه جَدًّا.

ثم دخل الروم، فحَظِيَ من الأمانيِّ بما يَرُوم.

مُتفيِّئاً من النَّشْوة (1) وارِفَها، ومُلْتحِفاً من الحَشْوة مَطارِفَها (2).

فأذْهَلَتْه لَذَّة الدَّدَه (3)، عمَّن كان يتردَّدُه.

وعَنَّتْ به السَّوْداء من عيون ظِبائها، والصَّفْراء من الجفون التي سُقِمَتْ بماء السِّحْر ظُبَاها.

فآل أمرُه إلى جُنون أضرَّ عقلَه، واقتضى إلى وَطنِه الأصليِّ نَقْلَه.

(*) أحمد بن محمد، المعروف بابن المنقار، حلبي الأصل، دمشقي المولد والوفاة.

كان ذكيا، بارعا، فطنا، فاضلا.

أخذ العربية والمعاني والبيان وغيرها عن الملا أسعد [illegible] بن [illegible] [illegible].

وألف قبل أن يبلغ العشرين رسالة مفيدة في مباحث الاستعارة.

ودرس [illegible].

سافر إلى قسطنطينية، واشتهر [illegible]، ثم استعمل بعض المكيفات، فغلبت عليه السوداء، واختلط عقله، وازداد جنونه، فأرسل مقيدا إلى دمشق، وبقي على هذه الحال إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثين وألف.

ترجمته في تراجم الأعيان 1/163، خلاصة الأثر 1/296.

(1) في ا: «[illegible]»، والمثبت في: ب، ج. (2) في ب: «مطارفها»، والمثبت في: ا، ج.

(3) [illegible]: [illegible].

بَحالِه وجِيده مُطَوَّق بِطَوْق ، وهو محمولٌ على أدْهمٍ لا يُجْهِدُه سَوْقٌ ولا شَوْق .

وبَقِى على تلك الحالة ، وقد غيَّر الدَّهرُ سَمْتَه وأحالَه .

إلى أن فارق دُنْياه، وخَلَص من قَيْد الحياة .

وقرأت بخط النُّورِينِيّ [1] ، أنه زارَه ، وحَيَّا بِمر الوَجْد مَزارَه .

وهو فى تلك [2] السِّلْسِلَة ، وأحاديثُ حالِه [3] عنه مُسَلْسَلَة .

وهو يَظُنُّ أن ماء رَوِيَّتِه جَمُد ، وشَرَرَ ذَكائِه بالكُلِّيَّة خَمَد .

فما لَمَحه ، لم يَدَعْ مَدْحه .

قال : فوَمَّ إلى حالَته ، وأوْدَعنى بَيْتَى الوَدَاعِى [4] ، ثم خَلَّانى أجيبُ سائل دمعى [5] وأنا الدَّاعِى .

والبيتان هما [6] :

إذا رأيْتَ عارِضاً مُسَلْسَلاً فى وجْنَـــه كجَنَّة ياعاذِلِى

---

(١) النفحة وتراجم الأعيان ١/١٦٤ ، وفى خلاصة الأثر ، نقلا عن النورينى ١/٢٩٧ . (٢) فى ب : « بتلك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « حمد » ، وفى ب : « حاله » ، والمثبت فى : ج .

(٤) على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى ، علاء الدين ، ابن عرفة .

شاعر ، له علم بالحديث ، وعلوم القرآن .

توفى سنة ست عشرة وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/٢٠٤ ، فوات الوفيات ٢/١٧٣ ، النجوم الزاهرة ٩/٢٣٥ .

(٥) فى ب : « دموعى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب بعد هذا زيادة : « قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبيتا الوداعى فى تراجم الأعيان ١/١٦٤ ، خلاصة الأثر ١/٢٩٧ ، الدرر الكامنة ٣/٢٠٦ .

قال المحبى ، فى خلاصة الأثر : « قلت : البيتان للوداعى ، وأصلهما الحديث : عجب ربك من أقوام يقادون إلى الجنة بالسلاسل .

قيل : هم الأسرى يقادون إلى الإسلام مكرهين ، فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة ، ليس أن ثمة سلسلة ، ويدخل فيه كل من حمل على عمل من أعمال الخير .

ولا يخفى لطف موقع البيت لما فيه من دعوى أنه من أسرى المحبة » .

فاعْلَمْ يَقِيناً أننا من أُمَّـــة ... تُقادُ للجَنَّـــةِ بالسَّلاسِلِ [١]

* * *

وهذه نُبْذَة من شعره أيَّام إفاقته ، وهو يَتَخِذُ شُهُبَ السماء من رُفقته [٢] .

فمن ذلك قوله من قصيدة [٣] :

أتَى يَنْثَنِي كالمَدْنِ بل قَدُّهُ أَسْمَى ... غَزَالٌ بِفِعْلِ الجَفْنِ يُنْبِيكَ عن أَسْمَا

فريدُ جمالٍ جامعُ اللُّطْفِ جُؤْذُرٌ ... أَمِينُ كَمالٍ أَهْيَفٌ أحْوَرٌ أَلْمَى [٤]

إذا مابدَا أو ماسَ تِيهاً وإن رَنَا ... تَرَى البدرَ منه والمُثقَّفَ والسَّهْمَا [٥]

له مُقْلـــةٌ سَيْفِيَّةٌ غِمْدُها الحَشا ... وسَالَةُ قَلْبِي لأسْهُمِهِ مَرْمَى

تَجَسَّمَ من لُطْفٍ وظَرْفٍ أما تَرَى ... تَأَمُّرِهِ لمـــا تَخَيَّلْتَه وَهْمَا [٦]

* * *

هذا من قول بعضهم :

نظرتْ إليــــه نظرةً فتحيَّرتْ ... بدائعُ فكرى فى بديعِ صفاتِهِ

فأوحى إليـــه الطَّرْفُ أنِّى أُحِبُّه ... فأثَّرَ ذاكَ الوَهْمُ فى وَجَناتِهِ

---

(١) فى ا ، ب : « أننا فى أمة » ، وفى الدرر الكامنة : « أنى من أمة » ، والمثبت فى : ح ، وتراجم الأعيان ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « رفقائه » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والرفقة : جماعة المرافقين . (٣) الأبيات فى تراجم الأعيان ١/١٧٤ ، خلاصة الأثر ١/٢٩٦ . (٤) فى تراجم الأعيان : « فريد كمال » ، وهو فى نسخة بو نى ... فى سخة منه . وفى ا : « جميع حسن » ، وفى نسخة من تراجم الأعيان : « جامع الظرف » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر ، ونسخة من تراجم الأعيان . وفى ب : « أمين جمال » ، وفى تراجم الأعيان : « أمير جمال » ، وفى خلاصة الأثر : « أمير كمال » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٥) بعد هذا فى تراجم الأعيان زيادة :

تَرَى وجهَه فى شعره السَّبْطِ مُشْرِقاً ... ومن عَجَبٍ شمسٌ بداجِيَةٍ ظَلْمَا

(٦) فى ح : « ألا ترى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وتراجم الأعيان ، وخلاصة الأثر . وفى تراجم الأعيان : « تأمله لما تخيلته وهما » .

وبعـــد هذا البيت بيت واحد فى خلاصة الأثر ، وتمام القصيـــدة ... فى تراجم الأعيان ١/١٧٤ — ١٧٧ .

وأبلغ منه قول النَّظَّام [١] :

تَوَهَّمَه طَرْفِي فآلَمَ خَدَّهُ ... فصارَ مكانَ الوَهْمِ مِن نَظَرِي أَثَرْ [٢]

ومَرَّ بِفِكْرِي خاطِراً فجَرَحْتُهُ ... ولَمْ أَرَ خَلْقاً قطُّ يَجْرَحُه الفِكْرُ [٣]

ولخالد الكاتب [٤] :

لَوْ لَحَظَتْهُ العيونُ مُدْمِنَةً ... لَذابَ مِن رِقَّةٍ فلم يَجِدِ

* * *

وللمِنْقَارِيّ [٥] من قصيدة ، مطلعها [٥] :

قَلْبِي بِنيرانِ المَحَبَّةِ مُصْطَلِمْ ... خوفَ الفِراقِ لمن به حالى غَنِمْ [٦]

منها [٧] :

يا وَيْحَهُ مِن جَوْرِ ظَبْيٍ أَهْيَفٍ ... سُلْطانِ حُسْنٍ منه صَبٌّ ما سَلِمْ

قد حَجَّبَتْهُ من الأسِنَّةِ مُقْلَةٌ ... غَزَلَتْ فحاكَتْ لِلْوَرَى ثَوْبَ السَّقَمْ

جِيدُ الغَزالةِ منه إلاّ أنّها ... لا تَحْكِيهِ نوراً إذا هو قد بَسَمْ

* * *

(١) يعنى أبا إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام ، إمام النظامية من المعتزلة ، متقدم فى علوم ، شديد الغوص على المعانى ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

أمالى المرتضى ١/١٨٧ ، تاريخ بغداد ٦/٩٧ ، سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ٢٢٦ ، وفيه طائفة من شعره .

والبيتان له ضمن أبيات فى أمالى المرتضى ١/١٨٨ .

(٢) فى ب : « تأمله طرفى » ، وهو يوافق ما فى بعض نسخ الأمالى ، والمثبت فى : ا ، ح ، والأمالى .

(٣) فى أمالى المرتضى : « ومر بقلبى » ، وفى ا ، ح : « ومر بفكرى خطرا » ، والمثبت فى : ب ، والأمالى ، وفى ا : « ولم أرخلقا » ، والمثبت فى : ب ، ح ، والأمالى .

(٤) يعنى أبا الهيثم خالد بن يزيد البغدادى ، عرف بتهاجيه مع أبى تمام ، وهو كاتب ، شاعر جيد الغزل ، عمر طويلا ، وتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين .

تاريخ بغداد ٨/٣٠٨ ، سمط اللآلى ١/٣١١ ، فوات الوفيات ١/٢٩٦ ، مختار الأغانى ٣/٤٣٢ ، معجم الأدباء ١١/٤٧ .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ح .

(٦) عجز هذا البيت ساقط من : ا ، ح ، وهو فى : ب ، وفى هامش ح : « هكذا فى الأصل وجدناه » .

(٧) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

فيه استِخْدام ، وقد يقع كثيرا فى لفظ « الغزالة » بهذين المَعْنَيَيْن .

وانْتُقِدَ مما قاله الصَّفَدِى فى « شرح لاميَّة العجم » : إنه لم يُسْمَع إلا بمعنى الشَّمس فى أول النَّهار إلى الارْتفاع ، وأما فى مُؤنَّث الغزال[1] فلا يقال غزالة ، بل ظبية .

وقد غلَّطوا الحريرىَّ فى قوله : « فما ذَرَّ قَرْنُ الغزالة[1] طَمَرطُمورَ الغزالة »[2] .

وقالوا : لم تَقل العربُ الغزالة إلَّا للشَّمس ، فإذا أرادُوا تأْنيث الغزال[3] ، قالوا : الظَّبْية .

وقد ردَّ هذا الدَّمامِينِىّ[4] فى « حاشيته » ، وأورد له شواهِدَ .

واعتمده الشِّهاب الخفاجِىّ فى « شفاء الغليل »[5] ، حيث قال : غزالة[6] مؤنث الغزال ، واسمٌ للشمس مطلقا ، أو فى وقت شروقِها .

قال التَّبريزِى[7] : سُمِّيَت بذلك لأنَّها تطلُع فى غَزالةِ النَّهار ، أى أوَّله .

وقال المَعرِّى[7] سُمِّيتْ بها لأنَّها تمدُّ من الشُّعاع ما هو كالغَزْل ، فهى مُشدَّدة فى الأصْل ، خُفِّفَتْ[8] .

وقال فيه[9] :

الرَّدْنُ والغَزْلُ للغَوانِى ... خُلِقْـنَ عُدًّا من الجزالَهْ[10]

والشَّمْسُ غزَّالةٌ ولَـكِنْ ... خُفِّفَتِ الزَّاىُ فى الغزالَهْ

(١) ساقطة من : ا ، وهو فى : ب ج . (٢) طمرطمور الغزالة : وثب ووثبا . وفى هامش ج بخطه : « غمس » ، و [illegible] مكان « طمرطمور » . (٣) فى ا ، ج : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب .

(٤) بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر المخزومى ، الدمامينى ، [illegible] مصرى أديب ، [illegible] فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

وكتابه الذى انتقد فيه الصلاح الصفدى فى شرحه على لامية العجم وجعله حاشية له يسمى « نزول الغيث » . بغية الوعاة ١/ ٦٦ ، الضوء اللامع ٧/ ١٨٤ .

(٥) صفحة ١٦٦ . (٦) فى ا بعد هذا زيادة : « و » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وشفاء الغليل .

(٧) قول التبريزى والمعرى فى شفاء الغليل أيضا . (٨) فى شفاء الغليل : « وخففت » .

(٩) البيتان فى شفاء الغليل أيضا . (١٠) الردن : الغزل . القاموس (ردن) .

٢٧

عبد اللطيف الجابي*

هذا الأديب تميَّز بنفسه ، وتخيَّر من جنسه .

فزاحم الكواكب بالمناكب ، وقد نسجت دهراً على أسمه العناكب .

وظهر كاسياً من مطمورة الخفا ، وما كان خلاه في القبر إلا الخف .

وعزم[1] لا يتخلَّى[2] ولا يستريح ، ولا يسكن إلى راحة بل يتابع كل ريح .

فاتح عينيه إلى كل مطلب بإقدام هائم مستقيق ، كأنه صورة ممثلة ناظرها الدهر غير منطبق .

فهو من القوم الذين أنفقوا عمرهم تملقاً وتجملاً ، واصطلحوا على أن يتمرّوا جرع السمّ تحمُّلاً .

* * *

(*) عبد اللطيف بن عبد المنعم بن زين الدين ، العجلوني الأصل ، الدمشقي المولد ، المعروف بابن الجابي ، الفقيه ، القاضي ، الشافعي .

نشأ بدمشق ، وقرأ ودأب ، فأخذ عن البدر الغزى ، والعلاء بن عماد الدين ، والشهاب العلوجى ، والشهاب أحمد بن أحمد العيثى ، وتلق عنه القراءات ، والعربية ، والفقه .

واشتغل بالوعظ في الجامع الأموى ، وبالتدريس في الشامية البرانية ، وبالخطابة في النورية .

وتقلد قضاء الشافعية بالباب .

سافر إلى الروم .

وكان سيء السيرة ، يأكل البرش — وهو مادة صمغية تأتي من الهند ، وتستخدم كعقار وكعلاج لمدمنين أصيبوا بالبنج ، انظر : ريحانة الألبا ٢/١٢٩ ، Dozy 1: 71 — وكان ثقيلا جدا ، حتى لقب بشباط .

توفي سنة ست وعشرين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٧ .

(١) في ح : « وعزم أن لا » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ا ، ب : « يتحلى » ، والمثبت في : ح .

وكان له فى النَّظْم أوفرُ نصيب ، إلا أنَّهُ يُخْطِئ تارةً وتارةً يُصِيب .

وقد رأيتُ أشْعارَه فى سفِينةٍ عامَ فى بَحْرِها وهام ، وأودَعها من خَطِّ الملائكة ما لا يُفْهَم إلا بمَلَكِ الإلْهام .

ولم يقع اخْتِيارى إلا على أبْيات تأنَّقتُ فى اسْتِخْراجِها ، وهاهِي كما نُظِمت اللآلى[1] فى أدْراجِها[2] :

ما كان يخطُر قطُّ فى أوْهامى   أن الأسُودَ مَصائِدُ الآرامِ

* * *

ممَّا ينبغِي أن يُنَبَّهَ عليه ما ذكره المُبَرِّد فى « كامله » أن الآرامَ مهموزٌ ما بعد الرَّاء واحدُها رِئْم ، مثل بِئْر وآبار ، فإذا لم تُهْمَز فهى الأعْلام ، واحدُها أرم ، وهى العَلامات فى الطَّرِيق .

* * *

قِفْ حيثُ فَوَّقتِ اللِّحاظُ سِهامَها   وانْظُر لِمَرْمِىٍّ هُناكَ ورَامِ

وسَلِ الأمانَ فكم خَلِىٍّ فارغٍ   أمْسَى قتِيلَ محبَّةٍ وغَرامِ[3]

للهِ ما بالقلْبِ والأحْشاءِ مِنْ   حُزْنٍ وما بالجِسْمِ من أسْقامِ[4]

ومَدامعٌ تَهْمِى فيَحْرِقُ لَذْعُها   خَدِّى ومَن يَقْوَى لِلَذْعِ هوَامِ[5]

وبمُهْجَتِى البدرُ الذى وَجَناتُه   وعِذارُه كالوَرْدِ والنَّمَّامِ

القاتلُ الآلافَ من عُشَّاقِهِ   عَمْداً بلا حرجٍ ولا آثامِ[6]

(١) فى ب : « لآلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٨ . (٣) فى ا : « وسلوا الأمانى كم خلى فارغ » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « حرق وما بالجسم من أسقام » . (٥) فى ب : « فيحرق دمعها » ، وفى خلاصة الأثر : « فيحرق لذغها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ب ، وخلاصة الأثر : « للدغ هوام » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى خلاصة الأثر : « بلا جرح ولا آثام »

إنْ لم يَــكُنْ بمُحَدَّدٍ ومُثقَّلٍ ... فبسحْرِ ألفاظٍ وسِحْرِ كَلامِ[١]

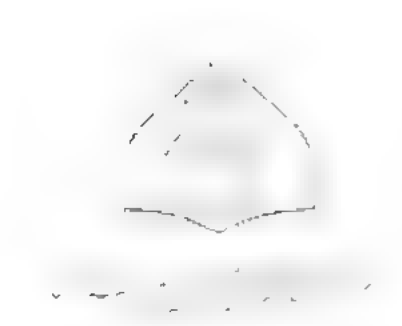
باللَّحْظِ منه غَنِيتُ عن زَهْرٍ وعن ... خَمْرٍ فمنْهُ نَرْجِسِى ومُدامى[٢]

فى خَــدِّه لامٌ تَجُرُّ إلى الهوَى ... فالقلبُ مجْرُورٌ بتلْكَ اللَّامِ

ظَبْىٌ مِن الأتْراكِ مَرْعاهُ الحَشَا ... والمَورِدُ العَذْبُ العزِيزُ الهامى

عرَفَ المُرادَ مِن الدُّموعِ فلم يزَلْ ... يرْنُو لعاشِقِه بطَرْفٍ ظامِى[٣]

*



(١) فى ب : « إن لم يكن بمجدد » ، وفى خلاصة الأثر : « إن لم يكن بمثقل ومحدد » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى خلاصة الأثر : « فبسحر ألحاظ » . (٢) فى ا : « غنيت عن سحر وعن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « فمنه نرجسى ومدام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) تمام القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٨ .

٢٨

محمود المجتهد*

مجتهد المذهب الكلامي ، يقوّم منه ما اختلّ ، ويصحّح من تراكيبه التي داخلها الجهلُ المركّب ما اعتلّ .

بلسان ينتقي الكُلَف ، إلا أنه كَلِف بتلك الكُلَف .

وهو في تقييده وضبطه ، وحلّه[1] لتشبّك الغرض[1] وربطه .

في حدّ لا يأتي عليه تحديد ، ولا يعبّر[2] عنه لسانٌ[3] حديد .

وله حديثٌ يُزري عذوبة بالرُّضاب ، وتحلّمٌ يستخفّ راسيةَ الهضاب .

فإذا هو بطيب العِشرة مذكور ، وبألسنة الظرفاء محمودٌ ومشكور .

والرّغباتُ إليه نازعة ، وعلى[4] مصاحبته متنازعة .

تستدعي إيثاره وإدناءه ، وتملأ سماء التعظيم إناءه .

وهو لا يؤثر الرَّجعة ، إلا إذا استمرع النُّجعة .

وإذا حضر ارتعى قبل الافتداح شرارُه ، وفرى قبل الانتضاء غرارُه .

(*) محمود بن أبي بكر ، الشهير بالمجتهد ، الشافعي ، الدمشقي .
كان فاضلا ، كثير الاطلاع ، حلو النكتة ، لطيف المحاضرة .
قرأ بدمشق ، وحصل حتى برع في الفنون العربية ، خصوصا النحو ، فإنه كان فيه وحيدا ، وألف فيه « حاشية » على « شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك » .
توفي سنة سبع وستين وألف .
خلاصة الأثر ٤/٣١٧ .

(١) في ب : « لسان القريض » ، وفي ج : « لتشبك الغرض » ، والمثبت في : ا . (٢) في ا : « يعبر » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ج : « بلسان » ، والمثبت في : ا ، ب . (٤) في ا : « وإلى » ، والمثبت في : ب ، ج .

ولا يقْرَعُ مُنادِمُه على فِراقِه سِنَّ النَّـدم ، حتى يمْتلِئَ طرَبًا من الفَرْقِ إلى القَدَم .

* * *

وقد رأيتُ له أشْعاراً ، أكثرُهـا فى ذَمِّ الزَّمانِ ، وقد رَماه فى مَطانِيه بِسِهام الحِرْمان .

فمنه قوله :

أَلِفَ الزَّمانُ مَساءَتِى وبِعادِى ... ورَمَى بِسَهْمِ البَيْنِ عَيْنَ فُؤادِى
فألِفْتُ ما أَلِفَ الزَّمانُ وما أرَى ... إلَّا تَنَغُّصَ عِيشَتِى وكَسادِى
والذُّلُّ فى أبْوابِ مَن لايَرْعَوِى ... حالَ الفَقِيرِ وسُؤْدَدِ الأوْغادِ

* * *

وقوله معارضاً أبْياتَ الحَرِيرِىّ ، فى المَقامَة الثَّامنة والأرْبعين ، وهى [1] :

عِشْ بالخِـداعِ فأنْتَ فِى ... دَهْرٍ بَنُوهُ كأُسْدِ بِيشَهْ [2]
وأدِرْ قَنـاةَ المَكْرِ حتَّى ... تَسْتَدِيرَ رَحَى المَعِيشَهْ
وصِـدِ النُّسُورَ فإنْ تَعَذَّ ... رَ صَيْـدُها فاقْنَعْ بِرِيشَهْ
واجْنِ الثِّمارَ فإنْ تَفُتْـ ... كَ فَرَضِّ نَفْسَكَ بالحَشِيشَهْ [3]
وأرِحْ فُؤادَكَ إنْ نَبـا ... دَهْرٌ مِن الفِكَرِ المُطِيشَهْ
فتَغايُرُ الأحْـداثِ يُؤْ ... ذِنُ باسْتِحالةِ كلِّ عِيشَهْ

* * *

(١) المقامات الحريرية ٣٩٦ . (٢) فى معجم البلدان ١/٧٩١ : « وبيشة : من عمل مكة ، مما يلى اليمن ، من مكة على خمسة مراحل ، وبها من النخل والفسيل شىء كثير ، وفى وادى بيشة موضع مشجر كثير الأسد » . (٣) فى ب : « فأرض نفسك » ، والمثبت فى : ا ، ح ، والمقامات .

وأبياته هى هذه :

قال الدمشقىُّ الذى كرُّ النوائبِ حصَّ ريشَهْ [1]
كيفَ الخداعُ ودهرُنا أبناهُ صادُوا أُسْدَ بيشَهْ
وقناةُ مكرى لا تدو رُ فتستديرَ رحى المعيشَهْ [2]
والطيرُ فى أفقِ السما ءِ فكيفَ أبلغُ منهُ ريشَهْ
ورياضُ آمالى جفـ ـها أخصبُ حتى لا حشيشَهْ
ومعيشتى ضنكًا فى بلدى استحالتْ كلُّ عيشَهْ

* * *

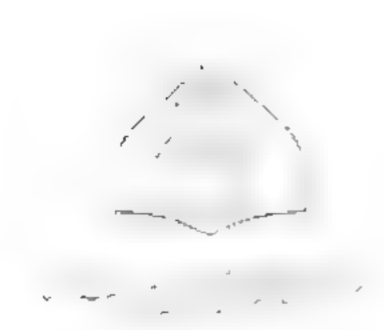
وله :

ومن البليةِ أن ترى ملأً يُرى ويَروم بذلَ المجدِ من غيرِ الملى [3]
وتبيعَ مخزونَ العلومِ لجاهلٍ وتجودَ بالمُنيا عندَ الأرذلِ
وتزين من دُرِّ الخطابِ فرائدًا قد شنتها بخطابِ مَن لم يعقلِ
أوَّاه من نكدِ الزمانِ وجورِهِ وترفُّعِ الأنذالِ والمتسفلِ
ومن الرزيةِ لا ترى من منصفٍ أو مسعفٍ إلا وبالأهواءِ ملى
والهفَ قلبى من زمانٍ شأنُهُ رمىُ الأفاضلِ بالعناء المعضلِ

---

(١) فى ب : « ذكر النوائب » ، والمثبت فى : ا ، ج . وحص ريشه : جرده . (٢) فى ا : « وقناة مكرك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « ومن البلية أن ترى من لا يرى » . والمثبت فى : ا ، ج .

وتَعزُّزِ الوَغْدِ اللَّئيمِ أخِى الأَذَى ... وتذَلُّلِ العزِّ الكريمِ المُأمَّلِ
فاضَ اللِّئـامُ وغاضَ كلُّ مُمَنَّعٍ ... وسَطَا بِسَطْوِ البَأْسِ كلُّ مُجَهَّلِ
وتوزَّعت نُوَبُ النَّوائِب وانْثَنَى ... فِيها الكِرامُ بِذِلَّةٍ وتَمَلْمُلِ
وارْتاحَ منْهـا كلُّ خَبٍّ جاحدٍ ... وبها رَقَى العَمْيَاء كلُّ مُغلِّ[1]



(١) الخب : الخداع . وفى ا : « كل خب جلمد » ، والمثبت فى : ب ، ح . والمغل ، كمحدث : دائم الخراج بالمال . القاموس (غ ل ل) .

٢٩

محمد بن تقي الدين الزهيري (*)

زَهْرَةُ الأدب ونُزْهتُه ، وخُلاصَةُ الخطِّ ومَهارَتُه .

ومن تخمَّرتْ طِينتُه بماء اللَّباقة ، فأُفْرِغَتْ جِسماً في قالَبِ اللِّياقة .

أدركْتُه وقَدُّه من الهَرَم يرْتَعِش ، لكن بمُنادَمتِه الرُّوحِ تَنْتَعِش .

وسمعْتُهم يقولون : إنه في رَيْعان غضارتِه ، كان يَحْسُود الغُصْن الفَيْنان في نَضارتِه .

ثم محَا سِنُّه مَحاسِنَه ، ولكن يعِزُّ على ذي لَسَنٍ أن يُلاسِنَه .

وعهِدْتُ أبي بَوَّأه اللهُ دارَ رِضوانِه ، يُميِّزه بالفضل على أخْدانِه وإخْوانِه .

ويقول : هو تامٌّ في آلتِه ، لو أنَّ قلبَه مُتماسِكٌ مُتمالِكٌ ، كاملٌ في حالتِه ، إلّا أن مَدَد صَبْرِه مُتَفانٍ مُتهالِكٌ [illegible]

* * *

وقد رأيْتُ له شِعْراً قذَف به بَحْرُ طَبْعه ، فذكَرْتُ منه ما يدُلُّ على فضلِه دَلالةَ الماء على صَفاء نَبْعِه .

(*) محمد بن أبي بكر ، المعروف بالزهيري ، الدمشقي ، الشافعي .

مات أبوه التقي وهو صغير ، ونشأ في كفالة عمه القاضي نجم الدين ، فلزمه الاشتغال على الشرف الدمشقي ، وعبد اللطيف الجالق ، وأخذ أيضا عن النجم الغزي .

واشتغل بالتدريس والخطابة ، بالمدرسة الشامية البرانية ، وجامع القلعي .

ألف وصنف ، ومن تآليفه : « شرح لامية ابن الوردي » ، و « شرح ديوان ابن الفارض » .

وتغيرت أخلاقه آخر عمره بعد أن أصيب في ولد له ، وابتلى باستعمال الأفيون .

توفي سنة ست وستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٣/٣٣٢ .

فمنه قوله :

إذا زُرْتَ الصَّدِيقَ الشَّهرَ يَوْماً ... يَرَى إكْرامَ مَثْواكَ الثَّوَابَا

وإن كرَّرْتَه يَوْماً فيوْماً ... ولم تحْزِ السَّلامَ ولا الخِطَابَا

فإنَّك أنْتَ للطَّاغِى مآباً ... جَزاءً لا عَطاءً ولا حِسَابَا

* * *

وقوله :

صَدِيقُك إن تَزُرْه بِصدْقِ وُدٍّ ... فقَلِّلْ مِن زِيارَتِكَ الزِّيارَهْ

فَزُرْ غِبًّا إذاً تَزْدادُ حُبًّا ... وخَفِّفْ فالزِّيارةُ قيل غارَهْ

* * *

هذا الباب ، ممَّا حَرَّض فيه أولو الألباب ، والحديث المذكور فيه دُسْتور العمل بين الأحباب .

وقد عقَده جمعٌ كثير ، في نَظْمٍ [1] لهم ونثير .

فمن ذلك :

إذا شئْتَ أن تُقْلَى فزُرْ متواتِراً ... وإن شئت أن تَزْدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

* * *

ومنه :

الزِّيارَةُ زِيادةٌ في الصَّداقة ، وقِلَّتُها أمانٌ من الملالة ، وكَثْرتُها سببٌ للقطيعة ، وكلُّ كثير عدوُّ الطَّبيعة ، وما أحسَن ماقال صاحِبُ الشَّريعة : « زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا » [2] .

* * *

(١) في ا ، ب : « نظم » ، والمثبت في : ج . (٢) قال ابن الديبع : « رواه البزار والبيهقي وغيرهما ، عن أبي هريرة مرفوعا ، به ، وقال البزار : ليس فيه حديث صحيح » . تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ١٠٤ .

ومن هذا الباب قولُ الآخر[1] :

عليكَ بإقلالِ الزّيارة إنّها ... إذا كثُرتْ كانَتْ إلى الهجرِ مَسْلكَا

فإنّي رأيْتُ القَطْرَ يُسْأمُ دائماً ... ويُسْأَلُ بالأَيْدِي إذا هُوَ أَمسَكَا

* * *

وقوله[2] :

أَقلِلْ زِيارتَكَ الصَّدِي ... قَ تكون كالثَّوبِ استجدَّه[3]

إنَّ الصديقَ يُمِلُّهُ ... أن لا يزال يراكَ عنْدَهْ

* * *

وقول أبي تمّام[4] :

وطُولُ مُقامِ المَرْء في الحيِّ مُخلِقٌ ... لديباجتَيْهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإنِّي رأيْتُ الشَّمسَ زِيدَتْ محبَّةً ... على النّاس إذ ليْسَتْ عليهِمْ بِسَرْمَدِ[5]

* * *

وكان للبهاء السِّنْجاري[6] صاحبٌ ، وكان بينهما مودّة أكيدة ، واجتماع كثير ، ثم جرى في بعض الأيّام عتاب ، وانقطع ذلك الصّاحب عنه ، فسيّر إليه يطلبه ؛ لانقطاعه ،

---

(١) البيتان في : التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، وكتاب أبي نصر المقدسي ٦٢ . (٢) البيتان في كتاب أبي نصر المقدسي ٦٢ . (٣) في كتاب أبي نصر المقدسي : «أقلل زيارتك الحبيب» . (٤) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١ . (٥) في ح ، والديوان : «إلى الناس» ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ب ، والديوان : «أن ليست عليهم بسرمد» ، والمثبت في : ا ، ح .

(٦) بهاء الدين أسعد بن يحيى بن موسى السنجاري .

كان أولا فقيها شافعيا ، ثم غلب عليه قول الشعر ، فاشتهر به ، وقدم عند الملوك ، يقول ياقوت ، معاصره : « وكان جريا ، ثقة ، كيسا ، لطيفا ، فيه مزاح وخفة روح ، وله أشعار جيدة » .

توفي سنة اثنتين اثنتين وعشرين وستمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/٥٠ ، معجم البلدان (سنجار) ٣/١٥٩ ، ١٦٠ ، وفيات الأعيان ١/١٩٣

والقصة في روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار صفحة ١٠٨ ، ووفيات الأعيان ١/١٩٥ .

فكتب إليه بيتى الحريرى، اللذين فى المقامة الخامسة عشرة[١] :

لاتزرْ مَن تُحِبُّ فى كلِّ شهرٍ غيرَ يومٍ ولا تَزِدْهُ عليهِ

فاجتلاء الهلالِ فى الشهرِ يومٌ ثمَّ لاتنظرُ العيونُ إليهِ[٢]

فكتب إليه البهاء[٣] من نظمه :

إذا حقَّقتَ مِن خِلٍّ وِداداً فزرْهُ ولا تخفْ مِنهُ مَلالَا

وكُن كالشمسِ تطلُع كلَّ يومٍ ولا تكُ فى زيارتِه هِلالَا

قال : هذا قليل ، والكثير يدعو فى الزيارة إلى التقليل .

* * *

وللزُّهَيْرِى :

ألَا رُبَّ مَن تَحْنو عليه تَعَطُّفاً ويُعْجِبُكَ القولُ الذى مِنهُ صادِرُ

وإن تَختَبِرْ منه طَوِيَّتَه إذا وناقدتَها ساءتكَ منه الضمائرُ

فلا تَغتَرِرْ فى لِينِ قولٍ وتأمَنَنْ إذا لم تطِبْ منه لديكَ المخابِرُ

فما الصِّلُّ إلا اللَّيِّنُ اللمسِ ظاهِراً وباطِنُه سمٌّ ومنه التحاذُرُ

* * *

ألمَّ فى هذه الأبيات بقول عبد الحقِّ الحجازى[٤] :

(١) المقامات الحريرية ١٠٩ . (٢) فى ا ، ح ، وروض الأخيار : « فى الشهر يوما » ، والمثبت فى : ب ، والمقامات ، ووفيات الأعيان . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح .

(٤) عبد الحق بن محمد الحمصى ، الدمشقى ، الحجازى ، الشافعى ، زين الدين .

ولد سنة اثنتين وستين وتسعمائة .

وخرج من شبيبة إلى حلب ، مغاضبا لوالده ، ثم رجع وسافر إلى الروم .

وقد ورث عن أبيه مكانه فى مدارس دمشق .

كان أديبا ، متمكنا من فنون كثيرة ، جيد الفكرة ، لطيف المعاشرة .

أقعد بالفالج سنتين ، ثم توفى سنة عشرين بعد الألف .

تراجم الأعيان ٢/٣٥٣ ، خبايا الزوايا لوحة ٦٣ ب ، خلاصة الأثر ٢/٣١٠ ، ريحانة الألبا ١/٢٦٢ .

والبيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٣١٤ .

ألا رُبَّ مَن تَحْنُو عنيْه ولَوْ تَرَى طَوِيَّتَهُ ساءَتْكَ منـــه الضَّمائِرُ[1]
فلا تَأْمَنَنْ خِـلًّا ولا تَغْتَرِرْ بِهِ إذا لم تطِبْ منـهُ لَدَيْكَ المَخابِرُ

* * *

وقوله :

« فما الصَّلُ إلّا » من قول بعض البُلغاء « الدُّنيا كالحيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّها، قاتلٌ سُمُّها » .

* * *

ومن فصول الصَّاحب : مَسُّ السَّيفِ لَيِّن ، ولٰكنْ حَدّه خَشِن ، ومَسُّ الحيَّـةِ لَيِّنٌ ونابُها أخْشَن .

* * *

ومن نوادِر ابن الجزَرىّ[2] ، قوله من قصيدة[3] :

ولَئِنْ خَبَرْتَ بَنِى الزّمانِ وخِسَّةُ الْـ آباءِ تُنْتِـجُ خِسَّةَ الأبْناءِ[4]
إيّاكَ تَرْكَنُ منهُمُ لِمُـــمَذِّقٍ يُبْدِى الوَفاءَ ولَاتَ حِـــينَ وَفاءِ
وتَجَنَّبَنْ مِن لِينِ مَلْمَسِ عِطْفِه فالعَضْبُ يَصْدأُ مَتْنُهُ بالْماءِ[5]

* * *

(١) فى خلاصة الأثر : « ساءتك تلك الضمائر » . (٢) يعنى حسين بن أحمد بن حسين الحلبى، المعروف بابن الجزرى .

نشأ بحلب ، ورحل إلى الشام ، والعراق ، ودخل الروم .

وله مدائح فى بنى سيفا ، أمراء طرابلس ، وقد جمع من شعره « ديوانا » .

واختلف فى وفاته ؛ فذكر البديعى أنه توفى سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وعلى نسخة من ديوانه رآها المحبى أنه توفى سنة أربع وثلاثين ، وناقض أبو الوفاء العرضى ، فذكر أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين .

إعلام النبلاء ٦/٢١٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٨١ ، ريحانة الألبا ١/١١٣ ، سلافة العصر ٣٩٣ .

وانظر مقدمة محمد راغب الطباخ للعقود الدرية فى الدواوين الحلبية ٢ ـ ٢٢ .

(٣) ديوان حسين الجزرى (العقود الدرية) ٧ ، ريحانة الألبا ١/١٢٤ . (٤) فى الديوان : « ولقد خبرت » ، والمثبت فى الأصول ، والريحانة . (٥) فى الديوان : « وتجنبن من لين ملبس عطفه » ، والمثبت فى الأصول ، والريحانة .

ولْلحُصْرِىّ[١] فى هذا المعنى[٢] :

كَمْ من خليلٍ كان عندِى شُهْدَهُ ... حتى بَلَوْتُ المُرَّ مِن أَخلاقِهِ[٣]

كالمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّرًا فى لَوْنِهِ ... ومَجَسِّه ويَحُولُ عندَ مَذاقِهِ[٤]

* * *

وللزُّهَيْرِىّ :

يامَن تلَبَّس فى الفَخـــارِ بِلُبْسِهِ ... والجهلُ منـــه مُرَكَّبٌ مِن لُبْسِهِ

الفَضْـــلُ عنـد المرْءِ يَكْسِيه سَناً ... وسَناؤُه يَكْسِيه رَوْنَقَ حُسْنِهِ[٥]

لا تَزْدَرِى برَثِيثِ خَلقـــةِ ثَوْبِهِ ... عند التنفُّسِ فى الـكلامِ لنفسهِ[٦]

مَن كان مِن نَوْعِ الـكمالِ مُكَمَّلاً ... نَالَ الغِنَى من فَضْـــلِهِ معَ جِنْسِهِ

* * *

وله :

يامَنْ إلىَّ قــد وَشَى ... بمَقـــالِ سُوءٍ وَلَغَا

مَـــذَمَّتِى سَمِعْتُها ... مِن الَّذِى قَدْ بلَغَا

* * *

فى المثل : « مُبَلِّغُ السُّوءِ كَباغِيه » .

---

(١) أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى ، المقرى ، الحصرى .
شاعر ، عالم بالقراءات ، اتصل بالمعتمد بن عباد ومدحه .
توفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .
انظر كتاب « أبو الحسن الحصرى القيروانى » .

(٢) البيتان فى كتاب «أبو الحسن الحصرى القيروانى » ١٣٣ . (٣) فى كتاب «أبو الحسن الحصرى» : « كان عنـدى شهدة » ، والشهدة أخص من الشهـد . (٤) فى كتاب « أبو الحسن الحصرى » : « أو حجمه ويحول عند مذاقه » . (٥) فى ج : «وسناه يكسيه برونق حسنه» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « رنق حسه » . (٦) فى ب : « برثيث رونى ثوبه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ب : « للـكلام لنفسه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقيل أيضا : « ما غاظَك إلا من (١) بلّغك » ، « وسَبَّك من بَلّغك السَّبَّ » و « المُبَلِّغُ أحَدُ الشاتِمَيْن » .

«وراوية (٢) الهجاء (٣) أحَدُ الهاجِين (٤) ، والسّامع لِلغِيبة أحَدُ المغتابِين » .

* * *

وله :

إنَّما القاضى تُستثقَــــل في اللّفظ يصاحِ مع المَعْنَى (٥)

يظْهرُ فيـــه النَّصْبُ مِن جَرِّه وحظُّه فى الاسْم كالمعنَى (٦)

أورد هذين البيتَيْن فى « شَرْحه على لاميَّة ابن الوَرْدِىّ » ، عند قوله (٧) :

إنَّ لِلنَّقْصِ والاسْتِثْقالِ فى لَفْظةِ القاضى لَوَعْظاً ومَثَلْ (٨)



(١) فى ب : « الذى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا ، ب : « ورواية » ، وفى ج : « ورؤية » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٣) فى ج : « الهجاء » بتشديد الجيم . (٤) فى ب ، ج : « الهاجيين » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ب : « إنما القاضى لثقل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ب : «وحظى فى الاسم» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ا : « كل المعنى » والمثبت فى : ب ، ج.

(٧) شرح لامية ابن الوردى (فتح الرحيم الرحمن) ١٤٨ .

(٨) فى ب : «إن للنقص والاشتعال فى » ، وفى ج : « إن للنقص فى الاستثقال فى » ، والمثبت فى : ا ، وشرح اللامية .

٣٠

أمين الدين بن هلال الصَّالِحِيّ *

أحدُ الشُّهود العُدُول ، لكنَّه عن الخيْر من العدول [١] .

فهو إن لم يكن في دِين الصَّابِي ، فقد نزَع بسَبْبِه الأعراضَ مَنْزَع مُتَّصابِي .

فكم حُرٍّ مدَحَه ثم ثَلَبه ، وكم عِرْضٍ كساه ثم سَلَبه .

فهو شاعرٌ تبِيتُ أفكارُه عن أسْرار العيوب [٢] ، وكاتب يرْشَحُ بمِدادِ قلمِه ذَنُوبُ الذُّنُوب .

إلَّا أن [٣] كلِمةَ [٤] قلَمِه لم يُرِقْهَا قطُّ بكَلالٍ أو مَلالٍ ، وإذا كتَب أو أنْشأ أرَاكَ يدَ ابنِ هِلالٍ [٥] ، ونفَسَ عن فَمِ ابنِ هِلالٍ [٦] .

* * *

(*) محمد بن عثمان ، الملقب أمين الدين ، الدمشقي ، الصالحي ، الهلالي .

الأديب ، الشاعر ، الناظم ، الناثر .

ولد سنة خمسين وتسعمائة .

واشتغل بالعلم ، ثم تركه ، وتعاني التوقيع للأحكام الشرعية ، بالمحكمة الكبرى ، كما برع في الشعر ، وكان مغرما بالهجاء ، وثلب أعراض الناس .

توفي سنة أربع بعد الألف ، ودفن في قبر والده في تربة الفراديس .

تراجم الأعيان ٢/٨٢ ، خلاصة الأثر ٤/٣٤ .

(١) في ج : « المعدول » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « العيوب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا زيادة : « كل » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « كلمة » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) يعني أبا الحسن عليا بن هلال ، المعروف بابن البواب ، الخطاط .

جاء بعد ابن مقلة ، فهذب طريقته ، وزاد في رونقها وجمالها .

توفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

البداية والنهاية ١٢/١٤ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٨ .

(٦) يعني أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ، المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

فمن أهاجيه قوله فى بعض الأدباء (١) :

يَخوضُ بِعِرْضِ مَن غَدَا عارَ دَهْرِهِ ... ومَن هو أدْنَى من سَجاحِ وأكْذَبُ (٢)

ومَن أقْعدَتْه هِمَّـــةُ المجْدِ والعُلاَ ... وطارَتْ به لِلْخِزْىِ عَنْقاءُ مُغْرِبُ

ومَن كان فى عَهْـــدِ الحداثةِ ناقةً ... يُقاد إلى أرْدَى الأنامِ ويُرْكَبُ (٣)

وقد كان قَصْـدِى أن أُبَيِّنَ وصْفَهُ ... ولكن إهمالُ القَبائحِ أنْسَبُ (٤)

* * *

ومما يُنْسَب إليه من المجون الذى يُزْرِى بسُلاَفة الزَّرَجُون ، أنه دخَل على الرئيس أبى السُّعود بن الـكاتب (٥) ، فأنشده بَدِيها (٦) :

يامَن به رَقَّ شِعْرِى ... وجالَ فى الفِكْرِ وَصْفُــهْ

قد مزَّقَ الدَّهْــرُ شاشِى ... والقصـــدُ شاشٌ ألُفُّــهْ (٧)

* * *

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٥ . (٢) فى خلاصة الأثر : « يخوض بعرضى » ، وهى رواية ألصق بالمعنى .

وسجاح ، هى أم صادر سجاح بنت الحارث التميمية .

ادعت النبوة بعــد أن قبض رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وانضمت إلى مسيلمة فتزوجها ، ثم انصرفت راجعة عنه ، وحين بلغها خبر مقتل مسيلمة أسلمت وقفلت إلى البصرة ، فتوفيت بها نحوا من سنة خمس وخمسين .

الكامل لابن الأثير ٢ ... والبدء والتاريخ ٥/١٦٤ ، تاريخ الطبرى ٣/٢٦٧ ، شرح الشريشى على المقامات الحريرية ٢/١٦٣ .

(٣) فى ب : « فى عهد الحداثة تائه » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، وفى ب ، ج : « يقاد إلى أدنى الأنام » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٤) فى خلاصة الأثر : « ولكن إهمال القبائح أنسب » .

(٥) يعنى أبا السعود بن أحمد بن أبى السعود الدمشقى ، المعروف بابن الـكاتب .

نشأ فى عز باهر ، ونعمة طائلة ، وقرأ ، وتنبل .

وابتلى بمحبة غلام ، وأنفق عليه مالا كثيرا ، وكان الغلام كثير التجنى عليه ، وأدى به هذا مع تعصب أهله إلى أن قتل نفسه ، قيل : إنه أكل سبعة دراهم من الأفيون ، وعولج فلم يفد علاجه ، ومات من ليلته ، وهو الذى أحدث هذه البدعة السيئة فى دمشق ، وكان الناس عنها غافلين .

وكانت وفاته سنة ست وخمسين وألف ، عن خمس وعشرين سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/١١٨ .

(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٣٦ . (٧) فى ا : « قد مزق الدهر شاشاتى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وجاء فيه بعد البيت : « فأعطاه شاشا » .

من هذا ، وهو [1] أحسن ماسمعتُ فى طلب حُلّةٍ قولُ الشِّهاب :

حَالِى يَسْتَنْجِزُ الأمانِى ... ويطْرُدُ الخُلْفَ من وُعودِهْ

وحُلّتِى كلُّهـا عُيونٌ ... تَرْنو إلى مجْـدِه وجُـودِهْ

* * *

وكان بينه وبين عبد الحقِّ الحِجَازِىّ [2] عُهودٌ [3] مُوثَّقة ، ومَودة كَمائمُهـا عن أذْكى من الزَّهر غِبَّ القَطْر مُفتَّقة .

ثم انقطع أمينُ الدين ، فكتب إليه يستعطفُه [4] :

طالَتِ الأشْواقُ وازْدادَ العَنَا ... وتمادَى الهجرُ فيما بَيْنَنَا [5]

فامْنَحُوا القُرْبَ مُحِبًّا مُخْلصاً ... فلعلَّ القُرْبَ يشْفِى مابِنَا [6]

ليس فى هـذا عليكُمْ كُلْفَةٌ ... إنّمـا نطلبُ شيْئاً هيِّنَا

فراجعه بقوله :

أنَا فى البعـد وفى القُربِ أنا ... ليس فى الحالَيْن لى عنكُمْ غِنَى [7]

أفْضلُ الأشْياء عنـدِى حُبُّكمْ ... وهْوَ فى وَسْطِ فُؤادِى مُسْكَنَا [8]

لـكنِ الأيامَ أشْكوها لـكُمْ ... جَوْرُها قد أورثَ الجسمَ الضَّنَى [9]

* * *

---

(١) فى ا : « أوهو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) تقدم ذكر عبد الحق الحجازى ، فى صفحة ٢٧٥ (٣) فى ب زيادة : « ومواثيق » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) أبيات عبد الحق الحجازى ، مع أبيات المترجم ، فى خلاصة الأثر ٢/٣١٢ ، ٣١٣ ، فى ترجمة عبد الحق الحجازى .

(٥) فى خلاصة الأثر : « وتمادى البين فيما بيننا » . (٦) هـذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٧) فى خلاصة الأثر : « أنا فى القرب وفى البعد أنا » .

(٨) فى ا : « وهـو فى وسط فؤادى سكنا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٩) أورد المحبى ، فى خلاصة الأثر ٢/٣١٣ بعد هذا أبياتا للحجازى يرد بها على المترجم .

وكان هو أحَدَ الشُّهودِ بمحكمة الكبرى ، فنظر يوماً إلى قُضاتِها وشُهودِها[1] وهو معهم ، ثم قال[2] :

قالت لنا الكُبْرَى أمَا ... آنَ لكُمْ ما تُوعدونْ
قُضاتُنا أرْبَعَــــةٌ ... لكنَّهم لا يَعْدِلُونْ
شُهودُنا عِــــدَّتُهمْ ... تِسْعةُ رَهْطٍ يفْسِدُونْ
والكَتْخُدَا والتَّرْجُما ... نُ فى الجحيم خالدونْ[3]

* * *

وله يهجو عمّه ولىّ الدّين[4] :

إذا رأيْتَ وَلِىَّ الدِّين مُفتكِراً ... مُنَكَّساً رأْسَه إنْسانُه ساهِى
فذاكَ من أجْلِ دُنْيا لا لآخِرَة ... خَوْفاً من الفقْرِ لا خَوْفاً مِن اللهِ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) القصة والأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٥ ، بتفصيل أكثر ، وهى أيضا فى تراجم الأعيان ٢/٨٣ . (٣) هذا البيت ساقط من : تراجم الأعيان ، وفى ج : « فى جهنم خالدون » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

والكتخدا : كلمة فارسية معناها السيد ، تحولت إلى كلمة كيخيا بالتركية ، ومعناها القيم .

المنجد فى الأدب والعلوم ٤٣٤ .

(٤) البيتان فى تراجم الأعيان ٢/٨٣ ، وخلاصة الأثر ٤/٣٥ ، وفيهما أنه ولى الدين البزورى .

وولى الدين البزورى هو :

محمد أبو البركات البزورى ، الدمشقى ، العارف بالله تعالى .

أخذ عن الشيخ محمد بن على بن عبد الرحيم بن عراق ، حين اجتمع به فى مكة ، وهو آخر من أخذ عنه وفاة .

توفى سنة ثلاث بعد الألف .

خلاصة الأثر ٤/٢٨٢ ، الكواكب السائرة ١/٦٥ .

٣١

عبد الكريم الطَّارَانِيّ (*)

كاتِبُ قِسْمَة ، ومَن اتَّخذ المعِيشَة من الموْتِ قِسْمَه .

وما بالُك بمَن يَجُوب فِناءَ كلِّ حَيّ ، ويتمنَّى فَناءَ كلِّ حَيّ .

فهُو طَيْرُ الشُّوم ، والتَّطَيُّر به فَرْخُ التَّطَيُّر بالبُوم .

وله نَزَعاتٌ فى الخُلُق والخَلْق ، هى قَذًى فى العيْن ، وشَجًا فى الحلْق .

يَنْعَجِن بطِينَةِ[1] الإساءة ، وتعمّ فى العالَمِ منه المَساءة[2] .

فَمُه ممْزوجٌ بصَاب ، وقلمُه ساطُورٌ فى يَدِ قَصَّاب .

فلهذا رُمِىَ برَفْضِه ، ومُقِتَ باعتزاله ونقضِه[3] .

(*) عبد الكريم بن محمود بن أحمد ، المعروف بالطارانى ، الميتانى ، البعلى ، الدمشق ، كريم الدين .
كان كاتبا ، شاعرا ، مؤرخا ، وهو أحد كتاب محكمة القسام ، بدمشق .
تأدب بالشمس محمد الصالحى الهلالى ، وقرأ على القاضى محب الدين ، والحسن البوريني .
وكان مليح العبارة فى إنشاء الوثائق ، جيد الفكرة ، لطيف المحاورة .
وله تشيع .
والطارانى : نسبة إلى طارية ، وهى قرية من قرى بعلبك ، قدم منها والده إلى دمشق .
يقول المحبى : « ورأيته فى بعض مجاميعه ينتسب بالطيرانى ، بالياء ، ولعلها نسبة على غير قياس » .
وقد جاء اسمه فى ا ، ج : « عبد الكريم الطيرانى » ، وسيأتى أيضا كذلك خلال الترجمة ، فلعله تصحف عن « الطبرانى » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .
توفى الطارانى سنة إحدى وأربعين وألف ، ودفن بمقابر الشيعة ، فى باب الصغير .
خلاصة الأثر ٣/١٠ .

(١) فى ب : « بطينته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « الإساءة » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ا ، ج : « ونقضه » ، والمثبت فى : ب .

وهو شيخ من بقايا أوّل[1] الزّمان ، يعدّ فرخاً عنده نسر لقمان[2] .
أكل الدّهر عليه[3] وشرب ، لكنّ وعاه من الآداب غير سرب[4] .

* * *

وله شعر ليس له[5] فى الكثرة منتهى ، إلا أنه أبرد من أمرد لا يشتهى .
فما وصلنى من مرغوبه ، قوله :

أشكو إلى الله من زمانٍ ... قد مات فيه ذوو الصّلاتِ[6]
وكلُّ من كان ذا وفاءٍ ... مضى إلى الله بالوفاةِ

* * *

وقوله ، فى تضمين مثل مشهور :

هذه الدّنيا بلاءٌ وعنا ... وهمومٌ تسقمُ الجسمَ الصّحيحْ
أىّ شىء يبتغى منها الفتى ... وهىَ دارٌ ماعليها مستريحْ

* * *

ومثله لبعضهم :

كلّما أشكو صبابات الهوى ... لم أصادفْ غيرَ ذى قلبٍ جريحْ
يشتكى لى مثلَ ما أشكو به ... لعمرى ما عليها مستريحْ

* * *

(١) فى ب : « أولى » ، والمثبت فى ا ، ح .
(٢) فى ثمار القلوب ٣٧٦ : « العرب تضرب المثل بطول عمر النسر ، وتزعم أنه يعيش خمسمائة سنة ، وأن لقمان بن عاد خير ، فختار عمر سبعة أنسر ، فأوتى سؤله ، فكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله فى خربة من الجبل ، الذى هو فى أصله ، فإذا استوفى عمره أخذ فرخا آخر ، فوضعه مكان الآخر ، إلى آخر النسور ، وأطولها عمرا لبد ، الذى يقال له : نسر لقمان » . (٣) فى ب : « عنده » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٤) وعاء سرب : لا يمسك الماء . (٥) ساقط من : ا ، ح ، وهو فى : ب .
(٦) فى ب : « ذوو الصلاة » ، والمثبت فى : ا ، ح .

قلت : طلبُ الرَّاحـــة فى الدُّنيا مُحَال ، وسائك دَعْوَى دليلِها على جميع الورَى مِحَال[1] .

وقد أعْيَى على الأَخْبَارِيِّـينَ والنَّقَلَة ، أن يجـدُوا مُسْتَرِيحًا إلَّا مَن لا عقْلَ له .

قال رشيد الدين الوَطْواط[2] ، فى أمْثالِه :

« أنا أقول : من لا عقْلَ له فى المُسْتَراح موضع النَّجاسة »

ونظَمه الشِّهاب فى قوله :

ما يَبْتَغِى مِن دَهْرِه عاقِلٌ ... وما يُرَجِّى منهُ أهْلُ الصَّلاحْ
ورِزْقُ دُنْيـــاهُ لجُهَّالِهِ ... وجَنَّةُ الخُلْدِ لبُلْـــهٍ مِرَاحْ
مَن لا لهُ عَقْلٌ ولا فِطْنَةٌ ... فى المَثَلِ المشْهورِ قالُوا استَرَاحْ
وإنما الدنيــــا لهم منزلٌ ... من لا له عقـــلٌ به مُسْتَرَاحْ

* * *

وقوله : « وجنّة الخُلْد لبُلْه مِراحُ » إشارة إلى الحديث : « أَكْثَرُ أهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ[3] » . يُرِيد : الأَكْيَاسَ فى أمْرِ[4] الآخِرةِ ، البُلْه فى أمْرِ الدُّنْيا .

---

(١) المِحَال : الكيد ، ورَوم الأمر بالحِيَل . (٢) رشيد الدين محمد بن محمد العمرى ، الوطواط . كاتب من الأدباء له شعر دون نثره ، توفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .
بغية الوعاة ١/٢٢٦ ، معاهد التنصيص ١/٢٤٤ ، معجم الأدباء ١٩/٢٩ ـ ٣٦ .

(٣) قال ابن الديبع : « حديث : أكثر أهل الجنة البله . أخرجه البيهقى فى « الشعب » ، والبزار فى « مسنده » وغيرهما ، وفى سنده لين .
قال سهل بن عبدالله : هم الذين ولهت عقولهم ، وشغلت بالله عز وجل .
وعن أبى عثمان : هو الأبله فى دنياه ، الفقيه فى دينه » .
تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ٣٢ .

(٤) فى ج : « من » . والمثبت فى : ا ، ب .

ويقولون في[1] بَقَر الجنَّة : البُلْه ؛ لأنَّهـا لا ترْمح ولا تَنطَح ، واحِده : بقَر ستَّقَر .

* * *

وللطبراني[2] ، ويخرُج منه اسم عمر بطريق التَّعْمِية :

أفْدِى غـــزالاً بقَلْبى ما زالَ يرْشُقُ نبْلاَ

وعنــه مَا مَالَ يوْماً لِلغَـــيْرِ حاشَا وكَلاَّ

وعَزّ صَـــبْرِى لَمَّا بالعَيْنِ مَرّ مُحَـــلَّى[3]

* * *

وقعَد إلى جانبه غلامٌ[4] ، والقَمر في [5] ليــل التَّمَام [5] ، فقال له : انظر البدْرَ أمامَك .

فقال له : أمامى[6] على أى حالة .

فخجل لمـا قاله .

فأنشَده بديهاً :

وذِى قَوام رَشيـــق دَنَا لِبَدرِ التَّمَامِ

فقَـــال والثغْرُ منهُ حَالٍ بحُسْنِ ابتِسَـــامِ

غدَا أمامَــك بَدْرٌ فقلتُ بَدْرِى أمامِى

* * *

(١) الكلمة ساقطة من : ج ، وفي ب : « إن » ، والمثبت في : ا . (٢) في الأصول : « وللطبراني » ، وتقدم الحديث عن هذه النسبة وصدر الترجمة . (٣) في : ب « بالعين مر وحلى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) القصة بتفصيل أكثر ، والشعر في خلاصة الأثر ٣/١٣ . (٥) في ا : « ليلة تمام » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في خلاصة الأثر « البدر أمامي » .

وكتب إلى الإمام يوسف القتيجي[1] ، وقد وعده بعود[2] :

مولاى كالَ بهجةِ الأيامِ ... قد أخجلَ جودُكَ الربابَ الهامى

أنعمْ لمحبِّكَ الكريمِ عجلا ... بالعودِ تفزْ ببثِّ شكرى النامى[3]

فبعث إليه بحصّة منه ، وراجعه بقوله :

ياجوهرةَ يتيمـــةً بالشّامِ ... سفهتْ بها مقالةَ النظّامِ[4]

قسّمتكَ فى قسمةِ العودِ علىَ ... أن ليسَ لكمْ فى الفضلِ من قسّامِ

* * *

وقوله :

لا تجزعنَّ إذا نالتكَ نائبةٌ ... فسوفَ تلقى قريرَ العـــينِ جذلانا

فالبدرُ بعدَ محاقِ الجرمِ تبصرهُ ... قد اكتسى النورَ بالتكميلِ وازدانا

* * *

وهو مأخوذ من قول ابن الساعاتى[5] :

لا تجزعنَّ لأمرٍ سوف تدركهُ ... فليسَ فى كلِّ حينٍ ينجحُ الأملُ

والبدرُ فى كلِّ شهرٍ لا لمنقصةٍ ... به يصيرُ هلالا ثم يكتملُ

---

(١) يوسف بن أبى الفتح بن منصور السقيفى ، الدمشقى ، الحنفى ، تقدمت ترجمته ، فى صفحة ٦٨ ، برقم ٤ . (٢) فى ا : « بوعود » ، وفى ب : « بعوده » ، والمثبت فى ج . (٣) فى ب : « تفز بث شكر النامى » ، وفى ج : « تفز ببث شكوى النامى » ، والمثبت فى : ا ، والمترجم يلقب بكريم الدين ، ويعنى بالعود عود الند . (٤) تقدم ذكر النظام ، فى صفحة . . . .

(٥) بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن رستم ، ابن الساعاتى .

برع فى الشعر ، ومدح الملوك ، وتعانى الجندية ، وسكن مصر .

توفى بالقاهرة ، سنة أربع وستمائة .

وفيات الأعيان ٣/٧٣ . ، وانظر الأعلام ٥/١٥٠ .

والبيتان ليسا فى ديوانه المطبوع .

٣٢

محمد بن زين العابدين الجوهري

هو من جوهر مُنتقى ، وما فوق مَرْقاته مُرتقى .

وآباؤه بتجارة الجوهر مشهورون ، وبكلّ ثناء في الألسنة مذكورون .

وهو لم يكن يحترف بالصناعة ، (١ أو يتجر بهذه البضاعة (١) .

بل كان مُستغنيًا عن جواهر الأحجار بجواهر الكلام ، ومكتفيًا عن حمد العَسْجد والنُّضار بالذائب من رَشَحات الدُّوِيّ والأقلام .

* * *

وله أشعار نَثَر في أرض [illegible] جُمانها ، وأطلع من سلك السُّطور ياقوتها وبَهْرمانها(٢) .

فما ينتسب من « صحاحها » للجوهري ، ويُروى من « تهذيب » مفرداتها عن الأزهري قوله :

بَاكِرْ رياضَ النَّيْرَبَيْن ومائها … وانظُرْ إلى الأزهار في أجناسها(٣)

ما بين زَنْبقها الأنيق ووَرْدها … وبديعِ نَرْجِسها الغَضيض وآسها

وترنُّمِ الأطيار فوق غصونها … تَرْوِى لطيفَ اللَّحْن عن عبّاسها(٤)

جمعتْ معانيَ اللُّطفِ في ألحانها … وبيانَ مَنْطقها وحُسْنِ جِناسها(٥)

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) بهرمان : لون أحمر ، معرب . شفاء الغليل ٤٢ .

(٣) في ب : « باكر لأرض النيربين » ، والمثبت في : ا ج . وتقدم التعريف بالنيربين في صفحة ٧٣ .

(٤) لعله يعني العباس بن الأحنف ، شاعر غزل مشهور ، توفي سنة [illegible] .
الأغاني ٨/٣٥٢ ، وفيات الأعيان ٢/٢٢٩ .

(٥) في ج : « جمعت معاني اللطف » ، والمثبت في : ا ، ب .

تُغْنيكَ عن صَوتِ المَثانِي عِندمَا ... تَشْدُو بِرَوْنَقِهَا على جُــــلّاسِها

فَتَرى الغُصونَ لِمَا بِهـــا مِن نَشْوةٍ ... تَهْوِي إليكَ من السُّرورِ بِرَاسِها (١)

طافَ الغَدِيرُ بِهـــا فأثْمرَ فَرْعُهَا ... وغَـــدَا يُخَبِّرنَا بِأَصْلِ غِرَاسِها

وسَرَتْ بِهـــا رِيحُ الصَّبَا فَتَأرَّجَتْ ... جُلَساؤُها بالطِّيبِ مِن أَنْفَاسِها

فانْهَضْ نَدِيمِي نَصْطَبِحْ فى ظِلِّها ... ودَعِ المَناصِبَ فى الزَّمانِ لِنَاسِها

وأَجِـــلْ لِحاظَ العَيْنِ فى أَرْجائِها ... وأَجْلِ القُلوبَ الصُّدْىَ مِن وَسْواسِها (٢)

واسْتَحْضِـــرِ اللَّذّاتِ بيْنَ رِياضِها ... واسْتَجْلِ بِكْراً أُفْرِغَتْ فى كاسِها

عَـــذْراءَ وافَقَهَا المِزاجُ فأَنْتَجَتْ ... أَطْفالَ دُرٍّ لم تُسَنْ بِنِفَاسِها (٣)

شَمْسٌ نُرِيكَ سَنًا إذا ما أُشْرِبَتْ ... فى فِيكَ أَوْلَتْكَ الهَوَى بِشِماسِها (٤)

نَذَرَ الذَّلِيلَ عَزِيزَ قَوْمٍ فى الوَرَى ... بِلَطِيفِ مَسْرَاها وشِـــدَّةِ باسِها

مِن كَفِّ مُعْتَـــدِلِ القَوامِ إذا مَشَى ... بَيْنَ الغُصونِ قَضَى على مَيّاسِها

أوْ ماسَ فى أهْـــلِ البَها ضَرَبَتْ له ... أَخْمِسْهـــا بالقَهْرِ فى أَسْدَاسِها

ما جِيدُ غِزْلانِ الصَّرِيمِ إذا انْثَنَى ... وإذا رَنا ما لَحْظُ رِيمِ كِنَاسِها

لِلْعَيْنِ فيـــه تَفَكُّهٌ لٰــكنْ إذا ... بَصُرَتْ به غابَتْ جَمِيعُ حَواسِها

ذو مُقْـــلَةٍ وَسْنَا إذا شاهَـــدْتَها ... أَهْدَتْكَ سُهْداً مِن فُتورِ نُعاسِها (٥)

قُمْ يا حَبِيبِي لا بَرِحْتَ مُمَتَّعًا ... دَاوِ القُلوبَ مِن السَّقامِ وآسِها

---

(١) فى ا : « لما بها من نشأة » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) فى ب : « واجلى لحاظ العين » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وفى ا : « فى أرجابها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ا : « واجل قلوب الصدى » ، وفى ب : « واجل القلوب الصيد » ، والمثبت فى : ح ، والصدى : جمع الصدىء . (٣) فى ب : « عذراء وافقها » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٤) فى ب : « إذا ما أسمرت . . . أولتك القوى شماسها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

واسْمَحْ وآيِسْ بالثَّنا يامُنْيَتِي   مازالَتِ الأيامُ في إتعابِهَا

* * *

وقوله[1] :

بالَّذِي أَوْدَعَ لَحْظَيْـ   ـكَ حَبِيبَ القَلْبِ حَتْفَا
وسقَانِي منهما كَأْساً   سَرِيعَ السُّكْرِ صِرْفَا
وحَبَا خَدَّكَ وَرْدَا   وحَبَا شَكْلَكَ ظَرْفَا
جُدْ على صَبٍّ كَئِيبٍ   ذِي أُوارٍ ليس يُطْفَا

* * *

ولمحمد الحَرْفُوشِيّ[2] من هذا الأسلوب :

بالَّذِي أنْشَاكَ فَرْدًا   وكَسَا خَدَّيْكَ وَرْدَا[3]
والَّذِي أعْطَاكَ حُسْنًا   فُقْتَ أهْلَ الحُسْنِ حَدَّا
والَّذِي أوْلَى فُؤادِي   مِنْكَ إعْرَاضًا وصَدَّا
صِلْ مُعَنًّى فِيكَ يَقْضِي اللَّـ   ـيْلَ تَسْهِيدًا ووَجْدَا

* * *

وهذا على أسلوب أبيات عبد المحسن الصُّورِيّ[4] المشهورة ، وهي[5] :

---

(١) الأبيات في سلك الدرر ٢ : ٢٦٢ . (٢) تقدمت ترجمة محمد بن على الحرفوشي ، في صفحة ١٨٩ ، برقم ١١ . والأبيات في سلك الدرر ٢ : ٢٦ . (٣) في ا : « وكساخديك وردا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) عبد المحسن بن محمد بن أحمد الصورى ، أبو محمد ، ابن غلبون .
أحد المحسنين الأدباء ، مجيد الشعر ، حسن المعاني ، رائق الكلام .
توفي سنة تسع عشرة وأربعمائة .
تتمة اليتيمة ١ / ٣٥ ، وفيات الأعيان ٢ / ٣٩٧ ، يتيمة الدهر ١ / ٣١٢ .
(٥) الأبيات في يتيمة الدهر ١ / ٣١٣ ، ٣١٤ ، سلك الدرر ٢ / ٢٦٤ .

بِالَّذِى أَلْهَمَ تَعْذِيـ ـبِى ثَنَايَاكَ الْعَـذَابَا

وَالَّذِى أَلْبَسَ خَـدَّيْـ ـكَ مِنَ الْوَرْدِ نِقَـابَا[1]

وَالَّذِى صَـيَّرَ حَظِّى مِنْكَ هَجْرًا وَاجْتِنَابَا[2]

يَا غَزَالًا صَـادَ بِاللَّحْـ ـظِ فُؤَادِى فَأَصَـابَا[3]

مَا الَّذِى قَالَتْهُ عَيْنَا كَ لِقَلْبِى فَأَجَابَا

٭٭٭



---

(١) فى سلك الدرر بعد هذا زيادة :

وَالذى أَسْكَنَ فى فِيـ ـكَ من الشُّهْدِ رُضَابَا

(٢) فى : ب « والذى صير صبرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر ، وسلك الدرر . (٣) مكان هذا البيت فى ج :

وَالذى أودع فى فِيـ ـكَ من الشُّهْدِ رُضَابَا

والمثبت فى : ا ، ب ، واليتيمة ، وسلك الدرر .

٣٣

محمد بن حسين، المعروف بابن عين الملك، وبالقاق*

لَعُوب بأطرافِ الكلام، مُفَوَّقٌ لِسهام الأقلام.

يستفيدُ مِن القَطَا فَضْلَ هِدايةٍ، وهو في اللُّؤْمِ أَضَلُّ من ابن دايةٍ[1].

زِيُّه غريب، وكلُّه أسْوَد غِرْبِيب[2].

أوْحَشُ حالًا من اللَّيل، وأكثر انفراداً من سُهَيل.

طالما جابَ السَّباسِب أرْدِية، وخاضَ النَّوائبِ أودِية.

مُتنقِّلًا من بُقْعَةٍ إلى بقْعة، وطائراً مِن رُقعةٍ إلى رُقْعة.

حتى حَصَّ[3] جناحَه الكِبَر، ووقفَ من سوءِ[4] بَخْتِه[5] على يقينِ الخبَر.

هُنالك كَرَّ على وَكْرِ عشِيرَتِه وحامِيَتِه، ومُعشَّش فارقته بمخبرها وراميته.

(*) محمد بن حسين بن محمد، المعروف بابن عين الملك، الدمشقي، الصالحي، الشهير بالقاق.
ولد سنة ست بعد الألف.
وكان شاعرا مجودا، عارفا بأساليب الشعر والصنعة، حسن [illegible]، كثير الهجاء والوقوع في الناس.
جمع ديوانين من شعره، أحدهما للمدح، والآخر للهجو، وسمى الثاني: «بئس المصير».
وسافر إلى الروم، فأقام بها مدة.
كما ولي نيابات المحاكم، وقضاء حمص، ونيابة قضاء طرابلس.
توفي سنة ست وسبعين وألف، ودفن بزاويتهم بسفح قاسيون.
خلاصة الأثر ٣/٤٥٦.
والقاق: الطويل، وقيل: الفج الطويل، والقاق أيضا: طائر مائي طويل العنق. اللسان (ق و ق) ١٠/٣٢٤.

(١) ابن داية: الغراب. (٢) الغربيب: الحالك السواد. (٣) في ب: «حصّ»، وفي ج: «قص»، والمثبت في: ا. وحص الكبر جناحه: أسقط ريشه. (٤) في ب: «سر». والمثبت في: ا، ج. (٥) في ج: «نحبه»، والمثبت في: ا، ب.

وقد رأيتُه وشَعْره شَاب ، لٰكنّ شِعْرَه ما[١] شَاب ، وهو فى الشِّعْر نُصَيب[٢] الوَقْت ، وحالُه حالُه فى الإقْصاءِ والمَقْت .

ومَنَاظِيمُه لا تخْلُو من ألفاظ عِذاب ، إلاَّ أهاجِيه فإنَّها سَوْطُ[٣] عَذاب .

وقد بلغنى أشياء منها ، عارضَتْنى لكَثْرة فُحْشِها فأعرضتُ عنها .

وأمّا غيرُها مِن لَوامِعِه فما أورَدْتُه أورَدْتُه ، وإذا استَهْجَنْتُ شيئًا إليه رَدَدْتُه .

فإنى كفَوّارةِ الماء ، لا أقبَلُ إلاَّ السَّيّالَ الرَّقيق ، وغيرى كالمُنْخَل ، يُمْسِك النُّخالة ويُخرِج الدَّقيق .

* * *

فمن شعره قوله فى دُولاب ماء[٤] :

ودولابِ رَوْضٍ قد شجانا أنينُه ... وحَرَّك منّا لَوْعةً ضِمْنَها حُبُّ[٥]

ولٰكنّه فى بَحْرِ عشْقٍ جَهالةً ... يدُورُ على قلْبٍ وليس له قَلْبُ

* * *

(١) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب . (٢) أبو محجن نصيب بن رباح ، كان عبدا أسود ، اشتراه عبد العزيز بن مروان وأعتقه ، سئل عنه جرير فقال : هو أشعر أهل جلدته ، توفى سنة ثمان بعد المائة الأولى .

الأغانى ١/٣٢٤ ، معجم الأدباء ١٩/٢٢٨ .

وكان له بنات كسدن عليه ؛ لأنهن اكتسبن من سواده ودمامته ، ورغب بهن أبوهن عن التزوج من العجم ، ولم يرغب فيهن العرب . ولعل هذا هو ما يعنيه المؤلف بقوله : « وحاله حاله فى الإقصاء والمقت » . الآتى .

انظر ثمار القلوب ٢٢٢ .

وانظر ترجمة ياقوت لنصيب الأصغر ، مولى المهدى . معجم الأدباء ١٩/٢٣٤ .

(٣) فى ب : « صوت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٩ . (٥) فى ا ، ب : « قد شجانى أنينه » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : « ضمنها حب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقوله ، من قصيدة مطلعها[١] :

سَقَى الخزامَى باللِّوَى والأقاحْ ... مِن عارضٍ أبلَجَ سَجْلِ النَّواحْ
حتَّى تراهَا وهْيَ مُخْضَــــلَّةٌ ... تَغَصُّ رِيًّا بالزُّلالِ القَراحْ
معاهدٌ للأُنْسِ كانَتْ وهَلْ ... لِي وَقْفةٌ بيْنَ جُنوبِ البِطاحْ[٢]
أيَّامَ فى قَوْسِ الصِّبا مَنْزَعٌ ... ولِلْملاهِي غَدْوة لا رَواحْ[٣]
والظَّبْيَةُ الأدْماءُ لِي مُنْيَةٌ ... وحبَّذَا مَرْضَى العيونِ الصِّحاحْ
لم أنْسَ يومَ الطَّلْحِ إذْ وَدَّعَتْ ... وأدْمَتِ القلْبَ بغَيْرِ الجِراحْ
يا وَقْفَةً لم يُبْقِ فيها النَّوَى ... إلَّا ظُنونًا ليس فيها نَجاحْ
ياقلبُ حِدْ بِي عَنْ طريقِ الهوَى ... فِفي مُناجاةِ المَعالِي ارْتِياحْ[٤]
فالرَّاحُ والرَّاحةُ ذُلُّ الفَتَى ... والعِزُّ فى شُرْبِ ضَريبِ اللِّقاحْ[٥]

---

(١) خلاصة الأثر ٣/٤٥٩ . (٢) فى خلاصة الأثر : «معاهدا للأنس» . (٣) فى ب : «غدوة والرواح» ، وفى ج ، وخلاصة الأثر : «غدوة أو رواح» ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى ب : «يا قلب حد لى» ، وفى ج : «يا قلب خذ لى» ، وفى خلاصة الأثر : «يا قلب خذ بى» ، والمثبت فى : ا . وفى ب : «عن طريق النوى» ، والمثبت فى : ا ، ج . وخلاصة الأثر .

(٥) فى ا ، ج : «فالراح والراحة ذل الفتى» ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

٣٤

القاضى إبراهيم الغَزَّالِىّ *

فتًى مُداعَبةٍ ومُجُون ، طبْعُه بالخلاعة مَعْجُون .

إذا تكلَّم بِبِنْتِ شَفَة، تعدُّ مِن غَيْرِه سَفَه .

لا يستفِزُّه [١] قِيلٌ ولا قَال ، وكلُّ عَثْرةٍ منه تُقال .

وله جامِعيَّةُ بَيان وتِبْيان ، وهو فيها سفينةُ نُوحٍ أو جامع سُفْيان [٢] .

إلَّا أنّه كان فى شِعْرِه مُتَحلِّفا ، وعن أهْل طبقته مُتَخلِّفا .

لأنَّه يَنْبُو عن السَّهْل القريب ، ولا يستعمِل إلَّا المُنافِرَ [٣] الغَرِيب .

ورُبَّما نَدَرتْ [٤] له أبْياتٌ فى مَرام ، فكانتْ كَرْمية من غَيْر رَام .

أستغفر الله ، نعم هو فى هِجائِه مُجِيدٌ ولو بازْدِراء [٥] هِجائه ، لَعُوبٌ

حتى بيَأْسه ورَجائه .

(*) إبراهيم بن محمد بن على بن أبى بكر الصالحى ، المعروف بالغزالى ، الأديب ، الشاعر .

ولد سنة ثمان بعد الألف ، بصالحية دمشق .

وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائى ، وتأدب بالشيخ أيوب الخلوتى .

وتعاطى كتابة الصكوك فى محكمة الصالحية ، ثم تركها وناب فى القضاء .

كان شاعرا ماجنا ، راوية ، صاحب نوادر .

توفى سنة ثمان وثمانين وألف ، ودفن بالسفح .

خلاصة الأثر ١ / ٦٦ ، ٤ .

وقد ذكره المحبى فى خلاصة الأثر فى صدر الترجمة باسم : « الغزال » ، وفى أثنائها باسم « الغزالى » .

(١) فى ب : « يستفزه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) تشير سفينة نوح وجامع سفيان إلى أنه جامع لكل شىء ، وجامع سفيان ، هو جامع سفيان الثورى فى الفقه . انظر ثمار القلوب ٣٩ ، ١٧٠ .   (٣) فى ب : « السهل » ، وهو خطأ ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ب : « ندرت » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٥) فى ج : « فى ازدراء » ، والمثبت فى : ا ، ب .

يطّلع هزْلَه جِدّا ، ويُرهِفُ حَديدَته حَدًّا .

* * *

فممّا استخرجتُه من حُلوه وحامِضِه ، وصرّحتُ فيه بأمرِ واضِحِه وغامِضِه .
قوله [1] :

يا من ملكوا جَوانِحي مَعَ لُبّي ما اعتدتُ شكايةً لحالي يُنبِي
لازِلتُ مُشاهدًا لحالي تلفًا إن كان سِوا كُمْ نَوَى في قلبي [2]

* * *

ومن أهاجيه ، قوله في إسماعيل بن [3] جمال الدين [3] الجرَشي [4] :

باللهِ قلْ لمغيظِ الطَّبعِ عنّيَ ما أنكرتَه من فلانٍ كي ترى عَجَبا [5]
فلم تجدْ غيرَ أنّي لم أنكْهُ لِما قد عِفتُه منه قِدْمًا كان ذا سَببا
ولو أحشمه أيري ومنعته إيّاه ما عدّلي دنًّا وما رقبا [6]
لكنّني الآنَ أكوي فرجَ قحبتِه بنارِ أيري وأرقى عندَه الرُّتَبا
أكفُّ النفسَ تغييرًا لمذهبِ قبلي كثيرٌ لهذا الأمرِ قد ذهبا
لاسامحَ اللهُ ما أُولي يكلّفني لغيرِ طبعي ويبغي غاسقًا وقبا [7]

* * *

---

(١) الرباعية في خلاصة الأثر ١/٤٧ .
(٢) في ا : « بخالى قلنا » ، وفي ب : « خالى تفا » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .
(٣) ساقط من : ب ، وخلاصة الأثر ، وهو في : ا ، ج .
(٤) انظر في هذه النسبة المناسب ١/٢٢١ .
والقصيدة في خلاصة الأثر ١/٤٧ .
(٥) في خلاصة الأثر : « من مذ » .
(٦) هذا البيت والذي بعده ساقطان من : ج ، وفيها بياض بقدر البيتين ، ويبدو أن الناسخ تركهما للفحش . وهما في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
وفي ب : « ولو أحشمه أيرى » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .
(٧) في خلاصة الأثر : « لغير طبعى » ، وفي هامش ب : « وفي القاموس : غاسق إذا وقب ، أير إذا قام » . انظر القاموس ٣/٢٦٤ .

وله في والد إسماعيل المذكور ، وكان مؤذِّنا يُؤذِي [1] الآذان [2] :

إنّ الجمالَ الجرشي ... مثلُ المغنّي القرشي
يودُّ من يسمعُه ... لو ابتلي بالطَّرش

***

المغنّي القرشي معروف بقبح الصوت ، وفيه يقول المهلَّبي [3] :

إذا غنّاني القرشي ... دعوتُ الله بالطَّرش
وإن أبصرتُ طلعته ... فواشوقي إلى العمش [4]

ولابن العميد فيه [5] :

إذا غنّاني القرشيُّ يومًا ... وعنّاني برؤيته وضَرْبِهْ
وددتُ لو أنّ أذني مثلُ عيني ... هناك وأنّ عيني مثلُ فمِهْ

***

الشيء بالشيء يذكر ، والمناسبة حقها لا ينكر .

ذكرت هنا فصلا فاته في مغنٍّ بارد النغمات :

« جمعني وفلانَ المغنيَّ مجلسٌ فاستقريتُ [6] مُنكرَها ، وسمعتُ ورأيتُ مُنكرَها .

فقلتُ : قبّحه الله من مغنٍّ سماعُ صوته غمّ ، كيف ولفظُ غمّ في نغمه مُدغم ؟

فإذا أدّى آذى ، وإذا غنّى عنّى .

---

(١) في ج : « فيؤذي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤٨ ، وذكر أنه قالها في إسماعيل المذكور ، وهو خطأ .

(٣) أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله المهلبي ، وزر لمعز الدولة البويهي ، وللخليفة المطيع ، فسد بذلك الوزارتين ، كان أديبا شاعرا ، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

فوات الوفيات ١/٢٥٦ ، يتيمة الدهر ٢/٢٢٤ .

والبيتان له في : يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، خلاصة الأثر ١/٤٨ .

(٤) في خلاصة الأثر : « فيا شوقي » . (٥) بيتا ابن العميد في يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، خلاصة الأثر ١/٤٨ . (٦) في ا : « فاستقريت » ، والمثبت في : ب ، ج .

لا مَرْحباً بِمُغَنٍّ طَوَى الْمَسَرَّةَ عَنَّا

قال النَّدامَى جميعاً لَمَّا تَغَنَّى تَغَنَّى

ياليتَــــه ماتغَــــنَّى ياليتــه مات عنَّــــا

فما أحقَّه بقَوْلِ بعض الـكُبَراء ، وقد غَنَّى مُغَنٍّ فقيل له : كيف ترَى ؟

ويَحْسَبُ النُّدْمانُ فِي حَلْقِهِ دَجاجَةً يَخْنُقُها ثَعْلَبُ

وقيل لآخر مافيل لهذا ، فقال :

وكأنَّ جُرذَانَ الْمحلَّةِ كُلَّها فى حَلْقِه يَقْرِضْنَ خُبْزا يابِسَا

غيرَ أنَّى اخْتَبَرْتُه اخْتِبارَ عارِفٍ أرِيب ، فرأيْتُه فى صَنْعةِ الضَّرب ماله ضَرِيب .
وضَرْبُه أوْقَعُ مِن الضَّرِيبِ[1] والضَّرَب[2] ، وإن كان غِنـاهُ كالضَّرْبِ
على الرُّكَب

فبالجملة يستحِقُّ على ضَرْبِه غِناه[3] ، ويستوجِبُ ضَرْبَه على غِنَاه[4] .
فمَن ابْتُـلِىَ به فلايَدَعْه يفتَحُ فاه ، إلّا وهُو نازِلٌ بالصَّفع على قفاه » .

* * *

وللغزَّالِىّ ، والبيت الأخير مُضمَّن[5] :

أضْحَى التَّصَبُّرُ حَبْـلُه مَقْطُوعَا لَـمَّا رأيْتُ مُعَــذِّبِى مَمْنُوعَا

وحديثُ وَجْدِى مُسْنَداً ومُعَنْعَناً أمْسَى لَدَيه معلَّلا مَوْضُوعَا[6]

وفقَدْتُ قلْبِى عنــده وأظُنُّهُ لِبَلِيَّتِى قد ساء فِيه صَنِيعــا

فَنَدَوْتُ أنْشِدُ واللَّهِيبُ بِمُهْجَتِى والبَيْنُ جرَّعنِى الأسَى تَجْرِيعَا

باللهِ يا أهْــلَ الهوَى وبِحَقِّه لا زالَ قَدْرُكُمْ به مَرْفُوعَا

---

(١) فى ب : « التضريب » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٢) الضرب ، بالتحريك : العسل .
(٣) من الغنى ، بالقصر . (٤) من الغنـاء ، بالمد وكسر العين . (٥) الأبيـات فى خلاصة
الأثر ٣/٤٦ ، ٤٧ . (٦) فى خلاصة الأثر : « أضحى لديه ممثلا موضوعا » .

قولوا لِمَن سَلَبَ الفؤادَ مُصَحّحًا   يَمْنُنْ عَلَيَّ بِرَدِّهِ مَصْدُوعَا

* * *

وله من الرُّباعيّات :

القلبُ إلى سِـــوَاكُمُ مَا مَالَا   والدَّمْعُ لغيرِ بُعْدِكُمْ مَا سَالَا

إنْ كان حَسُودُنَا أتاكُمْ وَوَشَى   باللهِ بِلُطْفِـكُمْ دَعُوا ماقالَا

٣٥

القاضي عمر الدُّوَيْكي*

هو في الفلك، مُنوِّر الحَلَك.

بَرْأي يثقُبُ أحْسَن الثُّقوف، حِلْيَة لِحيته كالقطن المَنْدوف.

[1] وقد أُلبِسَت[1] المهابَةَ إهابَه، فلو رآه الأسَدُ الوارِدُ في غابه لهابَه[2].

وقد كَحَلَتْنِي الأيّامُ بطَلْعته، فوقَفْتُ على صِبْغَتِه وصَنْعَته.

ورأيتُ شخصا مَرْوقَ الشِّيَم، تنفح أخْلاقه عن الزَّهْر بعد الدِّيَم.

* * *

وله أشعار بعضها دَرارِيّ في أسْلاك، وأطْباع منها كواكبَ سابحةً في أفلاك.

فمنها قوله من قصيدة، مطلعها[3]:

جازَتْ على تهزُّ في أردانِ   هَيْفاءُ رمحُ قَوامِها أرْداني

تُرْكيّة الألْحاظِ لمّا أن رَنَتْ   تَحْوِي بصارِمِ ناعِسٍ أصْماني[4]

غَرْثَى الوِشاحِ ترنَّحَتْ أعْطافُها   مَن ذَا الّذي عن حُبّها ينهاني[5]

في خَدّها الوَرْديّ نارٌ أُضْرِمَتْ   فعجِبْتُ لِجنّاتٍ في النِّيرانِ[6]

(*) زين الدين عمر بن يحيى القاضي، الشافعي، المعروف بابن الدويك، الدمشقي.

كان فاضلا، أديبا، عارفا بفنون كثيرة، وله في الرياضيات، خصوصا الفلك، مهارة تامة.

ولي القضاء بمحكمة قناة العوني، ثم نقل إلى محكمة الباب.

توفي سنة ثلاث وثمانين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

خلاصة الأثر ٣/٢٢٧.

(١) في ب: «وألبسته»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ا، ب: «أهابه»، والمثبت في: ج.

(٣) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/٢٢٧، ٢٢٨. (٤) في خلاصة الأثر: «بطرف ناعس أصماني».

(٥) غرثى الوشاح: يعني ضامرة الخصر. (٦) في خلاصة الأثر: «فعجبت للروضات في النيران».

لمـا انثَنَتْ تختالُ فى حُلَلِ البَها سَجَدتْ لِقامَتِها غُصونُ البانِ

جارَتْ على ضَعْفِى بِمَادِلِ قدِّها عجبًا فهل ضِدَّانِ يجتمعانِ

لولا جَعِيد الشَّعْرِ مَعْ فَرْقٍ لهـا ما كان لى ليْلٌ وصُبْحٌ ثانِى

قَسَمًا بطَلْعتِها ولَفْتةِ جيدِها وبثَغْرِها وبقَدِّهـا الرَّيّانِ

وبنونِ حاجبِها وروْضةِ خدِّها وبلُطْفِها وبحُسْنِها الفتّانِ

لم أنْسَها لمّـا أتَتْ بملابِسٍ قد طُرِّزَتْ بمحاسِنِ الإحْسانِ

وافتْ وثَوْبُ الليلِ أسبل سِتْرَهُ حتى غدَا كالثَّوْبِ العُرْيانِ[1]

هــذا التّشبيه عارٍ من لُطفِ المعنى ، وما أحقَّه أن يُشبَّه بتَشْبيهِ الماء بالماء .

فضَمَمْتُها ورشَفْتُ بَرْدَ الثَّغْرِ كَىْ أُطْفِى بذلك حُرْقةَ الأشْجانِ

باتَتْ تُعاطِينى كُؤوسَ حديثِها وتُشَنِّفُ الأسْماعَ بالألحـانِ

بِتْنا على رَغْمِ الحَسُودِ بغِبطة وبفَرْحة ومَسَرّةٍ وأمَانِ

حتّى دنا الفجرُ المنيرُ فراعنى شيبٌ برأسِ الليلِ نحْوى دانِ

قلت : هذا شعر دعانى إلى إيرادِه صِدقُ العَهْد ، والعناية بالوُدِّ الذى هو خُلقى من حين لَفظَنى المَهْد .

(١) فى خلاصة الأثر : « وثوب الليل أسدل ستره » .

(نفحة الريحانة ١/٢٦)

٣٦

أبو بكر، المعروف بغُصَيْن البان

ما لُقّب بالغُصَين إلا لنضرة قدِّه، ورِقّة طَبْعه الذى يكاد يقطر من كَثْرة مائه.

وهو المَعْنِيُّ بكَثْرة[1] الموشّحات، التي يتغنَّى بها فى كلّ حضره، والمطلع منها ما يُغْنِى به مُشاهِدُ الشَّكْلِ الحسَن عن الماء والخُضْرة.

* * *

وليس يحضُرُنى من شِعْره إلا ما تراه، وتمايَلُ به طَرَبًا كالغصن يتمايَلُ للصَّبا عند مَسْراه.

فمن ذلك قوله، ويخرج منه اسم داود بطريق التعمية:

دَنَا فأثْبَتَ سَهْمًا من لواحِظه … فى مُهْجتى ذو قوام يافِعٍ نَضِرِ[2]

وراحَ يَسْحَبُ ذَيْلَ العُجْبِ مُنْتَفِتًا … فى تِيهِه ومَضَى والقلبُ فى خَطَرِ

* * *

وقوله فى اسم رمضان:

وشادِنٍ من بَنِى الأتراكِ مُعْتَدلِ … وافَى وفى وجْهِه خالٌ لِمَن رَمَقَا

له عِذارٌ بنارِ الخدِّ مُمْتَزِجٌ … قد هِمْتُ فيه ولا عارٌ لِمَن عَشِقَا

(١) فى ج: «بأكثر»، والمثبت فى: ا، ب. (٢) فى ا، ب: «ذى قوام يانع نضر»، والمثبت فى: ج.

٣٧

عمر بن محمد ، المعروف بابن الصَّغَيِّر *

خليفةُ أبي بكر العَمَرِيّ وخَدِينه ، وزميله في المَعارِض بالقَرِيض وأليفه .

ومَن اغترفَ مِن مَحَلِّ غَرْفِه ، وهَبَّ عاطِرَ الأنفاسِ بعَرْفِه .

والنَّسِيم يطيب إذا مَرَّ بِرَوض أنْضر[1] ، ومَن صحِب العَطَّار لا يخْلُو من أن يتَعطَّر .

وهو في الشِّعر مُكْثِرٌ مُجيد ، ومُحَلَّى نَحْرٍ[2] للأدَب وجِيد[2] .

إلّا أنَّه أعْرَبَت محاسنُه عن نُطق مُعْرِب ، وطَرِبت بأغْلب أشعارِه عَنقاء مُغْرِب .

* * *

فمَّا بلغني من شِعْرِه .

قولُه مُعَمِّيًا باسم خالد[3] :

مُذْ رَقَّ ماءُ لِلْجَمالِ بوجْنَــةٍ   كالوَرْدِ في الأغْصانِ كَلَّلَهُ النَّدَى[4]

وتَمَنَّتْ أهْــدابُنا فيــه فَطَنَّـ   ـوهُ العِذارَ ولا عِــذَارَ بِهِ بَدَا

* * *

(*) عمر بن محمد ، المعروف بابن الصغير ــ بصيغة المصغر ــ الدمشقى .
كان شاعرا مطبوعا ، حسن التخيل ، وله مشاركة جيدة في الأدب .
برع حتى صار قيم الأدب والعلم بعد شيخه أبي بكر بن منصور العمرى .
توفى في حدود سنة خمس وستين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .
خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ .

(١) في ب : «عطر» ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : «الأدب وجيد» ، وفي ب : «الأدب بجيد» ، والمثبت في : ج . (٣) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ . (٤) في ا : «مذ رق ماء لجمال بوجنتــه» ، وفي ب : «مذ رق ماء للجمال بخده» . والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .

وهذا المعنى متداول من قول بعضهم[1] :

أعِذْ نظرَ إثمدها في الخد نبتٌ حَمَاهُ اللهُ مِن رَيْبِ الْمَنُونِ
ولكن رقَّ ماءُ الحُسْنِ حتَّى أرَاكَ خيالَ أهْدابِ الجُفُونِ

وزاد الأمير المَنْجَكِى ، وأحسن فى قوله[2] :

لمَّا صفَتْ مِرآةُ وجْهِكَ أيقنَتْ أهْوَاى أنِّى عُدْتُ فيــه خيالاَ[3]
فحسِبْتُ أهْــدابِى بِخَدِّكَ عارِضًا وظنَنْتُ إنسانِى بِخَدِّكَ خالاَ[4]

* * *

والمُترجَم ، ويخرج منه اسم (5 عثمان[6] :

فدَيْتُ حَبِيبًا زَارَنى بعــد صدِّه ومن رِيقِهِ واللَّحظِ حتى قرْقَفِ[7]
سقانِى ثلاثًا ياحبيــبى وإنها شِفاءُ الذى سُقْمٍ ورَاحــةُ مُدْنَفِ

* * *

وله ، ويخرج منه اسم 5) سليمان[8] :

رأى عاذِلِى مُثْبِتِى فى [illegible] إزارٍ وحيد عن نَهْجِها[9]
وقد لامَ فى مِثْــلِ عِشْقى لها وما شاهدَ الخالَ فى وَجْهِهَا

* * *

(1) البيتان فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٢٥ .
(2) ديوان الأمير المنجكى ١٢٥ . (3) فى الديوان : « . . . أيقنت عينى أنى عدت فيك خيالا » .
(4) فى الديوان :

وظننت أهدابى بوجهك عارضا وحسِبْتُ إنسانى بخدك خالَا

(5) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (6) البيتان فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، وقد نسبا خطأ إلى العمرى ، بعد سياق قصة ستأتى . (7) فى خلاصة الأثر : « ومن ريقه واللحظ مع كأس قرقف » .
والقرقف : الخمر .
(8) البيتان فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٢٧ . (9) هكذا ورد البيت فى الأصول التى بين يدى ، وفى خلاصة الأثر : « رأى عاذلى [illegible] » .

ومما نَسَبه الْبَدِيعىّ إليه ، وأظنُّه مَنْصوباً (١ ضمانُه عليه ١) ، قولُه (٢) :

أَفْدِي الَّذِي دَخَـلَ الْحَمَّامَ مُئْتَزِراً ... بِأَسْوَدٍ وبِلَيْـلِ الشَّعْرِ مُلْتَحِفَا

دَقُّوا بِطَاسَاتِهِمْ لَمَّا رَأَوْهُ بَدَا ... تَوَهُّماً أَنَّ بَدْرَ التِّمِّ قَـدْ كُسِفَا

* * *

وهذا تخيُّلٌ حسَن ، أجاد فيه وأحْسَن .

وأصلُه (٣) ما اشْتُهِر فى بلاد العجم أنّ القمرَ إذ خَسَف يضْرِبون على النُّحاس ، حتى يرتفعَ الصَّوتُ زاعمين بذلك أنه يكون سببَ انجلاء الخسوف ، وظهور الضَّوْء .

هكذا قاله بعضُ الأدباء .

* * *

والذى ثبَت فى أصْله (٤) من قصة غريبة وحده ، أن هُلاكو ملكَ التتار ، لما قبَض على النَّصير الطُّوسىّ (٥) ، وأمر بقَتْله لإخْباره ببعض المغيبات .

فقال له النَّصير : فى الَّيلة الفلانية فى الوقت الفلانى يخسِف القمرُ .

فقال هُلاكو : احْبِسوه ، إن صدَق أطلقناه وأحْسَنَّا إليه ، وإن كذب قتلْناه .

فحُبِس إلى اللَّيلة المذكورة ، فخَسَف القمرُ خُسوفاً بالغاً .

واتَّفق أن هُلاكو غلَب عليه السُّكْرُ تلك الليلة ، فنام ، ولم يَجْسُر (٦ أحد على إنْباهِه ٦) .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ .

(٣) ذكر هذا أيضا المحبى فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) القصة فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٥ ، ٢٢٦ أيضاً .

(٥) أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسى ، نصير الدين .

ولد بطوس ، ونبغ فى العلوم العقلية ، والفلسفة ، وكان علامة فى الأرصاد ، والرياضيات .

خدم هولاكو ، وعلت منزلته عنده .

توفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

البداية والنهاية ١٣/٢٦٧ ، شذرات الذهب ٥/٣٣٩ ، الوافى بالوفيات ١/١٧٩ ، فوات الوفيات ٢/٣٠٧ .

(٦) فى ب : « على انتباهه أحد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

فقيل للنَّصِير ذلك .

فقال : إن لم يرَ القمرَ بعَيْنِه ، وإلّا فأصبِحْ مقتولاً لا محالة .

وفكر ساعة ، ثم قال للمُغل : دُقُّوا على الطّاسات ، وإلا يذهبُ قمرُكم إلى يوم القِيامَة .

فشَرع كلُّ واحد يدقّ على طاسِه ، فعظُمت الغَوْغاء[1] ، فانتبَه هُلاكو بهذه الحِيلة ، ورأى القمرَ قد خَسَف ، فصَدَّقه ، وبقِيَ ذلك إلى يومنا[2] .

* * *

ومن اللَّطائف[3] أنّ أديباً من العجَم ، وقد خفِيَ عنّى اسْمُه واستَعْجم .

كان صحِبْتَه أميرٌ كبير ، فى رَوْض يتفتّق عن عبير .

وبه بِرْكَة ما ، أصفَى من رِيقة[4] أَلْمَى[5] .

يحُفّها طائفة من الغِلمان ، هذّبت بالّطف طِبعَها ، وتركَتْ تحكِي[6] صُورها الحياةَ فى الأجْسام الصَّقيلة الطباعِ .

وفيهم فتًى زائدُ الاشتهار بكلّيه ، إلّا أنه يزيد على ضوء النّهار .

فحيّاهما بجَامه ، ووقف يثير شجْوَها برِقّته وانسِجامه .

والبِرْكة قد انعكسَتْ فيها تلك الصُّوَر الطَّواهر ، فخالَها نُجوماً وهو بينها القمرُ الزّاهر .

فخامرتِ الأديبَ من خيالِه سَوْرَة ، وتخَيَّل أن البدرَ يُهدِيه نُورَه .

ففطِن الأميرُ للأمر الذى وَضح ، وحرَّك الماء بقَضيب فانمحَى الخيالُ الذى فضَح .

---

(١) فى ب : « الفوغة » ، والمثبت فى : ا ، ح . وخلاصة الأثر . (٢) فى ب بعد هذا زيادة : « هذا » . (٣) ذكر هذا أيضا المحبى فى خلاصة الأثر ٣/٢٣٦ . (٤) فى ا : « ريق » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٥) فى ح : « المى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ب : « تحكم » ، والمثبت فى : ا ، ح .

فذَاقَ ذلك الأديبُ على طاسٍ حتّى روَى غلّةَ الصَّدْر ، فسأله الأميرُ عن سرّ ذلك ، فقال : هذه عادتُنا إذا خسَف البدر[1] .

* * *

وأبدَعُ من ذلك وأطْرب ، ما حكاه العُمْرِىّ[2] شيخُ الأدب[3] .

أنه كان بدمشق فى بيت قَهْوة ، مُقيماً لرسْم حَظٍّ ونَشْوة .

وإلى جانبه أديبٌ يأنَسُ الفِكْر بآدابه ، ويتعلّق الطَّرْفُ بأهْدابه .

وبينهما حديثٌ يُفاوِحُ زَهْرَ الرُّبى ، ويُطارِحُ نغمَ حمامِ الأيْك مُطرِبا .

إذا ببَدْرِ حسَنٍ فارقَ فلَكه ، وسقَط لا يدْرِى أىَّ مَسْلكٍ سَلَكه .

حتى إذا دَنَا منهُمَا وقَف واستَوقَف ، واختَلَس الألبابَ جَذْباً إليه وما توقّف .

فطفِقا يسرَحان فى محاسِنه المعانِى ويُجيلان[4] الألفاظ ، وبحُكْم الهوَى يمُدّان الأيدِى ويُشيران بالألْحاظ .

فما ردَدَا وَجْهاً ولا عِطْفا ، ولا جَنَيا وَرْداً باللَّحْظِ ولا قَطْفا .

حتى غشِيَهما شخصٌ مَهولُ المنظر[5] فى ذاته ، إذا رأى الطَّرفُ شخصَه ، أحال اللهُ بينه وبيْن لَذّاته .

فحَال بيْنهما وبين ذلك البدْرِ التّام ، وحجبَه عنهما كما يحجِبُ البَدْرَ الغَمام .

فقال ذلك النَّديمُ : هذا خُسوف عسَى اللهُ يُؤْذِن بزَواله ، ونسألُه أن يدْفعَ عنّا عُقْبَى مَصائبه وأهْواله .

ثم نظَرا إلى[6] ذلك الشَّخْصِ وقد كشَف رَأْسَه ، فإذا هو أقْرَعُ كأنّما[7] رأْسُه طاسه .

---

(١) فى ب : « القمر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) يعنى أبا بكر العمرى ، الذى تقدمت ترجمته برقم ١ ، صفحة ٢٢ (٣) ذكر المحبى هذه القصة أيضا ، بطريق أوضح ، فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٦. (٤) فى ا : « ويحيلان » ، وفى ج : «ويخيلان» ، والمثبت فى : ب . (٥) فى ا : « الشكل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ب ، ج : « فى » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ب : « كأن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فقال العُمَرِيّ : الآن تمَّ التَّخَيُّلُ من كلِّ جِهَة .

ثم أخذَ القلمَ ، وكتب على البَديهة (١) :

حَبَس البـــدرَ أقْرَعٌ عن عُيونِي   فغَــدا الطَّرْفُ خاسِئاً مَطْــروفا (٢)

فتناوَلْتُ رأسَـــهُ لِصِفَـــاعٍ   بِنِعالِي ، وصُنْتُ عَنْهُ الكُفُوفا (٣)

قال لِي اللائِمونَ كَيفَ فنَـــا   دَيْتُ دَعُونِي وأَقْصِرُوا التَّعْنِيفا

عادَةُ البـــدْرِ يَنْجَــلِي لَيْلَةَ الْـ   خَسْفِ بِدَقِّ النُّحاسِ دَقًّا عَنِيفا

وتراءيتُ طاسَـــةً جُمِّلَتُ الشَّـ   مْعَ دَقًّا فكان عُذْراً لَطِيفَا



(١) الأبيات أيضاً فى خلاصة الأثر ٣ : ٢٢٦ .   (٢) فى خلاصة الأثر : « حجب البدر » .

(٣) هذا البيت ساقط من : خلاصة الأثر .

٣٨

أحمد بن محمد الصَّفَدِيّ ،

إمام الدَّرْوِيشِيَّة *

صَفَد ، وإن كانت صَدَف هذه الدُّرَّة، فقد طمحتْ في جهة دمشق منها غُرَّة ، وأحْسِنْ بها من غُرَّة .

وبالتنقُّل ترتقي ذواتُ الأصْداف إلى الأعناق ، ويعلُو[1] ترابُ الأحجار إلى نُور الأحْداق .

وهذا الأديبُ ممن صحِبْتُه دهرا ، وخبَرتُ خلائقَه سرًّا وجهرًا .

فلم أرَ مثلَه رجلا مأمونَ الصُّحْبة ، مَوهوبَ النفس والمحبَّة .

جِبِلَّته عصمةٌ لا تستخفُّها الخِدَع ، وعلامةٌ لا تستفزها البِدَع .

إن هزَزْتَه لمكرُمة ارجحَنّ ، أو ذكَّرتَه بخِلٍّ عهدٍ حَنّ .

(*) أحمد بن محمد بن محمد الصفدي ، الدمشقي ، الشافعي ، ثم الحنفي .

ولد بصفد ، وقدم إلى دمشق وهو جوز العشرين بكثير ، فأقام بجامع المرادية ، مشتغلا بعلم القراءات وسمع الكتب .

قرأ على جماعة منهم : الشيخ منصور السطوحي ، والشيخ عبد القادر الصفوري ، واستجازهما فأجازاه ، ثم حج فأخذ عن علماء الحرمين .

عمل شاهدا بالمحكمة الكبرى ، ومحكمة الباب ، وشغل بالتدريس والإمامة والخطابة ، بالعمرية ، وجمع درويش باشا ، وجامع الأغا ، وكان يقيم أكثر أوقاته بالخلوة بجامع الدرويشية .

سافر إلى الروم مرات .

وألف « منظومة في العقائد » ، و « كتابا » جمع فيه ألف حديث ، رتبها على حروف المعجم .

يقول فيه المحبي : « وكان كثير الشعر ، بدى القلم ، وشعره عليه مسحة من الطلاوة » .

توفي سنة مائة وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، ولم يجاوز الستين بكثير .

خلاصة الأثر ١/٣٥٦ .

(١) في ب : « ويعلا » ، والمثبت في : ا ، ج .

فكنت أتزايد معه على مُفاكهة إذا جُنيت فما الرَّاح والتفاح ، وإذا ذُكِرت فما رَيحان الأصداغ إذا فاح .

وهو من مُكْثِرى شعراء العصر ومُجيديهم ، وإن لم يكن من مُكثريهم بالعوائد ومُجتديهم .

ليس لأحدٍ منهم عُشْرُ شِعْرِه ، إلا أنه مُنفِقٌ منه على قَدْرِ [1] سِعْرِه .

* * *

وقد أطْلعنى على « ديوانه » المنتخَب ، الذى ضمَّنه نُخَبَ النُّخَب .

فجرَّدْتُ منه مايعبَق عَبْقةَ المِسْكِ الفَتيت ، ويفُوه عن ثَغْرِ ألمَى معسول الرُّضاب شَتيت [2] .

فمنه قوله ، فى الغزل :

راح يَثْنِى عِطْفَه مرحاً ... أىُّ صَبٍّ من هَواه صحَا

مفرَدٌ فى الحسنِ ليس له ... من شَبِيهٍ فاقَ شمسَ ضُحَى [3]

ينجلى فى ليلِ طُرَّتِه ... منه مسكُ الخالِ قد نفَحا

خدُّه وردٌ ومُقْلتُه ... نَرْجِسٌ يسْقِى النُّهَى قدحا

مهجتى فى حبِّه تلِفتْ ... واصْطِبارى فى الهوى نزَحا

مارأينا مثلَه قمراً ... بالبَها يختالُ مُتَّشِحا

قام يسْقِى الراحَ من يدِه ... ضاحكاً مستبشِراً فرِحا

لو له بدرُ السما لمَحا ... فى ليالى تِمِّه لَمَحا [4]

كلما أشكو له ترَحاً ... فى هواه زادنى ترَحا

---

(١) فى ب : « قد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) الشتيت من الثغر : المفلج . القاموس (ش ت ت) . (٣) فى ب : « شمس الضحى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) لمحا الأولى : من المحو ، والثانية من اللمح .

هـــذه رُوحى به ذهبتْ صَبْوةً والدمعُ قـــد سَفَحا [١]

وعيونِى النـــومُ حارَبَهـــا بعــد هِجْرانٍ وما اصْطلحاَ [٢]

* * *

واتّفق له بعد ما أسَنّ ، أنه خلَع الرَّسَن ، وأزاح عن جَفْنِه الوَسَن .

فعشِق غلاماً يُدْعَى برَباح هام به هَيَمان الوليد [٣] ، وثبت ثباتَ الحجرِ الصَّنِيد .

فشاع فيه توَلُّهُه ، وما أقْصر [٤] حبُّه عن تنزُّهه .

وقد علِم أن الإذاعة ، أولُ طبقات الإضاعة .

ولما ثار عدوُّه ، ولم يصْفُ رَواحُه وغُدُوُّه .

أقلع عن صَبْوته ، واحتمى من التخلِّى بحَبْوتِه .

واتّخذ الفَراغَ سميرا ،ولم يشْفِ للسَّلْوة ضميرا .

فما قاله فى أيام لهْوِه ، يتشاغَل به عن فَراغه وسَهْوه :

راق وقتُ الصَّبـــا نَعِمْتَ صباحا فأدِرْ لى من خمرِ عينيك راحَا

عاطِنيهـــا سُلافةً من حـــديثٍ تُطرِب السمعَ فى الرياض انشراحا

وأعِـــدْ لى حديثَ كلِّ حديثٍ ذاك لاشكَّ يُنعش الأرواحَا

صاحِ طاب الزمانُ فاجْنِ جَنَى الْور دِ من الشّادِنِ الأغَنِّ مِزاحَا

واتْرُكِ الشغـــلَ واشتغلْ بحبيبٍ عَـــلَّ نلقى من الزمانِ رَباحَا [٥]

* * *

(١) فى ب : « هذه روحى به تلفت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « وعيون النوم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) لعله يعنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، من ملوك بنى أمية ، ولى الخلافة سنة خمس وعشرين ومائة ، وخلع منها سنة ست وعشرين ، وقتل لحبه للهو ، وانهماكه فى المجون .

الأغانى ١/٧ ، الكامل لابن الأثير ١٠٣/٥ .

(٤) فى ج . « قصر » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ب : « عل نلقى من الأوقات رباحا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وكتبتُ إليه أيام ارْتباطه ، ونشاطِه بالصَّبْوة واغْتباطِه .

وقد شغلنى ماشغلَه ، ورأيتُ الرَّأْىَ فى أن أنْصاع له :

مولاى الأعلى ، وسَنَدِىَ الأغْلى .

قد رُميتُ بسهمٍ أنت به[1] مُصاب ، وشربتُ بكأس أنت بها متجرِّعُ صاب .

ولم أدْرِ كيف فرَّطت ، ولا فى أى حَتْفٍ تورَّطت .

غير أن المقدورَ كائن ، والحَيْنَ لا شكَّ حائن .

وسببُ ذلك لَمْحة ، أعقبَتْ مِحنةً فى مِنْحة .

من قمرٍ بزَغ من فلك المربَّع ، لم يزدْ على العشر غير أربَع .

لو نظر الوجهَ منـــه منهزمٌ يتبعُه ألفُ فارسٍ وقفـــا

شدَّ[2] بَنْد نِطاقِه ، فحلَّ عزائمَ عُشَّاقِه .

يحسُد القلبُ طَرْفَه إذا لحه بناظرِه ، ويكاتِمُ سِرَّه حتى ليَصونه[3] عن أن يمرَّ بخاطرِه .

وإذا أهْدى السلامَ لِسَليمِه[4] ، [وقَّع بلُبِّه] على تسْليمه .

فعندما لحتُه ، استملَحْتُه

وأنشدت :

ولم أنْسَ لا أُنْسِيتَ وقْفَــةَ حائرٍ نَشَدْتُ بها ماضلَّ من شاردِ الحبِّ

رميتُ بعينى رَمْيــــةً سمحتْ به فلم أثْنِها إلا ومجْرُوحُهـــا قلبى

سجيَّةُ[5] خاطرٍ[6] ، فى التعرُّض مُخاطِر .

وبديهةُ وارد ، لرأْيه عنه شارد .

ولم أعرف له مكانا ، ولا ظنَنْتُ له إمْــكانا .

---

(١) فى ب : « بها » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « قد مد » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٣) فى ب : « يصونه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) السليم : الملدوغ . يعنى من أصابه هواه . (٥) فى ا : « سجيته » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٦) فى ب : « مخاطر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

حتى لقيتُه عندك ماثلا ، ولبدر أُفقِك مُماثلا .

فقلتُ ههنا تُسكَب العَبرات ، وتُنال على مايرْضى الربَّ المبرّات .

ووعدْتَ باجتماع[1] ثانيا ، ولم أَعْهدْكَ فى أمرى وانيا .

فقلتُ عسى يلاحِظ سَعْد ، فيسْتَنْجِز وَعْد .

ويعدِل زمان ، فيؤخَذ أمان .

وقد زادتْ العلّة ، ولم تُنقَع الغلّة .

فما بالُك تَمطِل مع الغِنى ، وتُحوِج بعد المُنى إلى العَنا .

والخِلُّ مَحَلٌّ جامِع ، ومَطْمَع طامِع ، ومَرائِى راءٍ ، ومُستَمَع سامِع .

أيحنُّ سيدى من فَرْطة لسان ، ومَذَمّة إنسان .

وهو المشهود بديانته ، الحامى على عِفّته وصِيانته .

وإن تورّط متورِّط ،[2] ورمى بنفسه مُفرِّط[2] .

فيوشك أن ترميَه جهنمُ بشرارِها ، وأن ترجُمه الملائكةُ بأحجارِها .

وأمّا أنا فلى معك حالٌ ماحَال ، وطُروقُ السُّلوِّ إليه أمرٌ مُحال .

فأنا حافظ ولائك ، الشاكرُ لِآلائك .

فتجدنى حيث تَنْجِدنى ، وتَعهَدنى على أبَرِّ[3] ماتعتقدنى .

* * *

ومن غزلياته التى جرّدتُها من شعره ، قوله من قصيدة ، أولها .

تذكّر للأحباب رَبْعًا ومعهدًا آسيرُ غرامٍ قد أقام وأنجدا

وأطلق سُحْبَ الدمع من مُقلةٍ غدتْ قريحةَ جَفْنٍ دمعُها قد تنضّدا[4]

---

(١) فى ب : «فى اجتماع» ، والمثبت فى : ا ج . (٢) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

(٣) فى ب : «أثر» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ج .

أيرجو حيـاةً بَعْدَ بُعْدِ أحبَّـــةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وأنّى بهـــا والهجرُ أورده الرَّدَى

يهيم اشتيـــاقًا للحبيب فلا يرى ‏ ‏ ‏ ‏ سوى مَن أطال اللومَ فيه وفنّدَا[1]

أما رحمـــةٌ المُستهامِ من الذى ‏ ‏ ‏ ‏ عَذابى به عَذْبٌ وقتلى تعمّدَا[2]

غزالٌ غزَا قلبى بنَبْلِ لحاظِــه ‏ ‏ ‏ ‏ وأضْرم أحْشـــائى بهجْر توقّدَا

أرى والأمانى طامعــــاتٌ لقُرْبه ‏ ‏ ‏ ‏ ولم ألقَ يومًا الأمانىَ منْجِــدَا

أطـــال سَقامى بالفؤادِ صُــدودُه ‏ ‏ ‏ ‏ ومُقْلتُه ترمى الجريحَ مدَى المدَى

جميلُ المحيَّا يُخجِل البدرَ وجهُه ‏ ‏ ‏ ‏ وبالحسنِ مابين الأنامِ تفرّدَا

يُحجِّب عنى الطيفَ كيْما يزورنى ‏ ‏ ‏ ‏ وكيف يزور الطيْفُ شخصًا مُسَهَّدَا

رعى اللهُ هاتيك اللطـافةَ والبَها ‏ ‏ ‏ ‏ وحيّى محيًّا جيشَ صــبْرِىَ شرّدَا

رَشًا صاد بالأصْـــداغ قلبَ متيَّمٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وأورده بحرَ الهوان وأجهـــدَا

فمن مُسْعِـــدى ممّن هواه بمهجتى ‏ ‏ ‏ ‏ ألمّ وأبْدَى الفلْكَ فى إذا بدَا

بديع صفاتِ الحسن أحْول طَرْفه ‏ ‏ ‏ ‏ يُرِينا إذا ماصال سيفًـــا مُهنّدَا

بروحىَ أفْدِى مَن أنا الدهرَ عبـــده [illegible] وأنّى لروحى أن تكون له الفِدَا[3]

* * *

وقوله من أخرى، أولها:

أمِطِ اللّثامَ عن الجبين الْمُزْهِرِ ‏ ‏ ‏ ‏ واسْفِرْ عن الوجــهِ الأغرّ المُقمرِ

وامنَحْ عيونى نظرة أحْيَى بهـا ‏ ‏ ‏ ‏ فلقد فقدتُ تجــلدى وتصبّرى

عجبـــًا لتالى كم يُقاسِى ذِلّةً ‏ ‏ ‏ ‏ والذلُّ لَذَّ له بغـــير تضجُّرِ

وعلامَ هـــذا الجسمُ يحمل للأذى ‏ ‏ ‏ ‏ وغدَا نحيـــلًا لا يُرَى بالمنظرِ

---

(١) فى ا : « سوى من يرى اللوم فيه وفندا » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) فى ب : « أسوحنا المستهام » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٣) فى ا : « أن تكون له فدا » ، والمثبت فى : ب ، ح .

حسُنتْ شمائلكَ الجميلةُ كلُّهـــا وبدا لعينى منك ما لم يُنْكَرِ
سرقتْ غصونُ البانِ منك تمايُلاً فلذاكَ قد قُطِعتْ وحُقَّ لِمُفْتَرِى[1]
يافائقَ الحورِ الحسانِ بوجهِـــه وجمالِ غرّتِه الَمصونِ المُبْهِرِ
قَسَماً بوجهك وهْو شمسٌ أشرقتْ وبما بفيكَ من الرُّضابِ المُسْكِرِ
لا حُلْتُ عن مُرِّ الهوى مادمتَ فى قَيْدِ الحياةِ ولو بعثتُ لمحْشَرِ

* * *

وقوله من أخرى ، مستهلها :

صـــاد قلبى بلحظِهِ قمرُ فى مُحيّاه حارت الفِـــكَرُ
غصنُ بانٍ يَزينه مَيَسٌ مالِذى اللُّبِّ عنه مُصْطَبَرُ
إن تثنَّى بلينِ قامتـــه خلتَ منه القلوبَ تنفطِرُ
ذو دلالٍ يُريك منطقه اللّـ ـينَ لـكنّ قلبَـــه حَجَرُ
يتهادَى بتيـــهِ مِشيتِه رافلا بالجمـــال يستترُ
بهجةٍ تُدهِشُ الحبيبَ عن التيـ ـهِ فيها ويُحجَبُ البصرُ
ظَـــبْيُ إنْسٍ لثغرِه أرَجٌ طيِّبُ النَّشْرِ عَرْفُه عَطِرُ
فوَّق السهمَ من لواحظِه لفؤادى فـــأمْرُه خطِرُ
لاحيـــاةٌ لعاشقيه ولا جـــبْرُ قلبٍ لديْه يُنتظَرُ
تنْقضى مُـــدَّةُ الحياةِ ولا لمحبِّيـــه ينْقضى وَطَرُ
ملِكٌ جائرٌ بدولتِـــه قد سطا من جفونه الحذَرُ
سَمْهرِىُّ القَوامِ ذو غَيَدٍ أدْعجُ اللحظِ زانه الحوَرُ
فائقُ الحسنِ لانظـــيرَ له وردُ خـــدّيْه باهرٌ نضِرُ

---

(١) فى ا : «سرقت غصون الروض منك تمايلا» ، والمثبت فى : ب ، ج .

ذو جمالٍ يجلُّ عن تشبيـ ... ـهٍ في معانيه يرتعُ النظرُ

كلَّ وقتٍ أذوبُ فيه جوًى ... آهِ ذاك القضاءُ والقدرُ

ليت شعري أراه تنعشني ... بهناءٍ وتحسنُ السمرُ(1)

* * *

وكتب إليّ وأنا بالروم في صدر رسالة قوله :

مَن لصبٍّ تؤذيه الإحتراقُ ... وبأحشائه أضرّ الفراقُ

حملته يدُ الفراقِ أسيرًا ... دمعُه من عيونه دفّاقُ

يا لقومي قد صاد قلبي غزالٌ ... من بني التركِ بَنْدُه خفّاقُ

سمهريُّ القوامِ قد زان خدًّا ... أيُّ قلبٍ إليه ليس يُساقُ

قام يسطو بمقلةٍ في البرايا ... والبرايا لحسنِه عشّاقُ

حُبُّه حلَّ في الفؤاد كحبي ... لكريمٍ نواله دفّاقُ

سيدٌ ساد بالكرامِ بمدحٍ ... ليس يُحصي صفاتِه الأوراقُ

عالمٌ فاضلٌ إمامٌ همامٌ ... بحرُ علمٍ جادت له الأخلاقُ

واحدُ الدهرِ في المعالي وفيه ... ماجدٌ في مقاله مِصداقُ

إن قلبي ومهجتي وفؤادي ... وجميعي إليه أشواقُ

دام في المجدِ راقيًا بمعالٍ ... متعالٍ شمسٌ لها إشراقُ

* * *

فكتبتُ إليه جوابًا، وصدّرته بقولي :

كيف تُنبي عن شوقِك الأوراقُ ... وهي مثلي جميعُها أشواقُ

---

(1) في ب : « ويحسن السهر » ، والمثبت في : ا ، ح .

ضاق عن حَصْر ماتُلاقِى نِطاقُ الْ ... وُسْعِ فيمن فِراقُه لايُطاقُ

روضُ فضلِ ألفاظُه زاهراتٌ ... بعثتْ طِيبَ عَرْفِها الأخلاقُ

فسقى عهدَ وُدِّه الخصيبَ رَوْ ... رَاقُ الفوادِى ودمعِىَ الدفّاقُ[1]

حيث كنَّا وللزمانِ انعطافٌ ... وائتلافٌ ما بيننا واعتلاقُ

وبدورٍ كواملٍ ليس إلَّا ... فى الخصورِ الرِّقاقِ منها مُحاقُ[2]

أشرقَتْنى بالدمعِ مذ غرَّبتْنى ... لا لأمرٍ بل شأنُها الإشراقُ

يارفيقى ولا أقولُ رفيقى ... لِسِوَى مَن طِباعُه الإرْفاقُ[3]

كن نَصِيرِى على البِعادِ فحَسْبى ... منه مالا تَقْوَى له العُشّاقُ

فلأنتَ المُعِينُ إن عَنَّ خَطْبٌ ... وإليك الحديثُ منه يُساقُ[4]

وابْقَ واسلمْ ماحَنَّ إلفٌ لإلفٍ ... ودنا نحوَ حِبِّه مشتاقُ

* * *

وكنتُ وأنا بالروم وردَها، فأنشدته قصيدة مدحت بها الشريف أحمد بن زيد[5]، مطلعها[6]:

يجوبُ الأرضَ مَن طلَب الكمالَا ... ومن صحِب القَنا بلغ السُّؤالَا

---

(١) فى ب: «فسقى عهد وده الخصب»، والمثبت فى: ا، ح.

(٢) المحاق: آخر الشهر القمرى، وفيه يضمر القمر، وهو يعنى ضمور الخصور.

(٣) فى ب: «يا رفيق ولا أقل يا رفيق»، والمثبت فى: ا، ح.

(٤) فى ا: «فلأنت للعين إن عن خطب»، والمثبت فى: ب، ح.

(٥) الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن الحسن بن أبى نمى.

دفعه اضطراب الأمور فى الحجاز إلى التنقل مع أسرته إلى الشام، ثم إلى الروم، وهناك التقى به المحبى، وكانت له به خصوصية زائدة، ومدحه بقصائد طوال.

ندبه السلطان إلى إصلاح الحجاز، وولاه أمره، فدخل مكة وحج بالناس، سنة خمس وتسعين وألف، واستمر شريفا إلى أن توفى سنة تسع وتسعين وألف.

خلاصة الأثر ١/١٩٠.

(٦) القصيدة كلها فى خلاصة الأثر ١/١٩١ – ١٩٣.

فعارضها بقصيدة فى مدح الشريف المذكور، وأنشدنيها، فلم يعْلَق فى خاطرى منها [١] إلا قولُه، فى [٢] غزلها:

تسرْبَلَ من مَهابتِــه جلالَا ... وأشرق وجهُه الباهى جمالَا [٣]

وأصبح رافــلًا فى لازْوَرْدٍ ... يَتيه على مُحبِّــه دلالَا

وماس بقامــة غصنًا رطيبًا ... وأرسل من لواحظِــه نبالَا

رقيقُ الخصرِ ذو طرْف كحيلٍ ... لَعَمْرُ أبيك يأبَى الاكْتحالَا

جَنِىُّ الوردِ فى خــدّيْه أضحى ... وحارسُه النّجاشِى صار خالَا [٤]

ترقْرق فيــه ماءُ الحسن حتى ... ترى ناسُوتَه ماءً زُلالَا [٥]

* * *

وأنشدنى قوله:

إذا عانقتُ مَن أهــواه يومًا ... وكان القصدُ تقبيلًا بفيــهِ

ملكتُ عِنانَ نفسى عن هواها ... وإن تكُ كلَّ وقتٍ تشتهيهِ

* * *

ولما مات، قلتُ أرثيه [٦]:

لَهفِى على الصَّفَدِىِّ فردُ الدهرِ مَن ... لعُلاه كَفُّ المَكرُمات تُشيرُ

طَـودُ الفضائلِ دَكّه حكمُ القضا ... فالأرضُ مِن أقصى النُّجوم تَمُورُ

فانظر تجـدْ عجبـاً وقد ســاروا به ... جبلا غـدا فوق الرجالِ يسيرُ

* * *

---

(١) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج.

(٢) فى ا: «من»، والمثبت فى: ب، ج. (٣) فى ا: «تسربل عن مهابته جلالا»، والمثبت فى: ب، ج. (٤) يعنى بعجز البيت سواد خاله.

(٥) الناسوت: الطبيعة الإنسانية. المنجد (ن س ت). (٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣٥٩/١.

هذا المعنى مما تداولته الشعراء ، ولكن لم يقصدوا ماقصدتُه من الإشارة لعِظَم الجثّة فإنّ قصدَهم ليس إلا التوصيف بالحِلم .

فمنهم المتنبّى فى قوله [(١)] :

ما كنتُ آمُل قبل نعشِكَ أن أرىَ ... رَضْوَى على أيدى الرجال يَسيرُ [(٢)]

وابن المُعْتزّ فى قوله [(٣)] :

قد ذهب الناسُ ومات الكمالْ ... وصاح صَرْفُ الدهر أين الرِّجالْ [(٤)]

هذا أبو العبّاس فى نعشِه ... قوموا انْظروا كيف تسيرُ الجبالْ [(٥)]

وأصله قول النابغة الذُّبْيانىّ [(٦)] :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهم ... فكيف بحِصْنٍ والجبالُ جُنوحُ

وقد أبدع الشِّهاب فى قوله [(٧)] :

قيامةٌ قامتْ بموتِ الذى ... بموتِه مات الندى والكمالْ

فإن شككتُم فانظُروا نعشَه ... وشاهدوا كيف تسير الجبالْ

---

(١) ديوان أبى الطيب ٦٤ ، وريحانة الألبا ٢/٢٤٤ ، وسلك الدرر ١/٢٤٥ . (٢) فى ب : «قبل موتك» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وفى سلك الدرر : «رضوى على ظهر الرجال يسير» .
ورضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢/٧٩٠ .

(٣) ديوانه ٢/١٣٢ ، ورسالة للحاتمى نشرت فى آخر الإبانة عن سرقات المتنبى ٢٦٢ ، والصبح المنبى ١٣٥ ، ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٦٩ ، وريحانة الألبا ٢/٤٢٥ ، والمحبى ينقل عنها هذا الفصل .

(٤) فى الديوان ، والرسالة ، والصبح المنبى ، ومعجم الأدباء :

* قد استوى الناس ومات الكمالْ *

والمثبت فى أصول النفحة ، والريحانة ، وسلك الدرر .

(٥) فى الديوان ، والرسالة ، ومعجم الأدباء :

* هذا أبو القاسم فى نعشه *

والمثبت فى أصول النفحة ، والصبح المنبى ، والريحانة ، وسلك الدرر .

(٦) ديوانه (التوضيح والبيان) ٩٨ ، والرسالة ٢٦٢ ، والصبح المنبى ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٦٩ ، وريحانة الألبا ٢/٤٢٥ .

(٧) البيتان للشهاب الخفاجى فى سلك الدرر ١/٢٤٥ .

٣٩

زين الدين بن أحمد البَصْرَوِيّ *

هو لِذاتِ الأدب زيْن ، وبه ينْجلِي عن القلب كلُّ رَيْن

وكان صَحِبِي من منذ سِنِين ، ولا أَعُدُّه في العِشْرة إلّا من المحسنين .

مَثابتُه عندي مَثَابَةُ[1] الروضِ العاطِر ، ومحلّه من وُدِّي محلُّ القلب والخاطِر .

أذكره فأرتاح ارتياحةَ[2] القُضُب المُلْد ، وأَتذكَّره فأشتاق إلى النعيم وجنّة الخُلْد .

وهو من لُطْف الذات ، وشُفوف الخصال المُسْتَلَذّات .

ممَّن تتحاسَدُ[3] عليه الأسماعُ والعيون ، ويُشترَى يومُ وَصْلِه بنوم الجفون .

(*) زين الدين بن محمد بن أحمد البصروي ، الشافعي الدمشقي .

هكذا ذكر نسبه المرادي .

ولد سنة تسع وثلاثين بعد الألف .

وأخذ عن الشيخ عبد القادر الصفوري الدمشقي ، والشيخ خير الدين الرملي ، ورحل إلى الشيخ يحيى الشاوي المغربي المالكي ، ببلاد الروم . وأجازه جماعة من الدمشقيين .

واشتغل بالتدريس في المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف ، وإفتاء الشافعية بها .

واستقام بدار الخلافة من الروم مدة ، وصار إماما عند الوزير الأعظم مصطفى باشا ابن الكوبريلي ، وطالت صحبته له ، فكان يتردد إلى دمشق .

كان أديبا شاعرا ، وله يد طولى في علم التاريخ ، وزاد أشياء في « تاريخ الإمام جمال الدين محمد بن عزم المغربي » نزيل مكة .

توفي البصروي سنة اثنتين ومائة وألف ، في منزله بعزونة ، رابع مرحلة عن بلغراد ، راجعا إلى اسلامبول ، رفقة الوزير الأعظم مصطفى باشا الكوبريلي .

وقد أشار المرادي إلى ترجمة المحبي له في النفحة ، ونقل صدر الترجمة ، وقدرا صالحا مما أورده من شعره .

سلك الدرر ٢/١٢٠ .

والبصروي : نسبة إلى بصرى الشام ، وهي قصبة كورة حوران ، من أعمال دمشق .

معجم البلدان ١/٦٥٤ ، سلك الدرر ٢/١٢٣ .

(١) في سلك الدرر : « من مثابته » .   (٢) في ا : « ارتياح » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر .   (٣) في ب ، ج : « تتحاسده » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر .

فرعُ دَوْحِ العُلَى وأصلُ المعـــالى ... نَجْلُ شيخِ الورى الأجلِّ الخِيارِى[1]

زُرْه تُبْصِرْ لديه كلَّ جليـــلٍ ... من علومٍ ورائقِ الأشعـــارِ

وحديثٍ ألذَّ من نظرةِ المُشْ ... وقِ وَافَى فى غَفْـــلةِ السُّمَّارِ

وسَجايا كنَكْهةِ المِسْك والنَّدَّ ... م وورِدِ الرياضِ غِبَّ القِطارِ[2]

* * *

وكتب إليه أيضاً فى صدر كتاب[3] :

يُقَبِّلُ الأرضَ حِماها الذى ... ألْثَمها أفواهَ أهلِ العُـــلى

عبدٌ إذا كاتبْتَه ثانيا ... يزْداد رِقًّا لـكم أوْ وَلَا

* * *

هكذا نسبهما إليه الخِيارِىّ فى « رحلته » ، وهما للبدر الغَزِّىّ[4] ، تمثَّل بهما ، وقد

---

(١) فى ا : « فرع دور العلى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) تمام القصيدة بعد هذا البيت فى سلك الدرر :

دام فى رفعةٍ وأرْغَـــدِ عيشٍ ... ماتَغَنَّتْ بلابلُ الأسْحـــارِ

ثم بعد هذا قصيدة كتبها الخيارى جواباً عليه ، فى صدر كتاب .

(٣) البيتان فى : ريحانة الألبا ١/٠ ١٤ ،وسلك الدرر ٢/١٢١ . (٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ، أبو البركات ، بدر الدين بن القاضى رضى الدين ، الغزى ، العامرى ، القرشى .

الفقيه ، المفسر ، المحدث ، النحوى ، المقرئ ، الأصولى ، المناظر ، النائم ، الخاشع ، الأواه .

ولد سنة أربع وتسعمائة

وأخذ على مشايخ عصره ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، وعاد متصدر التدريس والإفادة ، واشتغل بالتصنيف والعبادة .

وشعره قوى حسن ، أكثره فى الفوائد العلمية .

توفى سنة أربع وثمانين وتسعمائة .

تراجم الأعيان لوحة ١٧٢ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، ريحانة الألبا ١/١٣٨ ، سلافة العصر ٣٨٨ ، شذرات الذهب ٨ /٤٠٣ ، الكواكب السائرة ٣/٣ .

والبيتان له فى : ريحانة الألبا ١/١٤٠ ، وسلك الدرر ٢/١٢١ .

راجعه عنهما بقوله [١] :

يا أيهـــا المولى الذى ربُّه　　خَوَّله من مَنّه الأفضَلا
كاتبْتَ عبداً ذا وفاء لـكمْ　　ما اخْتار تحريراً ولا أمّـلا
أقرَّ بالرِّقّ لـكم أوّلا　　والآنَ إذْ كاتبْته بالوَلا

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، ويخرج منه اسم سليم ، بطريق التَّعمية [٢] :

ولائمٍ لامَ على　　تركِى طِلًا كالعَنْدَمِ
فقلتُ حَسْبِى قهوةٌ　　لى فى الثّنايا والفَمِ

* * *

وقد تعارَض مع بعض المتأخِّرين فى هذا العمل ، فى قوله [٣] :

إذا عدِم الساقى الشرابَ ولم يجدْ　　شراباً به قلبى يطيبُ ويطربُ
فبين ثناياه ومَبْسِمهن لى　　شرابٌ من القَطْر المذاب وأعذَبُ [٤]

* * *

وخاطبته فى بعض قَدماته من سفَر [٥] :

قُدومُك زينَ الدين يا خيرَ قادمٍ　　به ابْتَهج النادِى وضاءتْ قِبابُهُ
فلا مَوْطِنٌ إلا احْتوته مَسَرّةٌ　　ولا كَمَدٌ إلا وأغلِق بابُهُ [٦]

***

---

(١) أبيات الحيارى فى سلك الدرر ٢ /١٢٢ .
(٢) البيتان فى سلك الدرر ٢ /١٢٢ . (٣) نقل مرادى هذا أيضا ، فى سلك الدرر ٢ /١٢٢ .
(٤) فى سلك الدرر : « شراب من التمر المروق أعذب » . (٥) البيتان فى سلك الدرر ٢ /١٢٢
(٦) فى ب : « إلا حوته مسرة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وقد فقدتُه أوّلًا فَقْدَ غُربة ، ثم غيّبتْه فى تلك الغُربة غَيْبة[1] تُرْبة .

فانقطعتْ عنّى بموْته إمْداداتُ المَوادّ والمَوَاتّ ، وهيهـات هيهات[2] أن يتـدارَك ذلك الفَوات .

فرحم اللهُ تلك الروحَ اللطيفة ، ولا برحت سحائبُ الغفران بقَبْره مُطيفة .

* * *

فممّا بعنى من شِعْره ، ما كتبه إلى شيخنا المرحوم إبراهيم الخِيَارِىّ المدنى[3] ، وقد أهدى إليه فُسْتقا[4] :

لما تركتُ القلبَ عندكمُ ... وغدوتُ مشغوفًا بكم صَبَّا

وخشِيتُ أن تخْفَى مكانتُه ... صيّرتُ ما يُهْدَى لكم قَلْبَا

فأجابه بقوله[5] :

لـمّا علمتَ القلبَ عندكمُ ... أهديْتَ لى من لُطْفك القلبَا

أكرِمْ به من زائرٍ وافَى ... أطفَا اللهيبَ ونَحّى الصَّبَّ

* * *

ومَنْزَع النَّصْرَوِىّ ما كتبه جدّى العلامة القاضى مُحبّ الدين[6] ، إلى الأستاذ محمد البـكْرِىّ[7] ، وقد أهداه شيئًا من قلب الفُسْتق[8] :

لـمّا تملّك قلبى حبُّكم فغدا ... مُجَرَّدًا منه قلبًا رقّ واستعرَا

---

(١) فى ا : « عيبة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٣) إبراهيم بن عبد الرحمن بن على الخيارى المدنى الشافعى .

وسيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بالحجاز ، وسيأتى إن شاء الله برقم ٣١٦ .

(٤) البيتان فى سلك الدرر ٢ / ١٢٢ ، وفيه : « وأهدى إليه علبة مملوءة من قلب الفستق ، وكتب عليها » .

(٥) بيتا الخيارى أيضا فى سلك الدرر ٢ / ١٢٢ . (٦) محب الدين بن محمد بن أبى بكر ، جد المؤلف .

سيترجمه فى هذا القسم ، ويأتى برقم ٧٨ .

(٧) محمد بن زين العابدين البكرى .

سيترجمه المؤلف فى القسم الخاص بمصر ، ويأتى برقم ٣٢٤ .

(٨) الأبيات فى سلك الدرر ٢ / ١٢٢ .

حرَّرْتُه فغدا طوعاً لخدمتكمْ ... مُحرَّرًا خادمًا وأفاكَ معتذِرَا[1]

فعاملُوه بجَبْرٍ حيثُ جاءَكُمُ ... مجرَّدًا بمزيدِ الحبِّ منكسِرَا

يقبِّل اليدَ الشريفة ، ويلثِم الراحة اللطيفة .

ويُنهى إلى الحضرة عظَّم اللهُ شأنَها ، وصانَها عمّا شانَها .

أنه أهدىَ إليه مايناسب إهداؤه لأرباب القلوب ، ويلائم إرسالُه لأصحاب الغيوب .

فقدَّم العبدُ رجلاً وأخَّر أخرى ، فى أن يُهدىَ لجنابكم الشريف منه قَدْرا .

عِلْماً بأنه شيء حقير ، لا يُوازِى مَقامَكم الخطير ، وقد توارَى بالحِجاب حيث وافاكم وهو حَسِير .

وما مَثَل من يُهْدِى مثلَه إلى ذلك الجَناب ، إلا كالبحرِ يُمْطِره السحاب .

ثم إنه تهجَّم بإهداء هذا القدرِ اليسير ، فإن وقع فى حَيِّز القبول انْجبر القلبُ الكسير .

* * *

وكتب البُصْرَوِىّ إلى الخَيْزَرِىّ أيضا[2]بهذه :

يا نسيما من رَبْوةِ الشام سارِ ... عُجْ على طَيْبَةٍ أجلِّ الديارِ[3]

وتحمَّلْ منّى سلامَ مَشوقٍ ... لحبيبِ المهيمنِ المختارِ

ولأصحابه الكرامِ أولى المجْـ ... ـدِ خصوصاً أمينِه فى الغارِ[4]

ولقومٍ قد خيَّموا فى ذَراهُ ... قد حَباهُمْ مولاهمُ بالجِوارِ

سِيَّمَا الأرْوَعُ المهذَّب مَن حا ... زَ كمالاً ما إنْ له من مُجارِ

---

(١) فى ب ، ج : « مجردا خادما » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٢) قصيدة البصروى فى سلك الدرر ٢/ ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) فى ب : « يانسيما من ربوة الشام سارا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . وفى ج : « أجل دبار » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٤) فى سلك الدرر : « خصوصا أنيسه فى الغار » .

٤٠

أحمد بن يحيى الأَكْرَمىّ الصالِحىّ (*)

شيخٌ هرِم ، يحدِّث عن سَيْل العَرِم .

مُناجاته (١) كلُّها سُكَّرٌ وأرْى ، وفُكاهاته (٢) مِلْؤُها (٣) شِمَع ورِىّ .

وقد عبَثتْ به يدُ اللَّأْواء ، فصيَّرته (٤) طَوْعَ مُقتضَيات الأهواء .

فحاله أضْيَق من فمِ الحبيب ، وأشدُّ غصّةً من يأْس الطبيب .

إلا أنه وإن أرْهقه الدهرُ بصَرْفه ، ونَبَا به كأنه سِباذٌ في طَرْفه .

فصفْحَته يُغشِى العيونَ ائتلاقُها ، وشِيمَته ما غيرُ المكارم اعتلاقُها .

* * *

وله شعر جاش به خاطرُه ، فجاء كزهر الرياض فاح عاطرُه .

(*) أحمد بن يحيى بن محمد ، الأكرمى ، الحنفى ، الصالحى ، الدمشقى

خادم مقام الشيخ محيى الدين بن عربى .

شيخ معمر ، أديب شاعر ، وكان مجموعة معارف

توفى سنة أربع ومائة وألف .

سلك الدرر ١ / ٢١٤ .

وقد نقل المرادى صدر ترجمته فى النفحة ، كما نقل شعره عن المحبى ، وزاد عليه .

(١) فى سلك الدرر : « مناغاته » . (٢) فى ج : « ونكاته » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٣) فى ا : « كلها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) فى ب : « وأنصرته » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

فمنه قوله[١] :

ثنيتُ عِنانِىَ عن فتيةٍ   يرَوْنَ من العارِ علْى وكُتْبى
وكانوا صِحابى على زَعْمِهمْ   وكلُّهمُ قد تهيَّا لحرْبى
فأعرضتُ عنهم لهم قالِيا   ولم آلُ جُهْداً بشتْمٍ وسَبّ
وإذْ ذاكَ لو هتَفُوا بى هَلُمَّ   لمَا كنتُ ياصاحِ ممّن يُلَبِّى

* * *

وقوله[٢] :

أقول لأهيَفٍ أضْحى بقلبى   مُقيماً باختيـــارٍ وانْقيادِ
أيا حُلْوَ اللَّمَى واصِـــلْ مُحِبّاً   ولا تقْصِـــدْ مُحِبَّك بالبعادِ
وبرِّدْ غلّتى بالوصْـــلِ إنّى   أخافُ عليك من حَرِّ الفؤادِ

* * *

وقوله[٣] :

سَقْياً لموقفِنا العشيَّةَ بالحِمَى   نشكو الغرامَ ولفظُنا الألحاظُ
وعواذلى لما تشابَه أمرُنا   هجَعوا أنّى لكنَّهم أيْقاظُ
فكأنّنا المعنى المُرادُ لطافةً   وكأنّهم فى ضِمْنِها ألفاظُ[٤]

* * *

وله من قصيدة ، مطلعها[٥] :

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ١/٢١٥ . (٢) سلك الدرر ١/٢١٥ . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ١/٢١٥ . (٤) فى سلك الدرر : « وكأنهم فى ضمنه ألفاظ » . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ١/٢١٥ ، ٢١٦ .

لكَ لا لغيرِكَ فى البَرِيّة أعْشَقُ   يا مَن به ثوبُ الحشا يتمزَّقُ
يا مُخجِلَ القمرِ المنيرِ وفاضحَ الظَّـ   ـبْيِ الغريرِ لكَ الجمالُ المُشْرِقُ
إنى أضعتُ جميعَ عمرى رغبة   فى أن يُرَى لى من ودادك مَوْثِقُ
يا مَن به أضحى فؤادى راتعاً   فى روضـــةٍ بجماله تتنمّقُ
وغدا لســـانى ناطقاً فى حبِّه   بمدائحٍ تعلو ومدحٍ يشرِقُ[1]
ياعاذلى فى غـــير حبِّك مَطْمَعٌ   كلاَّ ولا قلبٌ يميلُ فيعشقُ[2]
أُمسِى وأُصبحُ فى هواك بمُقلةٍ   تَنْدَى وقلبٍ من جلالك يخفُقُ
بالله يا فردَ الورى فى حسنِه   ارحمْ فريدَ هواك فهْو الأَلْيَقُ
وتَلافَ قبل تلافِه فلقد غدا   فى نَزْعِ ثوبِ الإصْطِبارِ يمتّقُ[3]
واسألْ مُضاجعةَ الضّنَى ورفيقَه   أعنى النحولَ ترى الهوى وتصدّقُ

* * *

ومن مقاطيعه قوله[4] :

وقالوا الذى تهْواه أصبح هاجراً   وقد كان قِدْماً واهبًا لنوالِهِ[5]
فقلتُ لهم ماذا يَضُرُّ لأننى   شُغِلتُ به عن هجرِه ووِصالِهِ[6]

* * *

(١) فى سلك الدرر : « بمدائح تعلو وحمد يشرق » ، وهى الرواية الصواب . (٢) ورواية البيت فى سلك الدرر :

ياعاذلى فى غـــير عذلك مطمع   كلا فلا قلب يميـــل فيعشق

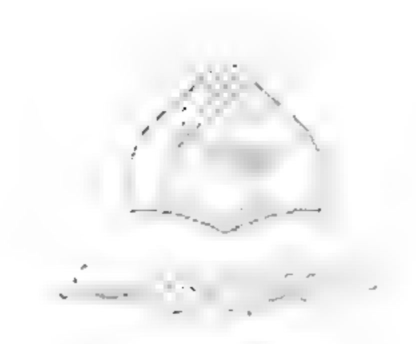
وهى رواية أسلم ، وأقرب لمعنى المراد .

(٣) فى ب : « بالله يافرد الجمال بحسنه » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وسلك الدرر . (٤) سلك الدرر ١/٢١٦ . (٥) فى ا : « أصبح تاجرا » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسلك الدرر . (٦) فى ا : « ماذا يضير » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسلك الدرر .

قوله : « شغلت » مضمّن من قول بعضهم :

وقائـــلةٍ أنفقتَ عمـــرَكَ مسرفًا
على مسرفٍ فى تِيهِـــه ودلالِهِ

فقلتُ لهـــــا كُفّى عن اللوم إننى
شُغِلتُ به عن هجرِه ووصـــالِهِ (١)



---

(١) فى ب : « كفى الملام لأنى » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وسلك الدرر .

﴿ فصـــل ﴾

ذكرتُ فيه طائفةً تتلو تلك ، من الشعراء الذين كل منهم لزينة الحياة دُرَّةُ سِلْك .

قد جمعنى وإياهم الزمانُ والمكان ، وأراهم حلقوا مَن دخل فى خبر كان ، على أبدعِ ما فى الإمكان .

وهب الله لهم أعماراً بقـدْر ما يرضيهم ، ولا أعْدَمني التمتُّعَ بآدابهم على تنائى أراضيهم .

وكفانا ما نرجع إليه من تجازِى النيّات ، إنه العالم بالخفيّات ، والمطّلع على ما تتكافى به الطويّات .

فمنهم :

٤١

عبد الرحمن بن إبراهيم المَوْصِلىّ *

هو فى المَيْدان سابقٌ طَلْقٌ عِنانهُ ، وكأنما خُيِّر الصوابُ بين بيانِه وبَنانِه .

من ملأٍ رفعوا بالنصر خميلة ، وبذلوا ماشاء السماحُ من عارفة جميلة .

مكانُه فى الثَّراء ذِرْوةُ التَّمام(١) ، وأياديه فى الجود آثارُ الغَمام .

(٢لا يقَمّوا إلا ظلّ ٢) الكرامة الأَنْدَى ، ولا يبيتُ إلا حيث المُحلّق(٣) والنَّدَى .

(*) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الموصلى ، الشافعى ، الميدانى ، الدمشقى ، الصوفى .

ولد سنة إحدى وثلاثين وألف .

وطلب العلم ، ومهر ، وساد ، وأقبل على دواوين الشعر وكتب الأدب .

وكان أديبا ، فاضلا ، بارعا ، ناظما ، وكان معتقدا عند خاصة الناس وعامتهم ، شيخا لصوفيه فى وقته .

توفى سنة ثمانى عشرة ومئة وألف ، ودفن بتربة مسجد النارنج ، فى ميدان الحصار .

سلك الدرر ٢/٢٥٩ – ٢٦٦

هذا وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له ، وزاد عليها .

(١) فى سلك الدرر : « التَّمام » وهى رواية حسنة . (٢) فى سلك الدرر : « لاينبىء إلا عن ظل » .

(٣) المحلق هو عبد العزى بن حنتم بن شداد الكلابى العامرى .

ومن خبره أنه كان مئناثا مملقا ، فنزل الأعشى ، وأخذ خطام ناقته ، ونحر له ناقته ، وسقاه ، وأقبلت بناته يغمزنه ويمسحنه ، فسأل الأعشى عنهن ، فقال : بنات أخيك ، وهن ثمان شريدتهن قليلة .

ووافى الأعشى سوق عكاظ ، فأنشد الناس :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرة　　　إلى ضوء نار باليفـاع تحرّقُ

تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانهـا　　　وبات على النار النـدى والمحلَّقُ

رضيعَىْ لبـانٍ ثدىِ أمٍّ تحالفا　　　بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لانتفرّقُ

فسلم عليه المحلق ، فقال له : مرحبا ياسيدى سيد قومه . ونادى : يامعشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ؟

=

وقد متّعنى الدهرُ بُرْهةً بحضرته ، فتقلبتُ معه فى بهجة العيش ونَضْرته .
وسمعتُ لفظًا غذاءَ الرُّوح ، [1] وشاهدتُ خُلقا فيضَ الملائكة والرُّوح [1] .
إلى تثبُّتٍ يستخفُّ الجبالَ الرَّواسِى ، وانْعطافٍ يُلين القلوبَ القواسِى .
وأنا من ذلك العهد لا أفتر عن تذكُّره بخاطرى [2] ، وأتمثَّل شخصَه فى ضميرِى حتى كأنه حاضرِى .
وله أشعارٌ كلُّها نُكَت لمتملِّى [3] ، ومُلَح للذيق [4] المُستحلِى .
وفيه نُخَبٌ للفتّاك ، وسُبَحٌ للنُّسّاك .
يقول ما يَشاء فتَستحسِنه ، وتريد الطيرُ تحكيه فلا تُحسِنه .

* * *

وقد أبتُ له [5] ما يسترقص [6] الجمادات طربًا ، ويترك فى كل قلبٍ مضطربًا [7] .
فمنه قوله [8] :

عجَز الرُّقاةُ عن الحِجى ورقائِه ... وكذا الأُساةُ عن الهوى ودوائِه [9]
نَسكَلْهمْ الأعْتابُ وَيْحَ كِبادهمْ ... لم يعلموا ما حلَّ فى سَوْدائِه [10]
خلّوا المراكبَ والغرائمَ واتركوا ... كَلِفًا يروح مُزَمَّلًا ببلائِه
أبنِى الصَّبابةِ والهوى مِن بعدنا ... إنِّى لكم هيهات من زَرْقائِه [11]

= لما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها .
الأغانى ٩/١١٣ ، وانظر ديوان الأعشى ٢١٦ ، ٢٢٥ .
وإنما سمى محلقا ؛ لأن حصانا له عضه فى وجنته ، فخلق حلقة . الأغانى ٩/١١٥ ، أو أصابه سهم فكوى بحلقة . القاموس (ح ل ق) .
وضبط ابن منظور (المحلق) بكسر اللام . انظر اللسان (ح ل ق) ١٠/٦٤ .
(١) تكملة من سلك الدرر على باقى الأصول . (٢) فى ب : « فى خاطرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى سلك الدرر : « لمستملى » . (٤) كذا بالأصول وسلك الدرر ، ولعلها : « للذائق » .
(٥) فى سلك الدرر : « منه » . (٦) فى ا : « يترقص » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .
(٧) فى سلك الدرر : « مطربا » . (٨) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٦٠ .
(٩) مصدر رقى : رقيا ، ورقيا ، ورقية . وفى سلك الدرر : « عن الأسى ودوائه » . (١٠) فى الأصول : « ويح كبارهم » ، والمثبت فى سلك الدرر . (١١) لعله يعنى أنه سيبصرهم به ، كما كانت زرقاء اليمامة تبصر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام ، فتبصر قومها .

ليس الهوى بسَفاهةٍ من كالحٍ ... فدَعُوا الغرامَ ومُنتدَى عدوائِه[1]

إن الصِّيانةَ واللَّطــافةَ والحيَا ... علمٌ عليــه يدلُّ من أسمائِه

فهى الأمانةُ أنبأتْ عن فضلِ مَن ... فتَقَ العبــيرَ وخصَّه بردائِه

* * *

وقوله من أبيات[2] :

لئنْ كنتُ أسعى كلَّ حين إليكمُ ... وتعكسنى الآمالُ عن حسنكم غصبا[3]

فلى أسوةٌ بالنجمِ المشرقِ ســيرُه ... مدَى الدهرِ والأفلاكُ تَنحو به الغربا[4]

* * *

هذا من قول الأرَّجانى[5] :

أنحوكمُ ويردُّ وجهى القهقرى ... عنكمْ فسيْرِى مثل سيْرِ الكوكبِ

فالقصدُ نحو المقصدِ الأقصى لكمْ ... والسيرُ رأىَ العينِ نحو المغربِ[6]

* * *

وقوله[7] :

سلبُوا الغصونَ مَعاطِفًا وقدودًا ... وتقاسَمُوا وردَ الرياضِ خدودًا

طعنُوا القلوبَ بما تلاشَى دونه ... طَعْنُ الرماحِ وسدَّدُوا تسديدًا

---

(١) فى سلك الدرر : « مدعوا الغرام » . (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦٠ .

(٣) فى سلك الدرر : « وتوكسنى الآمال عن حسنكم غصبا » . (٤) فى سلك الدرر : « والأفلاك تهوى به الغربا » . (٥) أبو بكر ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى القاضى .

ولى القضاء بتستر ، وعسكر مكرم ، واشتغل بالتدريس ، فى نظامية أصبهان .

وهو شاعر جيد الشعر ، رقيقه .

توفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

معاهد التنصيص ٢/٥ ، المنتظم ١٠/١٣٩ ، وفيات الأعيان ١/١٤٩ .

والبيتان فى ديوانه ٥٧ ، وسلك الدرر ٢/٢٦٠ .

(٦) فى الديوان . « فالقصد نحو المشرق الأقصى لكم » ، وفى سلك الدرر : « فالقصد نحو المقصد الأسنى لكم » . (٧) أى وقول المترجم ، والقصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٦٠ ، ٢٦١ .

فتنُوا الورى بلواحظٍ وتجاوزوا ... بالفتك من نَهْبِ العقولِ حدودَا

وتقاسموا أن لا يُراعُوا ذِمّةً ... لِمُتيَّمٍ أو يحفظون عهودا[1]

تركوا الحُلِيَّ شهامةً واستبدلوا ... حُلَلَ المحاسنِ والبهاء وُرودَا[2]

فغدَوْا بها مستعبِدِين أُلِى النُّهَى ... مما يَشيقك طارفًا وتليدَا[3]

نظمُوا الثنايا فى المباسمِ لُؤلُؤًا ... تحت الزُّمُرُّدِ والعقيقِ عقودَا

تخِذُوا البَنفسجَ فى الشَّقيقِ عوارضًا ... والياسمين مَعاصمًا وزُنودَا

بدَلوا الخُصُورَ من الخناصرِ رِقّةً ... واسْتَبدلوا حُقَقَ اللُّجيْن نُهودَا

فهمُ الملوكُ الصائلون على الورَى ... وهمُ الظِّباء القائدون أُسودَا

نظروا إلى الجوْزاء دون محلِّهِمْ ... فغدَوْا على هامِ السِّماكِ قُعودَا[4]

من كلِّ من جعَل الدجى فرعًا له ... والبدرَ وجهًا والصباحَ الجِيدَا

ريَّان من ماء النعيم إذا بدَا ... خرّتْ له زُهْرُ النجومِ سجودَا

كالماء جسمًا غيرَ أن فؤادَه ... أضحى على أهلِ الهوى جُمودَا

تزْدادُ من فرْط الحياء خدودُه ... عنـد استماع تأوُّهِى توْريدَا

لو أبصر النُّصاحُ فائقَ وجهِه ... عذلوا العذولَ وحاربوا التَّفنيدَا[5]

أو لو رآه راهبٌ من بِيعةٍ ... ألقى الصليبَ ولازم التَّوحيدَا

كم ذا تذكِّرنى العقيقَ خدودُه ... والطّرْفُ حاجِرَ والعِذارُ زَرُودَا[6]

---

(١) هـذا البيت ساقط من : ب ، ج ، وسلك الدرر ، و « يحفظون » كذا بالأصل ، ولا يستقيم الوزن إلا به . (٢) فى سلك الدرر : « حلل المحاسن والبهاء برودا » . (٣) شاقه : شاءه وأوثقه . القاموس (ش و ق) . (٤) فى سلك الدرر : « فغدوا على هام السماك قعودا » .

(٥) فى سلك الدرر : « وحاربوا التفنيدا » . (٦) العقيق : اسم لمواضع عدة . انظر معجم البلدان ٣/٦٦٩ ، والشاعر يلحظ الجوهر أيضا المسمى بالعقيق ، وهو حجر كريم .

وحاجر : موضع قبل معدن النقرة . معجم البلدان ٢/١٨٢ .

وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٢/٩٢٨ .

وهذه المواضع الثلاثة مما يكثر ذكره فى الشعر ، ولا يراد به المكان نفسه .

(نفحة الريحانة ١/٢٨)

وإذا بدا مُتلفِّتاً من عُجْبِه … بالجيد أذ كرنى طُلاه الغِيدَا[1]

ماالظَّبْىُ أحسنَ لَفْتةً من جِيدِه … عند النِّفارِ وإن أقام شهودَا

يحمِى اللَّمَى والخدَّ عقربُ صُدْغِه … عن واردٍ أو من يروم وُرودَا

قد رقَّ منه الخَصْر حتى خِلْتُه … عند اهْتِزازِ قَوامِه مفْقودَا

ما خَلْقُه إلا النسيمُ إذا سرى … بين الرياضِ وإن أطال صُدودَا

***

قلت[2] : لولا أن قصْدى استجلابُ الثناء لهذا الأديب ، لَصنَنْتُ بهذه الأبيات خوفاً من أن لا يُرَاعَى حقها عند أهل التأْديب .

ولوَدِدتُ لو عُلِّقت فى جبهة الأسد الكاسِر ، أو ضُمَّت للنيِّرات[3] فى الفلك العاشر .

وقد عارض بها الأبيات المشهورة ، المنسوبة إلى محمد الشهير بعبد الله ، وهى هذه :

غصبُوا الصباحَ فقسَّموه خدودَا … وتناهبوا قُضُبَ الأراكِ قدودَا

وتظافروا بظفائرٍ أبدَتْ لنا … ضوءَ النهار بليلها معقودَا[4]

صاغوا الثغورَ من الأقاحِ وبينها … ماءُ الحياةِ قد اغتدى مورودَا

ورأَوْا حصى الياقوتِ دون نحورِهم … فتقلَّدوا شُهُبَ النجوم عقودَا

واستودعوا حَدَقَ المها أجفانَهمْ … فَسَمَوْا بهنَّ ضَراغماً وأُسودَا

لم يكفِهم حدُّ الأسنَّة والقنا … حتى استعاروا أعيُناً ونُهودَا[5]

***

---

(١) فى ا : « أذكرنى طلا والغيدا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) نقل المرادى هذا القول أيضا ، فى سلك الدرر ٢/٢٦١ . (٣) فى ا : « للنيران » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) كذا فى الأصول ، وسلك الدرر : « وتظافروا بظفائر » ، ولعلها : « وتضافروا بضفائر » إذ هو المناسب للمعنى ، فعل الصباح كذا والنهار ظاهر كما يعتقد بعض الناس ، ومن معنى التضافر التظافر . (٥) فى سلك الدرر : « لم يكفهم حد الأسنة والقنا » .

رُوِى مُسنَـدا إلى أبى عمر[1] ([2]بن شامل[2]) المَـالَقِى[3] قال : لقيتُ يوماً الشيخ الخطير أبا محمـد بن على[4] المَـالَقِىّ ، وكان رجلا صالحا مُجاب الدعوة فقال لى : أنشدنى .

فأنشدته الأبيات المنسوبات إلى محمد الشهير بعبد الله ، وهى هذه المذكورة .

قال : فلما أتممتُها[5] صاح الشيخ ، وأُغمِىَ عليه ، وتصبَّب عرقا ، ثم أفاق بعد ساعة ، وقال : يابنى ، اعذرنى ، فشيئان يقهرانى ، ولا أتملَّكُ عندهما نفسى : النظرُ إلى الوجه الحسن والشعر المطبوع .

***

وبيت النهود مما يكثر السؤال عنه ، وقد رأيت فى شعر ابن عمّار الأندلسى[6] ما هو مثله .

وهو[7] :

كُفَّ هذا النَّهْدُ عنى فبقلبى منه جُرْحُ
وهو فى صدرِكَ نَهْدٌ وهْو فى صدرى رُمْحُ

---

(١) فى سلك الدرر . « أبو عمرو » . (٢) ساقط من : ح ، وهو فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٣) نسبة إلى مالقة : مدينة بالأندلس عامرة ، من أعمال رية ، سورها على شاطىء البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية . معجم البلدان ٤/٣٩٧ .

(٤) ساقط من سلك الدرر . (٥) فى ا ، ح : « أتممتها » ، وفى ب : « أتيتها » ، والمثبت فى سلك الدرر . (٦) أبو بكر محمد بن عمار الأندلسى ، ذو الوزارتين

وزر للمعتمد بن عباد ، وخلع عليه المعتمد خاتم الملك ، ولقبه بالإمارة ، واستنابه على مرسية ، فعصى بها وتملكها ، ثم تمكن منه المعتمد وقتله سنة سبع وسبعين وأربعمائة

شذرات الذهب ٣/٣٥٦ ، قلائد العقيان ٨٣ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٦٩ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ١٦٩ ، المغرب فى حلى المغرب ١/٣٨٩ .

(٧) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦١ .

وأنا لم أدركْ وجهَه ، ثم رأيتُ في شعر ابن خلوف[1] ما بيَّنه بعضَ البيان ، في قوله[2] :

وقُدودٍ كأنهنَّ رِماحٌ قد علَّمْنا أسِنَّةً من نُهودِ

* * *

وأنشدنى نوصِلِيّ لنفسه قولَه[3] :

هم يحسَبون دموعَ العينِ مذ عطَفوا هى الدموعُ التى يومَ النَّدَى تَرِدُ

وإنما هى نَصْلٌ حَـــلَّ فى كبدى من نَبْلِ جَفْنٍ ولم يشعُر به أحَـــدُ

فانحلَّ ماءً وقد أمسَى يُقطِّـــره من اللهيبِ دموعاً ذلك الـكَبِدُ

* * *

ومن غزليَّاته الرقيقة ، التى هى السحرُ فى الحقيقة ، قوله :

أما وبياضِ الدرِّ من ذلك الثغـــرِ وما فيه من خمرٍ وناهيك من خمـــرِ

أمانًا وما ملطرفِ من كلِّ صارمٍ [illegible] يصول بأجفانٍ مُدِنَّ مــــن السحرِ

يصول به فى النـاسِ ألطفُ شادنٍ [illegible] على العشاقِ أقسَى من الصَّخْرِ

أسال عِذَارًا فوق حـــدٍّ [illegible] كأنه [illegible] مسكٍ فى صِحافٍ من الدُّرِّ

وإلاَّ فَنَمْلٌ دبَّ فوق شقـــائقٍ مُبالٌ أطرافِ الأناملِ بالحِـــبْرِ

بعيدُ مَناطِ القُرْطِ أشهى لمُعْسِرٍ إذا ماس تِيهًا بالدلالِ من اليُسْرِ

وأحْلَى من الماء الزُّلالِ على الظَّما وأوْقعُ معنًى فى النفوس من النصرِ

يكاد من القُمصانِ لولا وشاحُـــه إذا فُكَّت الأزرارُ من لطفه يجرى

فـكم ثَمَّ دون الجيـدِ منـه مآربٌ من الخَصْرِ تدعو العاشقين إلى النَّحْرِ

---

(١) فى ا : « ابن خلاف » ، والمثبت فى : ب ، ج وسلك الدرر ، ولعله شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الخلوف ، بفتح الخاء واللام المشددة المضمومة .

شاعر تونسى ، اتصل بالسلطان عثمان الحفصى ومدحه .

وتوفى بتونس ، سنة تسع وتسعين وثمانمائة .

الضوء اللامع ٢/١٢٢ ، وانظر الأعلام ١/٢٢١ .

(٢) البيت فى سلك الدرر ٢/٢٦٢ . (٣) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٦٢ .

فمذ خبّرونى أنّ كوكبَ خَدِّهِ ... يُقارنه المِرِّيخُ أحسستُ بالشَّرِّ (١)

ركبتُ هواه بُكْرةَ العمرِ راكباً ... مطايا شبابى وارتياحى مع الفجرِ (٢)

فشققتُ منه فى الظهيرة راجلاً ... يُرينى نجومَ الأُفقِ فى ظُلمةِ الهَجْرِ (٣)

متى قلتُ هذا الصُّدْغُ أبدى عقارباً ... وإن رمتُ أجْنِى الوردَ أحماه بالجمرِ (٤)

* * *

« أحماه » مثل حَمَاه ، إلّا أنه يُقال فيما امتنع وتُنُودِر ، كما هنا .

* * *

وإن مِلْتُ نحو الثغرِ قالتْ عيونُه ... يَزيدك هذا الخمرُ سكراً على سُكْرِ

قريبُ مَرامِ النفسِ لطفاً وإنه ... لأعلى مَنالاً فى الأنامِ من البدرِ

ترقَّى به شعرِى فعزَّ مَنالُه ... وأمسَى كعِقدِ الدُّرِّ يزهو على الصدرِ

لئن جادتِ الأيامُ يوماً بوصلِه ... يقيناً فإنى قد صفحتُ عن الدهرِ

* * *

قوله : « وإلا فنمال » إلخ ، من قول الوزير المغربى (٥) :

أوحَى لوجنتِه العِذارُ فما ... أبقَى على وَرَعى ولا نُسُكِى

---

(١) فى سلك الدرر :

ومذ خبّرونى أن كوكبَ خدِّه ... يقارنه المريخُ أيقنتُ بالشرِّ

(٢) فى سلك الدرر : « وارتياحى مع الفجر » . (٣) فى سلك الدرر : « فى ظلمة الفجر » .

(٤) فى ب : « أهدى عقارباً ... أحماه بالجمر » ، والمثبت فى : ا ، ح ، وسلك الدرر .

(٥) أبو القاسم الحسين بن على المغربى الوزير .

ولد بمصر ، وهرب إلى الشام بعد أن قتل الحاكم بأمر الله أباه ، ثم دخل بغداد ، ومنها إلى الموصل؛ حيث كتب لقرواش بن المقلد ، واستوزره مشرف الدولة البويهى ببغداد ، ثم ترك الوزارة واضطربت أحواله ، إلى أن توفى بميافارقين سنة ثمانى عشرة وأربعمائة .

تتمة اليتيمة ١/٢٤ ، دمية القصر ١/٩٤ ، شذرات الذهب ٣/٢١٠ ، لسان الميزان ٢/٣٠١ ، معجم الأدباء ١٠/٧٩ ، المنتظم ٨/٣٢ .

والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦٢ .

وكأن نَمْلاً قد دَبَبْنَ بها ... غُمِسَتْ أكارِعُهن فى مِسْكِ[1]

ثم رأيتُ ماهو عينُ المأخذ ، فى قول العِز[2] البغدادىّ :

كأن عِذَارَيْهِ اللَّذَيْن تراسَلا ... هلالان من مسكٍ وبينهما بدرُ

مُنَمْنَمَةٌ فوق الخدودِ كأنها ... مشَى فوقها نملٌ بأرجلِه حِبْرُ[3]

* * *

وقد ضمَّن[4] هذا المصراعَ بعينه ، فى[5] أبياته المشهورة ، حيث قال[6] :

أنَبْتُ عِذارٍ أم شقائقُ روضةٍ ... مشَى فوقها نملٌ بأرجلِه حِبْرُ

أم العنبرُ المفتوتُ من فوق وَجْنةٍ ... أسالته نارُ الخدِّ فانبهم الأمرُ

فحَيِّ عِذاراً أذهل الصبَّ مُذْ بدا ... وإن ضلَّ فيه العقلُ واختلط الفكرُ[7]

يَتِيهُ به لَدْنُ القَوامِ مُهَفْهَفٌ ... له فى اختلاسِ العقل من حُسْنِه عُذْرُ[8]

هلالٌ إذا ما قلت أمسى جَبينُه ... صدقتَ ولكن دون طلعتِه البدرُ

تعلَّم منه الظبيُ لَفْتةَ جِيدِه ... ومن طرفِه الوسنانِ يُستنبَط السحرُ

متى صافحتْ سمعى رقائقُ لفظِه ... ترى كلَّ عضوٍ فى داخله السُّكْرُ[9]

يُمازج ألفاظَ البلاغة صوتُه ... فيبدو لنا دُرًّا وفى ضِمْنه خمرُ[10]

---

(١) فى ب : «لوكان نملا» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى سلك الدرر ٢/٢٦٢ : « المعز » . والبيتان فيه . (٣) فى سلك الدرر : « منمنمة فوق الخدود كأنما » .

(٤) فى ا ، ج : « تضمن » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . (٥) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٦٣ . (٧) فى ب : « أدهش الصب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٨) فى ا : « يتيه به لدن القوام » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وفى ا ، وسلك الدرر : «له فى اختلاس العقل من حسنه غدر» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٩) فى ب : « متى صافحت سمعى رقائق ريقه » ، وفى ج : « متى صافحت سمعى مدامة لفظه » ، وفى سلك الدرر : « متى صافحت سمعى مدامة لفظه » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : « أرى كل عضو » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (١٠) فى ب : «فيبدو لنا در» على الرفع ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وتشكو ارْتجاجَ القُرطِ صفحةُ جِيدِه ... كما بات يشكو من غدائِرِه الخصْرُ[1]

يُخَبِّر عن كأسِ المَنونِ بعَدِّه ... ويقتلنى منه إذا هجَر الهجرُ

به غَزَلِى أضْحى وفيه مدائحى ... ومِنِّى لمعنى حسنِه النظْمُ والنثْرُ

* * *

وقوله : « يكاد من القُمصان لولا وشاحه » ، من قول بعضهم[2] :

أخْشى التّماسَ يديْه من ترَفٍ به ... وأظنُّه لولا الغلائلَ سالا[3]

خالد الكاتب[4] :

قد صاد قلبى وصار يملكه ... فكيف أسلُو وكيف أترُكُه

رطيبُ جسمٍ كالماء تحسَبه ... يسلُك فى القلبِ منه مَسْلَكُه

يكاد يجرى من القميصِ من النَّـ ... ـعمةِ لولا القميصُ يُمْسِكُه

* * *

وقوله : « فأشفقت منه » إلخ ، العرب تصف اليوم الشديد بظهور النجم فيه :

قال أبو صَخْر الهُذَلِىّ[5] :

إنِّى أرَى والطرف فى سَيْرِى ... وَضَحَ النهارِ وعالِىَ النَّجْمِ[6]

---

(١) فى ب : « صفحة خده » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٢) البيت فى سلك الدرر ٢/٢٦٣ . (٣) فى ب : « أخشى التماس يديه من ترفه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وفى ا : « وأظنه لولا الغلائل سائل » ، وفى ب : « وأظنه لولا الغلائل سائلا » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٤) تقدم التعريف به ، صفحة ٣٦٣ . (٥) البيت لأبى صخر الهذلى ، فى شرح أشعار الهذليين ٢/٩٧٣ ، وصدره مختلف عما ورد فى النفحة ، والبيت هناك مرتبط بسابقه ، وهما :

ويقرُّ عينى وهْى نازحةٌ ... مالا يقرُّ بعينِ ذى الحِلْمِ

أنْ أرَى الذى قدَ أظُنُّ أنت ترى ... وَضَحَ النهارِ وعالِىَ النَّجْمِ

(٦) فى ج : « إنى أرى والطير فى سيرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر .

وقد تصرَّف فيه المتأخِّرون وتظرَّفوا، كابن لُؤْلُؤ(١) في قوله :

أمولاىَ أشـــكو إليكَ الخُمارْ وما فعلتْ بى كئوسُ العُقارْ
وجَوْرَ السُّقاةِ التى لم تزلْ يُرِينى الكواكبَ وَسْطَ النهارْ

ولمُجِير الدين بن تَمِيم(٢) :

بأبِى أهْيَف تبــدَّى وحَيَّى بابْتسامٍ عدِمتُ منه اصْطِبارِى
فرانى بوجهِـــه ومُحيَّا هُ نجُوماً أطْلعنَ وَسْط النهارِ

ولقد أبدع وأغْرَب الشهاب الخفاجِىّ، فى قوله من قصيدة نبويّة(٣) :

أتى يومَ بدرٍ وهْو بدرٌ تَحُفُّه نجومُ سماءٍ أطْلعتْها كتائبُهْ
فمذ برزوا فى النَّقْعِ شاهدتِ العدى بهم يومَ بُؤْسٍ لا تغيبُ كواكبُهْ

* * *

وللمترجَم معارضاً أبيات الشاب الظَّرِيف(٤)، فى قوله(٥) :

يا أحســـنَ الناسِ أسيافاً وأسنّتهم فى مُهْجةِ الصبِّ فتكاً دونه الأجَلُ
وأنورَ الوجـــهِ فى الدَّيْجورِ من قمرٍ تحت الأكاليلِ مَسْبولٌ ومُنسَدِلُ

---

(١) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن [illegible] الذهبى، كان شاعرا ماهرا، توفى بدمشق، سنة ثمانين وستمائة.

شذرات الذهب ٥/٣٦٩، النجوم الزاهرة ٧/٣٥١.

والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦٣.

(٢) محمد بن يعقوب بن على الإسعردى، مجير الدين بن تميم.

كان [illegible] محتشما، شجاعا، مطبوعا كريم الأخلاق، بديع النظم، رقيقه، لطيف التخيل.

سكن حماة، وخدم الملك المنصور.

وتوفى بها، سنة أربع وثمانين وستمائة.

فوات الوفيات ٢/٥٣٨.

والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٦٣.

(٣) فى ب: « هائية »، والمثبت فى: ا، ج، وسلك الدرر، والبيتان فيه ٢/٢٦٤.

(٤) تقدم التعريف به فى صفحة ٣٨. (٥) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٦٥.

ما السحرُ ألعبُ في الألبابِ من حَدَقٍ … دار الشَّمُولُ به من طَرْفِكَ الكَحِلِ (١)

كلا ولا البرقُ للأبصار أخطفُ من … شقائقِ الخدِّ إن وافى بك الخجلُ

من نَظْمِ ثغرِك وهو الدرُّ مبتسمٌ … حمرٌ يَزِيدُكَ فيــــه الشُّهْدُ والعسلُ

في فترةِ الحسنِ من لَحْظَيْكَ هل فتكتْ … بواترُ الطرفِ أم من قدِّكَ الأَسَلُ (٢)

ومُذْ تمادتْ بنا الآجالُ واختلفتْ … عقائدُ القومِ مَن للحبِّ قد جهــلُوا

جاءتْ تُجــــدِّدُ أحكامًا لدولتِه … في ملّةِ العشقِ من أصداغك الرُّسُلُ

لم يدْرِ ما الصحْوُ مذ بانتْ ركائبُكم … صريعُ جَفْنٍ لأربابِ الهوى ثَمِلُ

أستودعُ اللهَ قلبًا ســـارَ مرتحلًا … بالخُرَّدِ الغِيدِ ماذا السهلُ والجبلُ

* * *

وأبياتُ الظَّرِيف هي هذه (٣) :

يا أقتلَ الناسِ ألحاظًا وأعذبَهم … ريقًا متى كان فيك الصَّبرُ والعسلُ

في صحْنِ خدِّك وهي الشمسُ طالعةٌ … وردٌ يزيدك فيه الراحُ والخجلُ (٤)

إيمانُ حبِّك في قلبي تجــدِّده … من خدِّك الكُتْبُ أو من لحظِك الرُّسُلُ

إن كنتَ تنكرُ أنّي عبدُ دولتِكم … مُرْني بمــا شئتَ آتيه وأمتثلُ

لو اطّلعتَ على قلبي وجدْتَ به … من فعلِ عينيك جرحًا ليس يندملُ (٥)

* * *

---

(١) في هذا البيت إيواء، كما ترى. (٢) في سلك الدرر: «هل فتكت».

(٣) ليست هذه الأبيات ضمن ديوانه المطبوع، و[illegible]، يبدو أن ناشر الديوان اختار منها وترك في اختياره هذه الأبيات.

والأبيات في سلك الدرر ٢/٢٦٥، ٢٦٦.

(٤) البيت ساقط من: ب، وهو في: ا، ج، وسلك الدرر، وفيه: «وهي الشمس مشرقة».

(٥) في ب: «من جرح عينيك»، والمثبت في: ا، ج، وسلك الدرر.

وله[١] :

أُسامِرُ عِشْقًا من خلائقِـــه القتْلُ   وحيداً ولا عهدٌ هناك ولا مطلُ[٢]

وأُصْبِـحُ ظمآنا وقد عمَّر الظَّما   فؤادى ولا وَبْلٌ هناك ولا طَلُّ[٣]

وكم أخْصبَتْ سُحْبَ الأمانى مطامعى   مجازًا ويرْميها من الوابلِ المَحْلُ[٤]

ورُبَّ عذولٍ فيـــه أشْقَى مسامعى   بعذْلٍ فيالله ماصنَـــع العذْلُ

أقول له والطرفُ يقـــذِف مهجتى   دموعاً لها من كل ناحيةٍ هطْلُ

وبى من غرامٍ لو تجسَّم بعضـــه   ومرَّ بأهلِ الأرضِ لافْتتَن الـكلُّ

ترقَّى إلى قلبى بكلِّ دقيقـــةٍ   جميعُ هوَى العشَّاق وانْقطع الحبلُ

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٢/٢٦٦ .

(٢) فى ب : « فلا عهد هناك » ، وفى سلك الدرر : « فلا وعد هناك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى سلك الدرر : « ولا وبل يبل ولا طل » .

(٤) فى سلك الدرر : « ويوميها من الوابل المحل » .

٤٢

السيد محمد الحصري[*]

نسيبٌ تناسَبَ فيه المدحُ والنّسيب ، وحسيبٌ مامثلُه فى كرم الطباع حسيب .

له همّةٌ سابقة المطَارِف ، وسيادةٌ موصولةُ التّالد بالطّارِف .

مُرَوّق الأخلاق صافِيها ، مَشْمول الشمائل ضافيها .

تكاد ترى وجهَك فى خصالِه ، ولا تُغْبن إذا اشتريت[1] بنوم العيون يومَ وِصالِه .

وله أدبٌ يطّرِد اطّراد الغدير حَفّتْ به خُضْرُ الوشائع[2] ، وحديثٌ كأنه جَنَى النحلِ ممزوجا[3] بماء الوقائع .

وبينى وبينه ودٌّ صَمِيم ، طَيِّبُ العَرْف والنَّمِيم .

أستدعى الأمل لِقياه ولو فى الأحلام ، [4] وأمّا اجتماعى معه فأكثرها تحيةُ الرؤيةِ والسلام[4] .

***

وقد وقفتُ له على شعرٍ قليل ، فأثبتُّ منه ماهو لرأسِ المجد إكْلِيل .

(*) محمد بن عمر بن أبى بكر المعروف بالحصرى الدمشقى ، سبط البكرى الحسينى .
كان من خلاصة الأدباء النبهاء ، مصلا ، لوذعيا ، ماهرا .
ذكر المرادى أنه لم يدر وفاته فى أى سنة كانت ، غير أنه فى سنة إحدى عشرة ومائة وألف كان موجودا .
سلك الدرر ٤/٧٤ ــ ٨١ .
وقد نقل المرادى صدرا من ترجمة المحبى له ، وذكر له شعرا كثيرا ، اختاره من ديوانه .
وفى كتابه « أبو الحسن الحصرى » ١/١٥١ تلقيبه بشمس الدين .

(١) فى سلك الدرر : « شريت » . (٢) الوشيع : ما جعل حول الحديقة من الشجر والشوك منعا للداخلين . القاموس (و ش ع) . (٣) فى الأصول : « ممروح » . (٤) ساقط من سلك الدرر .

فمنه قوله من قصيدة عارض بها قصيدة أبى الحسن على الحُصْرِىّ[١] ، التى مطلعها[٢] :

يا ليلُ الصبُّ متى غَدُهُ ... أقيامُ الساعةِ موعدُهُ[٣]

ومطلع قصيدته[٤] :

صَبٌّ بالهجرِ تُهَدِّدُه ... قد ذاب جوًى مَنْ يُنجِدُهُ[٥]

والسُّقْمِ بَراهُ وأنحله ... فبدا مِلْئَهُ عُوَّدُهُ

سهرانُ الطرفِ له رقَتْ ... فى الليل نجومٌ تُسهِدُهُ[٦]

وغدا يشدو من فَرْطِ جوًى ... يا ليلُ الصبُّ متى غَدُهُ

حتى مَ بزَورٍ توعده ... أقيامُ الساعةِ موعِدُهُ[٧]

يهواه الصبُّ فيشغله ... أسَفٌ للبَيْنِ يردِّدُهُ

قمرٌ فى القلبِ منازلُه ... فعجيبٌ منه تباعُدُهُ[٨]

رَيْحانُ العارضِ فيه حوَى ... خطًّا ياقوتٌ مجوِّدُهُ[٩]

فى الحسنِ فريدٌ بى مثلُهُ ... فتعالَى الخالقُ موجِدُهُ

طَفَلٌ لحديث السحرِ غدا ... عن بابلِ طرفٍ يُسنِدُهُ[١٠]

---

(١) تقدم التعريف به وصفحة ٣٧٧ (٢) القصيدة فى كتاب «أبو الحسن الحصرى» ١٢٣–١٢٩.

(٣) انظر وجوه إعراب : « يا ليل الصب » ، فى كتاب « أبو الحسن الحصرى » ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) الأبيات فى سلك الدرر ٤/٧٩ ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » ١٥١، ١٥٢ . (٥) فى سلك الدرر : « من يسعده » .

(٦) فى سلك الدرر : « فى الليل نجوم تشهده » وهى رواية حسنة .

(٧) سقط هذا البيت من سلك الدرر، وفى كتاب «أبو الحسن الحصرى» : «حتَّامَ بزُورٍ توعِدُه».

(٨) فى سلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » : « فعجيب منه تباعده » . (٩) فى ب : « خطًّا ياقوت يجوده » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن الحصرى » .

وهو يعنى جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمى .

عرف بحسن الخط ، وأخذ عنه هذا الفن كثيرون ، وهو كاتب ، شاعر .

توفى سنة تسع وثمانين وستمائة .

البداية والنهاية ١٤/٦ ، النجوم الزاهرة ٨/١٨٧ .

(١٠) الطفل : الرخص الناعم .

رَشأٌ اللَّيثُ بُمقْلتِــــه ... يسطو لْلغـاب يُقيّدُهُ[1]

يرنُو باللحظِ فيحسَبــــه ... للقتــــل دعاهُ مُهنّدُهُ[2]

باللهِ أُعيذُكَ ياأمــــلِي ... من قتْل شَجٍ تتعمَّدُهُ

وارْفُقْ بالقلب فإنّ به ... جمراً قــــد زاد توقُّدُهُ

واسْمحْ بالغمْضِ لعل بأنْ ... فى النوم خيالُك يُسعِدُهُ

فى قيْدِك قد أمسَى دَنِفاً ... هلّا فى ذاك تُخلِّدُهُ[3]

* * *

وله من قصيدة مطلعها :

خفقتْ على قلبي بنودُهْ ... رَشأٌ يعذّبنى صُــــدودُهْ

ساجِى اللواحظِ أغْيَدٌ ... كالبدر يسْبِى الظَّبىَ جِيدُهْ

غُصْنُ النَّقَــــا لما رآ ... هُ هوىً فكان لذا سجودُهْ

إن ماس فى حُلَل البَهَا ... تزْهو لطلعتِــــه برودُهْ

لا غرْوَ أن فاق المــــلا ... حَ فإنها طرًّا جنودُهْ

فاللحْظُ يُطمِــع بالوعو ... دِ ولفظُه يبدو وعيدُهْ

نصبت حبــــائلُ أدمعى ... شَرَكاً له فعسى يَصيدُهْ

فاصْطاد رُوحى بعد ما ... قد أوثقت قلبى قيودُهْ

---

(١) فى ب ، ج : « رشأ لليث يقاته » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن المصرى » . (٢) فى سلك الدرر : « يرنو باللحظ فيحسبه » ، وفى كتاب « أبو الحسن المصرى » : « يرنو للقتل فيحسبه » . (٣) فى ب : « أهل فى ذاك تخلده » ، وفى ج : « هل فى أرائك تخلده » وفى سلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن المصرى » : « وأنا فى ذاك عنده » ، والمثبت فى : ا .

وبعد هذا البيت فى سلك الدرر ، وكتاب « أبو الحسن المصرى » زيادة :

لم ألقَ خلاصا منــــه سوى ... مَن سَامَ ذَراهُ ومحْتــــدِهِ

وفى كتاب « أبو الحسن المصرى » : «من سامى ذراه محتده » .

كيف النجاةُ وسهمُ نا ظرِه بأحشائى نفوذُهْ
يافاتكاً بعيونه فى مُهجتى وأنا شهيدُهْ
رفقاً بحال مُتيَّمٍ للنجم ناظرُه رصودُهْ
واسمحْ له فى غمضةٍ فلعلَّ لو طيفٌ يعودُهْ
ماضرَّ لو ناديتَ مَن فى الحبِّ لا تُنْسى عهودُهْ
فاللومُ ليس مُنقِصاً وجداً تحكَّم بل يزيدُهْ

* * *

وله من أخرى ، مستهلُّها :

فؤادٌ من الهِجْران فيك مُروَّعُ وقلبٌ من الأشواق والصدِّ مُوجَعُ
ومقلةُ عينٍ كُحِّلت بنجيبها وفاضت على الخدَّيْن منهن أدمعُ [١]
فمَن لى بكِتْمان المحبَّةِ بعدما أذاعتْ دموعى سرَّ ما كنتُ أُودِعُ
أبيتُ وفى قلبى من الشوقِ لاعجٌ وأغدو وقَدْحُ الشوقِ فى الصدرِ يلمعُ
فلا الوجدُ إن بَان الأحبةُ مُقلِعٌ ولا الصبرُ إن دام التفرُّقُ ينفعُ
ففتِّشْ خليلى عن فؤادِىَ أوَّلاً أهلْ فيه للوجدِ المبرِّح موضعُ [٢]
لك اللهُ هل يُرْجَى شفائى من الهوى وهل بعد هذا للتواصُلِ مَطْمَعُ [٣]

* * *

ومن أخرى مستهلُّها :

يا أخا البدرِ طَلْعة وجَبِيناَ ونظيرَ الغصون قدّاً ولِيناَ
مَن لنا أن تَمُنَّ بالوصلِ يامَن قد جعلتَ الصدودَ فى الحب دِيناَ

---

(١) فى ج : « كحلت من نجيبها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « ففتش فؤادى يا خليلى أولا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « وهل بعد هذا للتوصل مطمع » . والمثبت فى : ا ، ج .

قد ضَلَلْنا بليــلِ فَرْعِك حتى ضاء صبحُ الجبين منه هُدِيناَ [١]

نحن مِن مُؤْمِنيك فى الحبِّ صبرْناَ فاغْمِدِ السيفَ عن قتالِك فيناَ

ليس نخشى حَدَّ الظُّبا من أُسودٍ بل ونخشى من الظِّبـاء العيوناَ

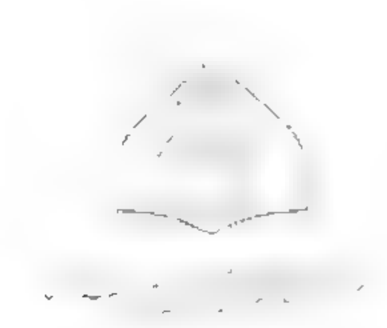
وكفانا يامُنيــةَ القلبِ أنْ من سَقامٍ ومن نحولٍ خَفِيناَ

لو لقيتُ الحِمامَ ما كان يُدْعَى بعظيمٍ ممَّا به قــد لقِيناَ

فالأمانَ الأمانَ من طولِ إعْرا ضِك عمَّن فى الحبِّ أمسى رَهِيناَ

والمحالُ المحالُ أنِّى أسْــلو كَ وأذْنى تَصْغِى إلى العاذليناَ

كيف أسْلو والوجدُ عندى عظيمٌ والهوى فى الضُّلوعِ أمسى دَفِيناَ



(١) فى الأصول : « ضاء صبح الجبين من هديا » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

٤٣

عبد الرحمن التاجي الخطيب البعلي*

أديبٌ سامي القدْر ، متوقّد كالقمر ليلةَ البدر .

حسن المحاضرة بالأشيا[1] ، وارف الظلال والأفيا .

يجرى على طرف لسانه ، ما ينطق الدهرُ باستحسانه .

وهو أخ لك فيه[2] الغرض ، [3]جوهر أخلاقه لا يشوبه عرَض[3] .

وفيه لَوْذَعية تُعجبه ، وبَشاشة[4] تُزاده وتقرّبه .

وبيني وبينه صحبة أَلْحَمَتْها الآداب وسدَّتها[5] ، ومودّة ربطتْها موافقةُ القلبيْن وشدّتها .

وهو اليوم طلّق الشِّعر ثلاثا ونقض غزله أنكاثا[6] .

(*) عبد الرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن موسى بن عبده التاجي ، الحنفي ، البعلي .

ولد في بعلبك ، سنة ست وأربعين وألف .

وقرأ بها على الشيخ عبدالباقي ، وعلى السيد محمد البرزنجي ، كما أخذ عن الشيخ إبراهيم الكوراني المدني ، والشيخ محمد بن سليمان المغربي ، والشيخ حسن العجيمي المكي .

اشتغل بالتدريس والخطابة ، وكانت له معرفة بالموسيقى ، مع ثروة ودنيا .

توجه آخر عمره إلى القسطنطينية ، ثم توفي ببعلبك في توجهه إلى دمشق ، سنة ست عشرة ومائة وألف .

سلك الدرر ٢/٢٨٥ ـ ٢٩١ . وقد نقل المرادي صدر ترجمة المحبي له ، والشعر الذي أورده ، وأضاف إليه كثيرا .

(١) في سلك الدرر : « بالإنشاء » .

(٢) في سلك الدرر : « في » . (٣) في ج : « جواهر أخلاقه لا يشوبها عرض » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٤) في ب : « وكشاشة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٥) سدى الثوب : أقام سداه ، والسداة من الثوب : خلاف اللحمة ، وهو ما مد من خيوطه .

(٦) في ا ، ج : « أثلاثا » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

وتخلَّص لعلمٍ ينفعه فى الحال والمآل ، ويجدِّد له فى الله كلَّ آنٍ[١] ما تعوَّده من أمانِىَّ وآمال .

* * *

وقد أثبتُّ له من[٢] أوائل شعره كلَّ بديع الوصف ، زارٍ[٣] على الجوهر فى الشفافية[٤] والرَّصْف .

فمن ذلك قوله من قصيدة ، مطلعها[٥] :

تذكرتُ أيامَ الصبابةِ والصِّبا	وعيشاً مضى ما كان أحْلَى وأطْيبَا[٦]
زماناً به كانت يدُ الدهرِ بُرْهةً	تُقمِّصنى ثوبَ السعادةِ مُذْهَبَا
سقى اللهُ ذاكَ الشِّعبَ غَيْثَ مَدامعى	إذا الغيثُ يوماً عن مَغانيه قَطَّبَا
مَعانٍ بها كان ائتلافُ مَسرَّتى	وإقبالُ عيشى بالمسرةِ أخْصبا[٧]
منازلُ فيها للبدورِ مطالعٌ	على أن فيها لسحائبِ مَسْحَبا
أقمتُ بها بين البشاشةِ والقِرَى	وإن شئتَ قل بين الأحبَّةِ والحِبَا[٨]
وكم سِيق من نُعْمَى إلىَّ ونعمةٍ	وكم قيل لى أهلاً وسهلاً ومرحبَا
أبيتُ أجُرُّ الذيلَ تِيهاً ورفعةً	ولا أرْتضى غير السِّماكَيْن مَضْرِبَا

(١) ساقط من سلك الدرر . (٢) فى ب ، ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .
(٣) فى ب ، وسلك الدرر : « زاد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « الشفافة » ، وفى ج : « الشفاف فيه » ، والمثبت فى ا ، وسلك الدرر . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ٢/٢٨٦ ، ٢٨٧ ، وذكر المرادى أنه مما كتبه للشيخ عبد الغنى النابلسى . (٦) فى سلك الدرر : « ما كان أهنى وأطيبا » . (٧) فى سلك الدرر : « وإقبال عيشى بالأمانى أخصبا » . (٨) فى ب : « بين المسرة والقرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

منها :

وليــــلةِ سعدٍ ما سعدتُ بمثلها مدى الدهرِ فى تلكَ المَعاطِرِ والرُّبَى[1]

أعانقُ للآمــــالِ قَدّا مُهفهَفا وألــــثِمُ ثغراً للأمانىِّ أشنَبا[2]

فذاكَ زمانٌ كلُّ عيشٍ به رِضىً وكلُّ نسيمٍ هبَّ من صَبْوتى صَبَا

وكنتُ أرى أن الزمانَ مُساعدى فشِمْتُ به برقَ الأمانىِّ خُلَّبا

فبيْنا ترانى باسمَ الثغرِ ضاحكا إذا بى أعَضُّ الرَّاحتيْن تلهُّبا

* * *

وأنشدنى لنفسه قولَه من قصيدة ، أولها[3] :

بأبى أهيفٌ كظبىٍ غريرِ صال فينا بسيفِ لحــــظٍ شهيرِ

ألِفَ الصَّـــدَّ والنِّفارَ ولالا ما عهِــدناه بالألوفِ النفورِ

أسرتْنى لحاظُه النُّجْلُ عَمْــداً بالفُتُــــورِ المتيَّمِ المهجورِ[4]

أى ذنبٍ جنيتُ فى الحب حتى صرتُ فى العاشقين دون نَصيرِ

عاذِلى تركُكَ الملامةَ أحرَى لو تحرَّيتَ كنتَ فيه عَذيرِى

لو تَراه وقد أدار عِــــذاراً مثلَ وَشْيِ الطِّرازِ فوق الحريرِ

لعلمتَ الغرام إن كنتَ خِلْواً وعذرتَ العميد عُذْرَ بصيرِ[5]

أو رشفتَ الزُّلال من ريقِ فيهِ رُحْتَ منه بسَــــكْرةِ المخمورِ

زار فى غفْـــلةِ الرَّقيبِ فأحْيَى مَيْتَ هجرٍ بسَعيه المَشــكورِ

أوضح الفَرْقَ واستكنَّ بفرْعٍ فأرانا الصَّبــــاحَ فى الدَّيجُورِ

بات سُكْرِى منه بكأسِ حديثٍ طِيبُ أنفاسِه لها كالعبــــيرِ

---

(١) فى سلك الدرر : « فى تلك المعاهد والربى » . (٢) ثغر أشنب : أبيض الأسنان ، حسنها .

(٣) القصيدة فى سلك الدرر ٢/ ٢٩٠ ، ٢٩١ . (٤) فى سلك الدرر : « ألحاظه النجل . .

المتيم المأسور » . (٥) العميد : الذى أضر به العشق .

رِيقُه العذبُ لى مُدامٌ ونَقْلِي ... لَثْمُ خـــدٍّ بوجهه المستنيرِ

ثم وسَّدْتُه اليمين وبتْنـــا ... فى نَعِيمَىْ مَسرَّةٍ وحُبـــورِ

ليلةٌ بالعفاف سُرَّ بهـا الدهْ ... رُ فـكانت كغُرَّةٍ فى الدُّهورِ

بدرُها رام أن يتمَّ فأرجعْ ... ناه منَّا بنَفْثةِ الصـــدورِ

* * *

هذه نفثة مصدور، تصدَّت لتَصْدِية مرايا[1] البدور.

* * *

ونجـــومُ السماء منظومةُ السِّمْ ... طِ كنَظْمِ الجمان فوق النحورِ

وسُهَيلٌ يلوح طَوْراً فطـــوراً ... يتحامَى كخائفٍ مذعور[2]

والثريَّا قد آذنتْ بانقضاء الْ ... لَيل تومى لنا بكفٍّ مُشيرِ

---

(١) فى ب: «فيهـا مزايا»، والمثبت فى ا، ح. (٢) سهيل: نجم، عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضى القيظ. القاموس (س هـ ل).

٤٤

شاهين بن فتح الله

إنسان طَرْف الفضل ومُقْلة مآقِيه ، وفارع هضبة البيان وراقِ مَراقِيه .

زُرَّتْ على الفضل أطْواقُه ، وما اهْتاجت إلا للكمال أشواقُه .

وهو من لطفِ الطبعِ أرَقُّ من الصهباء في رَوْق الصِّبا ، ومن سلامةِ الناحية أطوعُ من قدودِ القُضْب لراحةِ الصَّبا .

وإلى ما حَواه من فكاهة يتسلَّى بها المهموم ، ومحادثةٍ يجعلها النديم[1] عوضَ المشروبِ والمشموم .

وشعرٍ كحَلْي الخَوْد حواشيه تأتلف ، ونثرٍ كوَشْيِ الروض رقومه تختلف .

ولما حللتُ القاهرة ، أتحفتني الأيام بطلعته الزاهرة .

فمنحني بِرَّه عفواً ، وسقاني كأسَ ودادِه صفواً .

فقرَّتْ برؤيته عيناى ، وأغنانى بودِّه عن أهلى ومَغْناى .

فأنا وإيَّاه بصدْق العِشْرة نتَّسِم ، وبقَدْر الحب وحقِّ هواه نقتسِم .

* * *

وقد أهدى إلىَّ قصيدة أتحفنى بها ، وهى قوله :

خليلىَّ ماأحْلى الوِصـــالَ بلا هجرِ   وما منـــــه أشهى للمحبين بالحصرِ

نعِمتُ به دهرًا بريْعانِ نشْــأتى   وذلك من أحْظَى الجَنَى ليد الدهرِ

---

(٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

وبى أغيدٌ حُـــلْوُ الشمائلِ وجهُه ... يُرِى البدرَ حُسْناً وهْوفى صورةِ البدرِ

أحاديثُه كالشهدِ تحلو فـكاهــةً ... إذا مااحتساها السمعُ أغنتْ عن الخمرِ

يُشَعْشِع فَحْواها لىَ الـكأسُ لذّةً ... بنَـكْهةٍ أزكى مايـكون من العطرِ

كأن نسـيمَ الروض بات يُمِدّه ... فأهدى لنا من طِيبِه طَيِّبَ النشرِ

فـكرِّرْ بذكْرِ الـكأسِ لى دَرَّ دَرِّه ... تِعلَّةَ قلبٍ من جَوى الحب فى جمرِ

وإن يَحْكِ ريحَ الحب لطفاً فعاطِنى ... وإن لم يُسوِّغْه الغناء على السكرِ [1]

فيا بأبِى منــه الدلالُ مُعشَّقاً ... وياحسنَ ذاك المُعطفِ اللَّيِّنِ الهَصْرِ

رنا بقَوامٍ كالقضيبِ ومُقْـلةٍ ... يجُول بهُدْبيهـا غرارٌ من السحرِ

وماس وقــد حار الوِشاحُ بخَصْرِه ... رَشاً لم يُطِق حملَ الوشاحِ على الخَصْرِ

إليــه توالانى هواه فمذْ رأى ... وُلوعِى به غطَّى التَّعــارفَ بالنُّكْرِ

وأغْنى وقد ولّى الغرامَ مَقــاتِلى ... وولَّى ولم يَعْبأْ بلَوْمٍ ولا عُــذْرِ

فقلتُ وقد ضاقتْ علىَّ وسـائلى ... أراجِعُه الطُّولَى بِفكِّ عَنا أسْرِى [2]

حَنانَيْك لاتسمعْ مَقالا لـكاشحٍ ... بنَميمِه يُغْوِى لمن بالجفا يُغْرِى [3]

على أننى رُحْماك لاأحمــلُ الجفا ... وقد نفِدت منى الذخائرُ من صبرِى

وجسمِىَ مَنْهوكٌ ولُبِّىَ ذاهــلٌ ... وقلبِى أسـيرٌ آهِ فى قبضة الهجرِ

وعنِّى نأى زَهْوُ الشبــاب وليْتَه ... يعود ويُثْنِى لى الأعنّــةَ بالبِشرِ

وهَبْ أننى أثْنِى إلى الودِّ عَزْمــةً ... فأين زمانُ اليسرِ من زمَن العسرِ [4]

فيا ســائلى أين الزمانُ وطِيبُه ... ألا فاســألِ الأيامَ تُنْبيك بالخبرِ

---

(١) فى ب : « ولى يحك ريح الحب عذرا فعاطى » ، وفى ج : « لطفا فعاطى » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ب : « يفك عنا أسرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والطولى : الحالة الرفيعة . القاموس(طول).

(٣) فى ب : « بتنميقه يقوى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « وهب أننى ألوى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لقد عوّضتْنى الشّيبَ عنـــه وإنه   يقالُ وقارٌ لو يقـــال بلا وَقْرِ [1]

فمِن بعدِهِ لم يَصْفُ عيشى ولم أمِلْ   إلى لذةٍ هيهات تهتِف فى الفكرِ

وجانبْتُ أنحاء القريضِ وسُوحَه   بحيث أرى فى سُوقِه النَّفسَ كالغِرِّ [2]

وحتى استماعى للقريضِ سئمْتُه   كأن سيم سِعْرُ الشعرِ فى الوزنِ بالشَّعْرِ [3]

وأوحَشَت الآداب عنى فخِلْتُها   كمَعْنًى لمَعْنًى لاح كالآلِ فى قفْرِ [4]

فحرّك طبعى بعد ما كان جامدًا   على ما امْتطاه من كلالٍ ومن فَتْرِ [5]

وآنس من طوْرِ المعــــالى مخاطبًا   تجلّى بأنواع المعانى على فكرى [6]

مُشيرًا إلى مولى سَجــــايا كأنه   تهُلُّ سحابًا بالفضائل والبِرِّ [7]

ويُدْعَى بحقٍّ بالأمين واسمــــه   محمدٌ من نسلِ الكرام بلا نُكْرِ [8]

ألا وهو مولانا الحســـينىّ إنه   رقيقُ حواشى الطبع ضخْمُ ذُرَى الفخرِ [9]

ومن فتيةٍ سادوا وشادوا إلى العلى   دعائمَ مجد نوّرتْ عمل الفجرِ [10]

وهم فى سماء السُّؤددِ الشامخ الذُّرَى   سَراةٌ سرَوْا حتى له المجدُ لا يسرى [11]

وإنك يامولاىَ جوزْتَ حدّهم   إلى مفخرٍ فوق السّماكَيْن والنَّسْرِ [12]

---

(١) فى ب : « لا يقال بلا وقر » . والمثبت فى : ا ، ح . والوقر : ثقل فى الأذن . القاموس (و ق ر) . (٢) فى ب : « فى سوقه البخس كالغر » ، والمثبت فى : ا ، ح . والبخس : [illegible] القاموس (ب خ س) . وغره ، غرا : خدعه . انظر اللسان (غ ر ر) ٥/١١ (٣) فى ب : « وحيث استماعى » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٤) فى ب : « فى القفر » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٥) فى ا : « من كلال ومن فر » ، والمثبت فى : ب ، ح . والفتر ، بالتحريك : الضعف ، ويسكن . [illegible] (٦) فى ب : « تجلى بأنواع المعانى » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٧) هل المطر : انصب . (٨) سقط هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ح ، وبينه والذى يليه تقديم وتأخير فى : ح . (٩) فى ا : « رقيق حواشى الطبع فخم ذوى الفخر » ، والمثبت فى : ب ، ح . (١٠) فى ا : « ومن فتية شادوا وشادوا » ، والمثبت فى : ب ، ح . (١١) فى ب ، ح : « سراة سروا جدا » ، وهى رواية حسنة أيضا ، والمثبت فى : ا . (١٢) السماكان : الأعزل والرامح : نجمان نيران . القاموس (س م ك) .

والنسر : كوكبان ؛ الواقع ، والطائر . القاموس (ن س ر) .

وحُزْتَ مَجالا فى المعارفِ واسعا — وعلماً غزيراً جلَّ مَعْ سَعَةِ الصدرِ

وتهْذيبَ أخلاقٍ وحَسْبُك نِسْبةٌ — إلى الشرفِ المُدْلِى إلى المصطفى الطُّهرِ

فإن تَبْدُ شمسُ الأُفْقِ قلتُ بأنها — مُحَيَّاك لاأغلو وأنت بها تُزْرِى[1]

وشِعرُك أحْلى فى النفوس من المُنى — وأفْعَلُ فى الألبابِ من قَرْقَفٍ بِكْرِ

وقد نِلْتَ يامولاى أسْنَى مآثرٍ — تجِلُّ عن التَّعدادِ فى الفضل بالحَصْرِ

فمنها التآليفُ الحِسانُ التى غَدتْ — بما قد حوتْ كالدرِّ فى لَبَّةِ الدهرِ

وناهيكَ بالتاريخ فضلا فإنه — حَرِىٌّ بكَتْبِ التِّبرِ فضلاعن الحِبْرِ[2]

لما قد حوى أبحاثَ عن أبيتة — تُميطُشُحوبَالشكِّ كاليُسْرِالعسرِ[3]

وتقْريرَ أفهامٍ بديعٌ بيانهُا — معانيه أسرارَ البلاغة تستقْرِى[4]

وتحريرَ منقولٍ وضَبْطَ وقائعٍ — تُحقِّق منها ماأستريبَ من الأمرِ

كتابٌ لأهل الفضلِ زُخْرُفُ روضةٍ — يَسيمون منها فى مَعانٍ كما الزَّهرِ[5]

نَهَجتَ به فى الفضلِ أبهجَ منهجٍ — تدُوم به حيًّا إلى الحشرِ والنشرِ

به ذِكْرُ مَن يستوجِبُ الذِّكْرَ فى الورَى — وإحياءُ موْتَى للفضائلِ بالذِّكْرِ

به يهتدى للغابرين ومَن مضَى — كما يهتدِى السَّارون بالأنجُمِ الزُّهْرِ

كأنَّ مَزايا ذِكْرِهم فى طُروسه — متى تتلُ جناتٌ جداولُها تجرى

لك الفضلُ فيما ضمَّت من دُرِّ لفظِه — سَبِيقَ معانٍ خِلْنَ ضَرْبًا من السحرِ

فجازاك ربُّ العالَمين بفضله — جَزاءً يُنيلُ الأجْرَ مَعْ رِفْعةِ القدْرِ[6]

---

(١) فى ا : « دبت بأنها » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وفى ا : « لاأغلوا وأنت » ، وفى ب : « لاأغلو وأنت » ، والمثبت فى : ح .

(٢) يشير إلى كتاب المحبى «خلاصة الأثر» . (٣) فى ب : « كاليسر والعسر » ، والمثبت فى: ا ، ح.

(٤) يشير إلى كتاب « أسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجانى .

(٥) فى ا : « يسمون منه » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٦) فى ب : « جزاء ينيل الأجر » ، والمثبت فى : ا ، ح .

وأنتَ وأيْمُ اللهِ مُفْرَدُ عصرِنا ... وحامى حِمَى الآدابِ فى النظمِ والنثرِ

تذيبُ بكَ الأيامُ قُلِّدتَ عِطْلَتَها ... وقُلِّدَت منها الجِيدَ من فضلِكَ الوفْرِ

ومنكَ جَلاها من سَنا البرقِ شارقٌ ... وصَاكَ بها من عَرْفِكَ العنبرُ الشِّحْرِى[1]

وهاكَ أيا مولاى منِّى مدائحاً ... سهِرتُ بها والنجْمُ يسبِرُ من فكرى

وما هى إلَّا الروضُ حيَّاكَ عَرْفُه ... وقد بادَرَتْه نَوْءُ فضلِكَ بالقَطْرِ[2]

ومَعْ ذاكَ لم أقدُرْكَ حقَّك بِمِدْحةٍ ... ولكنه جُهْدُ الأناشيدِ من شعرى

وإن يكُ قد حازَ انْطباعاً فإنه ... لَمُكتسِبَنْه من خلائقِكَ الغُرِّ[3]

أُقِرُّ بعجْزى ليس شعرى مُكافِياً ... فصاحتَك العظمى ولو صِيغَ من تِبْرِ

على أنه ما اسْتَطَعْتُه وأعوذُ مِن ... مَلامةِ تقصيرى بِقَولِكَ عن وِزْرِى

* * *

فكتبتُ إليه عنها جوابا، لا يزالُ سمعى يرشفُ من راحِ أدبِه أكوابا:

ألا ليتَ شعرى والمُنى لَذَّةُ العمرِ ... متى يرجعُ الطيرُ القديمُ إلى الوكْرِ

نعم فى مِطالِ الدهرِ لى وَعْدُ أوْبَةٍ ... فمَن لى بقلبٍ فيه يَقْوى على الصبرِ

أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعُه ... وحُكمُ القضا فيما يناقِضُه يَجْرى[4]

وما حيلةُ الظمآنِ والماءُ دونه ... حِجابٌ من البيضِ الصَّوارمِ والسُّمْرِ

وفى ذمَّةِ الأيامِ ما صنَعَ النَّوى ... بجسمى وما تُبْدِى المَدامعُ من أمرى

---

(١) صاكَ به العبير أو الزعفران: لصق به. القاموس (ص و ك)

والعنبر الشحرى، منسوب إلى الشحر، وهو صقع على ساحل بحر الهند، من ناحية اليمن، بين عدن وعمان.

معجم البلدان ٣/٢٦٣.

(٢) من أول هذا البيت إلى نهاية قوله: «كهدى الصبا للبدر ولدر للبحر» الآتى فى قصيدة المحبى ساقط من: ب، وهو فى ا، ج، وفى ا: «وقد بادرته نوء فضلك بالقطر»، والمثبت فى: ج.

(٣) فى ا. «... كتسبيه من خلائقك الغر»، والمثبت فى: ج مضبوطا.

(٤) فى ج: «وحكم القضا فيما تناقضه يجرى»، والمثبت فى: ا.

وعيشٍ كأخلاق الكرام قطعتُه   وصَحْبِي بسفح الصَّالحيَّة والجسْرِ[1]

يشفُّ ضُحاه عن طُلاً من مُجرَّدٍ   نقيّ وتفترُّ العشيَّةُ عن ثغْرِ[2]

وللطَّير تَهْدارٌ بأيْكة روضةٍ   إذا سكَت الشُّحْرور جاوبه القُمْرِى

به من لُجَيْن الماء ينْساب جدولٌ   ترقرق فى آصاله ذائبُ التِّبْرِ

يُهيِّمُنا فى جنةِ الخلدِ وصْفُه   وتُملى علينا ما جهلْنا من السِّرِّ[3]

ودارتْ بكاساتِ المُدام سُقاتُنا   كما دارتِ الأفلاكُ بالأنجُم الزُّهْرِ

وما أسكرتْنا بعد صَحْوٍ وإنما   أعادتْ لنا فى الحب سكرا على سُكْرِ

وأغْيَدَ إمَّا قابَل البدرَ وجهُه   أرتْك به مرآته صورةَ البدرِ

إذا قرأُوا والليلِ فى وصفِ فَرْعِه   قرأتُ لهم فى مَعْرِض الفرْقِ والفجرِ[4]

تجمَّع حسنُ الخلْق فيه بأسْرِه   ففرَّق ما للعاشقِين من الصبرِ

بمُنْعطِفٍ لولا العيونُ تحوطه   لضلَّ به الهِمْيانُ عن دَورةِ الخصْرِ

يكاد وِشاحاه يطيران بجمعه   ولولاهما من رِقَّةٍ كاد أن يجرِى

وحُقّ عقيقٍ من فمٍ مرشفه خاتم   به ختم اللهُ الشّفاه على دُرّ

يصولان بلحْظ المنايا مجرّدٍ   رهيبِ الشَّبا يختال فى طلبِ الثّأرْ

ترى مَن غدا فى السِّحْرِ أستاذَ طَرْفه   فهاروتُ لم يقدِر على ذلك السحرِ

يضيقُ وعاءُ الدهرِ عنه جَلالة   ومن عجبٍ يحْويه مع ضيقِه صدرِى

---

(١) فى ح : « صبحى بسفح الصالحية » ، والمثبت فى : ا .

والصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع ، فى لحف جبل قاسيون ، من غوطة دمشق ، وفيها قبور جماعة من الصالحين ، ويسكنها أيضا جماعة من الصالحين ، لا تكاد تخلو منهم .

معجم البلدان ٣/٣٦٣ .

وانظر فى الجسر معجم البلدان ٢/٨١ ، ٨٢ .

(٢) فى ح : « من محره * تق وتفتر . . . » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ج : « فى جنة الخلد صفوه » ، والمثبت فى : ا . (٤) يشير إلى سورتى : الليل ، والفجر ، من القرآن الكريم .

وما اخْترتُ حتى اخْترتُ حُبَّيه مذهبى ومدحُ ابن فتح الله فرْدِ الورى ذُخْرى[١]

فتًى قد حَمِــدتُ العيشَ منذ صحِبْته وسافهتُ حظِّى من خلائقه الغُرّ[٢]

أُحيِّى إذا حيَّيْتُه الروضَ ناضرا وأشْتَمُّ عَرْفَ النَّشْقِ من زهرة النهرِ

رطيبُ مَهَزِّ الجودِ مُورِقُ عـودِه وأبلجُ وجهِ العَرْفِ مُستوضَح البِشرِ[٣]

إذا ما سقى غصنَ اليراعــةِ نِقْسُه جنَيْنا ثمارَ الفضلِ فى الورقِ النَّضْرِ[٤]

له الشِّيَمُ الشُّمُّ التى لا ينالهـــا فتى علَّق الأذيالَ بالأنْجُم الزُّهرِ

تُبَارِىَ أحداثَ الزمانِ فتنــبرى كما انتفض العصفورُ من صَولة الصقرِ[٥]

فتى يتسامى بالتواضعِ جهـــدا ويعْجَب من أهل المَخِيلة والكِبرِ

عليه من المجد المُؤثَّل خِــلْعَةٌ تجرُّ ذيولَ الأريحيَّة والفخرِ

وفيه خصالٌ قصَّر الحمـــدُ دونها وأبلغُ شـكرٍ يُستفاد لها شكرى

وإن آيادِيه تمتْ وجــهَ همَّتى إلى الخُلُقِ الفضفاض والنَّائل الغَمْرِ

ولى فيه من صِـــدق العناية خِلَّةٌ تُرينى ابتسامَ الخالص شنَبِ الثغرِ

فشكرا لدهرٍ جاد مطاياتُه بنعمتى من حيث أدرى ولا أدرى

وسقيًا لأرض ألَّفتْنا وحضرةٍ بها ضمَّنا كالعقد أستاذُنا البكرى[٦]

علَوْنا على النَّسْرين تحت جناحه فنحن إلى ما فوق أُفْقَيْهما نَسْرى[٧]

وما زال يكسُونا شمائلَ غَضَّةً يقَعْنَ مقامَ النَّوْرِ فى المنبتِ النضرِ

نُعدِّيه بالخمسِ الحواسِ وإنما لنعقِد إن عدَّت عُــلاه على العشرِ

---

(١) و ا : « وما اخترت إلا اخترت ». والمثبت فى : ج. (٢) سافهه : لازمه ، أو أسرف فيه. انظر القاموس (س ف ه). (٣) و ا : «وطيب مهز الجود» ، والمثبت فى : ج. (٤) النقس: الحبر. (٥) كتب الناسخ فى ج عجز البيت هكذا : « كما انتفض العصفور بلله القطر » ، ثم ضرب عليه ، ولم يذكر رواية ا ، وكأنه سبق فهمه إلى البيت المشهور ، فكتب عجزه ، ثم ضرب عليه ، ونسى تقييد عجز بيت الحبى. (٦) يعنى الأستاذ زين العابدين البكرى ، وسيترجمه المؤلف فى قسم مصر ، ويأتى برقم ٣٢٥ ، وانظر ما تقدم فى صفحة ١٥. (٧) انظر ما تقدم فى صفحة ٤٥٤ هامش رقم ١٢

فحيّي على رغم الكواكب غرّةً ‏ ‏ يُرينا سَناها كيف شَعْشَعةُ البدرِ
عليها من النّورِ الإلهى مِسْحةٌ ‏ ‏ بها تنْجلى الُجلَّى ويُمْحى دُجَى الإصْرِ
أمولاىَ يا شاهينُ لا زلْت دائمـا ‏ ‏ مُجِـدًا إلى قَنْصِ المفاخرِ بالبِرّ
فكم لك من صَيْدات فضلٍ وسُؤْدد ‏ ‏ يُرَى دونها وَقْعُ المهنّدةِ البُتْرِ
عرفتُك من بين الأنامِ فلم أكُنْ ‏ ‏ لغيرك أطْوِى الصدرَ إلا على نُكْرِ
بعثتَ إلىّ الرّوحَ فى لذّة المُنَى ‏ ‏ وطِيبَ التّهانى فى بُلَهْنِيَةِ العمرِ (١)
فرائد آدابٍ نظمْتَ عقودَهـا ‏ ‏ مُفصَّلة تمتاز فى الطّرس كالشَّذْرِ
قوافٍ كأنفاس الخزامَى صقيلةٌ ‏ ‏ بريح النُّعامى تفترى عَنْبر الشّحْرِ (٢)
فلا زلت تُهدِى مثلَها من قصائدٍ ‏ ‏ بها الشعرُ يبقى دهرَه فائق السِّحرِ
ودُونكها عـذراء لا عـذرَ عندها ‏ ‏ لمن ليس يصْبو والهوى عنده عُذرِى (٣)
تمازَج معناهـا ورائقُ لفظِها ‏ ‏ كما مزَجـوا ماء الغمامة والخمرِ
فإلّا تسكْنه أو يسكُنها فإنهـ ‏ ‏ وإيّاها سِيّان فى شرعة السّكرِ (٤)
وسامحْ تخطِّى الدهرَ حتى لم يَدَع ‏ ‏ مُعينًا على خَطْب لقيت ولا فكرِى (٥)
ومثْلى إذ أهدتْ نظمًا تُجِيـده ‏ ‏ كمُهدِى الضِّيا للبدرِ والدُّرِّ للبحرِ (٦)
فأنت إذا صُغْت القوافى أريْتَ من ‏ ‏ يُجاريك فيها صنعةَ أنجُم الظّهرِ (٧)

(١) فى ح : « فى زمن المنى » ، والمثبت فى : ا . (٢) النعامى : ريح الجنوب . القاموس (نعم) .
وانظر فى العنبر الشحرى ، ما تقدم فى صفحة ٤٥٦ ، حاشية رقم ١ .
(٣) فى ح : « والهوى عندها عذرى » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ح ورد صدر البيت هكذا :

* فإلّا تسكْنها أو تسكْنه فإنها *

والمثبت فى : ا
(٥) فى ح : « معينا على ما قد لقيت ولا فكرى » ، والمثبت فى : ا . (٦) إلى هنا انتهى الساقط
من : ب ، الذى أشرت إلى بدايته فى صفحة ٤٥٦ السابقة .
(٧) فى ب : «رأيت من» ، والمثبت فى : ا ، ج .

بقيت على الأيام خيرَ مُؤَمَّلٍ ... برأيك أستعدى على نُوَبِ الدهرِ[1]

ولى فيك مدحٌ ليس يهرَم نظمهُ ... ولو صارت الأهرامُ كالعِهْنِ فى مصرِ[2]

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، من قصيدة ، مطلعها[3] :

أما والتفاتِ الجيدِ من مُشْبِهِ الدُّمَى ... وثغرٍ حوَى دُرًّا بديعا منظّمَا

وأوْطفِ أجفان من السحر كُحِّلتْ ... تغــادر من قد غازلته مُتَيَّمَا

تسوق المُعَنَّى للصبــابةِ والهوى ... وكم من وَلوع فات فيهنّ مُغرَمــا

حليفَ جَوًى طوعَ الغرامِ تنوده ... دواعى التَّصابى ناحلَ الجسمِ مُسْقَمَا

مُبَلْبَلَ بالٍ فى محبةِ أغيــدٍ ... بديعِ جمالٍ كلَّ جَورٍ تعلّمــا

يطُلّ دمَ العشاق جَوْرا لأجــل أن ... يضرّج منه أبيضَ الخــدِّ بالدّمَا

رنا كالطّــلا والغصنِ قدًا وناظرا ... يسدِّد سهما والرُّدَيْنِىّ قوّمـــا

وحاوَلَ أن يرمى فؤادى وما دَرَى ... بأنّ فؤادى لايُبالِى بمـــا رَمَى

لأنِّىَ عن طُرْق الهوى مِلْت جانبا ... وجانَبْتُ لهواً للتصـــابى مُيمِّمَا

وهــل بعد ما لاح الصباحُ بلِمّتِى ... وفى ليل غَىِّ فجرُ رشدى تبسَّمَا

يروق بــأنِّى يزدهينى تَعَشُّقٌ ... ومِلْتُ لحبّ والشبــابُ تصرَّمَا

فآهــاً لأيام الشّباب ولم أزَلْ ... على فَقْدِه ذا حُرقةٍ متـــألِّمَا

---

(١) فى ب : « بقيت على الأيام لى خير مؤمل » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٢) العهن : الصوف ، وهو يعنى العهن المنفوش ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ . سورة القارعة ٥ .

(٣) هذه المقدمة ساقطة من : ح ، وهى فى : ا ، ب .

تبدّلتُ عن طِيب اغتنامى لصحتى ... وعن لذتى فيها من السُّقم مُغرما[1]

وقاسيتُ ممّا بى أَلمّ من الضّنى ... ومن فادح الخطب الذى جلّ صِلْدِماً[2]

وأحمد ربّى حيث أبرأنى الضّنى ... وبى من أليم الكرب نجىّ وسلّما[3]

فما ظَبْيةٌ قد عافَها عن شُوَيْدنٍ ... لها شَرَكٌ من صائدٍ فوقها ارتمى

وأقبل مسرورا إليها ورام أن ... يَشُدّ وَثاقيْها فأبصر أزقما

يحاوله كالليث من كلّ وجهةٍ ... يُصاوله أيّانَ سار ويمّما[4]

فأذْعِر منه حيث أُرْعِد خيفةً ... وأفلتها من خَشْية الصِّلّ مُرْغَما

فراحتْ كريحٍ فى الفلا نحو سِرْبها ... تُزيل غبارَ الموت عنها وعندما

أتتْ خِشْفَها أحْنتْ عليه بكلها ... وقد أرضعتْه بعد أن شفّه الظّما[5]

بأفرحَ منى يوم بُرْئى من الضنى ... وجئتُ إلى مولاى فيه مُسلّما

ومُتّعتُ بعد اليأس منه بنظرةٍ ... له ظَلْتُ فيها بالسرور منعّما

***

ولى معه مجالس تمتحن فيها الأفكار، وتزفّ عرائس الأدب الأبكار.

من محاضرات[6] تُوصّل الأُنس إلى سَواد[7] القلب وصَمِيمه، ومحاورات تُميط الهمّ عن النفس وقد ألحّ فى تصْميمه.

---

(١) فى ا : « من السقم خرما » وفى ب : « من السقم حرما » ، والمثبت فى : ح .

(٢) فى ب : « الذى حل صادما » ، والمثبت فى : ا ، ح .
والصلدم ، كزبرج : الأسد والصلب والشديد . القاموس (ص ل د م) .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « وبى من أليم نجى وسلما » والمثبت فى : د .
وفى ا : « حيث أبرأنى الضنى » ، وفى ب : « حيث أبرأنى الهوى » ، والمثبت فى : ح .

(٤) فى ا : « أيان سار وعما » والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ب : « بعد ما شفه الظما » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٦) فى ب : « محاضرة » ، والمثبت فى ا ، ح . (٧) فى ب : « عواد » والمثبت فى : ا ، ج .

وأغلبها تجرى فى مجلس الأستاذ زين العابدين[١] ، مُنْتَدَى روائع[٢] الطرائف ، ومُنتَمَى[٣] بدائع الظرائف .

ومقصِد الأمانى والأطماع ، وصَيْقَل النواظر والأسماع .

حيث شمِل الفضلَ فى انْتظام ، والحسنُ كلُّه مجتمعٌ جَمْعَ نِظام .

وهو - أبقى الله مُهجتَه ، وحرس على الأيام بَهْجَتَه - يُقَيِّد حُلَى الأبصار بالاقتصار عليه ، ويأخذ بأزِمَّة القلوب بالانحياز إليه .

ونحن نرى لقاءه فائدةً نكتسبها ، ومحبَّته قُربةً عند الله نحتسبها .

فنَفيض[٤] بإقباله فَيْضَ الأنهار ، ويفوح ثناؤنا فى ناديه فَوْحةَ الأزهار .

* * *

فلما دار بيننا ذكرُ التصحيف فتعرَّفْنا[٥] مزاياه ، ثم انتهت بنا النَّوْبةُ إلى نوعٍ قريب منه يُعْرَف بالمعاياة .

فقال المترجَم شاهين : المتنبى : [illegible]

فقلت له : تريد [٦]تبنّا هنيا[٦] لمن يَذُب[٧] .

ثم قلت له : أتينا نتباهى بكلامك .

وأردت : أنت[٨] ياشاهين [٩]كلُّ أمل[٩] .

فقال الأستاذ وقد أحضِر عنب[١٠] : العنب ثقيلٌ أكلُه .

(١) تقدم ذكره قريباً ، فى صفحة ٤٥٨ . (٢) فى ا : « ودائع » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « ومنتمى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « فتفيض » ، وفى ج : « فيفيض » . والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « فعرفنا » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٦) فى ج : « بتناهينا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ب : « نابه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح . (٩) فى ج : « كلامل » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(١٠) فى ب : « عنبا » ، والمثبت فى ا ، ح .

يريد : العشق بلاء كلُّه .

فقلت له : العين تقتل إن عَدَت .

وأردت : العشق بلاء يعذِّب .

وخاطبته بقولى : أبداً أبث ثناى ندىّ أغلا نثر ينقث .

وأردت : يبقى[1] زينُ العابدين أستاذنا .

وفيه مع التصحيف القلب ، وهذا أصعب من الأول .

وذكروا منه : خيل مهلل[2] أدهشتنا .

وتصحيفه مع قلبه ، يؤدى إلى قولنا : [3]أنت شهِد اللهُ مليح[3] .

***

والتصحيف كما ذكروا أن تصحّف كلّ حرفٍ[4] مما يماثله[4] ، والثلاث السِّنات[5] التى فى السين والشين تُصحَّف بثلاث حروف مماثلتها[6] ، كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وتُصحَّف الكاف باللام .

والأحرُف التى لا تُصحَّف أربعة : الألف ، والميم ، والهاء ، والواو .

***

وأول من صحَّف[7] على رضى الله عنه ، فى قوله :

كلُّ عِنَبِ الكَرْمُ يُعْطِيهِ ﴿ إلّا عِنبَ الذِّئْبِ[8]

كل عَيْبٍ الكَرَمُ يُغطِّيه ﴿ إلا عَيْبَ الذنبِ[9]

---

(١) فى ا : « به » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « مهلهل » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « انت والله مليح » ، وفى ب : « شهد الله أنت مليح » ، والمثبت فى : ج ، وهو ما يصح فى تصحيف وقلب المثال السابق . (٤) فى ب : « عماثله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « السيات » ، وفى ب : « سينات » ، والمثبت فى : ج . (٦) فى ا : « مما يماثلها » ، وفى ب : « مماثلها » ، والمثبت فى : ج . (٧) فى ب زيادة : « الإمام » . (٨) فى ا : « الكرم تعطه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٩) فى ج : « الكرم يعطي ﴿ إلا عنب الذئب » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ذكره ابن هشام فى « مُوقِد الأذهان ، ومُوقظ الوسنان »[١] .

* * *

ومن التصاحيف الحسَنة :

نصَحت نحنتى : تصحيف حسن .

السمسم سرّقه علىّ وحياتِك : الشمس مشرقةٌ على وَجَناتك .

المحتسِب طرح سبايك : المحِبّ ينتظر حسناتِك .

* * *

ومما وقع منــه بَديهة[٢] ، أن المعتمِد بن عبّاد سايَر ابن عَمّار وزيرَه ، فى بعض أرجاء إشْبِيلِيَّة ، فلقيهُما امرأة ذات حسن مُفرِط ، فكشفتْ عن وجهها وتكلمت بكلام لا يقْتضيه الحياء ، وكان ذلك بموضع الجبّاسين الذين يصنعون الجبس ، والجيّارين الذين يصنعون الجير[٣] .

فالتفت المعتمِد إلى موضع الجيّارين[٤] ، وقال : يابن عمار ، الجيّارين .

ففهم مرادَه ، وقال فى الحال : يامولانا ، والجبّاسين .

فلم يفهم الحاضرون المراد ، وتحيَّروا .

فقال له المعتمِد : لا تبِعْها منهم إلّا غالية .

وتفسيرها أن ابن عباد صحّف « الحَيَا زَيْن » بقوله : « الجيّارين » ، إشارة إلى أن[٥] تلك المرأة لو كان لها حياء ، لازْدانت .

---

(١) فى الأصول : « وموقظ الإنسان » والكتاب مفقود ، ولكنى لم أعثر من الاطلاع عليه ، فى المخطوطة لوحة ٣٦ ا : « كلُّ عنب الكرْم تعطيه . يريد : كلُّ عيب الكرَم يغطيه » فقط .

(٢) الخبر فى نفح الطيب ٥/٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٣) فى ب : « الجبار » والمثبت فى : ا ، ج ، وانظر حاشية نفح الطيب ٥/٣٩٢ . (٤) بعد هذا فى ب زيادة : « الذين يصنعونه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ونفح الطيب . (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، ونفح الطيب .

فقال له : « والجبَّاسين » . [١] وتصحيفه : « والحَنَا شَيْن » [١] . أى : وهى وإن كانت جميلة [١] بديعة الحسن [١] ، [٢] لـكن الحَنَا شَيْن [٢] .

وهذا شاذ [٣] لا يُلحَق .

* * *

وذكر فى « اليتيمة » [٤] أن قَسْوَرة بن محمد كان من أوْلَع الناس بالتَّصْحيفات [٥] ، فقال له أبو أحمد بن أبى بكر الـكاتب : إن أخرجتَ مُصحَّفًا أسألك عنه ، وصلْتُك بمائة دينار .

فقال له : أرجو أن لا أقصِّر عن إخراجه .

فقال أبو أحمد :

[٦] فى تنور هيثم حمد [٦] .

فوقف حمار قَسْوَرة ، وتبلّد طبعه [٧] .

فقال له : إن رأى الشيخ أن يُمهلنى يومًا فعل .

فقال : أمهلتك سنة

فحال الحوْل [٨] ولم يخرِجْه [٨] .

فقال له أبو أحمد : هو اسمك ، قسورة بن محمد . فازْداد خجله وأسَفه . انتهى .

فانظر تبلّد طبعه العراقىّ مع توقُّد ذلك الطبع الأندلسىّ ، فمثل هذا ممَّا يقْضى لأهل الأندلس بكمال الفِطنة ، والتيقّظ .

* * *

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، ونفح الطيب . (٢) فى نفح الطيب : « لـكن الحنا شانها » . (٣) فى نفح الطيب : « شاو » . (٤) يتيمة الدهر ٤/٦٦ . (٥) فى ب : « فى التصحيفات » ، والمثبت فى ا ، ج ، واليتيمة . (٦) فى اليتيمة : « فى تنور هيثم جمد » .
(٧) بعد هذا فى اليتيمة : « وتقشر فلسه » . (٨) فى اليتيمة : « ولم يقطع شعره » .

والمعجز الباهر لهم ، ما حكاه بعضهم ، أن ملكاً من ملوكهم طلب من وزيره أن يُمَلِّكه ابنته ، وكانت جميلة ، فأبى ، فحبسه ثم أطلقه بعد مدة ، واستدناه إليه ، وسأله عن حاله .

فقال : أندلسى .

يعنى : أن ذُلّىَ بَيِّن .

فقال له : أندلسى .

يعنى: أبْذُل شىء .

فقال : أندلسى .

يعنى : (1) أبذل بنتى .

فقال له الملك : أندلسى .

يعنى : أنْذَلُ شىء .

فقال له : أندلسى .

يعنى (1) : أبذل بنتى .

فقال الملك : أندلسى .

يعنى : أبذل بنتى.

فقال : أندلسى .

يعنى : (2) ابذك بنبى (2) .

* * *

ومثاله فى سرعة البَدِيهة قول بَلَنْسِىّ من أهل الأندلس ، وقد سئل عن بلده ،

---

(1) ساقط من : ب ، ح ، وهو فى : ا . (2) كذا فى : ا ، د ، وفى ب : «ابدل سى» ، وفى ج : «بدك بنى» ، ولم أعرف وجهه .

فقال : أربعة أشهر . يريد : ثلث سنة ، وهو تصحيف بَلَنْسِية . انتهى .

* * *

وأمّا المُعاياة ، فقد ذكرت منهـا قولى : حسبُك حُسْنك عِزّا غَزّا قلوبَنا فلوَيْنا الأعِنّة إلّا عَنْه .

وقد ذكروا منها ماوقع به بعض الخلفاء إلى صاحب له ، شكا الرعيـةُ من ظلمه :

غَرّك عِزُّك فصار قُصار ذلك ذُلّك فاخْشَ فاحِش فِعلك فعَلّك تَهْدا بهذا .

ومنـه : وقد وفَدَ[1] وصِيف وصَنّف[2] رجالَه رَجّالَة[3] [4] يُريد يَزيدَ[4] الخائنَ الخائنَ الجائر الحائر فالْتَقوا فالْتَفّوا فَيـالَ[5] قِتـالِ قَوْم قَوّم[6] حرْبَهم[7] حِزْبَهم[8] .

ومنه . يا بَنَيّ تَابَنِي أمرٌ أمَرّ مجْدود محْذُور، عليه عمّته نقرع تمزع قلبي فلْبّي وَاله وإلهُ أحمدَ أحْمَدُ[9] .

---

(١) فى ح : « وقد » بتشديد الدال . (٢) فى ج : « وضيف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ب : « رجانه » ، وفى ح : « رحاله » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ج : « يريد يزيد » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) كذا فى الأصول .

(٦) فى ج : « قوم » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) بعد هذا فى ب زيادة : « حربهم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ب : « خزبهم » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٩) فى ح : « أخد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٤٥

أخوه مصطفى*

طلع بدره تمَامًا ، وانسجم لفظه غمامًا .

فأضاءت مَعاليه وأشرقتْ وأغصتْ[1] حاسديه وأشرِقتْ .

ولقد[2] لقِيتُه بمكة جِوارَ الرُّكن والحَطِيم ، وهو مُفحِم قُسٍّ وقَيْس بن الخَطِيم[3] .

وأنفاسه ثَمَّةَ طيِّبةُ النَّفْح ، يذكِّرُهُ المعنى من العَقِيق والسَّفح .

يُراح إليه ويُغْدَى ، وهو يتوسّع ترفُّها وعيْشا رَغْدا .

فكنت له مالكا ، وكان هو لى عَقِيلا[4] ، أرتاد له مَعرِسا فيَهْبِى[5] لى مَقِيلا .

وكانت عِشْرتى معه فُرُشها المحامدُ ، وخدَمُها[6] الشاكر والحاسد .

شكراً يملأ سامعتى[7] الغَمْز والتَّعْبُد ، وحمدا يهُزُّ عِطْفَى السُّؤدد والمجد .

وذكر لى من حديث فِراقه لمحِله ، وتنكُّبِه[8] لشَدِّ[9] مطِيَّته ورَحْلِه .

أنه كان فى حِجْر خاله وهو دون التَّمييز ، وقدّر الله له[10] المهاجرة فصحبه فى كَنفه الحرِيز .

(*) فى ج زيادة : « بن فتح الله » .

(١) فى ب : « وأغضت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ب ، ج : « الحطيم » ، والمثبت فى : ا ، وانظر الحاشية رقم ٢ فى مقدمة ديوان قيس بن الخطيم ، صفحة ٧ .

وهو أبو يزيد قيس بن الخطيم الأوسى .

شاعر جاهلى ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل قبل الهجرة .

مقدمة ديوان قيس بن الخطيم ٧ .

(٤) تقدم ذكر مالك وعقيل ، فى صفحة ٣٣٠ . (٥) فى ا : « فيهيأ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ب ، ج : « وخدمتها » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ا : « سامعة » ، وفى ب : « سامعين » ، والمثبت فى : ج . (٨) فى ا : « وتشكيه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٩) فى ب : « لشدة » ، وفى ج : « لسد » ، والمثبت فى : ا . (١٠) زيادة من : ب على ما فى : ا ، ج .

ثم رحل فى شبابه واغترب ، ونقَّب فى الحجاز واليمن للتحصيل واضطرب[1] .

حتى استقر بالحرَم المكّى فامتزج[2] بقُطّانه ، واشتغل بذخائر فضائلهم عن أهلِهِ وأوطانه .

وله عندهم منزلة[3] به تليق ، ومرتَبة هو بها خليق .

وقد جمع « تاريخاً » سال فيه من طبعِه مَعينه ، وطامتْ فى قصور طروسِهِ أبكارُه وعِينُه .

وكنت سمعتُ به ولم أظفَر منه[4] بالعيان ، فمذ رأيتُه اتّضح لى فى حِينه[5] صِدقُ البيان .

ورأيت جمعاً يجمع من دَبَّ ودَرَج ، حتى يقول مَن رآه : حدّث عن البحر ولا حَرَج .

ما شِيت من ترتيب غريب ، وتطريبٍ من لِسانٍ أريب .

إلى جزالة مُشْرَبة بحلاوة ، وسهولة مُتدفّقة بطلاوة .

إذا قال لم يترك مَقالا لقائل ، ونَفَسُه فيه طويل إلّا أنه لايخلو من طائل .

وهو بسبب سَعَة اطّلاعه ، وشدّة قيامه بالطريقة واضطلاعه .

لايقتصر على ماينبغى ، ولا يمتنع من الذِّكْر المبتغى .

وبالجملة ، فشكَر الله عليه سَعْيَه ، وتولّى بعضَ عنايةِ حراستِه ورَعْيَه .

* * *

---

(١) فى ب : « والطرب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « ومش » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٥) فى ب ، ج : « حسنه » ، والمثبت فى : ا .

وكان أوْقفنى على مجاميعَ بخطّه ، فاقتطفتُ منها ماحلا وطاب ، وملأْت من بدائع ذخائرِها النَّفيسة الوِطاب[1] .

فما تناولتُه من شعره .

قوله :

حدِّثا عن صَبابتى واصْطبارِى ... وارْوِيا لَوْعتى بِخَالى العِـــذارِ

وخُـــذا عنِّىَ الهوى فحديثى ... صحَّ فيه وسُلْسِلتْ أخبـــارِى

يارفيقىَّ من زمانِ التَّصـــابِى ... والتصابِى مَظِنَّةُ الادِّكارِ[2]

علِّلانى بالخَنْـــدرِيس لَعَلِّى ... أرشُقُ القلبَ بارْتشافِ العُقارِ

واسْقِيـــانى ورَوِّحانى برَوْحٍ ... كالعقيق المُذابِ وَسْطَ النُّضارِ[3]

من يَدَىْ شادنٍ بنفسِى أُفدِّيـ ... ـه مليحًا خلعتُ فيه عِذارِى

مائِسِ القدِّ أحمرِ الخدِّ أحْوَى ... كاملِ الحسنِ أهيفٍ مِعْطارِ

إن تبدَّى فى ظلمةِ الليلِ أبْدَى ... من سَناه لنــا ضياءَ النهارِ[4]

وإذا مارنا بطرفٍ خَـــفِىٍّ ... سلبتْ مُقْلتـــاه منِّى قرارِى

وإذا زارنى على غيرِ وعـــدٍ ... عَبِقتْ رِيحُـــه إلى كلِّ دارِ

كم أُدارِى العذولَ والوجدُ قاضٍ ... بافْتضاحِى فى حُبِّه واشْتِهارِى[5]

ساحِرِى باللَّحاظِ ماذا عليـــه ... لو يُوافِى مُضْناه فى الأسْحـــارِ

* * *

(١) الوطاب : جمع الوطب ، وهو سقاء اللبن . القاموس (و ط ب) . (٢) فى ب : « والتصابى مطية الإذكار » . والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « وسط النهار » . والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « من سناه لنا ضيا الأقمار » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « كم أدارى العذال » . والمثبت فى : ب ، ج .

وكتبتُ إليه وقد توجّه إلى الطائف، وتخلفت أنا بمكة :

ليس عندي ما أرتجي من زماني غيرَ لُقْياك يا أجــلَّ الأماني
فعلى كل حالةٍ أنت قصْــدِي ومُناي وأنت نورُ عيــاني
لا أرى العمرَ بعــد بُعْدِك إلا حسَرات قد أرْدفتْ أحزاني
غــيرَ أنى أعلِّل القلبَ والفكْـ ـرَ بذِكْرى ثناك فى كلِّ آنِ
لا لأنى أنساك أكثِرُ ذكْرا كَ ولـكن بذاك يجرى لساني

* * *

ثم دعانى الشوقُ إلى ذلك الوادى البَهيج، والمتنزَّه[1] الذى يأخذ على البصر بمَنْظره الزَّهيج[2].

فشمّرت لقصْده عن ساقِ الهمّة، وجعلت رؤيتَه عندى من الأمور المهمَّة.

فخرجتُ من مكة وطرفى من الدمع[3] بالقذى ملآن، إلا أنى أذكر مياه ذلك[4] الوادى فلا أبيتُ إلا بغلّة[5] ظمآن.

وكان عرَض لى فى الطريق نَفْرة[6] من لصّ طائف، فكدت[7] أن أصير أتيه من فقيد ثقيف بالطائف[8].

(١) فى ا، ب، ج، د: «[illegible]».   (٢) فى ا، ج: «الزهيج»، والمثبت فى [illegible]، ولم أهتد إلى المعنى المقصود، والزهج: القار أو الشغب.   (٣) فى ب: «المدمع»، والمثبت فى: ا، ج.   (٤) ساقط من: ب، ج، وهو فى: ا.   (٥) فى ا: «بغلة»، والمثبت فى: ب، ج.   (٦) النفرة: القوم ينفرون معك. القاموس (ن ف ر).   (٧) فى ب: «فكرهت»، والمثبت فى: ا، ج.   (٨) فقيد ثقيف: رجل عشق امرأة أخيه، وضنى، وكان أخوه فى سفر، فلما عاد، وعرف أمره طلقها ليتزوجها أخوه، فحرم على نفسه زواجها، وفارق الطائف وهام فى البر، فما رؤى بعد ذلك.
انظر خبره فى مجمع الأمثال ١/٩٩.

ثم سلّم الله فحللتُ بطنَ وَجّ[1] ، ونزلت بوادٍ تزوره السّرّاء من كل فجّ .

وكان مُناخي بالسّلامة[2] أجملِ مواصعه وأبهاها ، وأحبّها إلى النفوس وأشهاها .

لإحلاله محلّ النور من الإنسان ، وإشرافه على فضاء يبعد[3] فيه النّظر إذا وقف للاستحسان .

ما بين غُصون مُلتفّة ، ومياه بجُذرانه مُحتفّة .

ونادٍ يفوح أرجُه ، ووادٍ يلوح مُنعرَجُه .

أتيتُه من بعد ما كاد الرّدَى   يُورِدني موْرِدَ النّدامَـــهْ

فالحمدُ لله على رُؤيتـــهِ   والحمدُ لله على السّلامَـــهْ

ولقيت به المُترجَم وقد وطّأ[4] فيه[5] للرفاهيـة مضجَعا ، ومهّد للعيش النّضْر مهجَعا .

وثَمّة[6] جماعة من الأودّاء[7] أكسبهم اللهُ محبّةَ كلّ فؤاد ، وزرع لهم المودةَ في ملأ به ألفُ واد .

فانخرَتُ في غمارهم ، وتمتّعتُ حينًا بتحَيّف أسمارهم .

وأذكر يومًا مرّ لي[8] معهم في روض اخْضرّت أشجارُه ، وتنفّست عن المِسْك أسمارُه .

---

(١) وج : هي الطائف ، وهي بلاد ثقيف ، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا .
معجم البلدان ٣/٤٩٥ ، ٤/٩٠٤ .

(٢) السلامة : قرية من قرى الطائف . يقول ياقوت : بها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي جانبه قبة فيها قبر ابن عباس ، وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابة ، رضي الله عنهم .
معجم البلدان ٣/١١٣ .

(٣) في ا : « يسر » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ج : « وطئ » ، والمثبت في : ا ، ب .   (٥) زيادة من : ب ، على ما في : ا ، ج .

(٦) في ج : « وثم » ، والمثبت في : ا ، ب .   (٧) في ب : « الأولاد » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٨) في ب : « بي » ، والمثبت في : ا ، ج .

مَهَزّةٌ نَبْتِهِ رَيَّانة ، وصَبَوات سُحْبِه حَنَّانة .

ماؤه يبُوح صفاؤه بأسرارِه ، وتلوح حَصْباه فى قَرارِه .

ونحن ننفُض أعطافَنا أرْيحيَّةً ، ونتهادَى رياحينَه تحيّةً .

وبيننا حديثٌ مُستعذَب ، يهُزُّ العِطفَ اهْتزازَ العَذْب[1] .

فقلت أصِفه[2] :

لله يومُ الطائفِ البَهِجِ الذى … نِلْنا به أسنَى مُنًى وأمانِى[3]

مع فتيةٍ غُرِّ الوجــوه حديثُهم … مُسترقِصٌ لمعاطِف الأغصانِ

رأتِ انْتظامَ كلامِهم أزهارُه … فتناثَرتْ فى ساحة البستانِ

وكذا الدَّرارِى لم يرُقْها نظمُها … فرمتْ بأنفسِها إلى الغُدرانِ

ولما فارقتهم وجئت إلى مكةَ على طريق[4] كَرَى ، وهو الذى يقول فيه شاعرهم[5] :

عُجْ عن كَرَى فهو مُزيحُ الكرَى … والنفسُ منــــه نفَساً تحرُجُ

وفى الهَدَى ضِــدّ الهُدَى مَسْلكٌ … يوشِك من يسلُكه يَخرجُ[6]

كتبتُ إلى المترجَم :

حالى بعد فِراق أخى حالُ من فقد الرُّوح ، وأضحى مُنازَع الجسم[7] المطْروح .

وشوقى شوقُ الظمآن ، لماء الغُدْران .

(١) العذب أيضا : شجر . انظر القاموس (ع ذ ب) . (٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .
(٣) من أول هذا البيت ، إلى آخر قوله : « مابقى بها سواد » فى أثناء افتتاحية ترجمة إبراهيم بن محمد السفرجلانى الآتية ، ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٤) زيادة من : ب ، على ما فى : ا .
(٥) فى ب : « الشاعر » ، والمثبت فى : ا . (٦) هدى ، بالفتح : موضع فى نواحى الطائف .
معجم البلدان ٤ / ٩٥٥ .
وفى ب : « يوشك من يسلكه يحرج » ، والمثبت فى : ا .
(٧) فى ب مكان هذه الكلمة : « الجسد البالى » ، والمثبت فى : ا .

والسارى فى الظلام ، لتبلُّج البدر التَّمام .

وأمّا حديثُ سَفْرتى التى أنْسكت ، وأذْكت حرّ هجيرها فأبْكت[1] .

فمن حين ودّعت ، أوْدَعت[2] القلبَ ما أوْدَعت .

لم تغلَط بى رَاحةُ[3] إلا إلى الهَدى ، ومنها بان عنى الرشدُ وأخوه الهُدَى .

فعلوت ذِروة أرتْنى نجومَ السماء مُظْهِرة[4] ، وهبطتُ نَجْوة[5] كشفتْ لى نجومَ الأرض مُظْهِرة[6] .

فترجّلْتُ[7] هيْبة وذعرًا ، وسلكتُ مسالكا ما رأيت مثله وَعْرًا .

والرُّفقة[8] كلٌّ منهم[8] فى واد ، وبرُؤْيتهم[9] قُرّناء احتاجوا إلى مُوّاد .

لكنّ منهم من تاه وضَلّ ، وأدركه الإعياء فسئِم الحياة ومَلّ .

ومنهم من آخذته الحيرة ، وستولّتْ عليه من أحلامه فى كراه الظَّهيرة .

ومنهم[10] ، وهم الكثير ، مؤتثون[11] موجوعون ، زفرتهم[12] : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[13] .

وأمّا أنا ، فلو رأيتنى وعصاى القوس[14] فذى وَتر ، وقد جئت[15] من كل نجْوة للتهلُكة على قَدَر .

---

(١) فى ب : « وأبكت » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب : « وأودعت » ، والمثبت فى : ا .
(٣) الرحى : موضع فى أوائل أرض اليمن ، قال ياقوت : أظنها قرية . ولعله يعنى راحة فروع : موضع فى بلاد خزاعة ، لبنى المصطلق منهم ، كان فيه وقعة لهم مع هذيل .
معجم البلدان ٢/٧٢٩ .
(٤) فى ب : « مظهرا » ، والمثبت فى : ا ، ومظهرة : أى فى الظهيرة . (٥) فى ب : « نجوة » ، والمثبت فى : ا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . (٦) فى ب : « مظهرا » ، والمثبت فى : ا .
(٧) فى ب : « فترجت » ، والمثبت فى : ا . (٨) فى ب : « كلهم » ، والمثبت فى : ا .
(٩) فى ب : « وبرأتهم » ، وفى د : « وبرأيتهم » والمثبت فى : ا . (١٠) بعد هذا فى : ب ، زيادة : « من » ، على ما فى : ا . (١١) فى ب : « مؤلون » ، والمثبت فى : ا . (١٢) فى ا : « زفرتهم » ، والمثبت فى : ب . (١٣) سورة البقرة ١٥٦ . (١٤) فى ا : « القوس » ، وفى ب : « بقوس » ، والمثبت فى : د . (١٥) فى ا : « جبت » ، والمثبت فى : ب .

وأيستُ من السلامة ، وعُدْت على نفسي بالمَلامة .

رأيتَ شيْخا وقف على ثَنِيَّة الوَداع ، وسلم نفسَه للحَتْف إمَّا بالطُّمَأْنينة أو بالخِداع .

ولم يبْقَ منى إلا نفَسٌ خافِت ، وجسم من النَّصَب هافِت .

فما تخطَّت فى التخطِّى لى[١] قدم ، إلا وأخطأتْ حطاً كلُّه نَدَم ، وعثرت عَثْرَة[٢] غَصَّانةٌ بدَم .

حتى لطَفَ اللهُ تعالى بلُطْفه ، وأوْلانى فريدَ رأْفتِه وعطفِه .

فرأيت المَحَطَّة وأحسَبنى بها حالما ، وما تحقَّقْت البقاء ، علِم الله ، حتى وصلْتُها سالما .

فقعدت أنفض غبارَ[٣] الموت ، وأتفقَّد قُواىَ فأرى قد فات فيها الفَوْت .

سوى بقيَّة لم أعدَم بها فضلَ الأقوات ، وأحسَب لأجلها من أحياء الأموات .

فلم يستقرَّ قرارُنا حتى شدُّوا من ذلك المكان ، فانْحَلَّ من عَقْد عزمى ما كان فى حَيِّز الإمكان .

ثم رَحَّلْنا العِيس ، على ذلك الرَّأى التَّعيس .

وسرْنا إلى أن وصلنا إلى شداد ، ونحن نطلب من الله تعالى أن يمدَّنا منه بإمداد .

فما نزلْنا حتى ركبْنا والحالُ باقٍ وفيه شِدَّة[٤]

فوقفتُ مُمْتَثِلا ، وأنشدت قولى متمثِّلا[٥] :

شَدُّوا فحَلُّوا فؤادى وكثرةُ الشدِّ تُرْخِى[٦]

---

(١) فى ب : « إلى » ، والمثبت فى : ا . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب . (٣) فى ب : « غبرات » ، والمثبت فى : ا . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا . (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا . (٦) فى ا : « والكثرة الشد » ، والمثبت فى : ب .

فنزلنا بعد رُبْع الليلِ عَرَفة ، ورأى كلٌّ منا صاحبَه وعرَفه .

فوقفْنا ، وما توقَّفْنا .

إلى أن هيَّأوا لنا مَراحا ، وما تقيَّدوا به إلا وهم يبغُون سَراحا .

فجلسنا بعضُنا سالٍ فقد أحْبابَه ، والبعض الآخر شاكٍ من الحرارة وما أصابه .

وأنا بينهم ساكتٌ ألفا ، وناطقٌ خَلْفا[1] .

كيف وقد خلَّفتُ ما يُورثُ الهَذَيان ، وتأْبَى مواقِعُه أن يحُوم[2] حولها[3] النّسْيان .

ثم انكفأْنا [4]انكفاء الحَيا[4] ، ولسان الحال يقول : لا سَقْيًا ليومنا ولا رَعْيا .

فما راعَنا إلا المُكارِى وحزبه ينادون : هيًّا فاركبوا ، طلَع الفجر .

فأبعَدُوا المَدَى ، وأزعجوا الصَّدَى .

فنهضت من مَرْقَدِى نهضة جبلة ، وما أحسَبنى[5] تنبَّهت من غفْلة .

وركبت الليلَ البهيم ، والشوقُ إلى الرُّقاد شوقُ الهِيم .

وما برِحْنا فى برح وعَنَا ، حتى وصلْنا مع الشروق إلى مِنَى .

فقلت لرفيقٍ لى انتخبْتُه[6] ، ولمثْل هذا الأمر انتجبْتُه :

هلُمَّ فلْنَسْترِحْ ونُرِح ، ونَقِيل فى هذا المكان المنشرِح .

فقلت وقال ، [7]وأقلْتُ عثْرةَ الدهر وأقال[7] .

---

(١) الخلف : الردىء من القول . القاموس (خ ل ف) . وانظر مجمع الأمثال ١/٢٢٣ .

(٢) فى ب : « يجول » ، والمثبت فى : ا . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب .

(٤) فى ب : « انكفاءة اعيا » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ب : «أحسب أنى» ، والمثبت فى : ا .

(٦) فى ا : « انتجبته » ، والمثبت فى : ب . (٧) ساقط من : ب ، وهو فى : ا .

واطمأنَّ بنا الجلوس حِصَّة ، وأرحْنا بها مَضَّة[1] وأزحْنا غُصَّة .

وأخذْنا جانباً من النوم ، إلى أن نصَّفْنا ذلك اليوم .

ثم ركبْنا الطريق ، وفى القلب إلى [2] الخَرِيق[3] أشدُّ [2] الحريق .

فلم تكن إلا هُنَيْهَة[4] وصلنا فيها الحَرَمَ الآمن ، وبَثَثْنا[5] ما فى الضمائر[6] من الشوق الكامِن .

وفارقتُ رفيقى وأنا على عهدِه الأمين ، وذهبَ ذاتَ الشِّمال وذهبتُ ذاتَ اليمين .

وآليت لا تحرَّيت كَرَى[7] ثانيا ، ولا ألويتُ عِنان عزْمى لثَنيتِه ثانيا .

ولو جُعِلت الجبالُ دَكّا ، وأُعطِيت أرضَ الحجاز مُلْكا .

وأنشدت :

إن كَرَى حَتْمُ حيـاتى فلا ... رأيتُه أُخرى ولو فى كَرَى[8]

فراحتى من يومِه أصبحت ... كواصلٍ لما رأتنى كَرَى

وإنَّ من أقطعِ بزوغاتِه ... ما لجَّ المُكارِى فى كِراما كَرَى[9]

* * *

وكتبتُ إليه من دمشق :

---

(١) المضة : المرة من المض ، وهو الألم . (٢) فى ب : « الخير تواشد » ، والمثبت فى : ا .

(٣) الخريق : واد عند الجار ، متصل بينبع . معجم البلدان ٢ / ٤٣١ .

(٤) فى ب : « هنيهة » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى الأصول : « وبثينا » ، وهذه عادة المؤلف فى الفك ، فى الكتاب كله . (٦) فى ب : « ضمائرنا » ، والمثبت فى : ا . (٧) اسم المكان الذى تقدم ، فى صفحة ٤٧٣ : (٨) فى ب : « ولو فى كرى » ، والمثبت فى : ا ، وكرى الأولى : اسم مكان ، والثانية : النوم . (٩) الكراء : الأجرة .

أُهدى من طيِّب التَّحايا ، عددَ فضائل سيدى الساميَة ، ومن التحيَّات المْقرونة بنشْر المزايا ، قَدْرَ أياديه الفائضة النامية .

وأمّا تشوُّقِى للقائه ، وتشوّفى لتلقِّى الأخبار من تِلْقائه .

فكما قلت :

شَوْقِى لتلك اللُّقْيَا   شوقُ الرُّبى للسُّقْيَا
وحَقِّ من مَيَّزَه   بين الورى للعَلْيَا
ما اعتضتُ عنه بديلاً   بكلِّ مَن فى الدنيَا

وقلبُ سيدى شاهدٌ بوُدٍّ منى مُرسَلٍ متصِلٍ ، وحديثُ دعاءٍ مرفوعٍ إلى القبول غيرِ مقْطوعٍ ولا منْفصِلٍ .

وغايةُ المسْئول ، ونهايةُ المأمول ، أن يُيَسِّر الله تعالى حالة يعودُ بها الأُنس إلى أحسن نَضْرته ، ويُعيد لنا تلك الأوقاتَ السعيدةَ المسعودة بحضْرته .

٤٦

إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانى*

أحسنُ المحاسن العصريّة ، وآدابُه أذكى الرياحين الطَّرِيّة .

نَبَغ نَبْغة الغصنِ النَّضير ، فجاء بحمْدِ الله عديمَ النَّظير .

فطَلاقته لو خُلِعت على الدهر ماريعَ به فؤاد ، وغُرَّتُه لو سالت بلَيْل السَّليم[1] ما بَقِيَ بها سَواد[2] .

صُقِل نَوْرُه قبل انشقاق الكمائم ، وتطوّق العلياء قبل أن يتطوّق التمائم .

ومع ذلك فلا تُلْفَى الدَّنِيّةُ لَدَيْه ، ولا تَأْلَف الفحشاء بُرْدَيْه .

وهو يهتزُّ لكلِّ لُبانَة[3] ، كأنه عِطْفُ[4] بانَة .

ويترنَّح غصناً رطيبا ، ويهُبُّ عَرفاً عِطراً وطِيبا .

(*) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفرجلانى ، الشافعى ، الدمشقى
ولد بدمشق ، سنة خمس وخمسين وألف .
وبها نشأ ، وقرأ على علماء عصره ، منهم : الشيخ نجم الدين الفرضى ، والشيخ إبراهيم الفتال ، والشيخ محمد بن سليمان المغربى ، والشيخ عبد الباقى بن أحمد السمان الدمشقى .
وبرع فى الرياضيات ، وأعمال الأودق ، والاستخدام ، ونبغ فى الأدب ، وله « ديوان » مشهور .
توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف ، ودفن بباب الصغير .
سلك الدرر ١/١٥ ، وذكر أن المحبى ترجمه فى « النفحة » ، ونقل عنه ، كما ذكر صداقتهما ، وذكر أنه لا يدرى إلى أى شىء نسبة السفرجلانى هذه .
وانظر الأعلام ١/٦٥ .

(١) فى ا : « التسليم » ، والمثبت فى : ب . والسليم: الملدوغ . من الأضداد . (٢) إلى هنا ينتهى الساقط من : ج ، والذى بدأ فى صفحة ٤٧٣ . (٣) اللبانة : الحاجة من غير فاقة ، بل من همة . القاموس (ل ب ن) . (٤) فى ب ، ج : « غصن » ، والمثبت فى : ا .

وهو حبيبي[١] الذى ارتبطت معه على وُدٍّ مُؤَثَّل ، وأَلِفى[٢] الذى شخصُه نأى أودنا فى عينى مُمَثَّل .

مازلت فى حبِّه متَّصلَ العلائق ، وكلانا على المودَّة مُصفِّى الخلائق .

وأنا أوْصَف لبدائعه ، من الزُّجاجِ[٣] لودائعه .

وأُكْلَف ببَنات فكره ، من سَمَر الكرام بذِكْره .

ولى فى بقائه أملٌ أرجو من الله أن[٤] لا يُفِيتَه[٥] ، وهذا دعاء ظَهْر الغَيْب لو سَكَتُّ كَفِيتُه .

* * *

وقد تناولت من أشعاره مايطيب استعْذابه ، وأثبتُّ منه مايستدعى القلبَ إليه نِزاعُه وانْجِذابُه

فمن ذلك قوله[٦] :

جُؤْذَرٌ عَنَّ من ظِبَـا تيماء ... ذو جفون تَصيد بالإيماء[٧]

لَيِّنُ العِطْف كالقضيب ولكن ... قلبه مثـل صخرةٍ صَمَّاء

عَرَبِيُّ النِّجار إن نَسَبوه ... نَسَبوه إلى ابنِ مـاء السماء[٨]

---

(١) فى ب : « خليلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « والفى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ا : « الزجاجة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب .
(٥) الوارد : فات يفوت . (٦) هذه الأبيات ساقطة من : ا ، وهى فى : ب ، ج ، د ، وجاء مكانها البيتان : « لما غدت .. » وسبق ذلك : « فمن ذلك قوله مضمنا » .
(٧) تيماء : فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى ، على طريق حاج الشام .
معجم البلدان ١/٩٠٧ .
(٨) ابن ماء السماء : هو المنذر بن امرىء القيس الثالث اللخمى .
ثالث المناذرة ملوك الحيرة ، ومن أعاظمهم وأشدهم بأسا .
قتل يوم حليمة ، قبل الهجرة بنحو ستين سنة .
انظر تحرير الأستاذ خير الدين الزركلى له ، فى الأعلام ٨/٢٢٥ ، ٢٢٦ .

مُولَعٌ بالجيادِ يختـــار منها ما يُجـــارِى سِرْبَ القَطا للماءِ

عَمَّموه بشَمْـــلةٍ فاجتلينـــا منه بدراً يضىء فى الظلماءِ[1]

سَلَّ صَمْصامَ لحظِه وتصدَّى فى طريق الهوى لسفْكِ الدماءِ

* * *

وقوله مضمِّنا[2] :

لما غـــدتْ وجناتُه مرقومةً بعِذارِه وازْداد وَجْـــدُ مُحبِّهِ

نادى الشَّقيقُ بها زَبَرْجَدَ صُدغِه ياصاحِبى هذا العقيقُ فقِفْ بهِ

* * *

وكتب إلىّ ، ويخرج منه اسم محمد بطريق التعمية :

مولاى هل تحظَى بقربك مهجةٌ أطَلْتَ بنيرانِ البعاد عذابهَا

وهل لأُوامِ القلب يُوجَد مُحْمِدٌ تحبَّبَه حَرَّ الفؤاد أذابهـــا

فأنشدته قولى ، ويخرج منه اسم إبراهيم :

إذا أعْوَزَ الرِّىَّ المُجِدَّ بهمَّةٍ ونازلَه كربٌ مُلِحٌّ وتبْرِيحُ

فذ كرُكَ ماءٌ للسبيلِ ارْتوَى به صَداه وفيه الرَّاحُ للقلبِ والروحُ

وعمله كله فارسىّ ، وإليه الإشارة بالرَّىّ[3] البلدة المشهورة فى العجم ، والماء : آب ، والسبيل : راه ، وره ، كما يقولون للقمر : ماه ، ومه .

وفيه صنعة باعتبار أن إبراهيم يُكتَب بألف وبدونها ، فلك الخيار فيه .

---

(١) فى ح : « عمموه بشملة فاجتلينا » ، والمثبت فى : ب ، د . (٢) البيتان فى سلك الدرر ١٦/١ .

(٣) الرى : مدينة مشهورة ، قصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا ، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا .

معجم البلدان ٨٩٢/٢ .

والراح مى ، وقلبها يم .

* * *

وسمع [1] قولى ، من أبيات :

إذا فوَّقتْ سهمَ المَنون جفونُه   لقلبٍ سوى قلبي تمنَّيتُه قلبِي

فجاءنى يوماً وقد نظم هذا المعنى ، وتصرف فيه تصرُّفات شتَّى .

فمنها ما أنشدنيه ، وهو قوله :

وراشقٍ لم يطِشْ سهمٌ لمُقلتِه   ولم أكُنْ عن هواه قطُّ منصرِفَا

فكلما فوَّقتْ نَبْلًا عرضتُ له   كيلا يكونَ سوى قلبي له هدفَا

* * *

ومنها قوله :

ريمٌ تصدَّى للرمايةِ لحظُــه   يَغشى القلوبَ ولا جُناحَ عليْهِ

فإذا رمَتْ سهما إلىَّ جفونُه   جاراه قلبي فى المَسيرِ إليْــهِ

* * *

ومنها ما قاله مضمناً :

ومُثبِّتٍ سهمَ نجْلاوَيْه فى كبدى   كأنه الرِّيمُ يعْطُو نحو مَرْتعِه

يقــول قلبي لسهمٍ قد رماه به   أهلًا لما لم أكُنْ أهلًا لِموقعِه

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه :

يا لؤلؤاً أصْـدافُه اليــاقوتُ   قلبي عليك صَبــابةً مفْتوتْ

لقد ابتسمتَ فلاح منك لناظرِى   سِمْطٌ بــكل ملاحَةٍ منْعوتُ

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

أَحْبِبْ بِهِ مِمْطاً تنـاسَق دُرُّه فأتى بديعَ النظمِ وهْو شَتِيتُ[١]

يستوقفُ الأبصارَ باهـرُ حسنِه فالطَّرفُ فى لألائِهِ مبهوتُ

عجباً له دُرًّا على مافيـه من صِغَرٍ له بين الجواهرِ صِيتُ[٢]

عَزَّ الوصولُ إليه ياقلبى فمتْ كَمَداً فخارسُ كنزِهِ هاروتُ[٣]

* * *

قلت : هذا شعرٌ هاروتُ تلميذُ إفادته ، وشاعرُه فتحُ خزائنِ الجـواهر فى كفِّ إرادته .

* * *

وأنشدنى قوله :

خَلِّ الذنوبَ ولاتَهُمَّ بفعلهـــا فأخو الذنوبِ طـويلةٌ حَسَراتُهُ

واجْنَحْ إلى التقوى فطوبى لامرئٍ غلبتْ على آحادِهِ عشَراتُهُ

* * *

وقوله :

حاذِرْ إذا وافيتَ جَرْعاءَ الحمى رِيماً هناكَ من الصِّبا فى شَرْخِهِ[٤]

لايخدعنَّك تحت عَطفةِ صُـدْغِهِ خالٌ فذاكَ الخـالُ حَبَّةُ فَخِّـهِ

تصيَّده من قول بعضهم :

لاغَرْوَ أنْ صاد الفؤادَ بنظرةٍ رِيمُ المَهَا فله بذاك أشايرُ[٥]

فى خـدِّه فخٌّ لعطفةِ صُـدغِهِ الخالُ حبَّتُـــه وقلبى الطائرُ

* * *

---

(١) فى ب . « تناسب دره » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والشتيت : المفرق ، وهو يعنى الثغر الأفلج .

(٢) فى ب : « عجبا له دارا » ، وفى ح : « عجبا له در » ، والمثبت فى : ا ، وفيهـا : « له بين الجواهر قوت » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٣) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح .

(٤) شرخ الصبا : أوله .

(٥) أشاير : لعله جمع الشارة .

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، ماهو منه فى صيَّاد :

أَفْدِيه صيَّاداً تعوَّد فى الهوى أَخْذَ القلوب بمكْرِه وبكيدِه[1]

كم صاد قلباً طار نحو جماله والخالُ تحت الصُّدغِ آلةُ صَيْدِه

* * *

وأنشدنى قوله :

أرْسلَ فوق الجبين طُرَّتَه وفوَّق اللحظَ سهمُه النافِذْ

فياجريحَ الفؤاد زِدْ سهراً فليْله من نهارِه آخِذْ

* * *

وأنشدنى قوله ، معمِّياً فى اسم حَيْدر :

رأى زيدٌ وعمرٌو وجهَ من قد أقام عِذارُه فى الحبِّ عُذْرى

فنكَّس رأسَه زيدٌ حياءً وولَّى وهْو يسحب ذيلَ عمرِو

* * *

أراد بتنكيس رأس زيد عدده الهندىّ ، وذيل عمرو ، هو الراء هنا ؛ لأن القافية هنا دالَّة على الفرق بينه وبين عمر ، وهم ذكروا أن الواو لا تثبتُ إلّا للفرق .

* * *

وأنشدنى قوله أيضاً :

ذكرتُ له يوماً بمجلس أُنْسِه أبا الدُّرِّ ياقوتاً وأطْنبتُ فى الذِّكْرِ

فقال فَذا وصفٌ يقوم بمَسْمَعِى فَمَنْ يَسْتوِى الياقوتُ وهْو أبو الدُّرِّ

* * *

---

(١) فى ب : « بمكره ومكيده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله منه أيضاً :

يقول لى جِيدُه الفِضِّىُّ حين زَهَا ... بمِسْكِ خالٍ على ذاكَ البياضِ نقطْ

كَنَوْا أبا المِسْكِ كافوراً لقد غلِطوا ... أنا أبو المسكِ كافورٌ بغير غَلَطْ

***

وأنشدنى قوله ، وهو معنى أبرزه ولم يُسْبَق إليه ، فاستحقَّ به التَّبْريز ، وجاء به أنْفس من الإبْرِيز [1] :

كُفُّوا المَلامَ ولا تَعِيبُوا زهرةً ... فى وجْنَتَيْه تلوحُ كالتَّطريزِ

فالحسنُ لمَّا خَطَّ سطر عِذَارِه ... ألْقَى عليـــه قُرَاضَةَ الإبْرِيزِ

***

وأنشدنى هـذه السِّينِيَّة السَّنِيَّة [2] التى هى أشهى من الأُمْنِيَّـة ، تفلّتتْ من المَنِيَّة [3] :

خَلِّ طَىَّ الفلا لحـادِى العيسِ ... وانْفِ همِّى بالقهوةِ الخَنْدرِيسِ

طُفْ بها كى ترى النواظرُ فيهـا ... عسجداً ذاب فى لُجَيْنِ الكئُوسِ [4]

ولْتُرنِّحْ عِطْفِى برِقَّةِ لفظٍ ... منه عُوِّدتُ لَقْطَ دُرٍّ نفيسِ [5]

فى رياضٍ كأنما لبِسَتْ من ... حَوْكِ صَنْعاء أفخرَ الملْبوسِ

قد تحلَّتْ من طَلِّها بعقودٍ ... وتجلَّتْ فى حُـلَّةِ الطاوُوسِ [6]

---

(١) البيتان ومقدمتهما فى سلك الدرر ١٦/١ نقلا عن « النفحة » ، وقد علق مصحح سلك الدرر على قوله : « ولم يسبق إليـه » بقوله : هو قول مرجوح . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ١٦/١ فى نقل المرادى عن المحبى . (٣) القصيدة فى سلك الدرر ١٦/١ ، ١٧ .

(٤) فى سلك الدرر :

طُفْ بها كى ترى النواظرُ منها ... عسجداً ذاب فى لُجَيْنِ الكئوسِ

(٥) فى سلك الدرر « وترنح عطفى » . (٦) فى ب ، ج : « قد تحلت من طلها » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

وزكا عَرْفُ طِيبها فحسبنا ... نَفْحةً قد سرتْ من الفردوسِ

وتغنّى مُبهْرَمُ الكفِّ فيها ... بغناء يشوق شَجْوَ النفوسِ[1]

قد أتينـــا مسلّمين فردّتْ ... هِيفُ باناتها بخفضِ الرءوسِ

قُمْ نجدِّدْ عهـــودنا يا ابن أُنْسِي ... فى رُباها فأنت خــيرُ أنيسِ[2]

فأنا فى هـــواك محزونُ قلب ... بين شوق مُقلِّب ورَسِيسِ[3]

وأمْنَحِ العينَ أن ترى منك يوماً ... حُسْنَ وجهٍ يُخْفى ضياء الشموسِ

وسطوراً كالمسكِ فوق طروسٍ ... من شَقِيقٍ أُخِيبتْ بهامن طُروسِ[4]

وأمِطْ لى عن مبين تلك الثنايا ... فعساها تــكون للتّنفيسِ

* * *

وأنشدنى قوله :

حتى مَ يا ظَـــبْىَ الكناسِ ... أحْنو عليـــك وأنت قاسِ

أغريْتَ بى سُقْمَ الجفـــو ... نِ فملّ مـــنى كلُّ آسِ[5]

ونسيتَ عهـــداً لم أكنْ ... أبداً له وأبيــك ناسِ[6]

مولاىَ لا تَتمـــادَ فى ... هَجْرى فقـــد عزَّ المُواسِى

مُرْنِى فأمـــرُكَ بالذى ... تَهْوَى على عيـــنى وراسى

هذى الرياضُ قد انْجلتْ ... فى حُلّتَىْ وردٍ وآسِ

فأجْـــلُ المُدام أبا الحسَـ ... ـنِ وحيِّنى منها بـــكاسِ

---

(١) فى ب : « وتغنى مهرم الـكف » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .
(٢) فى سلك الدرر : « يا ابن أنس » . (٣) رسيس الحب : أوله ، وبقيته وأثره .
(٤) فى ح : « وسطور كالمسك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٥) الآسى : المعالج ، والطبيب . (٦) اضطر إلى ترك النصب فى : « ناسى » للقافية .

وأُستنْطِـــقِ الوتَرَ الرَّخيـ ـمَ عن الفــؤادِ وما يقاسِى

* * *

وأنشدنى قوله :

يا صـاحبى عُجْ بالمَطِىَّ على الحمى فعسى تلوح لنـــاظرىَّ شموسُهُ

فهناك يستملِى ابنُ مُقْلَةَ قصة مِنِّى فيكتب والخدودُ طروسُهُ[1]

وأُرِيكَ شوقًا لا يُقاس بغــيره بتوقُّدِ الجمراتِ كنتَ تقيسهُ

بان الخليطُ فلا تَسَلْ عن حالتى ما حالُ من قد بان عنه أنيسُهُ[2]

ودَّعتُه ورجعتُ عنــــه كأننى ذو نَشْوةٍ دارتْ عليه كؤوسُهُ[3]

لم أنْسَ إذ غنَّى له الحادى ضُحًى وتراقصتْ تحتَ الهوادجِ عيسُهُ[4]

ورمى ابنُ عمِّ الظَّبْىِ لى بإشارةٍ أخذ الفؤادَ بها فهاج رَسِيسُهُ

لا غَرْوَ أن جذبَ الفؤادَ بنظْرةٍ فرَنُوُّ تجلاويه مِغْناطيسُهُ

* * *

وأنشدنى لنفسه قوله[5] :

رشق الفــؤادَ بسهمٍ لم تُخْطِه ريمٌ يشوق الرِّيمَ مَهْوَى قُرطِهِ

مَن ذا عَذِيرى فى هوى مُتلاعبٍ قد راح يمزُج لى رِضاهُ بسُخْطِهِ

---

(٧) فى ا : « فهناك يستملى بن تلعة » ، والمثبت فى ب ، ج .
وابن مقلة هو أبو على محمد بن على بن الحسن .
يضرب بخطه المثل فى الحسن والإتقان ، وزر للمقتدر ، والقاهر ، والراضى ، وكان شاعرا مجيدا .
توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، بعد بلاء شديد فى سجنه .
ثمار القلوب ٢١٠ ، وفيات الأعيان ٤/١٩٨ .

(٢) فى ب : « فلا تسل عن حاجتى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « دارت على كؤوسه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « لم أنس مذغنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) القصيدة فى سلك الدرر ١/١٨ .

أعطيتُه قلبي وقلتُ يصُونه ... فأضاعه ياليتني لم أُعْطِه [1]

وثناهُ عن مَحْضِ المودَّة رَهْطُه ... فعناه قلبي في الهوى من رهطِه

وقد اشترطْنا أن نَدومَ على الوفا ... ما كنت أحسَبه يُخِلُّ بشرطِه

كيف الخلاصُ ركبتُ بحراً من هوىً ... شوقاً إليه فشَطَّ بي عن شَطِّه [2]

عَلَّقْتُه رَيَّانَ من ماء الصِّبا ... كالروضِ أخضَله الغمامُ بنَقْطِه

غَضَّ الشبابِ وهذه وَجَناتُه ... قد كاد يقطُر ماؤها من فَرْطِه [3]

يَجْلُو عليك صحائفاً وَرْديَّةً ... رقَم الجمالُ بها بدائعَ خطِّه

وتُريك هاتيك المعاطفُ بانَةً ... تهتزُّ ليناً في مُنَمْنَمِ مِرْطِه

وتُخامِرُ الألبابَ منه فكاهةٌ ... تُلْهِي حليفَ الكأسِ عن إسْفَنْطِه [4]

لو بتَّ تستمْلي لطائفَه التي ... ضاهتْ برَوْنَقِها جواهرَ سِمْطِه [5]

لدَهِشْت إعجاباً بلُؤْلُؤ لفظِه ... ومددْت كفَّك طامعاً في لَقْطِه

* * *

قلت : هذا الشعر من الأشعار الباسقة ، ما مُدَّت الأيدى لالتقاطِ مثل [6] دُرَرِه المتناسِقة .

* * *

وأنشدني قوله :

يا زَوْرةً سمَح الخيالُ بها وبات مُعانِقِي

---

(١) في ب : « فأضاعني » ، والمثبت في : ا ، ج وسلك الدرر. (٢) في سلك الدرر : « شوقاً إليه » .

(٣) في سلك الدرر : « فهذه وجناته » ، وفي ب : « قد كان يقطر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر. (٤) في ب : « وتخاصر الألباب فيه فكاهة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

والإسفنط من أسماء الخمر .

انظر حلبة الكميت ٧ .

(٥) في سلك الدرر : « لو بت تستجلي » ، وفي ا : « ضاهت برونقها لجوهر سمطه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر. (٦) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

خاضَ الدُّجُنَّـــةَ طارقًا أكرِمْ به من طارقِ
وأتمَّ ســـاحةَ عاشقٍ في جُنْحِ ليـــلٍ غاسقِ(١)
وأتى يجـــدِّدُ بالصِّبَا بَقِ عهدَ صَبٍّ وامقِ
فجرتْ لطائفُ بيْنَ مَعْ شوقٍ هنـــاكَ وعاشقِ
وخلالَهـــا قُبَلٌ تلَذُّ ورَشْـــفُ رِيقٍ رائقِ
وسألتُ ذاكَ الرِّيمَ عن سببِ الصدودِ السابقِ
فأهَلَّ منـــه ما يُرِيـ كَ الطَّلَّ فوقَ شقائقِ
وافـــتَرَّ لي ياقوتُهُ عن لُؤلؤٍ متناسقِ
وصفا هنـــالكَ مَوْرِدٌ بينَ العُذَيبِ وبارقِ

* * *

وأنشدني قوله :

أقولُ لقلبي وهْوَ عند اضْطِرابِهِ وقاتَلَهُ لم يَمْضِ لم تُحْسِنِ العِشْقا
فقال اضْطرابي خَشْيَةٌ من فِراقِهِ وفِيَّ حياةٌ ليس يحسُن أن تَبقَى

* * *

وقوله معمِّيًا باسمِ دلاور(٢) :

قد أبرزها من باطنِ الإبْريقِ صهبا تُحاكي وَجْنَـــةَ المعشوقِ
ما ضَرَّ شُوَيْدِنًا جلاَ أكْؤُسَها لو دار بها ممزوجةً بالرِّيقِ(٣)

* * *

(١) في ب: « وأتم ساعة عاشق » ، والمثبت في : ا ، ح .
(٢) في ا : «دولار» ، والمثبت في : ب، ح ، وسلك الدرر، والبيتان فيه ١٩/١ .
(٣) في سلك الدرر : « ماضر شويدنا جلاء كؤوسها » .

وقوله :

إن غَضَّ عن تلك العوارضِ عاذلى   طَرْفاً فقد أصبحتُ من عُشّاقِها
وتجنُّب الأفعى الزُّمُرُّدَ إنّمـــا   هو غَيْرةٌ منه على أحْداقِها[1]

* * *

من خاصِّيَّة الزمرد أن الحيّات إذا نظرتْ إليه سالت أعيُنها .

ومثله ماذكروه فى خواصِّ العَقِيق ، أن التختُّمَ به يُبطِل السِّحر .

وللصَّفِىِّ الحِلِّىّ[2] :

قِيل إن العقيقَ قـــد يبطل السِّحْـ   ـرَ بتختِيمِـــه لسرٍّ حقيقِى[3]
وأرى مُقْلتيْك تنفثُ سِحْـ   ـراً وعلى فِيكَ خاتَمٌ من عقيقِ[4]

* * *

ومن الخواص المذكورة للزِّبق ، أنه يقتل العقرب .

قال أبو الصَّلْتَ الإشْبِيلِىّ[5] :

---

(١) فى ا : « هو خيفة منه على أحداقها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن على الحلى .
شاعر العراق فى عصره ، كانت له الرحلة إلى مصر والشام للتجارة ، ومدح ملوك عصره ، فأجزلوا له العطاء .
توفى سنة خمسين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٢/٤٧٩ ، النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٨ ، فوات الوفيات ١/٥٧٩ .
والبيتان فى ديوانه ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وفوات الوفيات ١/٥٨٨ .

(٣) فى ب : « لسر العقيق » وفى ج : « على التحقيق » ، وفى فوات الوفيات : « لسحر حقيق » ، والمثبت فى : ا ، والديوان ، وفى فوات الوفيات : « قد يبطل السحر » . (٤) فى ب : « وعلى فيك خاتما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وفوات الوفيات .

(٥) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى الإشبيلى .
أديب ، حكيم ، رحل إلى المشرق ، وأقام بالإسكندرية .
وتوفى بالمهدية ، فى المغرب ، سنة تسع وعشرين وخمسمائة .
خريدة القصر ، القسم الرابع ١/٢٢٣ ، معجم الأدباء ٧/٥٢ ، نفح الطيب ٢/٣٠٧ ، وفيات الأعيان ١/٢٥١ ، ترجمة رقم ١٠١ .
والبيتان فى : خريدة القصر ، القسم الرابع ١/٢٣٧ ، نفح الطيب ٢/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٢٥٢ .

دبَّ العِــذارُ بِخَدِّه ثم انثنى | عن لثمِ مبسِمِه البَرُودِ الأشْنَبِ
لا غَرْوَ أن خَشِيَ الرَّدَى فى لثْمِه | فالريقُ سَمٌّ قاتلٌ للعقرَبِ (١)

* * *

وأنشدنى لنفسه قطعتين ، ما أظنهما إلّا من رياض الجنان مُقتطَعتين .

فالأُولى هذه :

قد نَضَى طَرْفُه الكحيلُ حُسامَهْ | فاسْأَلِ اللهَ يافؤادى السَّلامَهْ
فاتِكٌ قد سطَا بألحاظِ رِيمٍ | بلَغَتْــه من القلوبِ مَرامَهْ
ناقِضٌ للعهود ليس يُراعِى | ذِمَّةً للذى يُراعِى ذِمامَهْ
قد تمشَّقتُه ربيعَ جمالٍ | يملأُ العيْنَ بهجةً ووَسامَهْ
شَطَّ عنِّى فليس لى مُذ تناءَى | مُسْعِدٌ فى هــواه إلّا حَمامَهْ
ذكَّرتْنى عصراً رقيقَ الحواشِى | بالحِمَى ظَلْتُ ناهباً أيَّامَهْ
ماتذكَّرتُ عيشَهُ الغَضَّ إلّا | هطَلتْ أدمعِى عليــه نَدامَهْ
يانسيماً من عَنْبرِ الشِّحْرِ أهْدَى | طِيبَ أنفاسِه لنا شَمَّامَهْ (٢)
إن تيمَّمتَ ساحةَ الحىِّ وَشِّى | ساحةَ الحىِّ دُرَّ دَرِّ الغمامَهْ (٣)
حَىِّ عنِّى أقاحِ تلك الرَّوابِى | ثم قبِّل ثُغورَه البَسَّامَهْ (٤)
وَالْوِ عِطْفَ القضيبِ نحو أخيه | ليُطِيــل اعْتناقَه والْتزامَهْ
واقتطِفْ من حدائقِ الحسنِ ورداً | نقَّطتْ فوقه من المسكِ شامَهْ (٥)
وارتشِفْ من خِلالِ تلك الرَّوابِى | قاطِرَ الشَّهْدِ خالطَتْهُ مُدامَهْ (٦)

---

(١) فى ا : « أن أخشى الردى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والمراجع السابقة .

(٢) تقدم ذكر الشحر ، فى صفحة ٤٥٦ (٣) فى ب : « در دمع الغمامه » ، وفى ج : « دَرّ در غمامه » ، والمثبت فى : ا . (٤) حذفت ياء المنقوص من « أقاحى » للوزن ، رغم نصبه .

(٥) فى ب ، ج : « من حديقة الحسن » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ا : « عاطر الشهد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

واعتنِقْ فى مُمْنَمِ البُرْدِ خُوطًا   رنَّحتْ خمرةُ الشَّبابِ قَوامَهْ [١]
ولْتُلاعِبْ له ذُؤابةَ شَعْرٍ   قد تدلَّتْ فقبَّلتْ أقْدامَهْ [٢]

* * *

وهذه [٣] الثانية :

ياوردةً من فوق بانَهْ   سِحْرُ المحبَّةِ مَن أبانَهْ
أخفَيْتُه عهـــدِى وقد   غَلْغَلتُ فى قلبى مكانَهْ [٤]
وكتمتُ أمرَ صَبابتى   وسدَلْتُ أسْتارَ الصِّيانَهْ
ما كنت أحسَب أن يكو   ن الدمعُ يوماً ترْجُمانَهْ
لولا وُضوحُ الأمرِ ما   أغرَى بنا الواشِى لسانَهْ
ولَوَى عِنانَكَ عن شَجٍ   شَوْقًا إليك لَوَى عِنانَهْ
ياظَبيةَ البانِ التى   عند القلوب لهـا مكانَهْ
كُفِّى الصـــدودَ فقد شَفَى   عن طولِ صَدًى أرْوَنانَهْ

* * *

يوم أرْوَنان ، وليلة أرْوَنانَة : من الحرّ والغمّ [٥] .
وقال القَيْسِىّ [٦] : الأرْوَنان ، الصوت .

* * *

قـــد أسْكرتْنى مُقْلتا   كِ كأن فى الأجفانِ حانَهْ
وكَرَعْتِ فى ماءِ الصِّبـــا   ففضحْتِ لِينَ الخيزُرانَهْ

---

(١) الخوط : الغصن الناعم .   (٢) فى ب : « وتلاعب له » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « القصيدة » ، والمثبت فى : ا ، ح .
(٤) فى ب : « غلغلت فى قلبى مكانه » ، والمثبت فى : ا ، ح .   (٥) انظر اللسان (ر و ن) ١٣/١٩١.
(٦) فى ح : « القسى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

أجْرَيْتُ ذِكْرَكَ بالحمى   وقد اجْتلى طَرْفى جِنانَهْ
فلَوى القضيبُ مَعاطِفاً   نظَم النَّدَى فيها جُمانَهْ
واحمرَّ خــدُّ شَقِيقِها   وافْترَّ ثَغْرُ الأُقْحُوانَهْ

* * *

وأنشدنى قوله :

أفْدِى مليحاً يفوق البــدرَ مُستتِرًا   تحت القِناعِ استِتارَ العينِ بالغَيْنِ

العينُ : الشمس . والغين : لغة فى الغيم .

أنشاه مُبدِعُه كالبـــدرِ مكتمِلا   حُسناً ووقَّاه شرَّ العينِ والغَيْنِ

العين : النَّظرة . والغين : حجابٌ على القلب .

مُنِعتْ من ثَغْره عَيْنِ الحياةِ وكم   قد رُدَّ قاصِــدُ هٰذِى العينِ بالغَيْنِ

العين : عين الحياة ، والغَين : العطش .

ورَاعَ قلبي فقد حاولتُ منـــه وفاً   أتى بتَصْحيفِ تلك العَيْنِ بالغَيْنِ [١]

الحرفان المعلومان .

* * *

وأنشدنى قوله :

قال صِفْ فَرْعِى الذى قــد تدلَّى   فوق خَدِّى إن كنتَ من واصِفِيهِ
قلت ماذا أقول فى وصْفِ رَوْضٍ   قـــد تدلَّتْ عَرِيشَةُ الحُسْنِ فيهِ

* * *

وذكر لى فى بعض محاضراته أنه رأى قولَ بعض الأندلسيِّين [٢] :

---

(١) فى ا : «تلك العين والغين» ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٢) ليس هذا من قول بعض الأندلسيين ، وإنما هو من قول تميم بن معد الفاطمى ، صاحب مصر . والبيتان فى : دمية القصر ١/٩٣ ، ٩٤ ، ويتيمة الدهر ١/٣٠٨ .

واللهِ لولا أن يُقال تَغَيَّرا   وصَبا وإن كان التَّصابى أجْدَرَا
لأعدْتُ تُفَّاحَ الخدودِ بَنَفْسَجًا   لَثْمًا وكافورَ التَّرائبِ عَنْبَرَا [1]

وقولَ أبى جعفر محمد المُخْتار من شعراء « الدُّمية » [2] .

قلتُ هَبِى منكِ لنا قُبْلةً   يامُنْيةَ النفسِ ويا قُوتَها [3]
فأغمضْتُ من عينِها مُؤْخِراً   ورصَّعتُ بالدُّرِّ ياقوتَها [4]

وقولَ الأمير مَنْجَك [5] :

لقد زارنى من بعد حَوْلٍ مُودِّعا   وطَوْقُ الدجى قدصارفى قَبْضةِ الفجرِ [6]
فأخجلْتُه بالعَتْبِ حتى رأيتُه   يُزِيحُ الثُّريَّا بالهلالِ عن البدرِ

فنظَم هذين البيتين يُلمِّح إلى هذه المقاطِع :

نظَر البَنفْسَجُ فى الشَّقيقِ مؤثِّراً   فارْتاعَ حتى انْهَلَّ ماءُ جَمالِهِ
فغدا يرصِّعُ دُرَّه ياقُوتَه   ويُزِيحُ أنْجُمَ بدرِه بهلالِهِ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه :

لا تكن وَيْكَ طامعاً فى سُلُوِّى   فالهوى قد نَمَا أشَدَّ نُمُوِّ

---

(١) فى ب : « وجعلت كافور الترائب عنبرا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ودمية القصر ، ويتيمة الدهر.
(٢) البيتان له فى دمية القصر ٢٨٤ ، واسمه أبو جعفر محمد بن أحمد المختار .
(٣) فى دمية القصر :

قلت لها لا تمنعى قُبلة   تشْفِى سقامَ النفسِ يا قوتها

(٤) فى دمية القصر : « غمضت من عينها مؤخرا » .   (٥) ديوانه ٦٨ .
(٦) فى الديوان :

* أتى زائرى من بعد حَوْل مودِّعا *

وفى ا : « قد صار فى راحة الفجر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وديوان منجك .

شَفَّنى ذلكَ الشُّوَيْدِنُ حُبًّا ورمانِى بسهمِ ذاكَ الرُّنُوِّ (١)

قمرٌ فى ابْتِدائِه تَمَّ حُسْنًا وسمَا فى الكمالِ أىَّ سُمُوِّ

وقضيبٌ غضُّ النَّبَاتِ رطيبٌ عُلَّ من خمرةِ الشبابِ ورُوِّى (٢)

خَطَّــه خطَّ فى فؤادىَ سطْراً أَمَدَ الدهرِ ليس بالمَمْحُوِّ

يمزُجُ الصَّدَّ بالوِصالِ دَلالاً فترى منه قسوةً فى صُفُوِّ

وهَــواه مازال يُورِى لهيباً بين جَنْبَىَّ ماله من خُبُوِّ (٣)

ياسقى اللهُ عهـــدَنَا بليالٍ قد جنَيْنا بهــا ثِمارَ الدُّنُوِّ (٤)

جمعتْ شَمْلَنَا بــكأْسِ سُلافٍ هى أصْفَى من دمعةِ المَجْفُوِّ (٥)

كلما قلتُ يا ابن وُدِّىَ خُـــذْها قال لى هاتِ يا عَدُوَّ عدُوِّى



---

(١) فى ا : « بسهم ذاك الدنو » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) فى ا : « غض الشباب » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٣) فى ب : « ما زال يروى لهيبا » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٤) فى ب : « يا سقى الله عهدنا فى ليال » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٥) و ب : « من دمعة المحنو » ، والمثبت فى : ا ، ح .

٤٧

السيد عبد الباقي بن مُغَيْزِل*

من الزُّمرة الأولى من أخِلَّائى ، ومن به أشرق فى إبَّان رَونقِه وجهُ اجْتِلائى .
فاستهلَيْتُ[1] أنا وإياه العيشَ بَدْرِيًّا ، وهزَزْت أغصُنَ اللّذات غصنًا[2] طريًّا .
فى زمانٍ عيونُ سُعوده رَوان ، والآمالُ فيه دَوانٍ ، ما بين بِكْرٍ وعَوان .
لم تبعدْ فيه أرضى عن أرضه ، ولم نَأْلُ فيه من القيام بنَفْل الوُدّ وفرضه .
ولم يتنَسَّم أحدُنا أخا ، إلَّا هَبَّ الآخَرُ معه رَخا .

وهو ممن خلُصت ذاته خلوص الذهبِ عن[3] اللهب ، وتميّزت بما أحرزَتْ من نسبٍ شريف وحسَب ، ونشَب تليد ومُكتسَب .
شمَّر فى الطلب عن ساق ، وأبدى بدائعَ ذاتَ حُسْنٍ واتّساق .
وله براعةٌ تُعرب عن لسان ذَليق ، وذهنٌ متوقّدٌ يَزينه وجهٌ طليق .

* * *

(*) السيد عبد الباقي بن عبد الرحمن بن محمد ، الشافعى ، الدمشقى ، المعروف بابن مغيزل .
وهو شريف من جهة أمه ، وهى بنت السيد موسى الصمادى .
ولد فى حدود الستين بعد الألف .
واشتغل بطلب العلم ؛ فأخذ الفقه عن الشيخ محمد العيثى ، والشيخ على الكاملى ، والحديث عن الشيخ أبى المواهب ، والنحو عن الشيخ نجم الدين الفرضى ، والمعانى والبيان عن الشيخ إبراهيم الفتال ، وأصول الدين عن الشيخ يحيى الشاوى المغربى .
واشتغل بالتدريس فى الجامع الأموى ، وكان حلقه مليئا بالإفادة ، غاصا بالتلامذة .
توفى سنة تسع وثلاثين ومائة وألف .
سلك الدرر ٢/٢٣١ .
وذكر المرادى أن المحبى ترجمه فى النفحة ، ونقل عنه .

(١) كذا على عادة المؤلف فى النفحة . (٢) فى ا ، وسلك الدرر ٢/٢٣٢ : « غصنا » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٣) فى سلك الدرر : « على » وهو المعهود .

وفضلٌ يستغنى عن المَدْح ، وشِعرٌ يعلِّم الحمامةَ الصَّدْح [1] .

قد استخرجتُ له ما هو كالروض المِمطار ، تضحك ثغورُ نوّارِه عن بُكاء الأمطار

فمنه قوله ، وأنشدنيه من لفظه [2] :

أَوَّاه من ذلك الخِشْف الذى سنحا ... مَن آ كَسَبَ المستهام المُبتَلَى بُرَحا

لم أنسَ إذ مرّ مُختالا بقُرْطُقِهِ ... من دونه ذلك القدّ الذى رَجَحا [3]

يزُور لحظًا بطرفٍ زانَه حَوَرٌ ... فكم طريحٍ على فرشِ الضَّنَى طرحا

وكم دواعِى الهوى من كلّ جارحةٍ ... تستخبِر القلبَ عنّا أيّةً جنَحا

***

وبعث إلىّ بهذه الأبيات ، وكان وافانى يوماً ولم يجدنى فى بيتى [4] :

ياما جِداً حاز السِّيادة يافعا ... وغدا بأثواب البراعة يرتدِى [5]

من مُذْكِرى عهدَ الشَّبيبة والصِّبا ... والعيشَ معْ وَصْل الحسان الخُرَّدِ

كم مرّة قد جئتُ نحوَ حِماكُمُ ... كى أن أفوزَ برؤية الوجه النَّدِى

فلِسُوء حظّى لم تجِدْكم مُقلتِى ... فرجعتُ من ذاك الحمى صِفْرَ اليَدِ

***

فكتبتُ إليه [6] :

مولاى من دون الأنام وسيِّدى ... بلَّغتنى بالسَّعْىِ أسنَى سُؤددِ

(١) علق المرادى على هذا بقوله : « ومن لطائف الأمين تنكيته عليه بقوله : وشعر يعلم الحمامة الصدح . وقد أشار إلى نكتة ، وهى أن والد المترجم كان يلبس الثياب البيض ، فكان يلقب بالحمامة ، فأشار الأمين بذكر الحمامة إلى هذا اللقب » .

سلك الدرر ٢/٢٣٢ .

(٢) الأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٢ .

(٣) القرطق : قباء . اللسان (ق ر ط ق) ١٠ / ٣٢٣ ، وفى ا : « ذلك القدر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٤) الأبيات فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٢ .

(٥) فى ب : « وغدا بأثواب السعادة يرتدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٦) جواب المحبى فى سلك الدرر ٢/٢٣٢ .

قد جئتنى والبيتُ منى مُقفِرٌ   من سوءِ حظى فى الزَّمانِ الأنكدِ [1]
هى عادةُ الأيام أرجو صاحِباً   فيصدُّه قدَرٌ علىَّ بمَرْصَدِ
وإذا أبيْتُ فتًى وعِفْت دُنُوَّه   ألفيْتُه نفسِى يرُوح ويغْتدى

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه [2] :

كلما رُمتُ خَلاصاً من هوًى   ظَبْيِ إنْسٍ حَبَّةَ القلبِ مَلَكْ [3]
قال لى حُسْنُ هَواه كم له   من شَجٍ مثلِك مُلْقًى فى الفلَكْ

***

وأنشدنى قوله [4] :

قلتُ إذا جاء صاحبى   يشْتكى حُرْقةَ النَّوَى
كيف شَكْواك إننا   كلُّنا فى الهوى سوَا [5]

وهذا المِصْراع قد أكثر الناس من تضمينه ، وأشهر تضامينه قولُ بعضهم [6] :

قُل لمن جاء يشْتكى   باهتمام من الجوَى
لاتفُه بالذى جرَى   كلُّنا فى الهوى سوَا

***

وأنشدنى قولَه فى أرْمَد [7] :

لاتحسبوا حُمْرةً فى مُقْلتى رمداً   قد مسَّها بل لأمرٍ زادَ فى سَقَمى [8]

---

(١) فى ا ، وسلك الدرر : « وافيتى والبيت مى مقفر » والمثبت فى : ب ، ج . وفى ب : « بالزمان الأكد » وفى سلك الدرر : « والزمان الأنكد » والمثبت فى : ا ، ج . وفى الأصول : « الأكد » ، والمثبت فى سلك الدرر .   (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٣ .   (٣) فى ا : « كلما رمت خلاصى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .   (٤) هذه المقدمة والبيتان بعدها فى ج قبل النقل عن المقريزى ، الآتى ، وبعد قوله : « ولا بد للصياد من صحبة الكلب » الآتى . والبيتان فى سلك الدرر ٢ / ٢٣٣ .

(٥) « كيف شكواك » ، كذا فى الأصول وسلك الدرر ، ولعلها : « كف شكواك » .

(٦) هذه المقدمة والبيتان بعدها مما سقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ٢ / ٢٣٣ .

(٧) من أول هذه المقدمة إلى قوله : « إيضاح معنى شاهد عن أصله » الآتى فى صفحة ٥٠١ ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .   (٨) فى ج : « زاد فى سقمى » ، والمثبت فى : ب .

فإنها نَظَرتْ شَـزْراً لوجْنـةِ مَن ... هواه حلَّ فؤادي فما كَتَسَتْ بدَمِ [1]

* * *

منه قول يوسف العِمْراني [2] :

لاتنـكروا رَمَدِي وقد أبصرتُ مَن ... أهْوى ومن هو شمسُ حسنٍ باهرِ

فالشمسُ مهما إن أطلْت لنحوِها ... نظـراً تؤثِّر ضَعْفَ طرفِ النـاظرِ

ولقـد أطلتُ إلى احْمـرارِ خـدودِه ... نظـرِي فعكسُ خيالِها في ناظـرِي

* * *

وقوله [3] :

رمدتْ جفوني عندما فارقتُ مَن ... قد كان كُحْلاً في نواظرِ عبْدِهِ

وسرقتُ حمرةَ ناظـرِي وسَقـامَه ... عنـد النَّوَى من مُقْلتيْهِ وخدِّهِ

* * *

وأنشدني قوله :

أقول لفَتّاكِ اللَّواحظِ أهْيَفٍ ... يصِيد حبّاتِ القلوب من الهُدْبِ

وصُحْبته شخصٌ بذِيٌّ مُذمَّمٌ ... يَسوء بمَرْآه العيونَ مع القلبِ

---

(١) في ب : « فإنها نظرة شذرا » ، والمثبت في : ح .

(٢) يوسف العمراني ، هو يوسف بن عمران الحلبي .
كان يعمل أول أمره بالتجارة ، وكان صاحب مال ، ثم خالط الأدباء ونسج على منوالهم .
طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها .
وكان مغرما بابتكار المعاني ، ذا شعر جيد ، وقد جمع منه « ديوانا » .
توفي سنة أربع وسبعين وألف .
إعلام النبلاء ٦/٣٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٤ب ، وخلاصة الأثر ٤/٥٠٦ ، وريحانة الألبا ١/١٠٤ .
والأبيات في ريحانة الألبا ١/١٠٦ ، وهي ليست للعمراني ، وإنما هي أبيات الشهاب الخفاجي ، أنشدها العمراني .
وانظر خلاصة الأثر ٤/٥٠٧ .

(٣) هذان البيتان ساقطان من : ح ، وهما في ب . وقد نسبهما المحبي أيضا إلى العمراني ، وهما للشهاب الخفاجي ، في ريحانة الألبا ١/١٠٧ ، وانظر إعلام النبلاء ٦/٣٤١ .

حبيبيَ ماهذا القَرِينُ فقال لى   ولا بُدَّ للصيَّادِ من صُحْبةِ الكلابِ

* * *

وكأنه[1] وقف على ما ذكره المَقْرِيزِيّ[2] من أنه ثار بمصر فى بعض الأحايين ريحٌ شديدة ، سقط منها حجرٌ من بعض عَضائد جامع الحاكم ، فقُلِب[3] الحجر ، فوُجِد عليه هذه الأبيات ، وهو لغز عجيب[4] ، رقيق لفظه :

إنّ الذى أسررتُ مَكْنونَ اسمِه   وكَتمتُه كيْما أفوزَ بوصْلِه

مالٌ له جَذرٌ تساوَى فى الهِجا   طَرَفاه يُضرب بعضه فى مثلِه[5]

فيصير ذاك المالَ إلّا أنه   فى النصفِ منه تُصاب أحْرُفُ كُلِّه

وإذا نطقتَ برُبْعِه من كل ما   من بعد أوَّلِه نطقتَ بكُلِّه[6]

لا نَقْطَ فيه إذا تكامَل عَدُّه   فيصير منقوطا بجُمْلةِ شكلِه[7]

حَلّه[8] بقوله :

قد كاد هذا اللغزُ يُصْدِى فكرتى   لكن بحمدِ الله فُزْتُ بحلِّه

تالله نَظْمُ الذِّكْرِ يُخرج منه ما   عَنَتْه أشار مُبيِّنا لمَحلِّه

مالٌ أتى من ضَرْبِ ستٍّ بعضُه   فى ستّةٍ وهى المرادُ بمثلِه

فيصير منه النصفُ لكن مذ غدا   مُتساوِىَ الطرفيْن عاد ككُلِّه

والنطقُ منه برُبْعِه أى ثالثٍ   من بعد أوَّله وثانٍ يُجْلِيه[9]

---

(١) فى ح : « وقد كان » ، والمثبت فى : ب .

(٢) خطط المقريزى ٢/٢٧٩ ، ولم يذكر المقريزى للأبيات هذه المقدمة ، وإنما ذكر أن قطب الدين محمد الهرماس ، رأى بالجامع الحاكمى حجراً ظهر من مكان قد سقط ، منقوشا عليه هذه الأبيات الخمسة .

(٣) فى ج : « فقلب » ، والمثبت فى : ب .   (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ج .

(٥) فى ب : « بجدر » ، وفى ج : « حد » ، والمثبت فى الخطط .   (٦) فى الخطط : « وإذا نطقت بربعه متكلما » .

(٧) علق المقريزى على هذه الأبيات بقوله : « قال : وهذه الأبيات لغز فى الحجر المكرم » .

(٨) فى ب : « فأجابه » ، والمثبت فى : ج .   (٩) فى ب ، ج : « بحاله » ، والمثبت فى : د .

لانَقْطَ فى لفظِ الحروف وإنما عينُ المُسَمَّى أنبأتْ عن شكلِهِ
فى عِقْدِ حاليَةِ العذارَى إن تَرُمْ إيضاحَ معنًى شاهدٍ عن أصلِهِ

* * *

وأنشدته يوماً قولى معمِّيا باسم مُوَفَّق[1] :

مِن وُلاةِ الجمالِ سلطانُ حسنٍ حكَّمتْه القلوبُ فازْدَاد عُجْبُهْ
حـدَّ للقلب مذ سمـا حـدَّ سِرٍّ نازل فى حَشَـاهُ ماراق حِبُّـهْ

فَحلَّه وحلَّاه ، فقلت أخاطبه[2] :

مولاى ياحَـلَّالَ كلِّ مُشْـكِلِ بفَهْمِه ورأيهِ السَّديدِ[3]
أُفْدِيك مُذْ حلَّيْت ما عمَّيْتُهُ حلَّيتَ قلبي وفمِي وجِيدِى[4]

فقال[5] هذا يُشبه قول العَفيف التِّلِمْسَانِي[6] :

قد قُلتُ لمـــا أراد شَدًّا بخِصْرِه يامهفهفَ القَدّ[7]
حَلَّيْتَ قلبِى وعِقْدَ صبرِى وعاطِلُ الخَصْرِ منك بالشَّدّ

وطال ماجال فى خَلَدى[8] ، من أىِّ نوعٍ هذا[9] من أنواع البديع ، فقلت له :

---

(١) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ . (٢) البيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ .

(٣) فى سلك الدرر : « بفهمه ورأيه السديد » . (٤) هكذا « حليت » ، على طريقة المؤلف فى الفك . (٥) فى ج : « فقلت » ، وهو خطأ ، والصواب فى : ا ، ب .

(٦) ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج .
وهو عفيف الدين سليمان بن على بن عبدالله الكومى التلمسانى
شاعر ، يتكلم على طريقة المتصوفة ، وكان حسن المعاشرة ، كريم الأخلاق .
توفى سنة تسعين وستمائة .
شذرات الذهب ٥/٤١٢ ، فوات الوفيات ١/٣٦٣ ، النجوم الزاهرة ٨/٢٩ .
والبيتان فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ .

(٧) فى ب : « فى خصره » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٨) بعد هذا فى ج زيادة : « هذا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٩) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا ، وسلك الدرر .

قد ذكر البَدْرُ الدّمامِينِيّ[١] ، فى « حاشيته ، على شرح لاميَّة العَجم » : أنه [٢]من نوع[٢] الاستخْدام .

وأنشد منه قول ابن نُباتَة[٣] :

رشَفْتُها فى مـــكان خَلْوتِها وجَيِّد الحسنِ ثَمَّ قد جُمِعا[٤]

حلَتْ مَذَاقًا ومشربًا وفَمًا والجِيدَ والشعرَ والصفاتِ معًا[٥]

وفيه استعمالُ كلمةٍ واحدة على ستِّ مَعان .

وقدَّم أنَّ[٦] مثل هذا لم ينصُّوا عليه فى الاستخدام . انتهى .

* * *

وكتبت إليه[٧] أستدعيه إلى مُتنزَه[٨] بالشَّرَف الأعْلى[٩] ، فى يوم شَرَف الشمس :

سيِّدى ، النفس خضراء والربيعُ أخضر ، وأنا شريف وأنت شريف ، فما علينا أن نهجر المْألَف والمَرْبَع ، ونجمع بين هذه الفصول الأربع .

---

(١) بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر الدماميني المخزومى .
عالم مصرى ، أديب .
توفى سنة سبع وعشرين وثمانمائة .
بغية الوعاة ١/٦٦ ، الضوء اللامع ٧/١٨٤ .

(٢) فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ : « نوع من » .

(٣) جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد ، ابن نباتة المصرى .
أديب ، شاعر كبير ، كاتب مترسل .
توفى سنة ثمان وستين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٤/٣٤٧ ، طبقات الشافعية (الطبقة السابعة) ٦/٣١ ، النجوم الزاهرة ١١/٩٥ ، الوافى بالوفيات ١/٣١١ .
والبيتان ليسا فى ديوانه المطبوع ، وهما فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ .

(٤) فى ب ، ج : « بجيد الحسن » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر.

(٥) فى ب : « ومشربا وحمى » ، وفى ج : « ومشربا ولمى » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٦) فى ا ، ج زيادة : « فى » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

(٧) نقل المرادى هذا ، فى سلك الدرر ٢/٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٨) كذا فى الأصول ، والمعروف « متنزه » .

(٩) تقدم التعريف بالشرف الأعلى ، فى صفحة ١٦٥ .

فى زمنٍ تعتدل فيه الطِّباع ، وتقِف عليه الخواطرُ والأسْماع .

فانْهَض لتكون إلْفَين ، ولكَ الأعلى من الشَّرفَيْن .

فى يومٍ حلّ به شَرَفُ الشمس ، واعتدلتْ الحواسُّ الخمس .

فهناك أُنشِدك باللسان ، مع موافقةِ الجوارح والجَنان :

لِمَ لا أتيــــهُ فى العُلى　　على جميـــعِ السَّلَفِ

والسيدُ الشريفُ قـــد　　شَرَّفَـــنى فى الشَّرَفِ

٭



٤٨

أحمد بن عبد الله العطّار ، المعروف بابن جَدّى *

سَمْحٌ سهل ، لـكل ثناء أهْل .

كأنما بينه وبين القلوب نَسَب ، أو بينه وبين الحياة سَبَب .

بمُحاضرة أشْهى من رِيق المحبوب ، ومحاولة أصْفَى من رَيِّق الشُّؤْبُوب (١) .

وعلى الجملة فما هو إلا تحفة قادِم ، وأُطْرُوفةُ مُنادِم .

وعَودة صحة لمريض ، واصْطِباح عيش فى رَوْضة أريض .

وبينى وبينه أُخُوّة أواخيها مشْدودة ، وأبوابُ التَّمْويهات عنها مسدودة .

مازلنا فى خَلْسة للوُدّ ونُهْزة ، وأرْيَحِيّة للحظ وهِزّة .

من حين رضَعْنا لِبَا ألفِ ذلك الدرّ ، وحَوَيْنا فيه على حكم عالِم الذرّ .

والله يصونُنا فى بقيّةِ العمرِ عن الغِيَر ، كما صانَنا عن الشوائب (٢) فيما مضى وغَبَر .

فمن أريجِ عاطِره ، الذى نفَح به رَوْضُ خاطِره .

قوله مضمِّناً (٣) :

وبَلِيّتِى ساجِى اللِّحاظِ قَوامُه ... غُصْنٌ على دِعْصٍ تُثَنِّيه الصَّبَا (٤)

(*) أحمد بن عبد الله بن بهاء الدين بن محمود بن رجب العطار ، الدمشقى ، المعروف بابن جدى ، قال عنه المرادى : «الشيخ الفاضل ، الأديب الماهر ، الناظم .
كان رقيق الحاشية ، لطيف المذاكرة ، حسن الخط ، وله مشاركة جيدة فى كل فن » .
ونقل ترجمة المحبى له فى النفحة ، وذكر أن وفاته كانت سنة ست وعشرين ومائة وألف ، وأنه دفن بمرج الدحداح .
سلك الدرر ١/١٢٨ ـ ١٣١ .

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) فى ب : « النوائب » . والمثبت فى : ا ، ح ، وسلك الدرر .

(٣) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٢٩ .

(٤) فى سلك الدرر : « وبابلى ساجى اللحاظ . . . غصن على . . . » .
والدعص : كثيب الرمل المجتمع .

يهتزُّ لِيناً حين يخطُــر مائساً ... جَذْلانَ من مَرَحِ الشَّبيبة والصِّبَا

بدرٌ تقمّص بالملاحــةِ والبهَا ... فغدا إلى كلِّ القلوبِ مُحبَّبَا [1]

سَلَّتْ لَواحِظُه علينا مُرْهَفاً ... ما كان إلَّا فى القلوب مُجرَّبَا

يَخْشى على وردِ الخدود للافحٍ ... فغدا بريْحان العِـذارِ مُنقَّبَا [2]

ساوَمْتُه وَصْلا فدقّق لَحْظَهُ ... مُتبرِّماً نحوى وألْوَى مُغضَبَا

فـكأنَّ صفحة خَـدِّه وعِذارَه ... تُفَّاحةٌ رُمِيَتْ لتَقْتُـلَ عقربَا

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه [3] :

ولمَّا رأيتُ الفضلَ فى النـاسِ ضائعاً ... وأكْثَرُ منـه ضَيْعةً فيهمُ الحـرُّ

بخِلْتُ بِشعرى حيث لم أرَ فى الورى ... فتًى إن رأى شِعْـراً يحرِّكُه الشِّعـرُ

ورُحت بنفسٍ لم يُرِقْ ماءَ وجهِها ... سؤالٌ حَداه العسرُ واقْتـادَه اليُسْرُ

* * *

وأنشدنى أيضا [4] من لفظه لنفسه ، قولَه من قصيدة طويلة ، مطلعها [5] :

عَتْبِى على الدهرِ عَتْبٌ ليس يسمعُه ... إذْ بالهوى والنَّوَى قلبى يُروِّعُهُ

بانُوا فأصبحتُ أشكو بعـد ما رحَلوا ... لِلبَيْـن مابى يـدُ التفْريق تجْمعُـهُ

شَـكْوَى يكاد لها صُمُّ الصَّفَا جزَعاً ... كما تصدّع قلبى منـــه يَصدعُهُ

* * *

منها [6] :

بى من رَسِيسِ الهوَى داءٌ يُصارِعُنى ... طولَ الزمان إلى مَا الحب يصنعُهُ

---

(١) فى ب ، ج : «وغدا» ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٢) فى ا : «للاقح» ، وفى ب : «للامح» ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٣) هذه الأبيات ساقطة من : ا ، ولم ينقلها المرادى فى سلك الدرر ، وهى فى : ب ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٥) الأبيات فى سلك الدرر ١/١٢٩ . (٦) سلك الدرر ١/١٢٩ .

وأنثنِي من لَظَى الأشواقِ فى حُرَقٍ إذا وَمِيضُ الدجى يبدو تَنَمُّمُهُ (١)

لم ألْقَ يومَ النَّوَى إلّا حَشًا قَلِقًا ومَدْمعًا بأبِيِّ الدمعِ يشفعُهُ (٢)

ياصاحِ أين لَيالِينا التى سلَفتْ مرّتْ سِراعًا وطِيبُ العيشِ أسْرعُهُ

فاعجَبْ لنارِ ضُلوعى كلما خَمَدتْ أشبَّها من غُروبِ الجفنِ أدمعُهُ

وبات يُذْكِى ضِرامِى صادحٌ غَرِدٌ فى النَّيْرَبيْنِ بتَرْنامٍ يُرجِّعُهُ (٣)

ياوُرْقُ مَهْلا أذا التَّرْجاعُ من فرَحٍ بالرَّوْضِ أم فَقْدِ إلْفٍ عَزّ مرجعُهُ (٤)

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، قوله (٥) :

أفى كلِّ يومٍ بالنَّوَى تتروَّعُ ومن حادثاتِ الدهرِ يشْجِيك مَوقِعُ

وتَشْقَى بِرسْمٍ قد ترَسَّمه البِلَى وتَسقِى ثَراه كلُّ نَكْباء زَعْزَعُ (٦)

وتندُب أطلالا تعفّتْ رسومُها وتشكو لرَبْعٍ أعْجَمٍ ليس يسمعُ

وتُسبِل تهْتانَ المدامعِ هاطِلًا على قَفْرةٍ من دِيمةٍ ليس تقلَعُ (٧)

وتُصبِحُ هيمًا بين قفرٍ تجوسُه وتُمْسِى وَلْهانًا وأنت مُرَوَّعُ (٨)

وترْمِى بطرفيك الهِضابَ عشيّةً أفى كلِّ هَضْبٍ للأحبّةِ مطْلَعُ (٩)

---

(١) فى سلك الدرر : « يبدو تلملمه » . (٢) فى ا : « بأبى الدمع » ، وفى ح : « باقى الدمع » ، وفى سلك الدرر « بأبى الدمع » ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ب .

(٣) تقدم التعريف بالنيربين ، فى صفحة ٧٣ . (٤) فى ب ، ح : « أثر » ، والضبط من : ب ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ١/١٣٠ . (٦) فى ا ، وسلك الدرر : « وتسق ثراه » ، والمثبت فى : ب ، ح .

وريح زعزع : شديدة .

(٧) فى ا : « ليس تقدع » ، والمثبت فى : ب ، ح .

وهذا البيت ساقط من : سلك الدرر .

(٨) فى ا : « وتسم هيما » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسلك الدرر . وفى ب : « وتمسى ولهان وأنت مروع » . وفى ح : « وتمسى ولهان الفؤاد مروع » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٩) فى سلك الدرر : « وفى كل هضب » .

وقائـلةٍ فيما الوقوفُ وقد خـلا … من القـوم مُصْطافٌ يرُوق ومَرْبَعُ
فقلتُ لها أذْرِى الدموعَ وهـكذا … أخو الشوقِ من فَرْطِ الصَّبابةِ يصنعُ
وما كنتُ أدْرِى قبل وَشْك رحيلهمْ … بأنّى إذا بَانُوا عن الجزْع أجْزَعُ
ولا أن أنفاسى يُصعِّدها الجـوَى … إذا لاح برقٌ فى الدُّجُنَّة يَلْمعُ (١)
فرُحْتُ ودمعُ العـينِ تجرى غُرُوبُه … على الخـدِّ منّى والحمـائمُ تسجَعُ
تنُوح بشطِّ الوادِيَيْن ولِى حَشـاً … إذا ما أنْبَرى تَرْنامُهـا يتصـدَّعُ
فلا كبِدى تهْدَا ولا الشوقُ مُقْصِرٌ … ولا لَوْعتِى تخْبو ولا العينُ تهجَعُ (٢)
وقد رحَلُوا عن أيْمنِ الجِزْعِ غُدْوةً … فلم يبْـق فى قُربِ التَّزاوُرِ مطْمعُ

* * *

وأنشدنى أيضاً (٣) من لفظه (٣) لنفسه قولَه (٤) :

ومُعطَّفِ الأصْداغِ يخْلِس النهى … أبْدَى التَّشاغُلَ عن مُحِبٍّ وَالِهِ
يُبْدِى تلفُّتَ شـادِنٍ ويُدِيرُ لَحْـ … ظَىْ جُؤْذَرٍ والبـدرُ جزءُ جمـالِهِ
تِمْثالُ شـكلِ الحسنِ لابل إنّما … الحسنُ مطبـوعٌ على تِمْثالِهِ (٥)

* * *

وكنت أنشدته قولى (٦) :

ولمَّا أدار الشمسَ بدرٌ لأنْجُمٍ … بأفْقِ الهنا بين الهلالَيْن فى الغَسَقْ (٧)
عجِبْتُ له يُبْدِى لنا البدرَ طالعاً … وما غاب عنّا بَعْدُ فى جِيدِه الشَّفَقْ

---

(١) فى ا ، وسلك الدرر : « يصدعها الجوى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى الأصول ، وسلك الدرر : « فلا كبدى تهدى » . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) الأبيات فى سلك الدرر ١/ ١٣٠ . (٥) فى سلك الدرر : « دا الحسن مطبوع » . (٦) نقل هذا المرادى ، فى سلك الدرر ١/ ١٣٠ . (٧) فى ج : « ولما أدار الشمس بدرا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر .

فنظم هذا المعنى ، وأنشدنيه من لفظه [١] :

وساقٍ مُيودِ القَدِّ أحورَ أوْطفٍ   إذا لم يُمِتْ بالصدِّ يقتلْ بالَحدَقْ [٢]

يُريِنا بأُفْقِ الكأسِ شمساً توسّطتْ   هلالَيْن يمحو نورُها آيةَ الغسَقْ

ومدّ همْ يحْسُوها ترفَّع جِيدُه   فبَان لنا صبحٌ وما غَرب الشّفَقْ

***

وكتبت إليه أستدْعيه إلى روض [٣] :

طلع علينا [٤] هذا اليوم [٤] فى نَضارته ، يكاد صَحْوُه يمطر من غَضارته .

فلقِينا [٥] زهْرَه ، ونظَمنا نَثْره [٦] .

فى روضٍ وشْيَ بخُسْرَوانِيّ [٧] الدّيباج ، وغنّىَ بما يرْبو على أصْناف الجواهر فى الابْتهاج

فمن نَوْرٍ مُدَرْهَمُه بهيج ، وزهْرٍ مدنَّرِه [٨] رَهيج .

يُضاحِك دُرّه مُرجانَه ، ويعبَق بصائك [٩] المسك أرْدانُه .

والنَّسيم فيه اعْتلال [١٠] انْتعاش ، إذا مارقد المخمورُ فيه أفاق .

والروضُ رَطْبُ الثَّرى طيِّب [١١] المَقِيل ، وليس فيه غيرُ رِدْفِ الساقى ثقيل .

ولم [١٢] نعدَم نَدامَى بألْفاظٍ عِذَاب ، كأنها قَنْد [١٣] مُذاب .

---

(١) الأبيات أيضا فى سلك الدرر ١/١٣٠ . (٢) فى ب ، ج : « أوطف أحور » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٣) نقل هذا الفصل المرادى ، فى سلك الدرر ١/١٣١ .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٥) فى ب : « فألقينا » ، وسبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ب ، ج : « نهره » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٧) الخسروانى : نوع من الثياب . انظر القاموس (خ س ر) .

(٨) فى ب ، ج : « مدنّره » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٩) يعنى بصائك المسك ما هاج من ريحه ، وهو استعمال ردئ لأنه يقال : صئك الرجل ، إذا عرق فهاجت منه ريح منتنة .
انظر اللسان (ص أ ك) ١٠/٤٥٥ .

(١٠) فى ب : « إعلال » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (١١) فى ا : « رطيب » ، وفى سلك الدرر : « رطب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (١٢) فى ب ، ج : « ولن » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (١٣) القند : عسل قصب السكر إذا جد . القاموس (ق ن د) .

معرقتُهم بأغصان القُدود ، وتُفّاح الخدود .

لا بالنصول الحِداد ، والقِسِيّ الشِّداد .

ولَدَيْهم من الفُكاهة ، ولُطْف البَداهة .

ما إذا جُلِيَ فما الرّاح والتُّفاح ، وما رَيْحان الأصْداغ إذا فاح .

وإن شاءوا ألحقوها بحِكَمٍ مَتْلُوَّة ، وأخبارٍ فى صحف الإحسان مَجْلُوَّة .

وعندنا لَحْنٌ يُشِير الشَّجَن ، ويبعث من الشوقِ ما أجَنّ .

وحبيبٌ[1] قرُب من عهد العِقال خَدُّه ، فلم يخفَ رَيْحانُه ولم يَذْوِ[2] وردُه .

يزِلُّ عن خدِّه الذَّرُّ فلا يَعْلَق ، ويمشى عليه النملُ فيَزْلَق .

وقد تمنّيْنا فلم نجِدْ غيرَك أمنيَّة ، ولا مثلَ آدابك غَضَّة جَنِيَّة .

وعلمنا أنه ليس للأُنْس مع غَيْبك[3] بهجة ، ولا للعيش[4] دون لِقاك[4] مُهْجَة .

فبالله إلاّ ما أنْجَحْتَ الأوطار ، وفتحتَ بِهذا كرِنك عن جَوْنة العطّار[5] .

وإلك الثَّناء الذى يَتجمّل به الدهر ، وينفَتِق ريّاه عن الروضِ فاح فيـه أريجُ[6] الزَّهْر .

***

---

(١) فى الأصول : « وحبـايب » ، والمثبت فى سالك الدرر . (٢) فى ب ، وسلك الدرر : « يذبل » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٣) فى سالك الدرر : « غيبتك » . (٤) فى ب ، ج : « دونك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٥) فى ا : « عطار » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسلك الدرر ، وهو يشير إلى لقب المترجم .

(٦) فى سلك الدرر : « أرج » .

٤٩

السيد سليمان، المعروف بالحَمَوِىّ الكاتب *

حِرفته الدَّواة والقلم، ولديه فى البراعة تُلقَى أعنّة السَّلَم.

وله طبع سبكتْ تِبْرَهُ الأيام، وصقلتْ حديدَ ذهنِه من صدإ الأوهام.

بوجهٍ فيه الفلاح يُتوسَّم، كأنه دُرٌّ يُوقِده ثغرٌ يبتسم.

* * *

وقد أوقفنى من شعره على مُنَح غضَّةِ الشُّفُوف، فجرَّدتُ منها كلَّ بيتٍ كأنَّ الحسنَ عليه موقوف.

فمن ذلك قوله فى الغزل [1]:

قُم يانديمى نُبَاكِرِ القَدَحا … أمَا ترى الصبح زَنْدَه قَدَحا

وَالجوُّ صافِى الأديم من كَدَرٍ … صَفْوَ امْرِئٍ فى وِدادِه نَصَحا

وقام من فوق أيْكَةٍ غَرِدٌ … يُذَكِّرنا بالصَّبُوح إذ صَدَحا

وقد أهاجتْ لنا الصَّبا شَجَناً … بنَشْرِها العَنْبرِىِّ إذ نَفَحا

(*) السيد سليمان بن نور الله بن عبد اللطيف الحموى، ثم الدمشقى، المعروف بالسوارى.

أديب ماهر، شاعر كاتب.

قدم إلى دمشق، فنزل بها عند نقيب الأشراف السيد محمد العجلانى، ثم عند أخيه السيد حمزة العجلانى النقيب من بعده، وعند ولده السيد حسن، وكان من أخصائهم ومداحيهم، وأكثر قصائده فى مدحهم، كما كان كاتبهم أيضا.

حظى عند هؤلاء الأشراف، فقاموا بلوازمه ومعاشه إلى أن توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

سلك الدرر ٢/١٩٧ ـ ١٨٢، وقد اطلع المرادى على ديوانه، واختار منه شيئا كثيرا، كما نقل صدر ترجمة المحبى له عن النفحة.

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٢/١٧٢، ١٧٣.

فحركتْ ساكنَ الفؤاد وما ... أثارَه الوجدُ فيه والبُرَحا [1]

والدهرُ أبدى الرِّضا وجادَ لنا ... بفرصةٍ والرقيبُ قد نزحا

فانهض لنقضِيَ من الصِّبا وطراً ... في غفلةِ اللائمين والنُّصحا

وعاطِني قرقفاً معتَّقةً ... صهباءَ تنفي الهمومَ والترَحا [2]

من كفِّ ظبيٍ كأنما غفلتْ ... أعينُ رضوانَ عنه مذ سرَحا

أحورُ أحوَى أغنُّ ذو هيَفٍ ... فداؤه كلُّ مَن عليه لَحَى

قد أبدع اللهُ خلقَه فأتى ... مُتزراً بالجمال مُتَّشِحا

رقَّتْ حواشي طباعِه فحكتْ ... رقَّةَ ألفاظ مَن حوى المُلَحا [3]

* * *

ومنه ما [4]بعث به[4] إليَّ في غرضٍ له [5]:

أنعِمْ صباحاً سيِّدي ... ياذا العلى والسُّؤددِ

ياابنَ الموالي الأكرمِيـ ... ـنَ فداك كلُّ مُسوَّدِ

يا ماجداً وطئ السُّها ... واحتلَّ فرقَ الفرقدِ [6]

بفضائلٍ ومآثرٍ ... ومفاخرٍ لم تُجحَدِ

وشواردٍ كعقودِ دُرٍّ ... فُصِّلتْ بزبرجدِ

فاقتْ برونقِها نظا ... مَ البُحتريِّ وأحمدِ [7]

وبديعِ نثرٍ قد حكَى ... ديباجةَ الروضِ النَّدِي

(١) في ب : « فا * أساه الوجد » ، وفي سالك الدرر : « أسره الوجد » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي الأخيرة : « أساره الوجد » .

(٢) في ا : « تنفي الهموم والبرحا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسالك الدرر . (٣) سقط هذا البيت من : سلك الدرر . وفي ا : « رقة ألفاظه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ب ، ج : « بعثه » ، والمثبت في : ا . (٥) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٦) في ب ، ج : « واحتل فوق الفرقد » ، والمثبت في : ا .

(٧) يعني بأحمد أبا الطيب المتنبي .

نابَتْ له حَبُّ القُلو ... بِ عن المِدادِ الأسودِ
ياأيها المولى الأمـيـ ... ـنُ ونجلُ أكرمِ أمجدِ
أنت الذى يُرجَى لد ... فْعِ خُطوبِ دهرٍ مُعتدِ
العبدُ قد عبثَتْ به ... أيدِى الزمانِ الأنكدِ[1]
وحوادثٌ ضيَّقنَ فى ... عينيه رَحْبَ الفَدْفَدِ[2]
والصبرُ ليس بممكنٍ ... والحظُّ ليس بمسْعِدِ
مولاىَ هل من عَطفةٍ ... ممزوجةٍ بتوددِ
أو نظرةٍ تدنِى الفقيـ ... ـرَ من الجنابِ الأسعدِ
تاللهِ لم أقصِدْ سِوا ... كَ وهل سِواكَ بمقصِدِ
فبِحُرمةِ الآدابِ كُنْ ... من جَوْرِ دهرى مُسْعِدِى
لازلتَ مقصوداً على ... رَغْمِ الحسودِ الأنكدِ[3]

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه قوله :

ياأيها الملِكُ الباهى بطلْعتهِ ... ومَن لعهدِ ودادِى فى الهوى نَبذَا
أفسدتَ قلبيَ لمَّا أن نزلتَ به ... فقال لِى هكذا إنَّ الملوكَ إذَا[4]

وهذا فيه الاقتباس[5] مع الاكتفاء[6] .

(١) فى ا : « فالعبد قد عبثت به » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) الفدفد : الفلاة .

(٣) رواية عجز البيت فى : ب ، ج :

* رَغْمِ العِدَى والحُسَّدِ *

والمثبت فى : ا .

(٤) فى ب ، ج : « فقال لى هكذا دأب الملوك إذا » ، والمثبت فى : ا .   (٥) يعنى أنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ . سورة النمل ٣٤ .

(٦) انظر بحثا عن الاكتفاء ، فى الأصل ، أعنى ريحانة الألبا ٢/١٠٧ – ١١٣ .

ولبعض المتقدِّمين عن عصرِنا :

مَلِيكةَ الُحسْن جُودِى باللِّقا كَرَمًا   لمُغْرَمٍ قلبه قد ذاب فيــــك إذَا
أفسدتِ قلبي فقالتْ تلك عادتُنــــا   قد قال سبحانَه إنَّ المـــلوكَ إذَا

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، قولَه من قصيدة ، مطلعها [١] :

قد نبَّهتْنا صَــوادِحُ القُمْرِى   لَمَّا تَراءتْ طَـــلائعُ الفجرِ
وفاح من نَسْمة الصَّبــا عَبِقٌ   يفُوق رَيَّاه عَنْـبَرَ الشَّحْرِ [٢]
والروضُ يختـــال فى مُصبَّغَةٍ   تجُرُّ أذْيالَهـــا على النَّهْرِ [٣]
وسَرْوُه كالقِيـــانِ إذ خطَرتْ   لرَقْصِها فى مـــآزِرٍ خُضْرِ

* * *

هذا مسبوق إليه فى قول ابن طاهرٍ [٤] الخبَّاز :

والسَّروُ فيهـا كَعذَارَى عدتْ   تَرْقُص فى أرْدِيةٍ خُضْرِ [٥]

* * *

والطَّلُّ فى أعيُن الزهورِ حـــكى   أدْمُـــعَ صَبٍّ أحَسَّ بالشرِّ
والجوُّ قد راق والُمدامة قــــد   رقَّت كطَبعِ النديمِ أوشِعْرِى [٦]
ودار مـــن فوق وجهِها حَبَبٌ   يُخجِل مَـرْآه ناصِعَ الدُّرِّ [٧]
فانهَضْ فدَتْك النفـــوسُ مُبتكِراً   وهاتِها قبــــل ضَيْعةِ العُمْرِ

---

(١) الأبيات فى سالك الدرر ٢/١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) تقدم ذكر العنبر الشحرى ، فى صفحة ٤٥٦ .   (٣) فى سالك الدرر : « يجر أذيالها » .

(٤) فى سالك الدرر : « ابن طاهر » .   (٥) فى ب ، ج : « للرقص فى أردية خضر » ، والمثبت فى : ا ، وسالك الدرر ، وقد ذكر المرادى معارضات لهذا البيت فى سالك الدرر ٢/١٧٦ .

(٦) فى سالك الدرر : « كطبع النديم والشعر » .   (٧) لم يذكر المرادى هذا البيت، فى سالك الدرر .

شَهْبَاءُ تَنْفِي هُمُومَ ذِي تَرَحٍ ... إِنْ بَرَزَتْ كَالعَرُوسِ مِنْ خِدْرِ (١)

طَيِّبَةَ النَّشْرِ في الكُؤُوسِ وهل ... بعد عَرُوسٍ يكونُ من عِطْرِ

يُدِيرُهَا أَهْيَفُ القَوَامِ رَشًا ... مُخْتَصَرٌ خَصْرٌ بَسِيمُ الثَّغْرِ (٢)

ساقٍ صَبِيحٌ أَغَرُّ مُقْلَتُهُ ... قد عَرَفَتْ بِدَائِعَ السِّحْرِ

يَسْقِي قَلِيلَ المُدَامِ عن ثِقَةٍ ... منه بِمَا في جُفُونِهِ من خَمْرِ (٣)

* * *

وأنشدته يومًا قولى :

بُرُوحِيَ مَنْ وَجْهُهُ آيَةٌ ... تدل على خَلْقِهِ المُتْقَنِ

أُحاوِلُ في صُدْغِهِ خَطَّهُ ... فتمنعني رحمةُ الأَعْيُنِ

فأنشدنى فى معارضته بديهًا :

كلما رُمْتُ نَظْرَةً والتماحًا ... لِعِذَارٍ على خُدُودٍ أَدَارَهْ

لم يَجِدْ نَاظِرِي إليهِ طريقًا ... لازْدِحَامِ اللَّوَاحِظِ النَّظَّارَهْ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه (٤) :

لا تَحْسَبُوا أَنَّ رَيْحَانَ العِذَارِ بَدَا ... بِوَجْنَةٍ صَاغَهَا الرَّحْمَنُ وابْتَدَعَا (٥)

---

(١) فى ج : « إن أبرزت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسلك الدرر . وفى ب : « كالعروس فى الخدر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر.

(٢) ورد هذا البيت فى سلك الدرر هكذا :

يديرها أَهْيَفُ القَوَامِ رَشًا ... فاقَ مُحَيَّاهُ طَلْعَةَ

وجاء بعده :

أَحْوَرُ أَحْوَى مُهَفْهَفٌ تَرِفٌ ... مختصرُ الخَصْرِ باسِمُ الثَّغْرِ

و تنتهى بهذا ، أورده المرادى من القصيدة .

(٣) فى ب : « بما فى الجفون من سحر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) البيتان فى سلك الدرر ٢/١٧٨ . (٥) فى سلك الدرر : « لا تعجبوا أن ... فى وجنة ... » .

وإنّما طَوْقه السَّمُّورُ قابَلَهـــا فشَكْلُه فى حواشِيها قد انْطَبعا[1]

مثله للشِّهاب الخفاجِىّ[2]:

وظبىٍ من السَّمُّورِ أُلبِس فَرْوَةً ومال كما هزّت صَبَا سُحْرةٍ سَرْوَا

وإلا عيونُ الناسِ من دَهْشةٍ به تُخايلُ أهْدابًا فتحسَبُه فَرْوَا[3]

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه[4]:

نَبِّه الصَّحْبَ لارْتِشافِ سُلافِ وأدِرْها بين النَّدامَى الظِّرافِ

وامْسَحِ الطَّرْفَ من فُتورِ نُعاسٍ بذُيول الصَّبا الرِّقاقِ اللِّطافِ

يافَدَتْكَ النفوسُ دَاوِ بصِرْفِ الرَّ احِ رُوحًا تعرَّضتْ للتَّلافِ

واسْقِنيها من كفِّ ظبىٍ غَرِيرٍ لَيِّنِ الْمُنْتَوَى قليلِ الخِـــلافِ

مُخْطَفِ الخَصْرِ يختفى البَنْدُ منه بين طَىِّ الأعْكانِ والأرْدافِ[5]

فى رياضٍ حُفَّتْ بسَرْوٍ نضيرٍ كجوارٍ مَيّـالةِ الأعْطـافِ[6]

باكَرَتْها غُرُّ السحـابِ بصَوْبٍ دائمِ السَّحِّ هاطِلٍ مِدْرافِ[7]

---

(١) السمور : دابة يتخذ من جلدها فراء مثمنة . القاموس (س م ر) . (٢) البيتان فى ريحانة الألبا ١/٤١٨ ، سلافة العصر ٤٢٥ ، سلك الدرر ٢/١٧٨ . (٣) فى ريحانة الألبا « كأن عيون الناس» ، والمثبت فى الأصول ، وبعض نسخ الريحانة ، وسلافة العصر ، وسلك الدرر ، وفى ب : « قد دهشت به» ، والمثبت فى ا ، ج ، وريحانة الألبا ، وسلافة العصر ، وسلك الدرر . وفى ريحانة الألبا ، وسلافة العصر:

* تخالف أهْدابًا فتحسَبها فَرْوا *

والمثبت فى الأصول ، وسلك الدرر .

(٤) القصيدة فى سلك الدرر ٢/١٧٥ ، ١٧٦ .

(٥) فى ا : « يختفى البند فيه » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسلك الدرر .

(٦) فى سلك الدرر : « بسور لطيف » . (٧) فى ب : « دائم السفح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وبعد هذا البيت فى سلك الدرر :

فَغَدتْ ذاتَ بهجةٍ كجِنانٍ حاوياتٍ محاسنَ الأوصافِ

خدمتْ زُهْرُها النجومَ فأبْدَتْ　　　شكْلَها فى غديرِها الشفّافِ (١)

***

وقرأتُ له يوماً الدِّيباجة التى عملتُها لديوان شعرى ، ومنها قولى فى معرض غزَل : كأنّ خالَه بين الحاجبيْن (٢) ، هنديٌّ يلعب بسيفيْن ، أو جارحٌ يختطف الجوارح بجناحيْن .
فأعجبه ماقلته وراقه ، وألقَى عليه أرْواقَه (٣) ، وجاءنى بعد أيام وقد نظم هــذا فى مقْطوع ، وأنشدنيه ، وهو :

كأنما الخالُ بين الحاجبيْن فتًى　　　يَرْمِى بقوسيْن أو يسْطُو بسيْفَيْنِ
أوطائرٌ جارحٌ أهْوَى على شرَف　　　ليخطِفَ القلبَ منّى بالجناحيْنِ (٤)

* * *

ونظمتُ (٥) وأنا بالقاهرة قصيدة ، وصفْتُ بها برْكة الأزْبكيّة (٦) ، وتخلّصت إلى مدح برْكة حظِّها الأستاذ زين العابدين (٧) ، لا برِح المجدُ ينطِق بلسانِه ، والجود يشْكُر (٨) مواردَ إحْسانِه .
فلما وصلْتُ إلى دمشق ، وقف عليها المترجَم ، فكتب إلىّ قصيدة على وزْنها ورَوِيّها ، وصدّرها بإنشاء من نَسْجِ (٩) قلمِه [illegible]

(١) صدر هذا البيت فى سالك الدرر :

* ناظرتْ زهرها النجوم فأبْدَتْ *

(٢) فى ب : « حاجبيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٣) فى ب : « أورانه » ، والمثبت فى : ا ، ج
(٤) فى ا : « أهوى على فرق » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٥) بعد هذا فى ب زيادة : « إليه » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٦) الأزبكيــة : نسبة إلى الأمير أزبك الخــازندار ، وقد أنشأ هذه البركة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة .
الخطط التوفيقية ٣ / ٦٦ ، ٦٧ .
وقد فصل على مبارك الحديث عنها ، نقلا عن المقريزى ، وابن إياس ، وخطط ابن أبى السرور البكرى ، ثم ذكر حالها فى أيام نظارته لديوان الأشغال ، فى عهد الخديوى إسماعيل .
وساق كل هذا ضمن حديثه عن شارع محمد على .
(٧) تقدم ذكره فى صفحة ١٥ ، وجاء فى ب قبل قوله : « لا برح » زيادة : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٨) ساقطة من : ا ، وفى ج : « يسلك » ، والمثبت فى : ب
(٩) فى ا : « نسيج » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وأمّا قصيدتى ، فهذه [١] :

يا حبَّـــذا خُضْرُ الخمـــا   ئلِ فى رياضِ الأزبكيَّــهْ
وخفـــوقُ أرديةِ النَّسيـ   ـمِ سَرَى ببقعتِهـا النَّدِيَّهْ
أرضٌ تكنَّفَها الحـــدا   ئقُ والرياضُ الأريَضِيَّهْ
وتعطَّـــرتْ أرجاؤها   بالرائحاتِ المَنْدَلِيَّــهْ [٢]
فَوَّاحـــةً بشَـذا العَبيـ   ـرِ وعابقـــاتٌ عَنْبَرِيَّهْ
وترنَّمتْ أطيـــارُها   سَحَرًا بأصوات شجِيَّــهْ
وإذا تأمَّلْتَ القصـــو   رَ بها عَرَفْتَ بها المَزِيَّهْ [٣]
ومُنِحْتَ ما تختـــارُ من   طُرَفِ المُراداتِ البَهِيَّهْ [٤]
ومُنِيتَ ما تهْواه مـــن   تلك الوجوهِ الأصْبَحِيَّــهْ
وتمـــايلتْ شـوقًا اطْـ   ـمِتك القـــدودُ السَّمْهَرِيَّهْ
وقصرْتَ كلَّ [هوًى على]   خَصْرِ الخصورِ الخاتميَّــهْ
وخلصتَ من شَبَكِ العيو   نِ وأنت ياقلبي الرَّميَّــهْ
مـــن كلِّ مَرْهوبِ الشَّبا   فى لحظِه رُسُلُ المَنِيَّــهْ [٥]
وإذا أشـار مُلاطِفـــاً   وَيْلاهُ من تلك البليَّـــهْ
يدعـو النفوس إلى التَّلا   فِ وليس يدرى ما القضيَّهْ
وعلى تَلَفُّتِ جِيـــدِه   كم حار مُرْتادُ التَّقِيَّــهْ
وتَصَيُّبـــه فى الحسن حيْـ   ـثُ الشمسُ غُرَّتُه المُضِيَّهْ [٦]

---

(١) نقل على مبارك فى الخطط التوفيقية ٣/١٢٥ البيت الأول والبيتين العشرين والحادى والعشرين ، عن رحلة لعبد الغنى النابلسى مجهولة العنوان .

(٢) المندل : العود أو أجوده . القاموس (ن د ل) . (٣) فى ب ، ح : « عرفت لها مزيه » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ب : « ما تختاره * طرف . . . » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٥) سقط هذا البيت والذى يليه من : ب ، وهما فى : ا ، ح .

(٦) فى ب : « وتصبيه فى الحسن » ، والمثبت فى : ا ، ح .

فاختَرْ هنالك مَرْبَعاً ... تُكْفَى به كلَّ البليَّهْ
وتقيمُ موفورَ المُنَى ... وتحُفُّكَ المِنَنُ الخفيَّهْ
فى ظلِّ زينِ العابديـ ... ـنَ الشَّهمِ أستاذِ البريَّهْ
مَولًى أناخَ المجدُ فى ... أعقابِه البيضِ النَّقيَّهْ (١)
وتشرَّفتْ بجنابِه ... شَرَفَ القرومِ المَوْلَويَّهْ (٢)
فالفضلُ فضلُ فتًى له الْـ ... إنعامُ والحسنَى سجيَّهْ (٣)
والفخرُ شِنْشِنَةٌ له ... ولقد أراها أخزَميَّهْ (٤)
والحلمُ وصفٌ قصَّرتْ ... عنه السَّجايا الأحنفيَّهْ
والجودُ كلُّ الجودِ فى ... شِيَمٍ غَدَتْه حاتميَّهْ
ضاهَى بمقعدِه السُّها ... فغدتْ منازلُه العليَّهْ
وجرى القضاءُ بوَفْقِ ما ... يرجُوه من خُسنِ الطَّوِيَّهْ
مولاىَ حيَّى اللهُ وجْـ ... ـهَك بالتحياتِ الزكيَّهْ
ورعاك مادام الدوا ... مُ بعيشةِ العمرِ الهنيَّهْ
أنا من عرفتَ بأنه ... منسوبُ سُدَّتك السنيَّهْ
وإليك لى حقٌّ أتيـ ... ـتُ فأجْزِ حقَّ المَلَكيَّهْ (٥)
وأقِلْ عثارى إن سقطْـ ... ـتُ لضعفِ حالى فى الهَوِيَّهْ (٦)

---

(١) فى ا : « البيض النبيه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخطط التوفيقية ٣ / ١٢٥ . (٢) فى ب : « شرف القروف » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب ، ج : « والحسى شجيه » ، والمثبت فى : ا .

(٤) يشير إلى قولهم فى المثل : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، والشنشنة : الداهية والعادة ، وهو مثل يضرب فى قرب الشبه .

انظر مجمع الأمثال ١ / ٢٤٤ .

(٥) فى ا : « أوليك لى حق » ، وفى ب : « وإليك لى حق انتهى » ، والمثبت فى : ج .

(٦) الهوية : البئر البعيدة القعر .

فأنا الذى خطّيتُ رَحْـ   لِى فى حِماكَ حِمَى الحَمِيَّهْ [1]

وأرَحْتُ من تعبِ الحيا   ةِ هناكَ جسمى والمَطِيَّهْ

مالى بَراحٌ ما برحْـــ   ـتُ وكان فى عمرى بقيّهْ

ما السكنُ فى دارى لا ولا   أرضِ القِلاعِ الأعجميّهْ

كلّا ولا لى ماحَييـ   ـتُ بجِلّقٍ والرومِ نيّهْ

إلا جِوارُكَ مُنيتى   حيث الهِباتُ الأريحيّهْ

حيث الأحاديث الكرا   مُ ذَوُو الفُكاهاتِ الجَنيّهْ [2]

من كلِّ وَضّاحِ الصَّبيـ   ـحةِ وهْو بَسّامُ العشيّهْ

لازلتَ تَخدمك الأفا   ضلُ والسَّراةُ الألْوَذعيّهْ

والأيكها   مختارة   من جِلّقِ الشامِ الزّهيّهْ

غَنّاء حاليـــــة المقا   دِ بالعقودِ الجوهريّهْ

غُذّيَتْ أوقاتَ نسيمها   بنسيمِ سفْحِ الصالحيّهْ [3]

وتروّحتْ بالشيحِ والـ   ـقَيْصومِ من تُربٍ زكيّهْ [4]

وكَسا معاطفَها الدلا   لُ حُلَى الجمالِ السُّنْدُسيّهْ [5]

تولِيكَ من طُرَفِ القو   لِ نفائسَ الدُّرِّ السنيّهْ

ونَبُثُّ مَدْحَكَ فى الورى   بصفاتِكَ الغُرِّ الرضيّهْ

فاعْمُرْ بها وتَهنّهـــــا   من خالِصِ الطُّرَفِ الطَّريّهْ

---

(١) «خطيت» هكذا على طريقة المؤلف فى «عنت». (٢) فى ب، ج: «ذوو الفكاهات الخفية»، والمثبت فى: ا. (٣) فى ا: «بنسيم سفح الصالحية»، والمثبت فى: ب، ج.
وتقدم التعريف بالصالحية، فى صفحة ٧٢.

(٤) فى ب: «من ترب ذكيه»، والمثبت فى: ا، ج.
والقيصوم: نبت. انظر القاموس (ق ص م).

(٥) فى ب: «على الجمال السندسية»، والمثبت فى: ا، ج.

وَبَقِيتَ ما بَقِيَ البَقا ءُ وأنت ميزانُ البريَّهْ
تَحْبُوكَ فى أمرِ المُنى أَلطافُ مولاكَ الخفيَّهْ [١]

* * *

وهذا ما كتبه إلىَّ من إنشائه، ويتلوه قصيدته :

إن أشرفَ ما نمَّقه قلم، وأتحفَ ما نَمْنَمه رقم .

وأبهجَ ما تزيَّن به طِرْس، وأبدعَ ما جرى به نِقْس [٢] .

سلامٌ أضوعُ من شَميمِ الكِبَا [٣]، وألطفُ من نسيمِ الصَّبا.

وأعطرُ من أرَجِ أزهارِ الرياض، وأسحر من تغازُلِ الأجفانِ المِراض .

وأثنيةٌ لا تُحْصَى عددُها، وأدعيةٌ لا ينقطعُ مَددُها.

أُهدِى [٤] ذلك إلى جناب [٤] من لا أُسمِّيه : لجلالته، ولا أُكَنِّيه : وقدرُه المُعتلى عن ذلك يُغنيه .

حرس الله ذاته العليَّة، وجمَّل الوجودَ بصفاته السنيَّة .

وبعد، فإنْ تفضَّل المولى بالسؤال، عن كيفيَّة الحال .

فالعبد لله الحمد ذِى المِنَن الوافية، فى بُحْبُوحَة الصحة والعافية .

غير أن الشوق، شَبَّ عَمْرُه عن الطَّوق [٥] .

يسَّر الله الاجتماعَ بكم إنه وَلِىُّ التيسير، ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [٦] .

والذى يعرِضه هذا الدَّاعى، أن المولى من [٧] حين أشرَق فى فلَك مصر بدرُه

---

(١) ى ا : «ألطاف مولانا الخفية»، والمثبت ى: ب، ج . (٢) النقس: المداد . (٣) الكباء: عود البخور، أو ضرب منه . القاموس (ك ب و) . (٤) ى ب : «لجناب»، وى ج : «ذلك لجناب»، والمثبت ى : ا . (٥) أخذ هذا من قولهم : شب عمرو عن الطوق . وعمرو هو عمرو بن عدى، والمثل يضرب فى تزين الكبير بزينة الصغير .
انظر فى تفسيره جمهرة الأمثال ٢/١٤ .

(٦) سورة الشورى ٢٩ . (٧) ساقط من : ب، وهو ى : ا، ج .

الكامل ، وغاب عن أُفُق شامِنا [1] الذى هو للمحاسِن شامِل .

لم يزَل العبدُ لأيّامِ الدَّيْن مُكابِدَ القلق [2] والضَّجَر ، مُتطلِّعًا لأخبارِكم السارّة حتى ظفر منها بأبلغ أثَر .

وذلك قصيدتُكم الرّائقة فى الحُلَل البهيّة ، المتضمّنة لمدح الأستاذ ووصف بِرْكة الأزبكيّة .

التى سعد [3] لبلاغةِ نِظامِها مَن هو أبلغُ من لَبيد [4] ، والفريدة التى كلُّ بيت منها بألف قصيد .

لابرِحتْ جواهرُ ألفاظ مولانا قلائدَ لذَوِى [5] التحقيق ، وعرائسُ [6] أبكار أفكارِه [6] مُحلّاة بمدائح آلِ [7] الصّدّيق .

فعند ذلك توسّلتُ إلى الله تعالى بسيّد الكونَيْن ، أنه كما سرّنى برؤيةِ الأثَر أن يُقِرَّ الأعيُنَ [8] بالعَيْن .

وتصدّيتُ لعَرْض أشواقى التى حجبتْ عن حَدّ [9] الحصر ، بأن أعارِضها بقصيدة أُهْدِيها لأوْحدِ العصر .

لتكون لأثَر الشوقِ قافِية ، فأشبهتْها ولكن وَزْنًا وقافية .

ومن يَقوَى لمُعارضةِ البحر الكامل ، وأين الثُّرَيّا من يدِ المتناوِل .

وهاهى واصلةٌ إليك ، [10] وقادمةٌ عليك [10] .

وصَلَ اللهُ لك أسْبابَ نتائج الأمل ، مُنامعة باحتمالِها ، تعثُر فى ذيلِها من الخجَل .

---

(١) فى ب : « شمنا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا بعد هذا زيادة : « والصبر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « سجدت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) يعنى البحترى ، الوليد بن عبادة . (٥) فى ب : « لأهل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ا : « أبكاره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٨) فى ب : « العين » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٩) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(١٠) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

فتلقَّها بالبِشر والقَبول ، وأنزِلها منك بأحسن مَنْزُول [1] .

وأسْبِلْ عليهـا من خُلَلِ إحسانِك سِتْرا ، لأنك من أهـلِ البيت وصاحبُ البيت أدْرَى .

والقصيدة هى [2] هذه :

أسَقِيطُ طَـــلٍّ جالَ فى   زَهْـرِ الرياضِ السُّنْدسِيَّهْ

أم ثغرُ وَضَّاحِ المَبـــا   سِمِ ذِى الثَّنَايا اللُّؤلُؤِيَّهْ

أم وَحْىُ حَـــوْراءِ اللَّوا   حِظ أم عقــودٌ جوهرِيَّهْ

أم نَسْمـــةٌ سَحَــرِيَّةٌ   نفحَتْ فجاءتْ عَنْبَرِيَّهْ [3]

أم روضــةٌ غَنَّـــاءُ يا   نِعَةُ أزاهِرُها زَهِيَّـهْ [4]

أم ذاكَ نَفْثُ السِّحْـــ ـرِ من   مولاىَ أرسَـــلَه هـديَّهْ

أعنى الأمـــينَ أمينَ [illegible]   الفضلِ بَسَّامَ العشيَّـهْ

حاوِى الفصــاحةِ والبلا   غةِ والصفـاتِ الألْمَعِيَّـهْ

ســـاد الورَى [illegible]   عنوانُها النفسُ الزَّكيَّـهْ

فَرْعٌ زَكِيٌّ أصــــلُه   خـــيرُ الخلائق والبريَّهْ

يامُجلِياً بِكْرَ المعـــــا   نِى الغُـرِّ بالكَلِمِ الجَلِيَّـهْ

للهِ دَرُّ عَقِيـــــلَه   ألبَسْتَها الحُلَلَ السنيَّـــهْ

وبعثتَهـــا تَزْوِى أحا   ديثَ الكرامِ الأرْيَحيَّهْ [5]

مَن ذا يُساجِلُك النِّظـــا   مَ وأنت سَحَّاحُ السجيَّـهْ

---

(١) ى ب : « نزول » ، والمثبت فى : ا ، ج.   (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ج : « أم نسمة سحرية » ، والمثبت فى : ا ، ب . وتقـدم ذكر العنبر الشحرى ، فى صفحة ٤٥٦ ، وفى ا : « فـكانت عنبرية » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : « أزاهرها طريه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « أحا * ديث الكرام الأزبكية » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أدبٌ كأزهـــارِ الرُّبَى … سُقِيَتْ بأخلاقٍ رَوِيَّهْ [1]

وشواردٌ سارتْ بها الرُّ … كبانُ للمُدْنِ القَصِيَّــهْ

غُرَرٌ كأنَّ رَوِيَّهــــا … دُرُّ الثُّغورِ الألْمَسِيَّــهْ [2]

كادتْ لِرِقَّتِهـــا تُحِيـ … لُ فتَرْتَوِي كَبِدٌ صَدِيَّهْ [3]

ياسيِّـــدًا كم راضَ لى … فى النَّظْمِ قافيةً عَصِيَّــهْ

ياأوْحَـــدَ العصرِ الذى … حازَ الهِباتِ الحاتِمِيَّــهْ [4]

أوَما كفى بفِـــراقِ طَلْ … عتِكَ البَهِيَّةِ لى بَلِيَّـــهْ

حتى نَسِيتَ عهـــودَ وُدْ … دِى بعدَ إخلاصِ الطَّوِيَّهْ

ثم انثنيتَ فهِجْتَ لى … شَجَنًا بذكرِ الأزبكيَّــهْ

وسَـــلَوْتَ عن وادى دِمَشْ … قَ وماحَوى والصَّالِحِيَّهْ [5]

ذاتِ المَنارةِ والجَـــوْ … سَقِ والرِّياضِ الأرْيَضِيَّهْ [6]

والنَّيْرَبَيْنِ [illegible] … نِ بها وغُوطَتِها البَهِيَّهْ [7]

والسَّبعـةِ الأنهـــارِ تَجْـ … رِى فى البقاعِ الأقْدَسِيَّهْ [8]

والوُرْقِ يُبْدِى خُطْبِهـــا … بالجُنْكِ أصواتًا شَجِيَّهْ [9]

وعليلِ مِسْكِىِّ الصَّبـــا … يَهْفُو بأنفاسٍ نَدِيَّهْ [10]

---

(١) فى ب: « بأخلاق رضيه » ، والمثبت فى: ا ، ح . (٢) اللعس ، بالتحريك: سواد مستحسن فى الشفة .

(٣) صدية: من الصدى ، وهو العطش .

(٤) فى ا: « يا واحد العصر الذى » ، والمثبت فى: ب ، ح .

(٥) تقدم التعريف بالصالحية ، فى صفحة ٧٢ . (٦) الجوسق: القصر . (٧) تقدم التعريف بالنيربين ، فى صفحة ٧٣ ، كما تقدم ذكر الغوطة ، فى صفحة ٧٢ .

(٨) الأنهار السبعة هى: يزيد ، وثورى ، وبردى ، وبانياس ، والقنوات ، والقناية ، والداعانى . انظر نزهة الأنام فى محاسن الشام ٩٢ ، ٩٣ .

(٩) الجنك: من آلات الضرب . (١٠) فى ا: « بأنفاس زكية » ، والمثبت فى: ب ، ح .

ومَرْجَةِ الخضراءِ إذْ   فُرِشَتْ بِبُسْطٍ عَبقريّهْ (1)

ومسارحِ الآرامِ في   أرجائها وقتَ العشيّهْ

من كلِّ أغيدَ مُشرقٍ   أبهى من الشمسِ المضيّهْ

يفترُّ عن شَنَبٍ أغرَّ   حوى صحاحَ الجوهريّهْ (2)

وجنانُه الياقوتُ والـ   ـخِيلانُ أضحتْ عبقريّهْ

ولحاظُه فعلتْ بنا   أضعافَ فعلِ المشرفيّهْ

عن بابلٍ أخذتْ فنو   نَ السحرِ فهي البابليّهْ

يرنو فيرمي أسهماً   منها وحاجبُه حَنِيّهْ (3)

يُصْمِي ولا يدري بأنّ   فؤادَ مُضْناه رَميّهْ

لَدْنُ المعاطفِ قَدُّه   قدُّ الرماحِ السمهريّهْ

نشوانُ من خمرِ الدلا   لِ سقى بكاساتٍ رويّهْ

فكأنّه مَلِكٌ وأر   بابُ الأنامِ له رعيّهْ (4)

هذي محاسنُ جِلَّقٍ الـ   ـفيحاء تعدلك البريّهْ

أنموذجاً منها وصفْـ   ـتُ وأنتَ أدرى بالبقيّهْ (5)

فبذي عُذرٍ مِلْتُ عن   رؤيا محاسنِ الشهيّهْ

حيّى الإلهُ جمالَ وجْـ   ـهِكَ بالرضا أسنى تحيّهْ

---

(1) ذكر البدرى أن المرجة من محاسن الشام، وأنها ذات عيون وغدران، وبعضهم يشبهها بصدر البازي، شبهها به لأن الوادي ينضم من رأسها ويعلوه جبلان، وشبه هذين الشرفين بالأجنحة. نزهة الأنام ٧٢ ــ ٧٥.

(2) يشير إلى الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

(3) حنيه: القوس.

(4) ترتيب هذا البيت في ا قبل البيتين السابقين، والمثبت في: ب، ج. (5) في ب: «وأنت أدرى في البقية»، والمثبت في: ا، ج.

مولاىَ هل من نَظْـرةٍ صِدْقُ الوِدادِ لهـا مَزِيَّهْ

فلَواعِجُ الأشـواقِ فى الْـ أحشاء جمرتُهـا ذَكِيَّهْ

أنا عبدُك الخِـلُّ الوَفِىُّ وليس حالاتى خفيَّهْ

فاسلمْ فديْتُك حيث كُنْـ تَ ودُمْ بعيشتِك الرَّخِيَّهْ

وإليكهـا رُعْبُوبةٌ تُنبيك عن حُسْنِ الطَّوِيَّهْ[1]

حَمَـوِيَّةٌ شـامِيَّةٌ وافتْ بفاكهةٍ جَنِيَّهْ

فاسْبِلْ عليهـا من جميـ لِ السَّـتْرِ أرْدِيةً نقيَّهْ

لازلتَ ممدوحَ الصِّفـا تِ الغُرِّ محمودَ السجيَّهْ

ما غَرَّدَتْ وُرْقُ الحمـا ئمِ فى الرياضِ السندسيَّهْ

***

ولما وردت[2] علىّ وكنت مقيما ببُولاق ، وأنا حليفُ أخْلاقِ أخْلاق .

وذلك لفَقْد الأنِيس ، حتى اليَعافيرِ[3] والعِيس .

لا أرى رَدِيفا إلّا من القافية ، ولا أطلب صديقًا إلا من العافية .

ولا ذُقتُ إلّا ماء عينى مَشْرَبا ، ولا بِتّ إلّا لحمَ[4] كفّى مَطْعَما .

وقد عرفتُ شأنى وزمانى ، وخلعتُ من عنقى رِبْقَةَ الأمانى .

لا تزعجنى المُهِمّة ، إلى استعمالِ الهِمّة ، وأنا ناظرٌ إلى نفسى بالذنب والتُّهْمة .

فقد اجْتَرمْتُ الخطايا ، وركبتُ الأجرامَ رواحِلَ ومَطايا .

وفارقتُ العيونَ الصِّحاح ، والألفاظَ الفِصاح .

والرياضَ النَّواسِم ، والثغورَ البواسِم .

---

(١) الرعبوبة : الناعمة .

(٢) فى ج : « وردا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) اليعفور : ظبى بلون التراب ، أو عام القاموس (ع ف ر) . (٤) فى ا : « طعم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وهي حين التي عرفتُ باقتراع لأحسن نسب ، وتخيّرتُ من أزمّة الآداب رونق[1] أنواعها وأجناسها .

فكانتْ إليه وضرورتى مشروحة ، ودَعْوَى التحمّل عن كتفى مَطْروحة .

وأستوهب الله رحمة تجعل عِنانى فى يد التوفيق ، وتصرف عنانى عن هذه الوَحْدة إلى الفريق الرفيق :

وصل كتابُك فاتّفقتِ القلوب على تفضيله ، واختلفت الألسنةُ فى تمثيله .

فمن مدّعٍ أنه رُقْيةُ الوصل ، وريقةُ النحل .

ومُنتحِلٍ أنه دُرّةُ الفخْر ، ولؤلؤة البحر .

وقائل هو السُّكّر المقتود ، وسُلافُ المنقود .

فأمّا أنا فتركتُ التشبيه ، وقلت ماله مَثِيل ولا شَبِيه .

حمتِ الملائكةُ سماءَ بيانِه ، وحشرُ الجوهر بين فم مُنْشيه وبَنانه .

فعينُ الله على هذه الألفاظ الغرّ ، التى تحسدها على اتّساقِها الياقوتُ والدُّرّ .

وقد عرّفْتَنى من خَبَرِ سلامتك ما رجوتُ له الدوام ، ودعوتُ له بالحِفْظ من حوادث الأيّام .

وكان سُرَى خيالك فشوّق ، واستطار برْقك فأرّق .

فأجفانُ الإخلاصِ ناظرةٌ إليك ، ويدُ القبول مُسلّمةٌ عليك .

وأما القصيدة التى هى دُرّة التقاصير[2] ، وربيبةُ تلك المقاصير[3] .

فقد وردتْ مؤكّدة لك المحبّةَ فى القلوب ، والرغبةَ فى الوُدّ المطلوب .

وفطنتُ بتلك النيّة ، وما أظنُّها كانتْ عن رَوِيّة .

---

(١) فى ا : « رونق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) التقاصير : جمع التقصارة ، بكسر التاء ، وهى القلادة . القاموس (ق ص ر) .

(٣) المقصورة : أصغر من الدار ، ولا يدخلها إلا صاحبها . القاموس (ق ص ر) .

فهى (١ كدعوة السائل ١) ، إنَّما تجزى لنا كيد الوسائل .

كيف ومحاسنها منطَمِسٌ بغبار الأغيار ، وحُقَّ لمن رأى غُبارَ بُولاق أن يشكوَ صَدَأَ (٢) الأكدار .

ولعل السيِّد نظر إلى بثّ العيون والرَّمِيَّة ، فعلِم أن النفْس من محاسنها أبيّة .

فلو قاصِراتُ الطرفِ أقبلْنَ كاللَّهَا وقَبَّلْنَ رأسِي ماقبلتُ مَزارَها (٣)

نعَم القلبُ بعيون الشام عَلِق ، إلى أن يصير إلى مامنه خُلِق .

فأمّا وحَدَقِها المِراض ، وسهامِها التى تتمنّاها الأغْراض .

ورُنوِّها ولو لحظةً فإن لها حقًّا ، وتَأنُّقِها ولو غَلْطة فإنّى عبدها رِقّ .

إنى منذ ودّعتُ بها حلاوةَ الرِّضا ، وَدَعْتُ العيشَ المُرتضَى ، وبِتُّ على جَمْرِ الغَضا ، وحدِّ السيف المُنتضَى (٤) .

وأنا الآن بحُكْمِ الزمان ، مُستودَعٌ دارَ الهَوان .

أصحبُ المبُؤس ، وأبَشُّ لوَجْه العَبوس .

وأتصفَّح وجوهًا (٥ لا أرجوها ٥) ، وأزيد أمدحُها (٦) والمروءةُ تهجُوها .

أكثرُهم شيخٌ يتَفَتَّى ، ويَبْرُز فى أطْوارٍ شَتَّى .

يأكل ما تأكل الناس ، ويخالفهُم فى المَشْرَب (٧) واللِّباس .

له وَجْهٌ لايشِفّ ، وعَيْنٌ لا ترِفّ .

إذا تكلّمَ ، كَلَمَ ، و (٨ إذا بَشَّ ، أدْهَش وأوْحَش ٨) .

---

(١) فى ا : « كدعوة الناس للسائل » ، وفى ج : « كدعوة للسائل » ، والمثبت فى : ب

(٢) فى ب : « صدى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) البيت من قصيدة لعبدالرحمن بن محمد العمادى الشامى ، وهى فى خلاصة الأثر ٢/٣٨٧ ، ريحانة الألبا ١/٢٢٤ .

ورواية البيت فيها : « فلوصائدات القلب أقبلن كاللها » .

(٤) فى ا : « فى الفضا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « مدحها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) فى ب : « المشروب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) فى ا : « وإذا بش أو هش أوحش » ، والمثبت فى : ب ، ج .

كلامُه فى الرِّضا ، مثلُ هزّات القضا .

خلق اللهُ ذاته عِبْرة للنّوائب .

وثَمَّ من رِزْق[1] فلتةً ، ورمق بغتةً .

عمْر غِناه قصير ، وهو بطريق اللّؤم بصير .

فإذا رأيتَ رثاثةَ حالِه ونعمتَه لديه[2] ، يوشِك أن تدَّعِيَ غضبَ اللهِ عليها وعليه .

وقد مقتتُ[3] بهم الأيامَ وتصاريفَها ، وسئمتُ الحياة وتكاليفَها .

ولو جهلت أن الحِذْق ، لايزيد الرِّزْق .

لعذرتُ نفسى فى الرَّحْل أشدّه ، والحَبْلِ أمدّه .

ولكنّى أعلم هذا وأعمل ضِدّه ، وأسير سيرا ينكر المرء فيه جَهْدَه .

وإلّا فمَن أخذنى بالمطار ، فى هذه الأقطار .

حتى تركنى أنازِلُ المِحَن ، وأعتَب هذا الزمن .

وأقول : قد بليتُ فيه ، بأيّام رمضان وليال كلياليه .

تلك[4] كظِلّ الرُّمح ، وهذه مَهْوِيَة[5] الصُّبْح .

وكلاهما تارةً بنارِ الجحيم يلتهب ، وآونةً بفيحِه الحارّ[6] القريرىّ[7] ينتهب .

قد[8] أخَلّا بالعادة ، وجاوزا المألوف بزيادة .

وحَشْوُهما ذُباب يبْرَح ويسنَح ، وبعدم مُبالاةِ خاطانه لا يهِفُّ للبَرْح ولا يجنَح .

---

(١) فى ب : « رزقه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « عليه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « رمقت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « وتلك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « عويهة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٧) فى ج : « العزيزى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٨) فى ا : « وقد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وبُرْغوثٌ كنقطةِ دَغَل ، أو سُوَيْداء دَخَل .

يُدركُ بطعنٍ مؤلِم ، ويستحلُّ دمَ كلِّ مسلم .

وبَعُوضٌ يُطيل الألَم ، ولا يفْنَى حتى يرْتوِى من شُرْب دم .

وبَقٌّ خارجٌ عما يعْهَد ، يُلِحُّ فى الوصول إلى العَظْم ويجْهَد .

ووراء ذلك ضَجِيج ، ولا ضَجِيجُ الحَجِيج[1] .

وزِحام يُبْلى به الشخصُ من السَّحَر فى الطـريق ، حتى يقول : ماهـذه القِيامةُ على الرِّيق .

وأمّا حديثُ قلّة الأدب فمِن هنا يُؤْثَر ، والأقلُّ منهم تابعٌ للأكثر .

وكيف يُرْجَى منهم حِجاب ، ومكانُ الحياء منهم خَراب .

إلى غير ذلك من قبائحَ تركْتُها حَذَراً من تلْويث الكتاب ، وفضائحَ لا يلْتَبِس[2] عليها ثِياب .

هذا وأنا أحمَدُ الله الذى لا يُحْمَد على المكروه سواه ، ولا يَعْرِف قدرَ نعمتِه إلَّا مَن عالَج بَلْواه .

فلولا العِلّةُ لم تُحْمَد الصحة ، ولولا الترْحَة لم تُطلَب[3] الفَرحة[4] .

فأنا فارقتُ الجنـة تعلمة[5] آدمَ أبى ، واستبدلتُ نقيضَها بطَـرْفٍ نافرٍ وقلبٍ أبى .

وخُضْتُ غِمارَ المهالك والرَّدَى ، ونظرتُ إلى الآخرة وأنا فى الدنيا .

وتعوَّضتُ عن تلك الوجوه بهـذه الوجوه ، واختلفتْ حالِى فأنا متناقِض معهم فى كل ما أرْجُوه .

---

(١) فى ا : « الضجيج » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ا ، ج : « يلبث » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ج : « تطب » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٤) فى ا : « الفرجة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى القاموس (ع ل م) : « والتعلمة ، كزبرجة ، والتعلامة : العالم جدا ، والنسابة » .

فما أشْبهنى [١] بـكحلٍ فى عين [١] أعمى ، ومصباحٍ عند أكْمَه ، ونَغْمةِ عُودٍ عند أصَمّ ، وخاتِمٍ فى أُصبُع أشَلّ .

ودُرَّةٍ [٢] فى رأس قُرَوِىّ ، وسُبْحةٍ فى يد بَدَوِىّ .

وسيفٍ فى قبضـةِ جبانٍ ، ومِصْراعٍ تضمين فى شِعـر ابن غزْلان ، أو أبى الغزلان [٣] .

وإنّى إلى مواضع إيناسِى ، ومَراتِع غِزْلان حَرِيمى وكِناسِى .

أحَنّ من حمامةٍ لفَرْخ ، وأوْرَى شوقاً من عَفَار [٤] ومَرْخ [٥] .

وأنا مُقدِم على أدوات [٦] التوسُّل ، متوسّل بصاحب الشفاعةِ فى التَّوصُّل .

فعسى أُرَى وقتَ التَّلفُّت ، ولا علِقتْ [٧] لى بعدها لحظةٌ بالتلفُّت .

وإن نَبَذُوا بعدى [٨] الحصاة [٩] ، فلا أبَ لهم إن لم يكْنِسوا العَرَصات .

فإن [١٠] عمَدوا [١١] إلى أن يوقِدوا فى أثَرى النّار ، فَلْيُسْرِعوا إلى أن يُثيرُوا فى قَفاىَ الغُبار .

وضَراعتى إلى السميعِ المُجيب ، أن يجعلَ ذلك أقربَ من كلّ قريب .

والسلام .

* * *

---

(١) فى ب : « فى كحل بعين » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب ، ج : « ووردة » ، والمثبت فى : ا . (٣) كذا « ابن غزلان ، أو أبى الغزلان » ، ولم أعرفه . (٤) العفار : شجر يتخذ منه الزناد . القاموس (ع ف ر) . (٥) المرخ : شجر سريع الورى . القاموس (م ر خ) .

(٦) فى ب : « درجات » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « عقدت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) فى ب : « بعد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٩) فى ب : « العصاة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (١٠) فى ا : « ولئن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(١١) فى ا : « عمدوا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٥٠

محيي الدين السلطيّ

شيخُ الصَّنْعةِ ووليدُها [١] ، والمتوفِّر له طريفُها من الفنون وتَليدُها [١] .

وابنُ بَجْدَتِها في القَرِيض ، وأخو جُمْلتها في النَّفَس الطويل العريض ، وأبو عُذْرتِها في التَّصريح بالأغراض والتَّعْريض .

رأس بالاستحقاق الآن ، وسهّل طُرق الفنون وألاَن .

وهو شاعر لا يطمَع في لَحاقِه مُجاريه ، ولا يُخْثَى التُّراب إلا في وجهِ مُباريه .

وقد ناهَز الثّمانين ، وسَما على العَرانين .

فلو رآه ابن سَبْعين [٢] لمّا تجاوز حَدّه ، أو الثّمانين لاستنجد [٣] بهمّةِ جِدّه .

وهو أعْصفُ القوم ريحا ، وأكثرُهم عن البيان تصريحا .

قلبُه قَليبٌ واسع ، وغَوْرُه بعيد شاسع .

لا يُقرْطِسُ [٤] غرَضا إلّا أصْماه ، ولا يُفَوِّق سَهْما إلا أصاب مَرْماه .

وقد صحِبْتُه مدةً فتمَتَّعْتُ بآدابِه ، ورأيت التحوُّل [٥] في كلّ فنٍّ من دَابِه .

وتناولتُ من أشْعارِه تُحفًا باديةَ الإعْراب [٦] ، وطُرَفا أتْرابُها في اتِّفاقِ الصنعةِ تحت التراب .

***

(١) في ا : « والمتوفر له من الفنون طريفها وتليدها » ، والمثبت في : ب ، ح .

(٢) يشير إلى أبي محمد عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي الرسي ، ابن سبعين .
فيلسوف زاهد تباينت أغراض الناس فيه ، بين مرهق مكفر ، ومقلد معظم موقر .
توفي سنة تسع وستين وستمائة بمكة .
البداية والنهاية ١٣/٢٦١ ، شذرات الذهب ٥/٣٢٩ ، فوات الوفيات ١/٥١٦ ، النجوم الزاهرة ٧/٢٣٢ ، نفح الطيب ٢/٣٩٥ ـ ٤٠٦ .

(٣) في ب ، ح : « لاستجد » ، والمثبت في : ا . (٤) قرطس : أصاب القرطاس ، وهو الغرض أو الهدف . (٥) في ب : « النحول » ، وفي ح : « التخول » ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : « الإعراب » ، والمثبت في : ا ، ح .

فدونك منها مالا يحتاج حُسْنه إلى إثبات ، كالدُّرِّ يكفيه من حُسْنِه نُحورٌ ولَبَّات.

فمن ذلك قوله من مقصورة ، مستهلّها :

قَوامُه واللَّحْظُ منــــه يُقْتَنَى ... مُمَنَّعٌ بين الرِّماح والظُّبَى [1]

مِـــن جَفْنِه كِسْرَى أُسْتُبيحَ اسمُه ... وللنَّجاشِي الحُكمُ فى الحالِ مَضَى [2]

فى حَرَكاتِ قَدِّه يُستحسَن الضَّــــ ... ـمُّ ومن أجفانِه الكَسْرُ ارْتَوَى

وثغـــرُه قالوا العُذَيْبُ قلتُ مِنْ ... ذاكَ يُشامُ البرقُ منــه أوْمَضَا [3]

منهـا :

مَن لم يَذُقْ حُلْوَ الهوى ومُـــرَّهُ ... لم يَدْرِ مابين الضلالِ والهـــدَى

ياصاحِ أعْنِى غيرَ صاحٍ مـن هوًى ... إن جُزْتَ سَلْعًا منه سَلْ عن ذِى نَبَا [4]

أخَيَّمَ الأحْبـــابُ أم قد ظَعَنُوا ... فهـــاكَ آثارُ المَطِىِّ فى طَوَى [5]

* * *

وكنتُ طلبت منه شيئا من أشعاره ، لأُثبته فى كتابى هذا ، فوعد وسَوَّف .

فكتبت إليه :

أمولاىَ مُحْيِى رسومَ الأدبْ ... ومَن حاز فيـــه أجَلَّ الرُّتَبْ

لك اللهُ من مُبْدِعٍ فى الصنيعِ ... إذا فاه يَعْجَبُ منـــه العَجَبْ

فشِعْرُك تَطْرَب منــــه المُدامُ ... ونَثْرُك يَرْقُص منـــه الحَبَبْ

وأنت الحيــــاةُ لجسمِ العُلَى ... وللفضــــلِ رَوْنَقُه المكتسَبْ

---

(١) فى ا : « قوامه والمحاظ » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٢) يشير إلى تكسر جفنه ، وسواد خاله . (٣) فى ح : « ذاك البشام » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) سلع : جبل بسوق المدينة . معجم البلدان ٣/١١٧ .

وفى ا : « عن ذى نوى » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٥) طوى : أشهروادٍ بمكة . معجم البلدان ٣/٥٥٤ . وانظر قول الجوهرى : « وذو طوى ، بالضم أيضا : موضع عند مكة » فى الصحاح ٦/٢٤١٦ ، ومعجم البلدان ٣/٥٥٣ .

وفى ب : أم هم ظعنوا » ، والمثبت فى : ا ، ح .

ولولا وجــودُك ماشاقَنِي　　كلامٌ يرُوق وذاتٌ تُحَبْ

وعدْتَ بإرْسال بعضِ القَرِيضِ　　فأنْجِزْ لأبْلُغَ منك الأرَبْ

فهــذا الربيــعُ أتى قائــلا　　خذُوا طَرَبًا فى أوانِ الطــربْ

* * *

فأرسل إلىَّ قِطَعًا من شِعره ، وكتب معها :

مولاى ، وصلتْ الغــادةُ التى بَسَماعِها عَرْبدتِ الأفــكار ، وسكرتْ مذ شامَتْ أسْطُرَها ولا سُـكر بمُصْطار [١] .

فيــالها من غِرِّيدة غرَّدتْ فصدَح من سَماعِها الحَمام ، وحَمامةٍ وَرْقاء فعلتْ بنا كما تفعل الرُّوح بالأجسام [٢] .

سجدتْ بين يديها البلغاء والفصحا ، حتى سكر بخمرها المعنوىّ مَن لا يشرب وما صَحَا ، فهى الدواء للجُهّال والدّوا ، ومعناها المَروِىُّ والفخرُ لمن لها روَى .

داوتْ بكلامها الـكُلوم ، وسارتْ [٣] فى مراتبها منازلُ النجوم .

أشرقتْ فى آفاق الأفـكار وضاءت ، وشرَّقت القاصدين عن الوصول بأدْمُعِها ففاضت .

برزتْ من « كِنِّ حاصِل » الـكمال جوهرةً فريدة ، فشهدت بنو الفَخْر منهـا ونهَّدت [٥] بُدرَها عذارَى أبـكار الأفـكار فهى بها سعيدة .

بانَت فيها لُبانَاتُ الأغراض ، مَيَّادة يؤْتَمُّ بجوها [٦] وتُلْغَى [٧] الأغْراض .

بائية اكتسَتْ بصائرُنا صحةَ الإيضاح فى المعانى ، ببديــع بيانهــا السّامِى على من يعــانى .

---

(١) المصطار : الخمر . القاموس (ص ط ر) .　(٢) فى ب : «فى الأجسام» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « وساوت » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٤) فى ا : « كل حاصل » ، وفى ب : «كن فى حاصل» ، والمثبت فى : ج .　(٥) فى ب : «وتهدت» ، وفى ج : « فتنهدت » ، والمثبت فى : ا .

(٦) لعل الصواب : « بجوهرها » .　(٧) فى ا : « وتانى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

تتجلّى كأنها ذُكاء نوراً فتكفّ عن إدراكها العيون ، فهى معلومةُ الذّات بالصفات [١] مجهولة الكُنْه كما قال الفاضلون .

خطفتْ بأشعّة أنوارها من ظَنَّ السّرابَ [٢] شرابا ، وسلبتْ وكسَتْ فتلك عقولاً وهذه أسْبابا .

فيالها من فاصلةٍ كبرى ، وخافضة [٣] عن عبدها لخدمتها وِزْرًا [٤] .

هــذا وقد قلّدتْها عُنُق دهْرى فطال ، ووطئت تمشّاها [٥] بالعيون [٦] وَطْأة إدْلال [٧] .

فقال كالُها ارفعْ رَاسا ، وتجلّى جمالا فأحْيى أنفاسا .

فهى السائدةُ على سُؤْدد السيادة ، وكأنها لُمرْسلها حُسْنَى وزيادة .

وقد ضاق وُسْع هــذا الدّاعى عن هذا المدى ، لكنه لحثالة [٨] حاله وقلّة رأس مالِه ، قام منشدا :

صَدُوحةُ روضِ اللّهَى والطربْ	ومَغْنَى الفِصاحِ وكَنْزُ الأدبْ
غــــريدةُ بيتِ ولاءِ الوَلِىِّ	نتيجةُ فخرِ لُغــاتِ العــربْ
عن الرّاحِ تُغنى بحَسْوِ العقسولِ	فما الخمــرُ وصْفاً وبِنْتُ العِنَبْ
بدتْ فى خِمــارِ اللّهَى تَنْثنى	فَعرْبَدَ منهــا الحِجَى واضْطربْ
ولمّا استقرّت بِرَاحِ الخَــديمِ	أراح مُنَاه وزِيحَ النَّصَبْ [٩]
كأنّ أمينَ الوفا قــــد وفاَ	يُخاصِمِ دهــــراً حليفَ العَتبْ

(١) فى ب : «فى الصفات» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : «السرب» ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « وخافضة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح .
(٥) فى ب : «عشا» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : «فى العيون» ، والمثبت فى: ا ، ح .
(٧) فى ا ، ج : « إدلال » ، والمثبت فى : ب .
(٨) فى ب : «لحالة» ، والمثبت فى : ا ، ح . (٩) فى ج : «ولما اشتعلت» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « أراح منها » ، والمثبت فى : ا ، ح .

فأبْرِزْ حِلْماً وحُكْماً له فهل يُستطاعُ سِوى ما كَتَبْ[1]
أجَبْنا نجيباً سمــا عصرُه بمــا قال أمراً وما قد طلبْ
فهاكَ رُوَى عاجزٍ عن مــدَى وَفاكَ وعن شأوِ أهلِ الحَسَبْ[2]

* * *

وهذا مابعث به :

فمن ذلك قوله من قصيدة : هذا المُفْرَدُ فى الغزَل[3] اسْتَجَدْتُه فأفردته[4] ، وهو :

وَجْــهٌ إذا قابَل شمس الضُّحى والبدرَ ليــلاً فات وقتُ الصَّلاهْ

* * *

وقوله :

ومُخْتَصَرٍ أرْثَيْتُه مِنّى ضمائرٌ على ظنِّهالم تَدْرِ فى أمرِها السَّبَبْ[5]
فكان كما أرْوِيه حقّا بلا مِــرًا إلى رحمةِ الله الرحيم هو الأدبْ

* * *

أرثيتُ لفــلان ، إذا رَقَقْتَ له . ورَثَى الميّتَ بالشعر ، وربما قالوا أرْثأته بالشعر ، ويُعَدّ من غَلَط البصريّين .

وأما أرْثَيْتُه ، فلم أرَه .

* * *

ومن ذلك قوله :

بى غادةٌ تُمْلِى الجــوَى من شَرْحِ أشْــوا مُخْتِى
ناظَرْتُها من خاطــرِى فأنا الذى وهى التى

* * *

(١) فى ب : «سوى ما اكتسب» ، والمثبت فى : ا ، ج. (٢) الروى : جمع الروى، وهو حرف القافية.
(٣) فى ب : « القول » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : «فأوردته» ، والمثبت فى : ب ، ج.
(٥) فى ا : « ومختصر » ، وفى ج : « ومختتر » ، والمثبت فى : ب .

فيه إيداع لبيت ابن لُؤْلُؤ [١] [٢ الذَّهبيّ ، وهو ٢] :

فأنا الذى أُمْلِى الجوى من خاطــرى ... وهى التى تُمْلِى من الأوْراقِ [٣]

* * *

ومن ذلك قوله ، من قصيدة ، مطلعها :

إنّ أصْــــلَدَ الزّناد فى الأيادِى ... ماأصْــــلدتْ قرائحُ الأكبادِ [٤]

أورتْ زنادى فنــــوناً قصرتْ ... عن نَعْتِها اللّهى من الأمجــــادِ

من كلِّ معنىً بالبــديع شــــأوُه ... له رَقّى على بيــــانِ الشادِى [٥]

مَعْنــــاه فى لَطــافةِ التركيب والْ ... معنى كلُطْفِ الرُّوحِ فى الأجســـادِ

برَعْتُ فيهــــ فالَيراعُ خادِمى ... والطِّرْس مِسْكى والرَّوَى أجْنادِى [٦]

سامَرْتُ فيما فُهتُ رُوحى فى الدجى ... فآنستْنى مثلَ صوتِ الحــــادِى

لله ماأنْجَبُ اليعاسيبِ انتشتْ ... من الحــداة فى رُوَى إنْشــادِى [٧]

تَعِيفُ بالمَفاز وِرْدَ المــــاء مِــــن ... مَساغِ لفظى مُرتَل التّحادِى [٨]

تَميلُ فى مَسْرَى سُراها جَذَلاً ... تَنْفى الحُــــداة لاحلى المزاد [٩]

---

(١) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى .
كان شاعرا ماهرا .
توفى بدمشق ، سنة ثمانين وستمائة .
شذرات الذهب ٥/٣٦٩ ، النجوم الزاهرة ٧/٣٥١ .

(٢) ساقط من : ب ، ح ، وهو فى : ا .
والبيت فى ريحانة الألبا ٢/١٢٤ .

(٣) فى ريحانة الألبا : « وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى » . (٤) فى ا . « قريحة الأكباد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « فى البديع شأوه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ج يقرأ : « والورى أجنادى » ، أو : « واردى أجنادى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٧) فى ا : « فى الروى إنشادى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) « مرتل التحادى » ، كذا بالأصول . (٩) فى ا : « لا حلى المراد » ، وفى ب : « لا حلا المزادى » ، والمثبت فى : ج ، والرسم فيه : « لا حلا المزاد » .

منها [1] :

يابُرَحاً زادتْ بنـا أنواؤه ... زَوْد الغدير عن روَى الصَّوادِى [2]

جرَّعتنى بعد الأُصَيْحابِ الأسَى ... فذُقْتُ منه وَصْمةَ النِّكادِ [3]

هلّا رحمت مُغـرَماً صَبّاً رقَتْ ... دموعُه مَرَاقِىَ الوِسادِ [4]

يسخَرُ منه كل خِلْوٍ من هوى ... يُشْفِق فيه مُغْـرَمِ الودادِ

فالخِلْوُ ممنوعُ الرِّضا وضِدُّه ... عن حالِه مُمتَّعُ السَّدادِ

أَمْتُ ناساً لقَباً وما هُمْ ... بأهلِ وُدٍّ يقصَدون بادِى [5]

فعُدْتُ عَوْدَ نادمٍ وهكذا ... من أمَّ غيرَ مثلِه فى نادِى

فلا رجعْتَ يا أخا الوُدِّ كما ... رجعتُ فى عَـوْدِى وفى تَرْدادِى

سئمتَ مِنّى فالورى أحقُّ مَن ... يُسأَمُ منه أبدَ الآبادِ

* * *

ومن ذلك قوله ، من قصيدة مستهلها :

إذا مادعانى للهوى المحكم العُذْرِى ... عِذارُ الذى أهوَى فماذا ترى عُذْرِى

وهل غيرُ ربِّ الآسِ صُدْغاً ونَكْهةً ... لداءِ كُلُومٍ فى الحشاءِ إلى الحشرِ

عدِمتُ شفا وَرْدِ المراشِفِ حُلْوِه ... إذا لم أكنْ أقوَى الخلائقِ للصبرِ [6]

* * *

وقوله من أخرى :

طَيْفَ الكرى حُيِّيتَ من زائرِ ... منحْتَ بُرْءَ الداءِ من هاجرِى [7]

---

(١) ساقط من: ب ، ح، وهو فى : ا . (٢) فى ب : «زادت با أواره» ، والمثبت فى : ا ، ح ، وفى ح : « ذود المدير » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « عن روى الطوادى » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٣) يقال : أرضون نكاد ، قليلة الخير . (٤) فى ب : « مراق الآساد » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٥) فى ب : «أقت ناسا» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « عدمت شفا حلو المراشف ورده » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وفيها : « حلوة » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٧) فى ا ، ح : «من هاجر» ، والمثبت فى : ب .

ما كان أحلى سِنَةَ الغَمْضِ فى ... ليلٍ سَطَا فى ظُلْمِهِ كافِرِ
ليلٍ كأن الغَمْضَ فيه سرَى ... ضَلَّ الهُدى فانقادَ كالحائرِ (١)

* * *

وقوله :

إن سُقْمَ الجفونِ أسْقَمَ جَفْنِى ... وولانى من السَّقامِ فُتورَا
ربَّ فاشْفِ السَّقامَ منهم بكَسْرٍ ... فهواهُمْ أضَلَّ خلْقًا كثيرًا (٢)

* * *

وقوله :

دَعْ فؤادى عليك يذهب حَسْرَةْ ... أوْ فيَكْفيه منك فى العمرِ نَظْرَةْ (٣)
ما صَنِيعِى وفيك عادَ مآلِى ... عودةً كالسَّرابِ فى أرضٍ قَفْرَةْ

* * *

(١) فى ب : « كأن ليل الغمض فيه سرى » ، والمثبت فى : ا ، ح .
(٢) فى ب : « رب فاشف السقام منهم بجبر » ، والمثبت فى : ا ، ح .
(٣) عجز البيت فى ب : « أوفيك فيه منك فى العمر نظره » ، والمثبت فى : ا ، ح .

فصـــــل

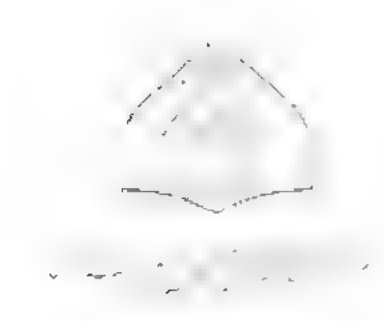
عقدتُه لجماعة من العلماء الأجِلّاء ، يهتَدِى بمصابيح علومهم الأضِلّاء .

ممّن [1] فضلُه واضِحٌ مُبَيّن ، والتبرُّكُ بذكرِه فرضٌ متعيّن .

وهم وإن كانت آثارُهم العلميّة [2] غنيةً عن الوصف والإطالة [2] ، فلقد أتَوْا بأشياء من الشعر هى فى الجملة خيرٌ من البَطالة .

فنهم :

* * *



---

(١) فى أ : « من » ، وفى ب : « فمن » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى ب ، ج : « غنية الوصف عن الإطالة » ، والمثبت فى : أ .

٥١

نجمُ الدّين الغَزّىّ *

النجمُ الأرْضِىّ ، وابنُ البدرِ المُضِىّ ، وجدُّه الرَّضِىُّ المَرْضِىّ .

ثلاثة فى نَسَق ، طلَعوا فأناروا الغَسَق .

وقدَمُهم(1) فى النَّباهة ، أعْلَى من قدمهم فى الوَجاهة .

فمَن يُساميهم ، وإلى الكواكب مَراميهم .

وهم فى القديم والحديث ، أئمةُ التفسير والحديث .

لم يبرحِ المجدُ يسمُو ذاهباً بهمُ [illegible] حتّى أزاح الثريّا وهو ما قَنعا(2)

(*) أبو المكارم وأبو السعود نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزى ، العامرى ، الدمشقى ، الشافعى .
نجم الدين ، ابن بدر الدين ، ابن رضى الدين .
ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، [illegible]
وأخذ عن والده فى حياته ، ثم كفلته أمه بعد وفاة والده ، وقرأ القرآن على الشيخين : عثمان اليمانى ، ويحيى العمادى ، وتردد على الشيخ زين الدين عمر بن سلطان ، ولزم شيخ الإسلام شهاب الدين العيثاوى ، وشيخ الإسلام أبا الفضل محمد محب الدين القاضى الحنفى ، وقرأ على السيد محمد بن محمد بن حسن السعودى .
وأجاز له شمس الدين الرملى ، وزين العابدين البكرى .
وهو صاحب « الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة » ، وذيله الذى سماه « لطف السمر وقطف الثمر ، من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر » .
وله مؤلفات كثيرة فى النحو منها : نظم الآجرومية المسمى « الحلة البهية » ، ومؤلفات فى التفسير ، والتصوف ، وغيرهما .
درس فى الشامية البرانية والعمرية ، واشتغل بالوعظ والإمامة ، فى الجامع الأموى ، وتصدر للإفتاء بعد شيخه العيثاوى .
توفى سنة إحدى وستين وألف ، ودفن فى مقبرة الشيخ أرسلان .
خلاصة الأثر ٤/١٨٩ – ٢٠٠ ، وقد نقل المحبى ترجمته عن كتابه « بلغة الواجد » فى ترجمة والده بدر الدين الغزى .
وانظر أيضا : ريحانة الألبا ١/١٣٨ ، ومقدمة كتابه الكواكب السائرة .

(1) فى ا : « وقدمهم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(2) فى ج : « لا يبرح » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والنَّجم انعقدتْ العشَرةُ عليه ، وسعتْ وفودُ العِناية مُسرِعة إليه .

ﻫ ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [1] .

لَهُو الذي به يقْتدِي المقتدِي ، وبسَمْتِه يهتدِي المهتدِي .

هو النجم يَهْدِى جميعَ الورى ... فمِن دونه البدرُ والشمسُ دُونْ

وقد صار فى الفضلِ حيثُ انتهَوْا ... وحيث انتحَوْا فيه يقْتدونْ

إذا ظُلْمَــةُ الغَىّ ألوَتْ بهم ... أضاء فبالنجمِ همْ يهتــدُونْ

وله دعاء مستجاب ؛ وخواطِر ليس بينها وبين اللهِ حجاب .

فلو حُذِّر به المنْهمِك [2] فى غَوايته لأمسَك ، أو خُوطِب به المُتهالِك فى عِصْيانه أناب ونسَك .

شغَل بالإفادة أيامه ولياليه ، ونظَم على جِيد الأيام فرائدَه ولآليه .

وتآليفاته كاثرَتْ رملَ النَّقا ، وأرْبتْ على الجواهر فى الرَّونَق والنَّقا .

مع ماله مِــن كرمٍ يُخجِل الأجْواد ، وسخــاء أضحتْ عوارفُه كالأطْواق فى الأجْيــاد .

لم ترْو [3] فى التَّواريخ كأحاديثه الحِسان ، ولم تسطَّر كآثارِه فى صحائف الأزْمان بالحُسْن والإحْسان .

* * *

وله شِعر كقَدْره ثمين ، إلا أنه كالياسَمِين .

فيُكتَب لشَرفه ، لا لكثْرة طَرَفه .

---

(١) سورة النجم ١ ، ٢ .

(٢) فى ب : « المتهتك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى : ب « تر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمن ذلك هذه الزَّائيَّة ، عارض بها قُطبَ مكَّة [1] الذى عليه المَدار ، وقمرَ أُفقها الذى يأبَى غيرَ الإبْدار .

وقصيدته هى هذه :

سبحــــان مَن للوجودِ أبْرَزْ	رَشًا بحُكْمِ الهــوى تعزَّزْ
زاد على الرِّيمِ فى دَلالٍ	وعــن جميعِ المَهــا تميَّزْ
أحْوَى وللظَّرْفِ ليس منــه	أحْوَى ولا لِلْبَهاءِ أحْــوَزْ [2]
لقد كساه الجمــالُ ثوبًا	بالْطُف اللطفِ قد تطــرَّزْ
رنا بطَــرْفٍ جآذِرِيٍّ	كأنه للوصــال ألْغَزْ
وَعْداً ولٰكن بلا نهــارٍ	ياحبَّذا الوعــدُ لو تنجَّزْ
بعثتُ باثنينِ من خُضُوعِي	وثالثٍ بعــد ذَيْنِ عَزَّزْ
أرجــو وصالًا منــه بِعزٍّ	مَن عَزَّ من وَصْلِه فقــد بَزّ [3]
فمـــا رَثَى لى ولا وَفَا لى	وقد قَسا قلبُــه ولزَّزْ [4]
وعَفَّ إلا عن قتــلِ مثْلِي	فإنَّه عنــه ما تحــرَّزْ

* * *

(1) يعنى قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد ، النهروانى ، الهندى ، المكى ، الحنفى .
ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة .
وأخذ عن والده ، وعن عبد الحق السنباطى ، ومحمد التونسى ، وناصر اللقانى .
وكان بارعا متفننا ، فى الفقه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، ونظم الشعر .
كتب « تاريخا لمكة المشرفة » ، وألف « طبقات الحنفية » ، وقد احترق فى جملة كتبه .
توفى سنة تسعين وتسعمائة .
خبايا الزوايا ، لوحة ١٨٧ ا ، ريحانة الألبا ١/٤٠٧ ، سمط النجوم العوالى ٤/٣٣٧ ، وهو فيه : « قطب الدين النهروالى » ، شذرات الذهب ٨/٤٢٠ .

(2) فى ا : « ولا للبهاء أحرز » ، والمثبت فى : ب ، ج . (3) فى ج : « من عز وصله » ، والمثبت فى : ا ، ب . (4) لزز : اشتد فى قسوته .

قوله « من عَزَّ بَزَّ » . مثل ، معناه : مَن غَلَب سَلَب .

قال المُفَضَّل [١] : أول مَن قال ذلك رجلٌ من طَيِّ ، يقال له : جابر بن رَأْلان [٢] ، أحد بنى ثُعَل .

وكان من حديثه أنه خرج ومعه صاحبان له ؛ حتى إذا كانوا بظهر الحيرة ، وكان للمُنذر بن ماء السماء يومٌ يركب فيه ، فلا يلْقى أحداً إلا قتَله ، فلَقِيَ فى ذلك اليوم جابرا وصاحبيه ، فأخذتْهم الخيلُ بالثَّوِيَّة [٣] ، فأُتِيَ بهم المنذر ، فقال : اقترعوا ، فأيُّكم قَرَع خلَّيتُ سبيله ، وقتلتُ الباقين [٤] .

فاقترعوا ، فقَرَعَهم جابر بن رَأْلان .

فخَلَّى سبيلَه ، وقتل صاحبيْه .

فلما رآهما يُقادان ليُقْتَلا ، قال : مَن عَزَّ بَزَّ [٥] .

فأرسلها مثلا .

* * *

وقصيدة القطب مطلعها [٦] :

أَقْبل كالغُصْنِ حــين يَهتَزّ ... فى حُلَلٍ دون لُطْفِهَا الخَــزّ [٧]

وهى مذكورة فى « الريحانة » .

وذكر الشهاب معها قصيدةً له عارضها بها ، ومطلعها [٨] :

---

(١) الفاخر ٨٩ . (٢) فى ب هنا وفيما يأتى : « زالان » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والفاخر ٩٠ .

(٣) الثوية ، بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ، ويقال : الثوية ، بلفظ التصغير : موضع قريب من الكوفة ، وقيل : بالكوفة ، وقيل : خريبة إلى جانب الحيرة ، على ساعة منها . معجم البلدان ١/٩٤٠ .

والقول الثالث هو المعنى هنا .

(٤) فى الفاخر ٩٠ : « الباقين » . (٥) إلى هنا انتهى ما فى الفاخر . (٦) قصيدة القطب المكى فى الريحانة ، كما سيأتى ، ١/٤٠٩ ، ٤١٠ ، شذرات الذهب ٨/٤٢٠ ، ٤٢١ . (٧) فى ا : « دون وشيها الخز » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وريحانة الألبا ، وشذرات الذهب .

(٨) ريحانة الألبا ١/٤١٠ ، ٤١١ .

مَن علَّم الغصنَ حين يهتزّ ... مَيلَ قُدودٍ تَميلُ في الخَزّ

***

وللنَّجم :

أخوكَ في الإسلام يُجْدِيك في ... علمٍ ورأيٍ منه أو أُنْسِ

كأن قد احتَجْتَ إلى نفعِه ... وإذْ به قد صار في الرَّمْسِ

أصْبحتَ أسَّافًا على صاحبٍ ... قد كنتَ تأسَى منه بالأمْسِ [(١)]

ماأحْوجَ المرء إلى خِلّهِ ... وأحْوجَ الجنسَ إلى الجنسِ

وَيْلاه من عصرٍ رأينْا به ... على افْتقادِ الكُمَّلِ الخمْسِ

لسْنا نَرَى مِمَّن مضَى واحداً ... ولو بلغْنا مَطْلَعَ الشمسِ [(٢)]

***

هذا معنًى موجود في الأثر ، وذلك ما أخرجه أبو نُعَيم في « الحلية » [(٣)] ، عن سُليمان بن موسى الأشْدَق ، قال :

أخوك في الإسلام إن اسْتَشرتَه في دينك وجدتَ عنده علما ، وإن استشرتَه في دنياك وجدتَ عنده رأياً ، مالك وله ، [(٤)] وإن فارقَكَ [(٤)] فلم تجِدْ منه خَلَفا .

وسليمان هذا كان من أكابر السَّلَف.

قال الزُّهْرِيّ : إن مَكْحُولا يأتينا ، وسليمانُ بن موسى - يعنى لسماع الحديث - [(٥)] وأَيْمُ اللهِ إن سليمان لأحفظُ الرجُلَيْن .

---

(١) في ب : « قد كنت تنسى منه بالأمس » ، وفي ج : « قد كنت قاسى منه بالأمس » ، والمثبت في : ا .

(٢) في ا : « فيمن مضى » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) حلية الأولياء ٦/٨٧ .

(٤) في ا : « وإن فارقتك » وفي ج : « إن فارقك » ، وفي حلية الأولياء : « كأن قد فارقك » ، ويشهد له ما في البيت الثاني من المقطوعة السابقة . والمثبت في : ب .

(٥) ليس هذا التفسير في الحلية .

أخرجه فى « الحلية » [١] أيضا .

ومن هذا مانقَلَه الشَّعْرَاوِىّ فى « طبقاته » [٢] عن أبى المواهِب الشَّاذِلىّ [٣] ، أنه كان يقول [٤] : أهلُ الخصُوصيَّة مَزْهُود فيهم أيام حياتهم ، مُتأسَّف عليهم بعد مماتهم ، وهناك يعرِف الناسُ قدرَهم ، حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم .

وقد قيل فى المعنى :

ترى الفتى يُنْكِرُ فضلَ الفتى ... مادامَ حيًّا فإذا ماذَهَبْ
لَجَّ به الحرصُ على نُكْتةٍ ... يكتُبها عنه بماءِ الذَّهَبْ [٥]

* * *

ومن مقاطيعه قوله :

تواضَعْ تكُنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ ... على صفحاتِ الماء وهْو رفيعُ
ولاتَكُ كالدُّخانِ يعلُو بنفسِه ... إلى طبقاتِ الجوّ وهْو وَضيعْ

* * *

وقوله :

لا تكْرَهَنَّ حسوداً ... يُجْدِيك نَشْرَ الفضيلهْ
كم من حسودٍ مُفِيدٍ ... ما لم تُفِدْهُ الفضيلَهْ

* * *

---

(١) حلية الأولياء ٦/٨٧ ، فى ترجمة سليمان بن موسى الأشدق .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٦٧ . (٣) واسمه محمد كما جاء فى طبقات الشعرانى . (٤) جاء قول أبى المواهب الشاذلى ، فى الطبقات هكذا : « العارف يبدو حاله حال حياته ، ولا يشتهر إلا بعد مماته » .

(٥) فى ب ، ح : « يحمله الحرص على لفظة » ، والمثبت فى : ا .

ومثله لوالده البدر (١) :

الحمدُ للهِ على قضائِهِ ... إذ صيّرَ الحاسدَ لي يخدِمُ
يجهدُ في رَفْعِ مقامي وفي ... نشْرِ علومي وهْوَ لا يعلمُ

* * *

ومثله لابن الوَرْدِيّ (٢) :

سبحانَ مَن سخّرَ لي حاسِدِي ... يُحْدِثُ لي في غَيبتي ذِكْرا
لا أكرهُ الغِيبةَ من حاسدٍ ... يُفيدُني الشُّهرةَ والأجْرا

* * *

ولأبي حيّان (٣) :

عِداتي لهم فضلٌ عليَّ ومِنّةٌ ... فلا أذهبَ الرحمنُ عنّي الأعادِيا
هُمُ بحثوا عن زلّتي فاجتنبتُها ... وهُمْ نافَسُوني فاكتسبْتُ المعالِيا

* * *

---

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله الغزى ، العامرى ، الدمشقى ، الفقيه ، المفسر ، المحدث ، النحوى ، المقرئ ، الأصولى ، الناظر ، الزاهد .
ولد سنة أربع وتسعمائة .
وأخذ على مشايخ عصره ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، ثم عاد فتصدر للتدريس والإفتاء ، واشتغل بالتصنيف والعبادة .
وشعره حسن قوى ، أكثره في الفوائد العلمية .
توفى سنة أربع وثمانين وتسعمائة .
تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ٩٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٢٠٤ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، ريحانة الألبا ١/١٣٨ ، سلافة العصر ٣٨٨ ، شذرات الذهب ٨/٤٠٣ ، الكواكب السائرة ٣/٣ .

(٢) ديوانه ٢٥٥ . (٣) البيتان في كتاب « من شعر أبي حيان الأندلسي » ١٣٩ ، وانظر تخريجهما هناك .

٥٢

الشيخ أيُّوب الخَلْوَتِىّ *

الولىُّ العارف ، ذو المعارف والعوارف .

أحد الراسخين فى العلم الإلٰهى ، والـكاشفين عن أسْرار الحقائق كما هِى .

حلّ من جَفْن الشـكرِ فى سَوادِه ، وتَبَوَّأ من صَدْر الإحسان فى فؤاده .

فمحامدُه تملأ المحامعَ والمسامع ، ومناقِبه تُنير المَطالع وتبعث المطامع .

وعِلْمه تُقبِّـل [١] أمْواجُ البحر بين يديْه ، وحِمْه يطِيشُ شيخُ الجبـال أبو قُبَيْس [٢] لديْه .

إلى ماحوَى من منظر [٣] صَبِيح ، يستَنْطِق الأفواهَ بالتَّسْبِيح .

(*) أيوب بن أحمد بن أيوب الحنفى الخلوتى الصالحى .

ولد سنة أربع وتسعين وتسعمائة .

ونشأ بصالحية دمشق ، واشتغل فى أنواع العلوم على القاضى محب الدين ، والملا عثمان والملا أبى بكر السنديين ، وعبد الحق الحجازى .

وأخذ الحديث عن إبراهيم الأحدب .

وصحب فى طريق الخلوتية العارف بالله أحمد العالى ، وأخذ عنه التصوف ، وصار شيخ وقته .

وولى الإمامة بجامع السلطان سليم بالصالحية .

وكان حسن الصوت والقراءة ، عارفا بالموسيقى .

حج مرتين ، وسافر إلى بيت المقدس ست مرات ، واستدعاه السلطان إبراهيم ، للاجتماع به ، فى سنة خمسين ، فتوجه إليه ، واجتمع به ، ودعا له ، وعاد .

وله تحريرات ورسائل ، منها : « ذخيرة الفتح » ، و « عقلة التجريد وخيلة التوحيد » .

توفى سنة إحدى وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس ، المعروفة بتربة المرجاء .

خلاصة الأثر ١/٤٢٨ – ٤٣٣ .

(١) فى ا : « تقبل » ، والمثبت فى : ب ، ح . (٢) أبو قبيس : اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قعيقعان ومكة ، بينهما أبو قبيس من شرقيها ، وقعيقعان من غربيها .

معجم البلدان ١/١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « بهيج » ، والمثبت فى : ا ، ح .

وسخاء لو رُكّب فى الطبائع لم يُوجَد شَحِيح فى نَوْع الإنسان ، وزهد لو كان رُقْية للصَّبابة لم يَبْقَ جَرِيحٌ من حَدَق الحِسان .

وأما رقّةُ طبعه فكلما ذُكِرتْ تنزّهتْ فى مَجْبُوحة النعيم الخواطر ، واُشْتُقّت [1] من أنفاس الهجير بين الروض والنهر بمَراوح النَّسِيم العواطِر [2] .

مع تلطُّف [3] بلَغ الغاية فى الكمال ، وسلامة لم يَبْق معها فتنةٌ إلا فتْنة جمال .

فهو بالهداية مُحَلًّى ، وقد رفع اللهُ له فى العلياء مَحَلًّا .

وله من الأخبار ما تَمْرِى [4] النواريخَ المخلّدة ، ومن الأشعار ما يملأ الكتبَ المُجلّدة .

* * *

فمن شِعْره قوله من قصيدة ، يذكر فيها ليلة مضتْ فى روض عنبَرِىّ النَّفْح ، وتشوّق إليها تشوّق التشريف لليلة السَّفْح :

وليلتنــــا على فاسَ[illegible] لمّا ... خرجْنا من منازلنــا ذهابا [5]

ومررْنا والغزالُ لنــا دليلٌ ... ووجّهُ غزالةِ الأفلاكِ غابا [6]

لِقصرِ أبى البَقا شَرُف اعتلاء ... وطـاب لنــا منازلُه رحابا

حطَطْنا فيه أحمالًا ثِقــالا ... عن الظهرِ الذى قد صــار قابا

ومن فضْل المُدام لقــد حَظِينا ... بشَمّاسٍ يُدير لنـــا الشّرابا

بمدْرَعةٍ تخــال سوادَ عَيْنى ... لِتمْثالٍ لهـــا حاكى قُنابا [7]

---

(١) فى ج : « واستقت » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « العاطر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « تعطف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ج : « يملأ » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) يعنى بقاسيون ، قاسيون ، وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق .
انظر معجم البلدان ٤/١٣ .

(٦) غزالة الأفلاك : الشمس .

(٧) القناب : وتر القوس ، وفى ب : « لتمثال بها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وغنّى والظلامُ لنـــا رضيعٌ   وقمتُ وكان رأسُ الليــلِ شابا
ونادى بالأذانِ فقلتُ أهْــلاً   بذاك وكنتُ أولَ مــن أجابا
لأن الصُّبحَ أشهرَ سَيْفَ حَرْب   وَجُنْحَ الليــلِ كان له قِرابا

* * *

وله :

انظُر إلى السِّحْرِ يجرى فى لواحظِه   وانظُرْ إلى دَعَجٍ فى طرْفِه السَّاجى
وانظُر إلى شَعَرات فوق وَجْنَتهِ   كأنما هُنَّ نَمْلٌ دبَّ فى عاجِ

* * *

أحسَنُ منه قولُ بعضهم :

كأن عارِضَه والشَّعرُ عارَضَه   آثارُ نَمْلٍ بدتْ فى صفحة العاجِ
توحّشتْ فى لَطيمِ المِسكِ أرْجُلها   فعُدْنَ راجعــةً مِن غيْرِ مِنْهاجِ

* * *

وله :

الهَجْوُ أقبَحُ ما يــكون إذا بدا   وإذا استُجِنَّ فنى الفؤادِ قبيحُ
فلذاك لايرْضاه إلا جاهــلٌ   إن الجهولَ بمـــا يقول جَرِيحُ

* * *

وله :

وليلةٍ بتُّ فيها لاأرى غَـــيرا   مع شادنٍ وجهُه قد أخْجل القمَرا
نادمْته قال هاتِ الـكأسَ قلتُ له   جَلَّ الذى لاأفتضِحى فيك قد سترا
وقمتُ أرشفُ من ريقِ المـدام ومن   مُدام ريقٍ وأقضِى فى الهـوى وَطرا
ولَفّنـا الشوقُ فى ثوبَىْ تقًى وهوًى   وطـال بالوصْلِ لى والليلُ قد قَصُرا

* * *

وله :

وليلتنا بالأمس كانت عجيبة ... وفينا غزالٌ أدعجُ الطرفِ أحورُ [1]

سألتُ إلٰهى أن تعودَ لمثلها ... بعَوْدِ التجلِّى قيل لا يتكرَّرُ [2]

* * *

وقوله :

وقد لامنى عاذلى فى الحبِّ قلتُ له ... حُبِّى شفائى كما أنَّ النوى مرضى [3]

قد قال قبلىَ شخصٌ لستُ أعرفه ... لكنَّه قد قضى من شعره غرضى

لكلِّ شىءٍ إذا فارقتَه عوَضٌ ... وليس للهِ إن فارقتَ من عوَضِ

فاصْبِر عليه ينَلْ بالصبرِ وُصْلتَه ... فالمرْء فيه خلا والحكمُ فيه قضى [4]

الحكمُ للهِ وهْوَ العدلُ فارضَ به ... مايغلبُ الدهرَ إلا مَن بذلك رضى [5]

* * *

فى الأمثال : « فى الله عوَضٌ من كلِّ فائت [6] » .

قائله عمر بن عبد العزيز [illegible]

ورأى أبو جعفر المَعْدَنىّ [7] مكتوبا على جدار :

لكلِّ شىءٍ فقدْتَه عِوَضٌ ... وما لفقْدِ الحبيبِ من عوَضِ

فأجازه بقوله :

وليس فى الدهرِ من شدائده ... أشدُّ من فاقةٍ على مرَضِ

* * *

(١) فى ا : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « [illegible] يتكرر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « [illegible] شفائى » ، وفى ج : « [illegible] شفائى » ، والمثبت فى : ب . (٤) فى ب : « [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « فهو [illegible] » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ا : « [illegible] » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) واسمه محمد بن إبراهيم ، من معدن روزن ، قرية من أعمال نيسابور .

اللباب ٣/١٥٨ ، معجم البلدان ٤/٥٧٣ .

وقوله : « مايغلب الدهر . . » إلخ ، منه :

لِكُلِّ شيْءٍ مُدَّةٌ وتنقضي   ما غلَبَ الأيّامَ إلا من رَضِي

* * *

ومما يُنسب إليه :

قد لامَنِي الخلْقُ في عِشْقِ الجمالِ ولم   يدرُوا مُرادِيَ فيـــه آهِ لو عرفُوا

وصلتُ منه إلى الإطلاقِ ثم سَرَى   سِرّى إلى قَيْدِ حُسْنٍ عنده وقفُوا (١)

* * *

وله تخميس الأبيات المنسوبة إلى العارف بالله تعالى أحمد الرِّفاعِيّ (٢) :

أَفُوهُ إذا يشْدُوا الأنامُ بشكرِكُمْ   وأكتمُ سِرِّى لا أبُوح بسرِّكُمْ (٣)

أحيْتنا من طِيبِ نشْرِ حُمــيِّكُمْ   إذا جَنَّ ليْلِى هام قلبي بذكْرِكُمْ (٤)

أنوح كما ناح الحمامُ المطوَّقُ

عسى ولعـــل الدهرَ يأتى بهم عسى   لأشهدَهم عند الصباحِ وفي المسا (٥)

فقلبيَ من فَقْدِ الأحبَّةِ قد قسا   وفَوْقِي سحابٌ يمطِر الهمّ والأسى

وتحتى بحارٌ في الهوى تتدفّقُ (٦)

إذا فاح مـــن نَجْدٍ بقلبي عَبيرُها   فلا عَجَبٌ إن قلتُ إنّى سَميــرُها

(١) في ب : « وصلت فيه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي ب ، ج : « إلى قيد حسن عنه قد وقفوا » ، والمثبت في : ا .

وفي هامش ج : « هذا فيه رائحة من مذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود ، وقبيح » .

(٢) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن الرفاعي .

إمام وقته في الزهد ، والصلاح ، والعلم ، والعبادة .

وكان يسكن أم عبيدة بالعراق .

توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

شذرات الذهب ٤ / ٢٥٩ ـ ٢٦١ ، طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة الخامسة) ٤ / ٤٠ ، النجوم الزاهرة ٦ / ٩٢ ، ٩٣ ، وفيات الأعيان ١ / ١٧٢ ـ ١٧٤ ، ترجمة رقم ٦٩ .

والأبيات في : شذرات الذهب ، والنجوم الزاهرة ، ووفيات الأعيان . وانظر حواشي النجوم الزاهرة .

(٣) في ا : « وأكتم أمرى » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « هام قلبي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والمصادر السابقة . (٥) في ا : « وأشهدهم عند الصباح » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في المصادر السابقة : « وتحتي نار بالأسى تتدفق » .

وإن خَمَدتْ نارى فوَجْدِى يَثيرُها   سَلُوا أمَّ عَمْــرٍو كيف باتَ أسِيرُها

تفكُّ الأُسارَى دونه وهْو مُوثَقُ

وفى تَلَفِ الأرْواحِ كم لى إباحَــةٌ   وفى منزلِ المشّاقِ كم لى سِياحــةٌ

فياوَيْحَ صَبٍّ أثخَنَتْه جِراحَـــةٌ   فلا هو مقْتولٌ ففى القتْلِ راحَـــةٌ

ولا هو مأْسورٌ يُفَكُّ فيُطْلَقُ [1]

* * *

[2] وشعره كثير ، ويكفى من الدّلالة [3] ما أبان الطُّرُق ، ومن القِلادة ما أحاط بالعنُق [2] .

* * *

ومن فصوله القِصار ، الجارية مَجْرَى [4] الأمثال و [4] الحِكَم ، قوله :

لا يترُكُ الوسائطَ ، مَن لم يصِلْ من البسائط .

من صدقتْ سَرِيرتُه ، انفتحتْ بصيرتُه .

طُرُقُ الله لا تُحصَى للإكْثار ، وأقربُها إليه الذِّلّةُ والانْكِسار .

الخمولُ يذهِبُ الحجْبَ ، والشهرةُ تُورِثُ العُجْب .

مَن لم يكْمُل عقلُه ، لا يمكن نقْلُه .

فى القَرْنِ العاشر ، احْذَر أن تُعاشِر .

فى القرن العاشر من القرُون ، تُسِيء بالصالحين الظُّنون .

المحبّةُ تصْحيح النَّسَب ، وثمرةُ المُكْتسَب .

---

(١) فى شذرات الذهب ، ووفيات الأعيان : « ولا هو ممنون عليه فيطلق » ، وفى النجوم الزاهرة : « ولا هو ممنون عليه فيعتق » .   (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .   (٣) فى ج بعد هذا زيادة : « لى » ، والمثبت فى : ب .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

الأخُ مَن يعرِف حالَ أخيه ، فى حياته (١ وبعد مايُوارِيه ١) .
إذا انفَسدت أحوالُ الشَّريعة ، فأشْراطُ الساعة سرِيعة .

*

وله فروع سَمَتْ فى دَوْحة بُستانِه ، وتروَّتْ بصَيِّبِ الأنْواء من صَوْب هتّانِه .
أشْرق مجـدُهم إشْراق الشمس ، وقاموا لِذاتِ الفضْل مَقامَ الحواسِ الخمْس ؛
فمنهم :



(١) فى ا : « وبعد مماته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/٤٣٣ .

٥٣

محمد الكبير *

الذى لا يفى بوصفه التعبير .

قام بعد أبيه خليفة ، واتخذ الزهد سميره وحليفه .

فكأنه لم يمت من خلفه ، ولا غاب عن أهله من استخلفه .

فهو البقية الصالحة وقد ذهب الكرام ، والذات الفالحة اللائقة بالإكرام .

إلا أنه لم يطل عمره ، ولا خلص من الوهن نهيه وأمره .

فمات ودفن عند أبيه ومربيه ، فلا زالت رحمة الله تحييه وتحييه .

ومن المعلوم أن المورد واحد ، ويستوى فيه ولد ووالد .

وهو معدود من رجال الطريق ، ومنخرط فى سلك ذلك الفريق [1] .

وله فضل ومجد ، وأخلاق تحكى صبا نجد .

مع تبتل وركون ، وإنابة إلى الله فى حركة وسكون .

* * *

(*) محمد بن أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتى ، الحنفى ، الدمشقى .
ولد سنة ست عشرة بعد الألف .
وأخذ العلم عن والده ، وغيره من علماء عصره .
ولزم الشيخ أحمد بن على العسال مع والده فى طريق الخلوتية .
كان من فضلاء وقته ، وأدبائها ، صوفيا ، حسن المعاشرة ، خفيف الروح ، مع صلاح ، وتقوى ، وعبادة .
وكان مغرما بالجمال ، وله نحو مستعذب .
توفى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن عند والده ، بتربة باب الفراديس .
خلاصة الأثر ٣/٣٩٩ .

(١) فى ب : « ويرقى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبالجملة فمقدارُه عظيم ، ولكنه يُقِلُّ من النَّثْرِ والنَّظِيم .

ولم يحضُرْني من شعره ، إلا قوله (١) :

ياصاحِ إن الشَّعْر يُزْرِى بِذِى الْ — حُسْنِ وإن كان بَهِيَّ الجَمالْ

أما ترى الأنفُسَ من شَعْرةٍ — تَعافُ للماءِ الفُراتِ الزُّلالْ

* * *

وهذا (٢) معنى تداوَلته (٢) الشعراء ، والسابق إليه أبو إسحاق الغَزِّيّ (٣) ، في قوله (٤) :

يقولون ماء الحُسْنِ تحت عِذاره — على الحالةِ الأُولَى وذاك غُرورُ (٥)

أَلسْنا نَعافُ الشُّرْبَ من أجْل شَعْرةٍ — إذا وقعتْ في الماءِ وهْو نَمِيرُ

* * *



(١) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٣٩٩ .

(٢) في ا : « المعنى تداوله » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٣ / ٤٠٠ .

(٣) تقدم التعريف به في صفحة ٢١٨ . (٤) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٤٠٠ .

(٥) في ج : « على الحالة الأدنى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وفي ب : « فذاك غرور » .
والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ثم خلفه[1] :

٥٤

أبو السعود*

واسِطةُ عِقْدِهم المُقتنَى، وغصنُ رَوْضِهم[2] المُجتنَى .
وعَبِيرُ ذِكرِهم المُردَّد، ولسانُ حالهم المُجدَّد .
يَرُوقُك مُجتلاه، ويَحُلُّه يهزَأ بالبدْر مُعتلاه .
كَرُم فَرْعاً وأصْلا، وشَرُف جِنْساً وفَصْلا .
وله فضلٌ أضحَى تاجاً لرأس المَناقِب، وأدبٌ سوقد به نُجومُ الليل الثَّواقِب .
وبيني وبينه مُوالاة مُحقَّقة، وعهود موثَّقة، ونفحات كرمه عن أذكى[3] من الزَّهر غِبَّ القَطْر مُفتَّقة .

* * *

ورأيتُ له أشعاراً فى الذِّرْوة من الانْطِباع ثاوِية، لها فى كلِّ قلب بلُطْفِ مَوقِعِها خَلْوة فى زاوية .

---

(١) فى ا : « الخليفة » ، والمثبت فى : ب ، ح .
(*) فى ا بعد هذا زيادة : « ولده » ، والمثبت فى : ب ، ح .
وهو أبو السعود بن أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتى ، الدمشقى .
ولد بدمشق ، سنة اثنتين وأربعين بعد الألف .
ونشأ فى كنف والده ، فأخذ عنه طريق الخلوتية ، كما أخذ عن السيد محمد [illegible] الخانى الخلوتى .
وقد عهد إليه بأمر الخلوتية بعد أخيه الشيخ إبراهيم ، فأقام عهدهم فى الجامع الأموى .
كان أبو السعود شيخا مبجلا ، عابدا ، متنسكا ، أديبا .
توفى سنة عشرة ومئة وألف ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، بالقرب من والده .
سلك الدرر ١/٦٣ ـ ٦٥ . وقد نقل المرادى عن « النفحة » ترجمة المحبى له .
(٢) فى ب ، ح : « روضهم » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٣) فى سلك الدرر : « أذكى » .

وقد أثبتُّ منها قصيدةً شطّر بها سينيّةَ ابنِ الفارض [١]، فناصفَها شَطْرَ الحُسْن :
كما تناصَفَ حُسْنُ الخدِّ بالعارض .

وهى هذه [٢] :

قِفْ بالديارِ وحَىِّ الأَرْبُعَ الدُّرُسا	مخاطبـــاً لرَسيسِ الشوقِ مُقْتبِسا
واسْتَرْجِعِ القولَ يا ذا الرَّأْيِ مُختبِرا	ونادِها فعساها أنْ تُجيبَ عَسَى
وإن أجنّكَ ليـــلٌ من تَوَحُّشِها	فلا تكنْ آيِساً لا كان من أيِسا [٣]
خُذْ من زِنادِ الجوَى ناراً مُشعْشعةً	فاشْعَلْ من الشوقِ فى ظَلْمائِها قَبَسا
ياهل دَرَى النَّفَرُ الغادُونَ عن كَلِفٍ	مُوَلَّهٍ هائمٍ كأسَ الغرامِ حَسا [٤]
تَراهُ مُسْتصْعِبَ الأفْكارِ ذا حُرَقٍ	يَبيتُ جُنْحَ الليالى يرقُبُ الغَلَسا [٥]
فإن بَكَى فى قِفـــارٍ خِلْتَها لُجَجاً	ماشامَها ناظِرٌ إلّا همَى وجَسا [٦]
وإن خَبَتْ نارُه هاجَ الغـــرامُ به	وإن تنفّسَ عادتْ كلُّهـــا يَبَسا
فذو المحـــاسنِ لا تُحْصَى محاسنُه	إذا رآه عَذُولٌ حاسدٌ خَنَسا [٧]

---

(١) أبو حفص ، وأبو القاسم شرف الدين عمر بن على بن مرشد ، ابن الفارض .
أشعر الصوفية ، وللناس اختلاف كبير فى أمره ، حتى اتهم بأنه شيخ الاتحادية .
كان جميلا ، نبيلا ، رقيق الطبع ، فصيح العبارة .
توفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .
شذرات الذهب ٥ / ١٤٩ ، لسان الميزان ٤ / ٣١٧ ، ميزان الاعتدال ٣/٢١٤ ، وفيات الأعيان ٣/١٢٦ .
والسينية فى ديوان ابن الفارض (بشرح البورينى والنابلسى) ٢/١٣٢ ـ ١٣٨ .

(٢) سلك الدرر ١/٦٤ ، ٦٥ .

(٣) فى ديوان ابن الفارض : « فإن أجنك ليل » وفى ا : « فاحذر تكن آيسا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٤) فى ب ، ج : « كاس الفراق حسا » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٥) فى ا : « مستصعب الأفكار » ، وفى ج : « مستعجب الأفكار » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . وفى ا : « يبيت جنح الدياجى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وديوان ابن الفارض ، وسلك الدرر .

(٦) فى ا : « ما شامها ناظرا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . وفى ب : « إلا همى وحسا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٧) فى ا : « إذا رآه عذولى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

ومن أبيتَ فلا فقْـــد لوَحْشته … وبارعُ الأُنسِ لم أعـدمْ به أُنُسا (١)

قد زارني والدجَى يرْبَدُّ من حَنَقٍ … وَحُسْنُ إشْراقه بالشُّهْب قد خرِسا (٢)

فالزُّهْر تَرْمُقـــــــه عُجْباً بزَوْرته … والزَّهْرُ يبسِم عن وجهِ الدُّجَى عَبَسا (٣)

وابْتَزَّ قلبيَ قَسْراً قلتُ مَظْلَمَـــةٌ … فحَسْبِيَ اللهُ ممَّن قد جَنَى وقَســـا

خيَّرتني فأنا المختــــارُ وا أسَفِي … ياحبَا كم الحبّ هذا القلبَ لم حُبِسا (٤)

زرعْتُ باللَّحْظِ وَرْداً فوق وَجْنته … فأثْمرتْ منه لي في ناظِرَيْهِ أسَى (٥)

إن رُمْتُ أقطفُ منه عِطْرَ رائحـةٍ … حقًّا للطَّرْفِ أن يجْنِي الذي غرَسا

وإن أبَى فالأقاحِي منـه لي عِوَضٌ … أوْرَدْته القلبَ حيث الحبُّ فيه رسَا (٦)

حملتُه رأسَ مالي مُنْـــذُ ربحتُ به … مَن عُوِّض الثَّمرَ عن دُرٍّ فما بَخِسا (٧)

إنْ صال صِلُّ عِذارَيْه فلا حَرَجٌ … أن عاد منـــه صحيحُ الجسم مُنْتكِسا

فبرده سُنَّةٌ للعشْقِ واجبـــةٌ … أن يجْنِ لَسْعاً وأنّى أجْتَنِي لَعَسا (٨)

---

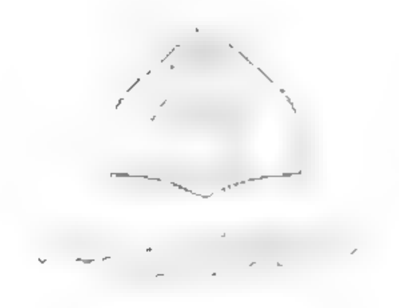
(١) في ا ، وسلك الدرر : « وبارح الأنس … » والمثبت في : ب ، ج ، وديوان ابن الفارض .
وفي شرح الديوان : « والأنس ، بضم الهمزة : خلاف الوحشة . . . وأنسا ، الواقع في آخر البيت ضم الهمزة والنون ، بمعنى الأنس الذي قبله ، ويجوز أن يقرأ بفتح الهمزة وكسر النون ، بمعنى الأنيس » .
(٢) في ا : « والدجى يرتد » ، وفي ب ، ج : « والدجى يزبد » ، وهي رواية في الديوان ، والمثبت في : سلك الدرر ، والديوان . وفي ا ، وسلك الدرر : « من خنس » ، والمثبت في : ب ، ج ، وديوان ابن الفارض ، وفيـه : « كم زارني » . (٣) في الديوان : « والزهر تبسم عن وجه الذي عبسا » ، وفي شرح الديوان : « قوله : والزهر ، يروى بضم الزاي ، على أن المراد بها النجوم » . وانظر هامش سلك الدرر . (٤) في ب : « خيرتني فأنا المختار » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .
(٥) في سلك الدرر : « في ناظري أسى » . (٦) في ديوان ابن الفارض : « فإن أبى فالأقاحي… » .
(٧) في ديوان ابن الفارض :

* مَن عُوِّض الدُّرَّ عن زَهْرٍ فما بخسا *

(٨) في ج : « أن أجن لسعا » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر ، وديوان ابن الفارض ، وفي شرحه : « وأن في قوله : أن يجن ، مصدرية ، وإنما حذفت الياء لضرورة الشعر ، وأصله : أن يجني » . وفي ا ، وسلك الدرر : « وإنما يجتنى لعسا » ، وفي ب : « وأني يجتنى لعسا » ، والمثبت في : ج ، وديوان ابن الفارض .
واللعس : سواد مستحسن في الشفة .

كم باتَ طَوْعَ يدى والوصلُ يجمعُنا | لم يخطُر السوء فى قلبى ولا هَجَسا
وزادنى عِفَّة إذ كان ذا ثقةٍ | فى بُرْدتيه التُّقى لايعرف الدَّنَسا (١)
تلك الليالى التى أعدَدْتُ من عُمُرى | يالَيْتها بقِيَتْ والدهرُ ما نُكِسا (٢)
ويا سقى اللهُ أيَّاماً لنا سلَفَتْ | مع الأحبَّةِ كانت كلُّها عُرُسا
لم يَحْلُ للعين شىءٌ بعد فرقتهم | وما صَبَا دونها صَبٌّ الجوى ونسا (٣)
ولا شَمَمْتُ نسيماً أستلذُّ به | والقلبُ مذ آنَسَ التَّذكار ما أنِسا
ياجنَّةً فارقتها النفسُ مُكرَهةً | أبقِي لصَبِّك فى نيلِ المنى نَفَسا
وحقِّ مُوثَقِ عَهدٍ لا انفكاكَ له | لولا التأسِّى بدار الخُلدِ مِتُّ أسَى

* * *



(١) فى ب : « لم يعرف الدنسا » ، وفى ج ، والديوان : « لا تعرف الدنسا » ، والمثبت فى : أ ، سلك الدرر . (٢) فى ب ، ج : « والدهر ما مكسا » ، والمثبت فى : أ ، وسلك الدرر .
(٣) فى ديوان ابن الفارض ، وسلك الدرر : « بعد بعدهم » .
ونسا الرجل : ترك عمله .

٥٥

أحمد بن محمد المهمنداريّ الحلبيّ المفتيّ *

اتخذ الثُّريَّا مَصْعَدا، وورَد المَجرَّة مَقْعَدا.

ثم طلع سَنَبًا فكان فى ثغر الشام، وهبّ نسيمًا حرّك طربًا أغصانَ البَشَام.

واستقرّ برَوْضِها (١) الزاهر، استقرارَ الغَمْض فى الجَفْن الساهر.

فقيّد الأعيُنَ بصفاته، كما عقَل (٢) الأفكارَ بلَحْظِه والتِفاته.

وهو سَبيجُ وَحْدِه سِبْالاً على الفضل واشتمالا، ووحيدُ نَسْجِه إبداعًا لتحائف القَول واعتمالا.

(*) أحمد بن محمد بن عبد الوهاب المهمندارى الحلبى ثم الدمشقى، الحنفى، نزيل دمشق.

ولد سنة أربع وعشرين بعد الألف.

وطلب العلم على جماعة، منهم: والده، والشيخ محمد نجم الدين الحلفاوى وغيرهما.

وذكره الشيخ إبراهيم الخيارى المدنى فى «رحلته الرومية»، وأثنى عليه، وقال: إنه أسمعه بعض مباحث فى التفسير له.

قدم المهمندارى إلى دمشق الشام واستوطنها، بعد أن استوى عوده، واشتهر علمه، وتصدر للإفادة والتدريس، وتولى الإفتاء بدمشق، سنة ست وسبعين بعد الألف، كما تولى نيابة الباب بدمشق، وتدريس السليمانية.

وكان من أفاضل الأجلاء، عالما ماهرا متضلعا من علوم شتى، حسن الخلق.

والمهمندارى: نسبة إلى جامع المهمندار بحلب؛ لكون جده كان إماما به.

توفى المهمندارى سنة خمس ومائة وألف، ودفن بتربة الشيخ أرسلان.

سلك الدرر ١/١٨٦ ـ ١٩١، وقد نقل المرادى عن «النفحة» ترجمة المحبى له، دون قصيدة المحبى الآتية فى مدحه، وزاد عليها.

وقد ذكر المحبى المترجم، فى خلاصة الأثر ٤/٣٣، فى ترجمة والده محمد بن عبد الوهاب، فقال: «والد شيخنا العالم الفهامة أحمد مفتى الشام الآن..»، ونقل الطباخ، فى إعلام النبلاء ٦/٢٩٩ هذه العبارة، بل نقل ترجمة والده كلها دون أن يشير إلى مصدره، وهو خلاصة الأثر، مما يوهم أن أحمد المهمندارى شيخ الطباخ لا شيخ المحبى، فليحرر.

(١) فى سلك الدرر: «روضها».

(٢) فى ب: «عقد»، والمثبت فى: ا، ج، وسلك الدرر.

يتحلّى بُخلُق لو كان للروض ماذَبُل فى الشتاء نَوْرُه ، وفِكرٍ لا يُدْرَكُ غَوْرُه .

وَحِلْمٍ ماشِيبَ بوَهْن ، وتثبُّتٍ لم يَخِفَّ له وَزْن[1] .

يصعُبُ إغضابُه ويسهُل استرْضاؤه[2] ، ويَفيض إقباله ولا يُتوقَّع إعضاؤه .

ويقرب الزمن[3] فى عَطْفه ، ولا يتراخَى المَدى إلى لُطْفِه .

وهنالك أدبٌ تسلسَل الرِّقّة يتدفق ، وطبعٌ عن زَهْر الرياض يتفتّق .

فإذا نفوّه بسطت الحُجُور لالتقاط لآلِيه ، وإذا أملَى تركَ[4] اللآلِئ إملاء أماليه .

وهو أحدُ مَن حضرتُ عنده ، واقتدحْتُ فى الاستِفادة زَنْده .

وكان هو وأبى عَقيدَىْ صُحْبة ، وأليفَىْ مودَّة ومحبَّة .

وبينهما لُحمةٌ ليستْ سُدى ، واتفاق ليس إلا بُرْد[5] فضلٍ ونَدَى .

وكان أبى يقول فيه : لم أرَ مثلَه كثرةَ إناءة ، وتجنُّبَ بذاءةٍ وإساءة .

وتناسُب ذاتٍ ونَمْت ، وتوافُق سَجيّة وسَمْت .

ترُوق أنوارُ خِلاله ، وأدبه تتنفَّس الرياضُ فى خِلاله .

***

وقد أوردتُ له من شعره الرّقيق ، ماهو أعْذَب من رِيق النَّدَى فى ثُغور الشقيق .

فمن ذلك قوله من قصيدة مطلعها[6] :

دون رَشْفِ اللَّمَى وضَمِّ النهودِ ... طَعَنــاتُ المثقَّفِ الأُمْلودِ[7]

واقتِحامُ المُنونِ أجْـــدَرُ إنْ ... أعْقبَ وصلاً بجــال كل جِيدِ[8]

---

(١) فى ا : « قرن » . والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى سلك الدرر : « إرضاؤه » .

(٣) فى ا : « الذمة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) فى ا : « تركب » ، وفى ب : « تدرك » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر . (٥) فى سلك الدرر : « بر » .

(٦) سلك الدرر ١/١٨٧ ، ١٨٨ . (٧) الأملود : الناعم اللين . (٨) فى ا : « واقتحام المنون احذر إذا » ، وفى ب : « واقتحام الموت أجدر من أن » ، والمثبت فى : ج ، وسلك الدرر .

مُهَجُ العاشقين منذ قديمٍ ... خلصتْ للبلاءِ والتَّنْكيدِ

مَن لقلبي بأغْيَدٍ قصَم القلْـ ... ـبَ بعَضْبٍ من اللَّحاظِ حَديدِ (1)

أَلِفَ الثغْرةَ التي تَعقِلُ العقْـ ... ـلَ وتُذْرِى الدموعَ فوق الخُدودِ

* * *

وكتب إلى والدى (2) :

حيّتك فضلَ الله دِيـ ... ـمةُ سُؤدُدٍ شدّت بجِدِّكْ (3)

وعمَتْك أنوارُ السعا ... دةِ فاغتنِمْ إشراقَ سَعْدِكْ (4)

وكذا الفضائلُ والفوا ... ضِلُ والمكارمُ حَشْوُ بُرْدِكْ

أما القريضُ ونسْجُه ... فلأنتَ فيه نسيجُ وحْدِكْ

...ـت حقّقْ فخَرتْ كما ... بأبيك قد فخَرتْ وجَدِّكْ (5)

مولايَ فكري قاصرٌ ... عن أن يُحيط بكُنْهِ حدِّكْ (6)

فاسلَمْ ودُمْ ... تبقى على الدنيا كوُدِّكْ (7)

* * *

فراجعه بقوله (8) :

هل زهرُ روضٍ أم جوا ... هرُ أنجُمٍ أو دُرُّ عِقْدِكْ (9)

أم روضةٌ قد فاح من ... ريّا رُباها عَرْفُ نَدِّكْ

(1) في ا : « من لقلبي من أغيد قصم القلـ ـب » ، وفي سلك الدرر : « من لقلبي بأغيد قصم القلـ ـب » ، والمثبت في : ب ، ج .

(2) سلك الدرر ١/١٨٨ . (3) في ب ، ج : « حبتك فضل الله » ، والمثبت في : ا ، وسلك الدرر.

(4) في ج : « وعليك » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر ، وفي ا : « أنواء السعادة » ، وفي سلك الدرر : « أنواع السعادة » ، والمثبت في : ب ، ج . (5) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وسلك الدرر. (6) في ا ، ج : « بكنه مدك » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر.

(7) في سلك الدرر : « تبق على الدنيا بودك » . (8) سلك الدرر ١/١٨٨ .

(9) في ب : « أم ورد عقدك » ، وفي سلك الدرر : « أم در عقدك » ، والمثبت في : ا ، ج .

أمْ ذِى بدورٌ أشرقَتْ ... فى حَيِّنا من أُفْقِ سَعْدِكْ

يامُفْرَدَ العصرِ الذى ... لم تسمحِ الشَّهْبا بِنِدِّكْ

أنت الذى افْتَخَرتْ بفضْـ ... ـلِكَ أهلُها من عَصْرِ مَهْدِكْ [١]

ولكَ المعارفُ والعوا ... رفُ واللطائفُ قَدْحُ زَنْدِكْ

أرسلْتَ نحوىَ غادةً ... ألفاظُها شُهِدَتْ بشَهْدِكْ [٢]

حيَّتْ وحُيِّيتَ مُغْرَمًا ... قد كان منتظِرًا لوَعْدِكْ

وإليكَ منِّى روضةً ... تُهْدِى ذَكِيَّةَ بحَمْدِكْ

وافتْ على ظَمَأٍ بها ... تَبْغى الوُرودَ لِعَذْبِ وِرْدِكْ

فاقبلْ بفضلِك عُذْرَ مَنْ ... يَرْعَى الوَفَا لوثيقِ عَهْدِكْ

* * *

ودعاه [٣] الخطيب المحاسنىّ [٤] إلى داره ، وقمر سعده إذ [٥] ذاك فى إبداره [٥] .

فلما طابق خَبَرُ [٦] المجلسِ مَخْبَرَه ، وأطلق فيه عُودَه وعَنْبَره .

أنشد بديها :

قد حللنـا بمنزلٍ فاق حُسْنًا ... وبهاءً وحازَ لُطْفًا عجيبـا [٧]

ضاع مِسْكًا وكيف يُنْكَرُ هذا ... منذ ضَمَّ الخطيبَ ضُمِّخَ طِيبًا

* * *

---

(١) فى ب ، ح : « من حين مهدك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٢) فى ب ، ح : « عذبت بشهدك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٣) نقل المرادى ، فى سلك الدرر ١/١٨٨ ، هذا الخبر عن النفحة . (٤) هو محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسنى ، تقدمت ترجمته برقم ٢٥ ، صفحة ٣٥٣ . (٥) فى ا : « ذاك بداره » ، وفى ب : « ذا إبداره » ، والمثبت فى : ح ، وسلك الدرر . (٦) فى ب ، وسلك الدرر : « خير » ، والمثبت فى : ا ، ح . (٧) فى سلك الدرر : « وزى حسنا » ، وفى ا : « وفق لطفا » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وسلك الدرر .

وقد تناول هذا الجناس من قول بعضهم [١] :

مُلِئَ المنبرُ مسكاً ... مُذ به قمتَ خطيبا
أترى ضَمّ خطيباً ... منك أم ضُمِّخَ طِيباً [٢]

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه معنًى مازلت أُحَقِّق به فكرى ، وأتمنَّى لو كان لى بكلّ شعرى ، وهو هذا [٣] :

مذ رأى الوردُ على أغصانه ... خَدَّ من أهواه فى الروضِ الأنيقْ
صار مُغْمًى فلَطِيفُ الطَّلِّ قدْ ... رُشَّ فى وَجْنتيه كى يستفِيقْ

* * *

وقلت أمدحه :

يدُ ابنُ أحمد وفضلُ أحمدٍ [illegible] الناس طريقَ الرَّشَدِ
لولاه أصبح الوجودُ عاطلاً ولم يبنْ فى الدهرِ طيبُ المَحْتِدِ
مُفْتِى دمشقَ أحبَرُ مَن [illegible] صفاته [illegible] ألذُّ من وصْلِ الحسانِ الخُرَّدِ
مَن عنده اللَّذةُ إدْراكُ المُنى ... وأنكرُ الأصواتِ صوتُ مَعْبَدِ [٤]
لايعلمُ الهزْلَ ولا يحبُّه ... ولا يَميلُ طبعُه إلى الدَّدِ [٥]

---

(١) فى ب زيادة : « هو العلامة فتح الدين الموقع » . ولم أعثر عليه .

(٢) عجز البيت فى ب ، وسلك الدرر : « أم ترى ضمخ طيبا » ، وفى ج : « أم ترو صمح طيبا » والمثبت فى : ا . (٣) نقل المرادى هذا أيضا ، فى سلك الدرر ١/١٨٨ ، عن النفحة .

(٤) معبد بن وهب المدنى ، مولى بنى مخزوم .
بدأ حياته برعى الغنم لمواليه بالمدينة ، ثم ظهر نبوغه فى الغناء ، فأقبل الناس عليه ، ورحل إلى الشام فارتفع شأنه ، واتصل بالأمراء والكبراء .
توفى سنة ست وعشرين ومائة .
الأغانى ١/٣٦ .

(٥) فى ب : « ولا يميل طبعه إلى الرد » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والدد : اللهو واللعب . القاموس (د د) .

تُشْهِرُهُ الأفـــكارُ فى مفاخرٍ ... يُبْدِعها أو مَـــكْرُماتٍ يَبْتدِى[1]

يَنظِمُ منثوراتِهـــا فهْىَ على ... جِيــدِ العُلَى كاللُّؤلُؤِ المُنَضَّدِ[2]

مُذْ حَــلَّ فى بلدَتِنـــا رِكابُه ... هُدِى به من لم يكُنْ بالمُهْتَــدِى

وأصْلَحَ النـــاسَ صَــلاحُ سِيرَه ... فليس من حَـدٍّ بهـــا أو قَوَدِ

ياجِلَّقَ الشـامِ سَقَـــاكِ عارِضٌ ... مِن فضْله يُمْطِر صَوْبَ العَسْجَدِ[3]

ما أنتِ إلا فى البِقاعِ مثــلُه ... فى العُلا أوْحَــدُ لأوْحَــدِ

ماشرّفَ الديارَ غــيرُ أهْلِها ... أحْلِيَةُ العيونِ غيرُ الإثْمِدِ

ما مصرُ إلاّ حيثُ حــلّ يوسفٌ ... لانَسَبٌ بين امْــرِئٍ ومَعْهَـدِ

إنْ صَـدَقَ الظّنّ فقُرْبُ رُتْبَــةٍ ... مِــن رُتْبة كبَلَدٍ من بلدِ[4]

أنْجَبَ فينــا غُصنَ فضلٍ مُثْمِرًا ... بالمعلوات والنّــدَى والسُّؤْدُدِ[5]

تشابَه الغصنُ وروضُه وقَــد ... يظهــر فى الوالدِ سِرُّ الولدِ[6]

حَــكاه فى عِفّتِه وفضـــلِه ... والشِّبْلُ فى المَخْبَرِ مثــلُ الأسدِ

لابَرِحا فى عِزَّةٍ دائمةٍ ... لاتنقضى ما بَقِيا للأبدِ[7]

فإنّ فى بقائِهما صَوْنَ العُلى ... عن أن تَمَسّ بيَدٍ لأحَدِ

---

(١) فى ب: « سهده الأفكار » ، والمثبت فى: ا ، ح. وفى ب ، ح: « ومكرمت يبتدى » ، والمثبت فى: ا.

(٢) فى ب: « ينظم منثوراتها فى علا » ، والمثبت فى: ا ، ح.

(٣) فى ب: « من صوبه يمطر » ، والمثبت فى: ا ، ح.

(٤) فى ا: « وبلد من بلد » ، وفى ح: « كبلدة من بلد » ، والمثبت فى: ب.

(٥) فى ح: « بالعلوان والمدى » ، والمثبت فى: ا ، ح.

(٦) فى ب: « يظهر فى الولد سر الوالد » ، والمثبت فى: ا ، ح ، وهو الذى يستقيم به الوزن.

(٧) فى ب: « لابرحا فى عفة دائمة » ، والمثبت فى: ا ، ح.

٥٦

إبراهيم بن منصور الفَتّال *

شيخ الشيوخ ومُعترَفُهم [1] وبحرُ العلماء ومُغترَفُهم .

أما العلمُ فمنه وإليه ، ومُعوَّل أرْبابِ فنونِه [2] عليه .

وأما الأدب فله فيه التَّبريز ، وإذا كان غيرهُ فيه الشِّيَة [3] فهو الذهبُ الإبْريز .

وله المنطق الذى يسحر العقول ، والفكرُ الذى يصْدأ عنه الفرِنْدُ المصْقول .

مع حديثٍ لا يُمَلّ ، ومَنْظرٍ يَملأ عيْنَى من تأمَّل .

تتنافَس فى مجالسِه دُرَرٌ لوامِعُ وخَلْق جِياد ، فلا تُعلَّق فيه إلا أقراطٌ بآذان وقلائدُ بأجْياد .

(*) إبراهيم بن منصور الفتال [illegible] الدمشقى [illegible]

الشيخ ، العالم ، الماهر ، المحقق ، المتقن [illegible]

قرأ على علماء عصره ، منهم : الملا محمود الكردى ، وأخذ عن عبد الوهاب الغرورى ، وأحمد بن محمد القلعى ، وحضر دروس النجم الغزى

كان فى أول أمره فقيرا ، ثم أثرى وكانت وظائفه قليلة جدا ؛ لهذا اقتصر على بعض تجارة .

تصدر للاقراء ، واشتهر بحسن التأدية والتفهيم ، وكان يعقد حلقة التدريس فى الجامع الأموى ، ثم تحول إلى دار الحديث الأحمدية ، بالمشهد الشرقى ، ثم لزم داره .

يقول المحبى : « وأنا ممن شرفت بالتلمذة له ، وقد لزمته من سنة ثلاث وسبعين وألف إلى أن انتقل إلى رحمة الله وغفرانه » .

وللفتال « حاشية على شرح القطر للفاكهى » .

توفى سنة ثمان وتسعين وألف ، وقد ناهز السبعين ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ١/٥١ ـ ٥٣ .

هذا ، وقد نقل المحبى ، فى خلاصة الأثر ثناءه عليه فى « النفحة » ، فقال : « هو كما قلته فى وصفه : أستاذ الأساتذة ومعترفهم . . . » وفيما بين متن الخلاصة ومتن النفحة خلاف فى الأسلوب .

(١) فى ا : « ومعرفهم » ، والمثبت فى : ب ، ح ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « الصنعة » .

(٣) الشية : العلامة . وأوشى المعدنُ : وُجد فيه يسير من ذهب . القاموس (و ش ى) .

وطبعه يُعِيرُ سحره عيونَ الحور ، ويفضح بعُقود آثاره دُرَرَ البحور .

تبتسِم الفضائلُ عن آثاره ، وتتفتَّح [١] ثُغُورُها بلوامع إيثاره .

وقد ألقى الله عليه مِنْهُ [٢] مَحبَّة ، جلبَتْ إليه مَسْرَى القَبُول ومَهَبَّه .

فلا تزال الأعينُ تُحدِّق إلى مُحيَّاه ، والألْسُن [٣] تدعو بانفِساح مَحْياه .

وراحتُه مخدومةٌ بالقُبَل ، وعيشهُ أنضر من الربيع المُقْتَبَل .

تَوَدُّ كئُوس الراح في أفراحها ، لو تعوَّضتْ بلَحْظةِ أُنْسِه عن راحِها .

وإذا ذُكِر فالقلوب على ثنائِه ذاتُ اتِّفاق ، وخبرُ فضلِه إذا تلِيَ سَمَر [٤] القود وحديثُ الرِّفاق .

[٥] وما أنا في [٥] ترنُّمِي بذِكْره ، وتعطُّرِي بحَمْدِه وشكره .

إلاَّ [٦] النسيمُ نَمَّ على الحديقة بريَّاه ، والصبحُ بشَّر بالشمسِ ضوءُ [٧] مُحيَّاه .

ولى فيـه ما لم يقُلْ شاعِرٌ ... ومالم يَسِرْ قَمرٌ حيث سارَا

وهُنَّ إذا سِرْنَ من مِقْوَلِي ... وَثَبْنَ الجبالَ وخُضْنَ البِحارَ [٨]

فإنه الذى ضربْتُ بحضْرتِه أطْنابَ عمرى ، وأنفقتُ على فائدتِه أيّامَ دهرى .

وتروَّيْتُ من المعـرفة بروائع كلامه ، وملأْتُ سمْعِيَ دُرَّ الأصْـدافِ من آثار أقلامه .

وكان يَنوِّه بي ويُشيِع [٩] أدبي ، وبالجملة فـكان لى مكانَ أبي .

فأنا من حين فقدْتُه فقدتُ كهْفا آوِى إليه ، وسَنَدا أعوِّل في المآرب عليه .

---

(١) في ب ، ج : « وتنفتح » ، والمثبت في : ا . (٢) ساقط من : ب ، وفي ج : « منا » والمثبت في : ا .
(٣) في ا : « والأنفس » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « سر » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٥) في ب : « وأما أنا في » ، وفي ج : « ومني » ، والمثبت في : ا .
(٦) في ب زيادة : « أن » ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) في ب : « نور » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٨) في ا : « وخض الجبال » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/ ٥١ . (٩) في ا : « ويسمع » والمثبت في : ب ، ج .

فحُقَّ لفؤادى [١] أن يستعِرَ بوَقْدِه ، ولدمْعِى أن يسيلَ دماً على فَقْدِه .
وأسألُ اللهَ أن يُزْلِفَه من رحمتِه ويُدْنِيه ، ويُقْطِفَه زَهْرَ رِضْوانه [٢] ويُجْنِيه .

***

فما تناولته من نظمه ، قوله فى مديح صاحب الشفاعة ، صلّى الله عليه وسلّم [٣] :

كلُّنا سيِّدى إليك نَؤُوبُ ... مالَنا لا نَمِى الأنَا ونتوبُ [٤]

إنّ عمرَ الشبابِ ولَّى وأبْقَى ... ماجَنَاه فيــه وذاك الذُّنوبُ [٥]

فإلى كم هذا التَّوانِى وقد جا ... ءَ نذيرُ الحِمامِ وهْو مَشِيبُ

* * *

ما أحسن قول ابن نُباتة : جاء النّذيرُ العُرْيان وهو الشَّيب ، وابْيَضّ بُرْدُه
فظهَر فيه دنَس العَيْب .
وآذَن صُبْحه بالتفْريق ، ونشر بين السَّواد صفحته فعلِم أنها ورقةُ طريق .
والنّذير العريان : زَنَيْر [٦] بالنون ، بن عمرو الخثعمى [٧] .
كان ناكحاً لامرأة من بنى زبيد العربين [٨] . فأرادت زبيد أن تغزو خثعم ، فحرسه
أربعةُ نفر منهم ، وطرحوا عليه ثوباً ، فصادف غرّة محاضرهم [٩] بعــد أن رمى ثيابَه ،
وكان من أجْوَدَ الناس شدّا [١٠] .

---

(١) فى ا : « فؤادى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « روضه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) القصيــدة فى خلاصة الأثر ١/٥٣ . (٤) فى ا : « مالنا لومى » ، والمثبت فى : ب ، ج ،
وخلاصة الأثر .
(٥) فى خلاصة الأثر : « و [illegible] ذنوب » .
(٦) فى ا : « زنير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى المشتبه ٣٣٢ : « وبالفاء والنون : زنير بن عمرو
الخثعمى ، أحد الشعراء » .
وقد نقل المحبى هذا الخبر بتمامه عن المؤتلف والمختلف ١٩٢ .
(٧) فى الأصول : « عمر » ، والمثبت فى المؤتلف والمختلف ، والمشتبه .
(٨) ليست هذه الكلمة فى المؤتلف والمختلف .
(٩) فى الأصول : « خاصرهم » ، والتصويب من المؤتلف والمختلف .
(١٠) فى الأصول : « شعرا » ، والتصويب من المؤتلف والمختلف .

وقال فى ذلك :

أنا المُنذِرُ العُرْيانُ يَنْبُذ ثوبَه ... لكَ الصدقَ لا يَنْبُذْ لكَ الثوبَ كاذِبُ (1)

* * *

نَدَّعِي الحبَّ فِرْيةً إنما الْ ... حُبُّ حَرِيٌّ بأن يُطاعَ الحبيبُ

ليس هـذا دأبُ المُحبِّين لـكن ... قد نَحاه مُشتَّتٌ مَحْجوبُ

إن أعداءَنا توالتْ علينا ... نَفْسُنا والهوى وعقلٌ مُريبُ

كيف يرجُو الخلاصَ منهم مُعَنًّى ... فى عَماه مُـكَبَّلٌ مَجْبوبُ (2)

مَن نُرجِّى لدفعِ داءٍ عُضالٍ ... غيرَ خيرِ الورى وذاكَ الطبيبُ (3)

سيِّدُ المُرسلين خيرُ نبىٍّ ... شافعُ الخلقِ يومَ تُبْلَى العيوبُ

مَبْدأُ الـكونِ خَتْمُ كلِّ نبىٍّ ... قد حَباه الحِبا قريبٌ مُجيبُ (4)

عَلَّه أن يقول فى الحشرِ عَنِّى ... إنَّ هـذا لجاهِنا منسوبُ (5)

وله عندنا وِدادٌ قديمٌ ... وعلينا يومَ النِّدا محسوبُ (6)

مَن لهذا الحَقيرِ غيرُ نَصيرٍ ... أو شفيعٍ دعاؤُه يستجيبُ (7)

أن عَوْنٌ له ويكْفيه عَوْنًا ... مِن سِواى ولى فِناءٌ رَحيبُ

---

(1) فى المؤتلف والمختلف بعد هذا : « وخبره مستقصى ، وشعره ، فى كتاب خثعم » .

وقد ذكر الزمخشرى ، فى الفائق ٢/١٣٣ ، والفيروزابادى ، فى القاموس (ن ذ ر) ، وابن منظور ، فى اللسان (ع ر ا) ١٥/٤٨ ، أن النذير العريان رجل من خثعم ، حمل عليه يوم ذى الخلصة عوف ابن عامر ، فقطع يده ويد امرأته .

(2) فى ا : « فى عماه مجبل محبوبه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (3) فى ا : « من ترجى » ، وفى خلاصة الأثر : « من يرجى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (4) فى خلاصة الأثر : « قد حباه الحيا » . (5) فى ا : « إن هذا لجاهنا محسوب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(6) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى ب : « يوم الندى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (7) فى ب : « من لهـذا الفقير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى خلاصة الأثر :

من لهذا الحقيرِ غيرى نصيرٌ ... أو شفيعٌ دعاه يستجيبُ

يا نَبِيَّ الهـــدى وغَـوْثَ البَرايا ووحيداً وليس فى ذا عجيبُ [1]
خَصَّكَ اللهُ بالمراحمِ جَمْعـــاً مَن يَعِى ذاكَ عاقلٌ ولبيبُ [2]
كلُّ فضـــلٍ مِصباحُه أنتَ حقًّا إنَّ هــذا فى المَكْرُماتِ غريبُ
كلُّ من لم يرَ افْتراضَ هواكمْ فهْو فى النارِ حَقَّـــه التَّعذِيبُ

* * *

وأنشدنى من لفظه لنفسه [3] :

ماثِبْتُ شيئـــاً إذا كنتُ مُقتصِرَ فى تحْصِيلِ أسْبابِ تَوْفيقِى وإسْعـــادِى
إلاَّ ضَياعَ نَجـــاتِى وهْى نافعتِى يارَبِّ هبْ لِى يومَ الحَشْرِ إنجادِى [4]

* * *

وله [5] :

إن كانَ ذَنْبِي فى الشدائدِ موقِعِى وبه لقد لاقيتُ ما أنا فيـــهِ [6]
فالعفـــوُ منك يزيلُ ذاكَ تكرُّماً كالشمسِ إن أتتِ الدُّجَى تجْلِيه

* * *

ولما دُفِن فى تربته أنشدتُ :

ياتُرْبةً قد غاضَ بحـــرُ النَّدى فيها وبدرُ التِّمِّ عنـــد التَّمامْ
ماهِىَ إلاّ حُقَّـــةٌ أُودِعتْ من طَيِّبِ العُنْصرِ مِسْكَ الختامْ

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) فى خلاصة الأثر : « ويعى ذاك عاقل ولبيب » .
(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ١ / ٥٣ . (٤) فى خلاصة الأثر : «يارب هل لى يوم الحشر إنجادى» .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ١ / ٥٣ . (٦) فى ب : « بالشدائد موقعى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

٥٧

رمضان بن موسى العُطَيْفِيّ *

فاضلٌ حظُّه من المعرفة وافِر ، ووجهُ أمانيهِ طَلْقٌ سافِر .

مازال من الحال في أعذبِها شِرْعة ، ومن الحُظوة في أسْوغِها جَرْعة .

وكان مرفوعَ الحِجاب منْزوع رِداءِ الإعْجاب .

وله في الخُلق والخَلق من الرِّضْوان رِضوان ، وفي النَّثر والنظم من المَرْجان مَرْجان .

وأما عهدُه فهو بالصِّدق مُحَلَّى ، ووُدُّه يَبْلى الجديدان ولا يَبْلَى .

لا أقول إنه أصْفَى من الماء فقد يَشْرَق به الإنسان ، ولا أضوأ من قمر السماء فقد يدرِكه النُّقصان .

وكنت وصِبايَ [1] عاطِرُ النَّفحة ، لَدْنُ الغصْن ناضِرُ الصَّفحة .

حضرتُ دروسَه في العربيَّة ، وأخذت عنه أشياء من الفنون الأدبيَّة .

(*) رمضان بن موسى بن محمد العطيفي ، الدمشقي ، الحنفي ، المعروف بابن عطيف .

ولد سنة تسع عشرة وألف .

وقرأ بدمشق على مشايخ أجلاء ، منهم : رمضان بن عبد الحق العطاري ، والعمادي المفتي ، ومصطفى
ــ الدين ، وغيرهم .

وأخذ الحديث عن النجم الغزي ، وغرس الدين الخليلي المدني .

وقد ذكره الخياري ، في « رحلته » ، وذكر أنه كانت بينهما مكاتبات .

كان العطيفي لطيف الطبع ، راوية للشعر وأيام العرب ، فقيها نحويا ، أديبا .

توفي سنة خمس وتسعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، في مسجد النارنج .

خلاصة الأثر ٢/١٦٨ ــ ١٧١ .

(١) في ب : « في صباي » ، والمثبت في : ا ، ج .

ثم وقفتُ له على بدائعَ من آثاره بهيّة الإبداع ، فأثبتُّ منها ماهو عَبَقُ الأفواه وحَلْيُ الأسماع .

* * *

فمن ذلك قوله من قطعة ، كتب بها لبعض الأدباء ، جوابا عن أمر ، كتبه إليه في قرنفل [1] :

يامن زيّن سماء الدنيا بزُهْر النجوم ، وزيّن الأرضَ بزَهْرها المنثور والمنظوم .

نحمَدُك على ما أبدعَتْ حكمتُك في هذه الأعصار ، من زاهي الأزهار .

ونصلّي ونسلّم على نبيك المختار ، وآله الأخيار ، ما اختلفَ الليلُ والنهار ، عددَ تنوُّع البَهار [2] .

أما بعد : فإن رقيقَ الكلام ، ورشيقَ النظام .

مما يسحَر الألباب ، ويَنْسِج [3] مابين الأحباب .

ولا بِدْعَ فقد قال سيّد الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام [4] :

« إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرا ، وَإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمة » .

هذا ، وقد أخذ رائقُ كلامِكم ، وفائقُ نظامِكم .

بِهذا النصِّ أخذَ الأخبابِ الأرْواح ، ولَعِب به ولا كالتعابِ [5] الراح .

كيف لا ، وقد كُسِيَ حُلَلَ البهاء والجمال ، وانتظَم ولا كانتظام اللآل .

رَقَّ فاسْترقَّ الأحرار ، وحَلِيَ فتحلَّى به أهلُ الشعر .

وراق معْناه ، فأشرق مَغْناه .

---

(١) أورد المحبي هذا الفصل أيضا ، في خلاصة الأثر ٢ / ١٧٠ .

(٢) البهار : نبت طيب الريح . القاموس (ب هـ ر) . (٣) في ا : « ويسج » ، والمثبت في ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) انظر صفحتي ٢٣٣ ، ٢٣٤ فيما تقدم .

(٥) في خلاصة الأثر : « كتلعاب » .

وحُسْن مُساقه ، فَحلاَ[1] مَذاقه .

وفاح أرَج القَرَنْفُل من رياضه ، وهبَّتْ نَسمات الجِنان من غِياضه .

فلله دَرُّك ودَرُّ ما ألغزْت ، وما أحسَن ما[2] بَعدْتَ وقرَّبت[2] ، فقد[3] أبدعتَ وأعْبَدت[3] ، وأغربْتَ فأرْغبْت .

لُغز كالغَزَل ، فى نَشْر طَيّه خَلَل .

من طَوّل فى مدحِه فقد قصَّر ، وما عسى أن يُمْدَح البحرُ والجوهر .

ولكن نعتذِر إليكم من هذه النَّفَثات[4] التى أوردناها على سبيل البَديه ، وكلٌّ يُنفِق مِمَّا عنده ويُبْديه .

وحين مِلتُ طربًا من مَيْل تلك اللاّمات ، قلتُ هذه الأبيات[5] :

أتانى بِنظـامٌ منك يُزْرِى بجِنْسِه ... قِفا نَبْكِ من ذكرَ حبيب ومنْزِلِ[6]

وأشْمَمنى منـــه أرِيجًا كأنه ... نَسيمُ الصَّبا جاءتْ برَيّا القَرَنْفُلِ[7]

فيا واحدَ الدنيـا وليس مُدافِعٌ ... ويامن غـدا مَدْحِى له مَعْ تَغزُّلى[8]

بعثْتَ لنا عِقْــداً ثمينًا فلو رأى ... جواهرَه النَّظَّـامُ ولّى بِمَعزِلِ[9]

---

(١) فى ا ، ج : « فعلى » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « قربت وبعدت » ، وفى خلاصة الأثر : « أبعدت وقربت » ، والمثبت فى : ا ، ح .

(٣) فى ا : «أبرعت فأبعدت» ، والمثبت فى: ب ، ج، وخلاصة الأثر . (٤) فى ا: «التعسفات» ، وفى ب : « التقشفات » ، والمثبت فى : ح ، وخلاصة الأثر . (٥) القصيدة أيضا ، فى خلاصة الأثر ٢/١٧٠ ، ١٧١ . (٦) عجز هذا البيت تضمين لصدر البيت الأول من معلقة امرئ القيس ، وعجزه :

* بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ *

ديوانه ٨ .

(٧) عجز هذا البيت تضمين ، لعجز بيت لامرئ القيس ، من معلقته أيضا ، وصدره :

* إذا التفتتْ نحوى تضوَّع رِيحُها *

ديوانه ١٥ .

(٨) هكذا جاء : « وليس مدافع » بالرفع فى الأصول ، وخلاصة الأثر ، وفى الخلاصة : «مع تغزلى» .

(٩) سقط هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقد تقدم ذكر النظام ، وهو من رؤوس المعتزلة .

ولو أن رآه امرُؤ القيسِ لم يقُــلْ ... ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلى [1]

فمَــن يكُ نَظَّامًا فمثلك فليَــكُنْ ... فصــاحة ألفاظ بمعْنى مُكَمّلِ

رقيقٌ لطيفٌ رائقٌ متحبّبٌ ... إلى كل نفس وهو فى العيْن كالحلى [2]

يفوحُ عبيرُ المِسْك من طَىّ نَشْرِه ... فكيف وقد ألغزْتَه فى القرنفل [3]

فلا زلتَ تحْبُونا بكلّ فضيــلة ... ولا زلتَ تحْيِينا بعِلْمٍ مفصَّلِ [4]

ولا زلتَ للدنيــا إمامًا وسيّدًا ... وعِلْمك يُرْوَى كالحديث المُسَلْسَلِ [5]

* * *

وله ، جوابًا عن سؤالٍ دُفِع إليه ، فى تحقيق معنى البيْتين المشهورين .

وهما :

عيْناه قد شهِدتْ بأنّى مخطِئٌ ... وأتتْ بخطّ عِذاره تذْكارا [6]

ياحاكمَ الحبِّ اتّئِدْ فى قتلتى ... فالخطُّ زورٌ والشهودُ سُكارَى [7]

: تأملتُ البيتين المشتملْين ، على خطّ العِذار وشهادة المُقلتين .

فلم يظهرْ لى فى الخطأ صواب ، وقد [8] بدلتُ طاقتى فلم يفتح لى الباب .

ولم أسمعْ من الأشياخ الثّقات الأخْبار [9] ، ولا من الشّان و [10] الرُّواة للأخْبار .

---

(١) تجى هذا البيت تضمين لصدر بيت لامرئ القيس ، من معلقته ، ديوانه ١٨ ، وعجزه :

* بصُبحٍ وما الإصْباحُ فيك بأمْثَلِ *

ورواية ا البيت المعلق : « ولو رآه امرؤ القيس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب : « وهو فى العين كالجلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ا : « وكيف وقد ألغزته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ب : « ولا زلت تحيينا بعلم محسن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر له بعد ذلك ثلاثة أبيات ، كلها للمعيد .

(٦) فى ب : « عيناه قد شهدت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « ... » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ب : « ... » ، وفى ب ، ج : « ... » ، والمثبت فى : ا .

(٨) ساقط من : ب ، ج ، والمثبت فى : ا . (٩) فى ج : « الأخبار » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(١٠) سقطت و و العطف من : ا ، وهى فى : ب ، ج .

مَن نقَد هذا النَّقْد ، الذى هو أحْلَى من القَنْد [١] .

فتحقّقْت أن مُبْدِيه مـن أُولى الألبـاب ، القادرين [٢] على الإتيان بكلّ عجَب عُجاب .

وأن فـكرتَه تتَّقِد كالزُّهْر فى الدجى ، فتُوَضِّح السُّبُلَ لأهْل الحِجا .

وأنه المتصرِّف فى الدقائق كيف شاء ، وذلك فضلُ الله يُؤْتيه من يشاء [٣] :

يامن كَسـاه اللهُ أرْدِيَةَ العُـلَى ... وحَباه عِطْرَ ثنائِهـا المُتَضَوِّعِ [٤]

وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجْهِـه الْ ... مَسْعودِ قلتَ لمُقْلَتى فيهـا ارْتَعِى

وإذا قَرَيْنَ الأُذْنَ شُهْدَ كلامه ... قلتُ أَسْمِعى وتَمَتَّعِى وارْعَىْ وعِى [٥]

وكأنمـا يُوحَى إلى خَطَراتِه ... فى مَطْلَعٍ أو مَخْلَصٍ أو مَقْطَـعِ

لكَ فى المحاسنِ مُعْجِزاتٌ جَمَّـةٌ ... أبداً لغَيْرِكَ فى الورَى لم تُجْمَعِ

بَحْرانِ بحرٌ فى البلاغة شـابَهُ ... شعرُ الوَليدِ وحسنُ لَفْظِ الأصْمَعِى [٦]

شكرا فكَمْ مِـن فَقْرةٍ لكَ كالغِنَى ... وافَى الكريمَ بُعَيْدَ فقرٍ مُدْقِعِ [٧]

وإذا تفتّق نَوْرُ شِعْـرِكَ ناضِرًا ... فالحُسْنُ بين مُرَصَّـعٍ ومُصَرَّعِ

أرْجَلْتَ فُرسانَ القريضِ ورُضْتَ فر ... سانَ البديعِ وأنت أفْرَسُ مُبْدِعِ [٨]

---

(١) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . القاموس (ق ن د) ، وانظر شفاء الغليل ١٧٩ .

(٢) فى ب : « القادر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) التشبيه ثنائية لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ، صاحب « يتيمة الدهر » ، المتوفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، يمدح بها الأمير أبا الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالى .

وهى فى يتيمة الدهر ٤/٣٥٥ .

(٤) فى ب : « أثواب العلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر .

(٥) فى يتيمة الدهر : « وإذا قربت الأذن » .

(٦) فى ب : « ... » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر .

وبعد هذا بيت فى يتيمة الدهر :

وترسُّلُ الصّابى يَزِينُ عُلُوَّه ... خطُّ ابن مُقْلَةَ ذى المحلِّ الأرْفعِ

(٧) فى ب : « بعيد فقر مقنع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويتيمة الدهر .

(٨) فى يتيمة الدهر : « ورضت أفـ * ـراس البديع ... » .

ونقشتَ فى فَصِّ الزمانِ بدائعـــاً ... تُزْرِى بآثارِ الرَّبيعِ المُمْـــرِعِ

وحَوَيْتَ ما تُـكْنَى به طُـــرّاً فلم ... تترُكْ لغيرِكَ فيـــه بعضَ المَطْمَعِ

غير أن هذا العبدَ بعد البُعْدِ عن المَقام ، أَلَمَّ به بعضَ إلمام .

وهو أن خَطَأً هــذا المحبِ إذْ [1] قاد نفسَه لحتْفِه فى هَوى هــذا الحبيب البعيد المَنال [2] ، القريب الوِبال ، بحُسْن الدلال ، كما قال من قال ، وأحسن فى المَقال :

علمتُ أن العيـــونَ السُّودَ قاتلتى ... وأنَّ عاشقَها لازال مقتولاً [3]

وقد تعشَّقْتُها طفلا على خطَـــأ ... ليَقْضِيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً

فــكأنَّ هذا الحبيبَ نصب هــذا المحبَّ لمجلس قاضِى الهوى ، وديوانِ أهْلِ الجوى .

وادَّعى عليه ، وأحضر حُجَّته وشاهِدَيْهْ .

وقرّر فى دَعْواه ، بحَضْرةِ هذا الصَّبِّ الذى يهْواه .

أنه قد وقع فى إقْدامه لمحبَّتى على خطأ لا صواب ، كيف لا وهو لا يذوق الأَرْى [4] إلا بعد التَّجرع من الصَّاب .

ولا يُمْــكنه القُرْب إلا بعد البُعْـد الطويل ، ولا الوصلُ إلا بعــد فِراقه لــكلِّ خليل .

وهذا خطبٌ جليل ، صاحبه إن لم يمُتْ فهو أبداً عَليل .

يُـكابد الأشجان بالليل والنهار ، وبعد ذلك إمّا إلى جنّة وإمّا إلى نار .

وقلَّ مُحِبٌّ يحصُل على حبيبه إلا بعد هــذه الأهْوال ، وإنفــاق الرُّوح فضلاً عن الأمْوال .

---

(١) ف ب : « إذا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : « المثال » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب ، ج : « ما زال مقتولا » ، والمثبت فى : ا .

(٤) الأرى : العسل .

فلا يكن العارفُ كالرّافض ، لما قال ابنُ الفارض [١] :

هو الحبُّ فاسْلَمْ بالحَشَا ما الهوى سَهْلُ ... فما اختــارَه مُضْنًى به ولَه عَقْــلُ
وعِشْ خالِيًا فالحبُّ راحتُــه عَنًا ... فأوّلُه سُقْمٌ وآخــرُهُ قَتْــلُ

هذا كلام سلطان العشّاق ، المقطوع بمعرفة المحبّة على الإطلاق .

فعند ذلك نظَر القاضى لهذا العاشق ولاطَفَه خِطابا ، وسأل سُؤاله فلم يُحِر جوابا .

فكان كما قيل ، فى حَقِّ العاشق الذليل :

وكم من حــديثٍ قد حبَأْناه لِلِقَا ... فلما التقيْنـا صِرْتُ أبْــكَمَ أخْــرسَا

فلما أراد القاضى الحكمَ عليه ، بما أبْدَى لديه .

قال ربُّ الجَمال فى الحال ، الفَيْرِ حالّ :

وهاكَ أيها القاضى شاهديْن ، عَدْلين .

مُبْعِدِيْن للرِّيَبْ ، مُقرِّبين للأرَبْ

وأبدى من سحرِ العيون ، ماهتك السّرّ المَصُون :

عيونٌ عــن السحرِ المُبين تُبِينُ ... لها عند تحريكِ الجفونِ سُكُونُ
إذا أبصرتْ قَلبًا خَلِيًّا عن الهوى ... تقولُ له كُنْ عاشقًا فيكونُ [٢]

ثم قال : وهذا خَطُّ عِذارى ، يُوضِّح أعْذارى .

فقال القاضى : حكمتُ بهذه الحُجَج ، التى ليس لك منها فرَج .

فعند ذلك قال [٣] المُحِب ، وقد اشتعل نارا :

أيها القاضى :

* الخط زُور والشهود سُــكارَى *

---

(١) ديوان ابن الفارض (بشرح البوريني والنابلسى) ٢/٨٦ ، ٨٧ . (٢) ق ب ، ح : « خليا من الهوى » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ب : « فقال » ، والمثبت فى : ا ، ح .

فكان هذا الجرحُ عينَ التعديل، وتقويةً [1] للدليل.

إذا ثبت هذا فلا شكَّ ولا رَيْبَ أن العاقل لا يرمِي بنفسه [2] في هذه المهاوِي،
وإن رَمَى فهو قطْعا [3] لاشك هاوِي.

وكيف يُخاصِم مَن بعضُه لبعضِه شاهِد، [4] وبعضُه حُجّةٌ [4] تقطع كلَّ
خَصمٍ مُعانِد.

فهذا حقًّا لاصواب، عند أُولى الألباب.

فإن قيل: كيف [5] يصحُّ أن [5] يشْهد البعضُ على [6] البعض!.

قلت [7]: هذا له نظيرٌ بما سيقع يومَ العرْض.

كما أخبر ربُّ العالمين، في كتابه المُبين.

وهو قوله تعالى [8] ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ﴾ الآية.

إلاّ أنه فرّق مابين الدّارَيْن، لِعظَم [9] أحدِ الهوْلَيْن.

وهذا لا يخفَى على الفَطِن العارفِ [10] الحاذِق، الذى هو لِطَعْم المعارفِ ذائق.

وقد جاء ذلك كثيراً في أشعارهم، ووَرَد في قصصهم وأخبارهم.

كما قال أبو حفص [11] المطّوّعيّ [12] من شعراء «اليتيمة» [13]:

---

(١) سقطت واو العطف من: ا، ومن ف: ب، ج. (٢) فى ب: «بنفسه»، والمثبت فى: ا، ج. (٣) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج. (٤) فى ا: «وبعض حججه»، والمثبت فى: ب، ج. (٥) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج. (٦) فى ب: «من»، والمثبت فى: ا، ج. (٧) فى ب: «قلنا»، والمثبت فى: ا، ج. (٨) سورة النور ٢٤.
(٩) فى ا: «بعظم»، والمثبت فى: ب، ج. (١٠) ساقط من: ب، ج، وهو فى: ا.
(١١) فى الأصول: «أبو جعفر»، والتصويب من يتيمة الدهر ٤/٣٣.
(١٢) هو أبو حفص عمر بن على المطوعى.
من أعيان الأدباء والشعراء.
ذكر الثعالبى أنه اتصل بخدمة الأمير أبى الفضل الميكالى، فتحرج بالاقتباس من نوره، والاعتراف من بحره.
وله من الكتب «أجناس التجنيس»، و«درج الغرر ودرج الدرر»، و«حمد من اسمه أحمد»، والأحمدان فى الأمير أبى الفضل الميكالى.
يتيمة الدهر ٤: ٣٣، ٣٧.
(١٣) البيتان فى يتيمة الدهر ٤: ٣٥.

أيا مُنيــــةَ المُشتاقِ فيمَ تركْتَني ... كَئيبًا بلا عَقْـلٍ قتيلا بلا عَقْلِ [١]

فإن كنتَ أنـكرْتَ الذى بى من الهوى ... أقمْتُ به من أدْمُعِي شاهِدَىْ عَدْلِ

وقال الآخر :

وعندى شهودٌ للصَّبــابةِ والأسَى ... يزَكُّون دَعْوايَ إذا جئتُ أدَّعِى [٢]

سَقامِى وتَسْهيدِى وشوقى وأنّتِى ... ووَجْدِى وأشْجانى وحُزْنى وأدْمُعِى

وقال آخر :

إن كنتَ تنْـكِر حالى فى الغرامِ وما ... ألْقَى وأنّى فى دَعْــوايَ مُتَّهَمُ [٣]

فالليــلُ والوَيْلُ والتَّسْهيدُ يشهدُ لى ... والحـزنُ والدمعُ والأشواقُ والسَّقَمُ

فإن قيل : لِمَ اختصَّ البعضَ بالعيْنَيْن ، ولم يأْتِ باليديْن والرِّجْلين ؟

قلنا : خَصَّ العينين ؛ لمـا فيهما من الحُسْنِ الزائد ، وكثرة الفوائد .

لأن أحسنَ ما فى الإنسان وجهُه الجامع لجميع [٤] المنافع ، وأحسنُ ما فيه العينان من غيرِ مُنازِع . قال :

وأحسنُ ما فى الوجـوهِ العيونُ ... وأشْبَهُ شىء بهـــا النَّرْجِسُ

فـكانا أليقَ بالمَقام ، عند الخاصِّ والعام .

فإن قلتَ [٥] : لِمَ خَصَّ الحجّةَ بالعِذار [٦] ، التَّشبيهِ بالليل الماحى لضياء [٧] النهار ؟

والحجّةُ يُطْلَب فيها [٨] الإنارةُ والظهور ، لا الظلامُ [٩] ولا السُّتور [٩] .

قلت : لأمْرَيْن : يظهران [١٠] كالْعَيْن للعَيْن [١٠] .

---

(١) « عقل » الثانيــة ، بمعنى : الدية .

(٢) فى ب : « للصبابة والجوى » ، والمثبت فى : ا ، ح .   (٣) فى ا : « إن كنت أنكرت » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٤) فى ب بعـد هذا زيادة : « الفوائدو » ، والمثبت فى : ا ، ح .   (٥) فى ح : « قيل » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٦) فى ا : « بالعذاب » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٧) فى ا : « آية » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(٨) فى ا : « منها » ، والمثبت فى : ب ، ح   (٩) فى ا : « المستور » ، والمثبت فى : ب ، ح .

(١٠) فى ا : « للعين كالعين » ، والمثبت فى : ب ، ح .

أحدهما عَقْلِيّ ، والآخر نَقْلِي .

أما العقليُّ : فإن العِذار يَبْدو به حروفُ الخطّ المكتوب ، فكان إثباته حُجّة أَلْيَقَ [١] بالمطلوب .

وأما النَّقْلِيّ : فإن العِذار خاصٌّ بهذه الدَّار لأنه لا يُوجَد في الأخرى ، فكان بهذه الخصيصة أَحْرَى .

كما قال بعضُ الناس ، ناظمًا ما قال أبو نُوَاس :

قال الإمامُ أبو نُواسٍ وهْـــو في ‏ شِعْــرِ الخلاعةِ والمجونِ يُقَلَّدُ
يا أمّةً تَهْوَى العِـــذارَ تَمَتَّعوا ‏ من لَذَّة في الخُلْدِ ليستْ تُوجَـــدُ

وقد طَغَى القلم ، بما يُعقِب [٢] السَّأَمَ .

والسلام [٣] .



---

(١) في ب : «أليق حجة» ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : «يوجب» ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، ج ، وهو في : ا .

٥٨

القاضي حسين بن محمود العَدَوِيّ الصَّالِحِيّ *

هو للدهر حسنةٌ تـكفِّر ماجَنَى ، وللزَّهْر خَمِيلةٌ فيها ظِلٌّ وجَنَى .

توقَّد في الأدب [1] ذهنُه ، وشاخ ولم [2] يعرِض فـكره وَهْنُه .

وهو من أصدقاء أبي الذين كان يميِّزهم بالتقريب ، ويستحسن مايأْتون به من النادرِ الغريب .

وقد لزِمْته في عهدِه [3] أدبِّجُ بتقريراتِه مَهارِق [4] الطروس ، وأُعطِّسر بنفَحات تحريراتِه رياضَ الأدب الرَّيَّانةِ العَروس .

* * *

وتناولتُ من أشعارِه مالوكان للروض مدَّتْ أوراقَه ، أو في البدر مافارقَه إشراقُه .

(*) حسين بن محمود بن محمد العدوي ، الزوكاري ، الصالحي .

القاضي ، الفقيه ، الأديب ، الشافعي .

ولد سنة ثماني عشرة بعد الألف .

وأخذ بدمشق ، على والده ، والشمس الميداني ، والنجم الغزي .

ثم رحل إلى القاهرة ، بعد الثلاثين ، وأخذ بها عن البرهان اللقاني ، وأبي العباس المقري ، والشيخ علي الحلبي ، صاحب « السيرة » ، والشمس البابلي ، والعلاء الأجهوري ، والشيخ محمد الحموي ، والشيخ عامر الشبراوي .

وحج ، وأخذ بالمدينة عن الشيخ غرس الدين الخليلي ، نزيل المدينة المنورة ، وبمكة عن الشيخ محمد بن علان الصديقي .

وتصدر للإقراء بدمشق ، وولي قضاء الشافعيـة ، بمحكمة الميدان ، والمحكمة الكبرى ، وأفتى على مذهبهم .

توفي سنة سبع وتسعين وألف ، ودفن بسفح قاسيون .

خلاصة الأثر ٢/١١٦ ـ ١١٨ .

(١) في ب : « بالآداب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « فلم » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « عهـد » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) المهارق : جمع المهرق ، وهى الصحيفة . القاموس (هـ ر ق) .

فمن ذلك قوله (1) :

أرى كلَّ إنسان يرى أن حينَه ... من الخطبِ خالٍ إن ذاك لمغرورُ

وكيف وأصل البنيةِ الماء والثرى ... وسوف إلى تُرْبِ القبورِ يصيرُ (2)

فلا تَحْسَبَنَّ خِلّا إذا جار أو جَفا ... فأنتَ وربِّ العالمين كفورُ

فإن جنحتْ منكَ الظنونُ لحادث ... فميلُك للتوحيد ياصاحِ مبرورُ

فإن بقاء العزّ فى وحدةِ الفتى ... كما أن إكثار التردُّدِ محذورُ

وما مذهبي أنّى ملولٌ لرُفقتى ... ولكنّ مسلوب الكفاءة معذورُ

* * *

قد أصاب فى هذا لبّ الصواب ، وإن كان تناوله من قبله ابنُ الجَدّ (3) الأندلسي (4) :

وإنّى لتُصْبِينى المعالى وإنه ... يصُدّ ركابى عن معاهدِك المسرّ (5)

أذوبُ حياءً من زيارةِ صاحبٍ ... إذا لم يُساعدْنى على برّه الوفْرُ

* * *

ولى من قطعة :

وإنى بحكم الزمان ، أَنْتَهِي من زيارة الإخوان ،

حذراً (6) من التقصير ، وعدم ظهور المعاذير .

---

(1) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ : ١١٦ ، ١١٧ . (2) فى ب : « تصير » ، وفى خلاصة الأثر : « تصير » ، والمثبت فى : ا ، ج . (3) فى ا : « ابن جدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
وهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد ، وذكره عبد الواحد المراكشى بالأحدب .
الوزير ، الفقيه ، الكاتب ، كتب لأبى الحسين على بن يوسف بن تاشفين .
وتوفى سنة خمس عشرة وخمسمائة .
قلائد العقيان ١٠٩ ، المغرب من أشعار أهل المغرب ١٩٠ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٢٣٧ .
(4) البيتان فى نفح الطيب ٤ : ٢٠٧ . (5) فى ا : « عن معاهدى المسر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ونفح الطيب .
(6) فى ا : « حذر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فالعينُ بصيرة ، واليَدُ قصيرة .

ويا لَهفي على عُمْرِ الكرامِ ، يمضى بخَيْبةِ المَرام .

فلا يُقدِّر [1] لهم في كلِّ وقتٍ إسْداء نِعمة ، ولا اسْتِدْفاع نِقْمة .

ولا مُكافأةَ ذِي مِنَّة ، ولا مُداواةَ أخِي مِحْنَة .

* * *

تتمّة الأبيات :

أجَلْ إن أبْناء الزمانِ تفاوتَتْ ... فمنهم خبيرٌ بالأمورِ وخِرِّيرُ

وبالجملة التحقيق فالأُنسُ مُوحِشٌ ... وعمَّا سوى الخلاَّقِ شغْلُك مَحْذُورُ [2]

فيارَبِّ خُذْ بالعَفْوِ والصفحِ والرِّضا ... ففِعْلِيَ مذمومٌ وفعْلُك مشكورُ

* * *

وله [3] :

ولَيلٍ أدَرْنا فضْلَ قَاسُونَ بيننا ... فكادتْ قلوبُ السامعين تطيرُ [4]

فلم نَدْرِ إلا الفجرَ صار دليلَنا ... إلى سفحه والسفحُ فيه نفيرُ

وفينا هُداةٌ للطَّريقِ وقادةٌ ... لهم كلُّ فضلٍ في الورَى وصدورُ

فسِرْنا فلا واللهِ لم نَدْرِ ما الذى ... قطعْناه بعد المَشْيِ كيف يصيرُ

فلمَّا وصلْنا مُشتهاتٍ أعانَنا ... به الغيْثُ حتى غَوثُنا لمطيرُ [5]

فزُرْنا وكلٌّ نالَ ما كان ناوِيًا ... وفُزْنا بوقتٍ حسنُه لشهيرُ

---

(١) في ا : « يقدم » ، والمثبت في : ب ، ج. (٢) صدر هذا البيت في ا :

* وفي جملةِ التحقيق فالأُنس وحشةٌ *

والمثبت في : ب ، ج وخلاصة الأثر . وفي ب : « شغلك محذور » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/١١٧ . (٤) يعني بقاسون جبل قاسيون ، وقد تقدم . وفي ب : « فكادت قلوب العاشقين تطير » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) في ا : « غيثنا لمطير » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومنه ركبْنا الجوَّ حتى كأنَّنـــا نجـــومُ سماءٍ والسحابُ ثَبِيرُ (١)

إلى أن هبَطْنا قُبَّـــةَ الفلَكِ التي تُسمَّى بنصرٍ مُذْ أعانَ نَصِـــيرُ (٢)

رأيْنا بها عِقدَ الثُّريَّا مُعلَّقـــا وعينَ الدَّرارِى النيِّراتِ تُشِيرُ (٣)

فلم نَرَ بُرْجاً فأتيا حـــالَ منزِلاً يسيرُ إليه النـــاسُ وهْو يسيرُ

واعجبْ شىءٍ أن تراها مُقِيمـــةً وتمشِى كما يمشِى الفتى ويَغُـــورُ (٤)

واعجبْ مِـن هذا تراها عقيمةً تُربِّى بَناتِ النَّعشِ وهْى سريرُ (٥)

وعُدْنا خَيالاً حيَا فَضْلَ سُحْبِهـــا بريحٍ له وَقْـــعُ الغمامِ ضَرِيرُ (٦)

إلى أن رمتْنا بعـــدُ عالى مكانِنـــا على غُمَرٍ فيها المُقـــامُ غُرورُ (٧)

وجئنا حمـــــانا مُطمئنِّين أنفُسًا على أن مـــرْقَى المَكْرُماتِ عَسِيرُ

* * *

ودخل على شيخه إبراهيم الخيارى المدنى (٨)، حين قدم الشام زائرا إثر انقطاع ربما أوجب تهاجرا.

فقابله معتذرا، وأنشده معنى مبتكرا.

وهو (٩):

وما عاقنى عن لَثْمِ أذيالِ فضلِكمْ سوى أنّ عينى منذ فارقتُكم رَمْدَا

---

(١) ثبير: من أعظم جبال مكة. معجم البلدان ١/٩١٧.

(٢) فى خلاصة الأثر: «قبة الملك التى». (٣) فى ب: «وعين الدرارى النيرات تسير»، والمثبت فى: ا، ج، وخلاصة الأثر. (٤) فى خلاصة الأثر: «كما يمشى الفتى ويفور». (٥) بنات نعش الكبرى: سبعة كواكب، أربعة منها نعش، وثلاث بنات، وكذا الصغرى. القاموس (ن ع ش).

(٦) صدر البيت فى ا:

* وعدنا خيالا حيا سحب فضلها *

والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر.

(٧) فى ب: «[illegible]»، والمثبت فى: ا، ج، وخلاصة الأثر.

وغمر: [illegible] بفتح الميم، وهو [illegible] القاموس (غ م ر).

وهو موضع [illegible] معجم البلدان ٣/٥٨٣.

(٨) تقدم ذكره، فى صفحة ٢١. (٩) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/١١٧.

فعاتَبْتُها حتى كأنِّى حبيبُها ... فأبْدَتْ كلاماً كان قلبى له عَمْدَا

وقالتْ لقد كحَّلْتُ طَرْفِى بطَرْفه ... فأفْتَحُها سَهْواً وأُغْمِضها عَمْدَا [١]

* * *

فخاطبه الجِبارِىّ بقوله [٢] :

أيا فاضلا أبْدَى لنا فى نِظَامِهِ ... لطيفَ اعْتذارٍ سكَّن الشوقَ والوَجْدَا [٣]

وأشْفَى بلُقْياه مريضَ بِعادِه ... وقد كان أشْفَى للبعادِ وما أوْدَى [٤]

فصَانَ إلهُ العرشِ مُقْلَتَه التى ... ترى كلَّ معنًى دقَّ عن فَهْمنا جِدًّا [٥]

لئِن كُحلتْ بالطَّرْفِ قد أسْكَرتْ بما ... أدارَتْه من مَقْلوب أحْداقِها شَهْدَا

فمِن رَنى أشْتاقُ خمرةَ قَرْقَفٍ ... فأطْلُبُها سهْوًا وأتْرُكُها عَمْدَا

* * *



---

(١) فى ب : « لقد كحلت طرفى بطرفه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) أبيات الجبارى ، فى خلاصة الأثر ٢/١١٧ ، ١١٨ .

(٣) فى الأصول : « أيا وصل » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٤) فى ب : « مريض إعادة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى ا : « دق عن فهمها جدا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

٥٩

عبد القادر بن عبد الهادى العُمَرِىّ *

مِمّن سابَق فى مَيدان البراعة حتى أحرزَ مَداها ، ودأب فى تحْصيل المعارف إلى أن وجَد على نارِ فِكْرتِه هُداها .

فإذا قَدَح بالظّنّ أثقَب ، وإذا واَد بالرجاء أنْجَب .

يعرِف النَّقاية فينْتقِيها ، ولا يَغُرّ بالنُّفاية التى يلْتقِيها .

ويطالع ماوراء العواقب ، بِمَرايا [١] من التجارِب الثَّواقِب .

فلا تبيتُ فِكرتُه بِهم مُرتبِطة ، حتى تصبِح بحَلّ عُقَدِها [٢] مغتبِطة .

مع إحاطة بأنْواعٍ من الفنون ، لاتحُوم حولها الأوْهام والظُّنون .

وما لِمه ألِفَتْ بين التناسُق والتوافُق ، وجمعت حسنَ التَّطابُق والتوافُق .

* * *

(*) سقطت هذه « العمرى » من : ب ، ج ، ومن ق : ا .

وهو عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان ، المعروف بابن عبد الهادى ، العمرى ، الدمشقى ، الشافعى. كان من الغواصين على المباحث ، وحل غوامضها ، وتبيين مبهماتها ، وكان أغلب معلوماته فى أصول الدين والفقه .

أخذ عن المنلا محمود الكردى ، والمنلا محمود أمين اللارى ، وإبراهيم الفتال ، وحضر دروس السيد محمد نقيب الشام ، المعروف بابن حمزة .

وتصدر للإقراء ، فاشتغل عليه جمع كثير .

سافر إلى الروم ، ثم عاد إلى دمشق مدرسا بدار الحديث الأشرفية .

وله شرح على « مختصر المنتهى » لابن الحاجب ، فى الأصول ، واختصر « الهمع » للسيوطى ، فى النحو ، وشرحه شرحا حسنا ، وله منظومات فى علوم متفرقة .

توفى سنة مائة وألف ، ودفن بمقبرة [illegible] .

خلاصة الأثر ٢/٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(١) فى ج : « بمزايا » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) فى ج : « عقدها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وله من الشعر ما يُنيل المطلوب ، ويمتزج لُطْفه مع [١] أجزاء القلوب .

وهو أحدُ أشياخي الذين قلبي بوُدهم مُعْتلِق [٢] ، ولسان ثنائي بفضلهم مُنْطلِق .

ترَوَّيْتُ حِيناً بمائه ، واستمطرتُ الوَبْلَ من جانب سَمائه .

* * *

وكان أنشدني كثيراً من أشعاره الحِسان ، أُنسيتُها منذ زمان [٣] ، وقبَّح الله النِّسْيان .

ثم ظفِرتُ له بأشياء ، اقتطفتُ أناسِيَّ عيونِها ، وجئتُ بمحاسن أبكارِها وعُونِها [٤] .

فمنها قوله من قصيدة :

خطَرتْ تميسُ كغُوطِ بانٍ مُزْهِرِ	لا الشمسُ منها والبدورُ بأنْوَرِ
عربيةُ الألفاظِ أعْربَتْ لفظُها	عن سِحْر موردِها وطِيبِ المَصْدرِ
هي كأسُ خمرٍ للعقول يُديرُها	كفُّ البلاغةِ في خلالِ الأسْطرِ
وجرَتْ من الأسماع جَرْىَ مُدامة	مُزِجت برائقِ ريقِ ظَبْىٍ أحْوَرِ
وتَكادُ من فَرْطِ البلاغة قد تلَتْ	في سُورةِ الإخْلاصِ ذِكْرَ الكَوْثَرِ
واللفظ يُنبِئُنا وحسنُ مذاقِها	بالمَوْرِدِ العذْبِ الهنِيِّ السُّكَّرِى [٥]
عجبًا لمالِيكَ الفصاحة إنها	حَوَتِ الفصيحَ من الصِّحاحِ الجوْهَرِى [٦]
نُظِمتْ قوافِىَ للعقولِ تخالُها	نَظْمَ اللآلِي في نُحُورِ البُكَّرِ

---

(١) في ب : « ويمتزج من لطفه مع » ، وفي ح : « وممتزج لطفه مع » ، والمثبت في : ا .

(٢) في ا : « متعلق » ، والمثبت في : ب ، ح .

(٣) في ب : « أزمان » ، والمثبت في : ا ، ح . (٤) في ا ، ح : « وعيونها » ، والمثبت في : ب .

(٥) في ب : « الشهى السكرى » ، والمثبت في : ا ، ح . (٦) يشير إلى « صحاح اللغة » لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري .

فكأنّني وكأنّه عند اللقا ... خِلّانِ قد جُمِعا بروضٍ مُزهِرِ
أو زَورةٌ مَنّ الحبيبُ بهـا على ... مَشغوفِهِ أو تمُّ بدرٍ مُسفِرِ

* * *

وقوله من أخرى ، أولها :

هـذا الغزالُ فإنّي منـه في شُغُلٍ ... وصار وَجْدِي به ضَرْباً من المَثَـلِ
وغزّلتني منـه العينُ فأنشدتْ ... فِيّ معاني صحيحِ الشوقِ والغزلِ (١)
بدرٌ فما البـدرُ إلّا من تكوّنِه ... لكنّه فاقه بالحَلْيِ والخجَـلِ
وقـدّه خوطُ بانٍ قد أمال به ... أعطافَ النسيمِ إلى وصلي فلم يَمِلِ (٢)
وطرفه الغنجُ الوسنانُ أودعـهُ ... داعي الهوى حَوَرا لكن مع الكحَلِ (٣)
وآسُـهُ فوق وردِ الخدّ تحسبه ... وشيًا من النملِ أو نوعًا من الرمَلِ (٤)
والخالُ يدعو إلى ريحانِ عارضـه ... أهلَ الغرامِ على خوفٍ من المُقَلِ
وقُرطه خافقٌ كالقلبِ من قلقٍ ... مُقبِلًا جيدَه في زِيّ مُشتغِلِ
يفترّ عن لؤلؤٍ في الثغرِ منتظِمٍ ... تنظُّمَ الدراري بأجيادِ الدُّمَى العُطُلِ
وريقُه الخمرُ عندي قد أبان به ... نصّ فحالَ مُدامُ الثغرِ كالعسلِ

* * *

نصُّ كلّ شيءٍ مُشتبِهاه ، فنَصُّ الريق : مُشتبِهاه في العطف . وبذلك تمّ التورية في النصّ .

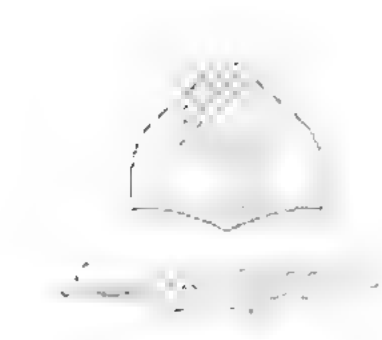
* * *

وكأسُنا الثغرُ قد رقّ المدامُ به ... وعبّ مُنهلًا منه على عَلَلِ

---

(١) في ب : « في معاني صحيح الشوق والغزل » ، والمثبت في : ا ، ح .
(٢) الخوط : الغصن الناعم . (٣) في ا « داعي الهوى حور » ، والمثبت في : ب ، ح .
(٤) في ا : « وشيا من الرمل » ، والمثبت في : ب ، ح .

تَجْنِي الْحَبابَ فلا نَدْرِي الْجَنَى أبدا   بغير رشْفِ رُضابِ الثغرِ والقُبَلِ
فى كلّ حينٍ أُلاقِي من مَضارِبِه   سَيْفاً من اللَّحْظِ أو طَعْناً من الأَسَلِ
ولى بُعوثُ هَوًى مازلتُ أُرْسِلُها   منِّى إليه ولم تظْفَرْ على أَمَلِ
ولم تنَلْ رُسْلِي إلاَّ مُباعَدةً   من المَزارِ وإلا لَسْعةَ العَذَلِ
يا عَمْرَكَ اللهَ لا تسألْ وكُن فَطِناً   وعن مصارعِ أرْبابِ الهوى فَسَلِ



٦٠

ابن عمّه عبد الجليل بن محمد *

هو كابْن عمّه، مختصٌّ من المدح بأعمّه.

اشْتهرَ من صِغره نُبْلُه، وأصاب الغرضَ مذ فوّق نَبْلَه.

ففيه ماشئْتَ من فضلٍ شَرُوق، وأدب يُصفّق عارِضُه ويرُوق.

ونفْس كريمة الشّمائل، وفِكْرةٍ [١] تُوَشِّى بِحِبَرِها [١] الخمائِل.

* * *

وله شِعْر إذا استجْلَيْتَه استحْلَيْتَه، وإذا لمحْتَه استمْلحْتَه.

يفيضُ فيه فَيْضًا، وأراه يُحْسِن النثْرَ أيضًا.

إلا أنه لم يُمْهله [٢] الدهرُ حتى [٢] يَبلغ المدى، فاغْتبِط [٣] وشبابُه يانعٌ بسَقِيط النّدى.

* * *

(*) عبد الجليل بن محمد بن أحمد، المعروف بابن عبد الهادى، العمرى، الدمشقى، الشافعى، الصوفى.
كان من فضلاء وقته، وله فى أنواع الفنون خبرة تامة.
ولد سنة خمس وخمسين وألف.
وأخذ العقائد والتصوف عن والده.
وقرأ فنون الأدب والمنطق على الشيخ إبراهيم الفتال، وابن عمه عبد القادر بن بهاء الدين العمرى.
وأخذ العلوم الرياضية عن الشيخ رجب بن حسين بن علوان الحموى.
وحدث عن الشيخ محمد بن سليمان المغربى.
ورحل إلى القاهرة، وأخذ بها عن النور الشبراملسى.
وعاد إلى دمشق، فتصدر للإقراء، بجامع الأموى.
وله: «الدرة [illegible] فى شرح الجزرية»، و«شرح رسالة الشيخ أرسلان» فى التصوف، ومؤلفات كثيرة فى الفلك، وعلم الرمل.
توفى سنة سبع وثمانين وألف، بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع.
خلاصة الأثر ٢ / ٣٠٠، ٣٠١.

(١) فى ج: «بحبرها توشى»، والمثبت فى: ا، ب. (٢) فى ب: «المدى»، والمثبت فى: ا، ج.
(٣) اغتبط: مات شابا لا علة به.

ولم يبلغني من آثاره إلا قدرٌ قليل ، والقليلُ منه على الكثير دليل .

فمن ذلك قوله في الخال [1] :

خالُ الحبيب بدا في الخدِّ مبتهجاً ... والقلبُ من شغفٍ للخال قدجنحا

قد عمَّه الحسنُ يامَن خالُه حسَنٌ ... والعمُّ في خدمةٍ للخالِ مابرِحا

* * *

وقوله في العِذار [2] :

نسج الفضلُ عليه ... حُلةً تنمو وقارًا

في المُحيَّا حين حلَّتْ ... رقَم الحسنُ عِذارًا

* * *

وقوله ، وفيه اقتباس ، وتورية ، واكتفاء :

يالقَومِي من غزالٍ ... حنِث الأعطافِ ألْمَى [3]

إذ تلَى سورةَ حُسنٍ ... وجهُه والحسنُ عَمّ

سألوا عن مُحكَمِ الأوْ ... صافِ فيه قال عمّا

* * *

وقوله [4] :

ياخالَه لمَّا بدا ... في عَرْشِ خدٍّ واستوَى

أوحَى الصُّدغِ آيةً ... تدعو كرامًا للهوَى

* * *

(١) البيتان وخلاصة الأثر ٢/٣٠١ .

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٣٠١ .

(٣) في خلاصة الأثر : « خنس الأعطاف » .

(٤) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٣٠١ .

أصله للحاجرى[1] :

لكَ خالٌ فــــوق عَرْ ... شِ عَقيقٍ قد استَوَى[2]
بَعثَ الصُّدْغَ مُرْسَــلاً ... يأمُر النـــاسَ بالهوَى

وبعضهم :

غــدا خالُه ربَّ الجمـــــالِ لأنه ... على عرشِ خدٍّ فوق كُرْسِيِّه اسْتَوى
وأرسل بالألحـــاظِ رُسْلاً أعِزَّةً ... على فَتْرةٍ يدعو الأنامَ إلى الهـــوَى

* * *

وله كلمات من فصول ، [3]قال فيها[3] :

لاتزالُ فى رِبقَةِ الأمانى ، مادمت فى ساحةِ المبانى .

البقاء مرآةُ التَّجلِّى ، والفَناء مَنْهَل التَّخلِّى[4] ، والجَمْعُ مَنصَّةُ التَّحلِّى .

والرُّكون[5] للغير ، قطيعةٌ فى السَّيْر[6] .

الزهدُ فى الظَّاهر ، رغبةٌ فى الظَّاهِر .

إتْقانُ الحواسّ ، وظيفةُ الأفلاس .

ورُؤْيةُ الإيناس ، مَظِنَّةُ الوَسْواس .

---

(١) أبو يحيى ، وأبو الفضل ، حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلى ، الحاجرى جندى من أولاد الأجناد ، له شعر تغلب عليه الرقة .
توفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .
وفيات الأعيان ٣/١٦٩ ـ ١٧٣ .
والبيتان فيه ٣/١٦٩ .

(٢) فى وفيات الأعيان : « لك خال من فوق عر » . (٣) فى ب : « قالها وهى » ، والمثبت فى : ا ، ج .
وهذه الفصول مذكورة أيضا ، فى خلاصة الأثر ٢/٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤) فى ب : « التحلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى خلاصة الأثر : « الركوب » ، وهى رواية ألصق بالمعنى .

(٦) فى ا : « للسير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وحركةُ الشوق ، عصاَ السَّوْق .

***

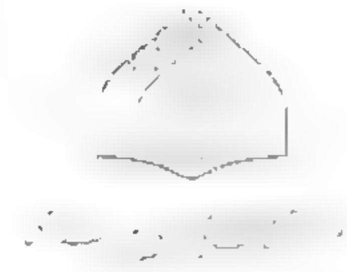
وأبوه [١] فى الزهد قُدْوة ، عُرْوَةٌ مُتمسَّك منه بعُرْوة .

وقد شمِلنى دُعاه وهو للقَبْضة [٢] مُناهِز ، وما بين دُعائه وحظيرةِ [٣] القُدْس حاجِز .

وقد مُلئتْ صحيفةُ حسناتِه ، واسْتراح صاحبُ شِماله من كتابةِ سيِّآتِه .

وأسلافُهم مازالوا حِلى [٤] فى جيد الزمن العاطِل ، إلى أن ينتهُوا إلى جَدِّهم الفاروق بين الحقِّ والباطل .

رضِيَ اللهُ عنه وعن بقيَّةِ الأصْحاب ، وأعمل محبَّته ومحبَّتهم فى قلوبنا على الاسْتِصْحاب .



(١) محمد بن أحمد بن محمد ، المعروف بابن عبد الهادى العمرى ، الدمشقى ، الصوفى .
ولد سنة ست بعد الألف .
كان عالما بالعقائد ، والتصوف ، وكلام القوم ، حسن الفهم ، مداوما على الدرس والإفادة .
وكان صبورا على الفاقة ، متوكلا ، يستسقى به الغيث ، وللناس فيه اعتقاد عظيم .
توفى سنة ثمان وتسعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .
خلاصة الأثر ٣/٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) فى ج : « للقبض » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا ، ج : « وحضيرة » ، وفى ب : « وحضرة » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) فى ج : « حليا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٦١

عثمان بن محمود، المعروف بالقَطَّان *

فتى الفضل وكَهْلُه، وشيخُه الذى يُقال فيه هذا أهلُه.

أطلَعَ اللهُ فى جَبينه غُرَّ السَّنا، فثَنَى إليه من البصائرِ أعِنَّةَ الثَّنا.

مأمون المَغِيب[1] والمَحْضَر، مَيْمون النَّقِيبة والمَنْظَر.

فهو كالشمسِ فى حالَتَيْها يبدو نورُها، فينفع ظهورُها.

وتحتجب[2] أرجاؤُها، فيُتوقَّع ارْتجاؤُها.

فعلى كلِّ حالٍ هو إنسان، كلُّه إحْسان، وكلُّ عُضْو فى مدْحه لسان.

به الفُتُوَّة يسهُل صَعْبُها، ويلتئم شَعْبُها.

وهو فى صِدْق وَفائِه، ليس لأحدٍ من أكْفائه.

وقد اتَّحدْتُ به من[3] منذ عرفتُ الاتِّحاد، فما رأيتُه مالَ عن طريق المودّة ولا حَاد

(*) عثمان بن محمود بن حسن خطاب الكفرسوسى، الشافعى، المعروف بالقطان.

ولد سنة إحدى وأربعين وألف.

وقرأ على إبرهيم الفتال، ومحمود الكردى، نزيل دمشق، ومصطفى بن سوار، وإبراهيم الكورانى، ومحمد العيثى، ومحمد البابانى الصالحى، ومنصور الفرضى المحلى، ويحيي الشاوى المغربى.

واشتهر علمه وفضله بدمشق، فدرس بالجامع الأموى، وبالمدرسة العادلية الكبرى.

توفى عثمان القطان، سنة خمس عشرة ومائة وألف، ودفن قرب أويس رضى الله عنه، فى التربة المقابلة للصابونية.

سلك الدرر ٣/١٦٧ ـ ١٧٠.

وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له عن «النفحة».

وجاء اسمه فى ب: «عثمان بن محمد»، والمثبت فى ا، ج، وسلك الدرر.

(١) فى ا، ج: «العيب»، والمثبت فى: ب، وسلك الدرر.

(٢) فى ا،: «فتحتجب»، والمثبت فى: ب، ج، وسلك الدرر.

(٣) ساقط من: ا، وسلك الدرر، وهو فى: ب، ج.

وله علىَّ حقُّ [1] مَشْيَخةٍ أنا من [2] بحرها أغْترِف ، وبألطافها الدائمة أعْترِف .

وكثيرا ماأرِدُ وِرْدَه ، وأقتطِف رَيْحانَهُ ووَرْدَه .

فأنتشِق رائحةَ الجِنان ، وأتعشَّق [3] راحةَ الجَنان .

بمُحاضرةٍ تهزُّ المَعاطِف اهْتِزاز الغصون ، ورَوْنقِ لفظٍ لم يدَعْ قيمةً للدُّرِّ المَصُون .

إذا شاهدَتْهُ العيونُ تقرّ ، وإذا ذُوكِرتْ به نُوَبُ الأيّام تفِرّ .

فى زمنٍ انْقصَمتْ [4] من أعلامه تلك العقود ، ولم يَبْقَ فيه إلا هو آخرُ العنقود .

فإن شئْتَ قلْ : جعله اللهُ خلَفًا عن سلَف ، وإن [5] أردْتَ قلْ : أبقاه اللهُ عِوَضًا عن تلَف .

* * *

فمما أخذتُه عنه [6] من شِعره الذى قاله فى عُنْفُوانِه ، وجاء به كسَقِيط الطَّلّ على وَرْدِ الروض [7] وأُقْحُوانِه .

قوله من قصيدة [8] :

بأبِى مَن مُهجتِى جـرَحَا ... وإليـه الشوقُ مابَرِحَا

دأْبُه حَـرْبِى وسفْكُ دمى ... ليْتَـه بالسِّلْمِ لو سمَحَـا

غصنُ بانٍ مُثْمِرٌ قمـرًا [9] ... تتهـادَى قدُّه مرَحا

مـذ تثنَّى غصْنُ قامتِـه ... عَنْدَليبُ الوَجْـدِ قد صدَحا

---

(١) ساقط من سلك الدرر .

(٢) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٣) فى ا : « وأعشق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٤) فى ب : « انقصمت » ، وفى سلك الدرر : « انقمضت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا ، ج : « وإذا » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر . (٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٧) فى سلك الدرر : « الرياض » . (٨) القصيدة فى سلك الدرر ٣/١٦٨ . (٩) فى ب : « مثمرا قمرا » ، والمثبت فى ا ، ج ، وسلك الدرر .

أىَّ خَمْـــــر أدار ناظرُه   ماسقَى عقلاً فمنــــه صَحَا (1)
إنْ رآنى باكياً حَــــزَناً   ظلَّ عُجْباً ضاحـــكاً فَرِحَا
إنْ يـــكُنْ حُزْنى يُسَرُّ به   فأنا أهْــــوَى به البَرَحَا (2)
وعَـــذُولى جاء بنُصْحِى   قلتُ يامَن لامَنِى ولَحَى
ضَـلَّ عقـــلى والفؤادُ معا   ليس لى وَعْىٌ لأن أُنصَحَـــا
جَدَّ وَجْدِى عادِمٌ جَـــلَدِى   غاضَ صبْرِى والهوى طفَحَـــا
لم يزلْ طَـــرْفِى يسحُّ دماً   إذْ به طيرُ الكَرَى ذُبِحَـــا (3)

* * *

هذا معنى مُتداوَل ، منه قول الشِّهاب الخفاجىّ (4) :

ولو لم يــكنْ ذابِحاً للــكَرَى   لمـا سال من مُقلتى النَّجيعُ

* * *

آهِ واشَوْقاهُ مِتُّ أسىً   هـــل دُنُوٌّ للذى نَزَحَا
إنْ شـــدَتْ وَرْقاءُ فى فَنَن   شَدْوُها زَنْدَ الجـــوى قَدَحَا
وإذا ماشامَ طَـــرْفُ الشـــام   طَـــرْفِى للدِّما سفَحَا
يَسقِى وادِى دِمشقَ حَيَـــا   طاب مُغتَبَقًا ومُصْطَبَحَـــا

* * *

وكتبتُ إليه من مصر (5) :

سيِّدى الذى له دُعائِى وثَنائِى ، وإلى نَحْوه انعطافِى وانْثنائِى .

لا عدِمَتِ الآمالُ توجُّهها إليه ، وكما أتمَّ اللهُ النعمة به فأتمَّها عليه .

أُنْهِى إليه دعاءً يتَباهَى به يَراعٌ ومِهْرَق ، وثناءً يُجْمَلُ طِيبُه فوق سالفٍ ومَفْرِق .

(1) ق ا : « دار ناظره » وق ب : « دار ناظره » ، وفى سلك الدرر : « أى حين دار ناظره » . والمثبت فى : ح . (2) فى ب ، ح : « إن يكن حزنى » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(3) فى سلك الدرر : « يشح دما » . (4) ساقط من : ب ، ح ، وسلك الدرر ، وهو فى : ا . والبيت فى سلك الدرر ٣/١٦٨ .

(5) نقل المرادى هذا الفصل أيضا عن النفحة ، فى سلك الدرر ٣/١٦٩ ، ١٧٠ .

متمسّكاً من الوُدّ بحبلٍ وثيق ، ومن العهدِ بما[1] يتعطّر به[2] النّشْرُ الفَتيق .

ومتذكّرا عيْشاً استجلَيْت[3] سَناه ، واستحْلَيْتُ[3] ثَناه .

وإنى أتلهّب على طُولِ نَواه ، وَحرِّ جَواه .

وقد وَسَمْتَ بإقبالك أيّامِيَ الغُفْل ، وفَتحْتَ بمذاكرتك عن خِزانةِ قلبيَ القُفْل .

إلى أن صرف الدهرُ بحِدْثانِه ، وحكَمَ على ماهو شأنُه بعُدْوانِه .

وأعاد علىّ[4] العَيْنَ أثرا ، والخَبرَ خبرا .

واللقاء توهّما ، والمُناسَمةَ[5] توسّما .

فتذكري لأيامك التى لم آنَسَ عهدَها ، تركَنى لا أنتفـع بأيّام الناس بعدَها .

وإنى لا أرْتاح إلاّ بذكْرِ فضائلك ، ولا أسْتأنِس[6] إلا بكَرَمِ شمائِلك[6] .

أمزُج بها الضَّحايَا فتتَبسّم ، وأسْتدعى بها صَبَا القَبُول فتتنَسّم .

ولولا اشْتعالُ النارِ فى جَـذْوِ العَضا لما كان يَدْرِى المرْءُ ما نفْحةُ النّدَّ

وأما الأشواقُ فإن القلبَ مُستقَرُّها ومُستودَعُها ، ومَحَلُّها ومُجْتمَعُها .

وهو عند مولاى فلْيسْألْ به خبيرًا ، وأما الأثْنِيةُ فإنهـا على ألْسنة الرُّكْبان

فلينْشُر[7] بها حَبيرًا[8] .

وإلى مثالك يُتقرّب بإخلاص الوِداد ، ومن فضلك تُجتَنَى ثمرةُ حسن الاعْتقاد .

فسَلامِي على هاتيك الشمائِل ، سلامُ النّدَى على وَرَقِ الخمائِل .

وتحيَّتى لتلك الحَضْرة ، تحيّةُ النَّسيمِ للماء والخُضْرة .

وأما دِمَشْق فشوْقى إليها شوقُ البُلْبل إلى الوَرْد ، وأمْرُؤُ القيْس[9] إلى الأبْلَق الفَرْد[10] .

---

(١) فى ب ، ج ، وسلك الدرر : « ما » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى سلك الدرر : « يستعطر » .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ح ، وسلك الدرر . (٤) ساقط من : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وهو فى : ا . (٥) المناسمة: المقارنة والدنو . (٦) فى ب ، ج : « إلا بشمائلك » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٧) فى سلك الدرر : « فينشر » . (٨) الحبير : البرد الموشى .
(٩) فى سلك الدرر : « وامرىء القيس » على الجر ، وهى أقرب إلى الصحة . (١٠) الأبلق الفرد : حصن السموأل بن عادياء اليهودى ، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب . معجم البلدان ١ / ٩٤ . =

وأنا مُهْدٍ تسليماتى إلى كل بائس من دَوْحِها وأخْضَر ، ومُتَبرِّج من ثَمَرَاتِها فى قِباء رُواء[1] أنْضَر .

وأشْتاق عهدَها والعمرُ ربيع نَضِر ، والروضُ جَرَّ عليه ذَيْلَه الخَضِر :

وما أنْسَ أيّامَهـا والصِّبـا ... أرَنُّ يجرُّ ذيولَ الجـذَلْ[2]

ومَسَّ رقيـقُ رداءِ النَّسيمِ ... على عاتِقِ الرَّوْض بعضَ البَلَلْ

إذِ الدهـرُ مَيِّتُ النَّوَى واللّحا ... ظُ عَنَّا وأحْـداثُه تَعْتَقِلْ[3]

وذَنْـبِىَ فيـه أميرُ الذُّنوبِ ... ودولتُه فـوق تلك الدُّوَلْ

وأرجع فأقول :

إن حُبِّى دِمَشْقَ إن عُدَّ ذَنْبـاً ... فذنُوبى أجلُّ مـن طاعاتِى[4]

فمدْحى لهـا لاينقطع إلى[5] أن تنقطع المدائح ، وأثْنِيتى عليها لا تَمَلُّ ولو مَلَّت التغريدَ الحَمائمُ الصَّوادِح .

وأنا مُؤمِّلٌ أوْبةَ نَشْرٍ ، فيمتع[6] الناظِرُ بتلك الوجوهِ الغُرّ ، والمناظِرِ الزُّهْر .

وأُنْشِد بلسان المَقال ، إذا استقامت الحال :

إنَّ ذنوبَ الدهرِ مغفورةٌ ... إن كان لُقْياك لها عُـذْرا

والسلام .

٭٭٭

= وقصة وفاء السموأل ، حين أودعه امرؤ القيس بن حجر الكندى أدراعه ، عندما مر به فى طريقه إلى قيصر ، يستنجده على قتلة أبيه ، فبلغ الخبر الحارث بن ظالم ، فطلب الأدرع من السموأل ، فتحصن السموأل بالأبلق ، وذبح الحارث بن ظالم ابن السموأل ، ولم يخفر السموأل ذمته ، ووفى بعهده . هذه القصة تجدها فى مجمع الأمثال ٢/٢٢١ ، وفى معجم البلدان (الموضع السابق) ، وفى كثير من مراجع الأدب والتاريخ .

(١) فى ب : « رداء » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى ا ، ج ، وسلك الدرر : « ذيول الجدل » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « إذا الدهر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وفى ب : « مميت النوى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . وفى سلك الدرر : « عناه واحدته تعتقل » . (٤) فى ب ، ج : « قد عد ذنبا » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٥) فى ا ، وسلك الدرر : « إلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى سلك الدرر : « فيتمتع » .

وهنا وقف الفِكرُ ، عن سَرْد من قصدتهُ من العلماء بالذِّكْر .

وأجْنحُ إلى قول ابن بَسّام [١] : إن شعرَ العلماء ليس فيه بارِقةٌ تُشام [٢] .

لأنها بَيِّنة التكلُّف ، ظاهرةُ النُّبُوّ [٣] عن الرِّقّة والتخلُّف .

قلتُ : وعلّةُ ذلك اشْتغال أفكارِهم بما يَعْنِي ، والشعر وإن سَمّوه تَرْويحَ الخاطر ، لكنّه مما لا يُثمِر فائدةً [٤] ولا يُغْنِي .

وشَتّان بين مَن تَعاطاه في الشَّهر مرّة ، وبين من أنْفق في تعاطِيه عمرَه .

وقد استثْنى ابنُ بَسّام شعرَ خَلَف الأحْمر ، وقُطْرُبا .

أما خَلَف فلقوله في صِفة جواد :

وكأنّما جهدتْ قوائمُــهُ	أن لا تَمَسَّ الأرضَ أرْبَعُهْ

وأما قُطْرُبا فلقوله :

إن كنتَ لستَ معي فالذِّكرُ منكَ مَعِي	تَرْعاكَ عيْني وإن غُيِّبْتَ عن نظَرِي [٥]
فالعينُ تبصِرُ مَن تَهْوَى وتفقِــدُهُ	وناظرُ القلبِ لا يخْلُو من النّظَــرِ [٦]

وأنا أستثْني شيخَنا المهمندارىَ [٧] ، المقطوع [٨] الشَّقِيق ، الحَقِيق بغاية الإطْـراء عند التَّحقيق .

---

(١) الذخيرة ، القسم الأول ٢/٣٢١ .
وقد صاغ المحبي فكرة ابن بسام ، ولم يوردها بلفظها ، فقـد جاء في الذخيرة : « على أن أشعار العلماء ، على قديم الدهر وحديثه ، بينة التكلف ، وشعرهم الذى روى لهم ضعيف ، حاشا طائفة ، منهم: خلف الأحمر ، وإن له ما يستندر ، وقطرب له أيضا ما يستغرب » .
وانظر خلاصة الأثر ٣/١٨٢ ، ١٨٣ ، وريحانة الألبا ٢/٥٥ .

(٢) في ب ، ج : « تسام » ، والمثبت في : ا .   (٣) في ب : « النبوة » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٤) في ب : « ويعني » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٥) في الذخيرة : « وإن غبت عن بصرى » .

(٦) في ا : « من تهوى وتبصره » ، والمثبت في : ب ، ج ، والذخيرة .   (٧) تقـدمت ترجمته برقم ، ٥٥ .

(٨) في ب ، ج : « المقطوع » ، والمثبت في : ا .

ورأيتُ الشِّهابَ [1] قد نَفَى الاستثناء واستَنَد فيه إلى الإذعان، وجعل حُسْنَ بعض أشعارِهم من قَبيل دعوةِ البخيلِ وحَمْلةِ الجبان .

وأنا أقول : إنه عالِمٌ ، وكثيرٌ من أشعاره [2] عن الزَّيْف سالِم .

فهو يناقِضُ نفسَه بنفسِه ، إلاّ أن يتمحّض لِوصْفِ [3] الشاعريةِ بما تراءى له في حَدْسِه .

آخر الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى ، وأوله :

بقية الباب الأول

فى محاسن شعراء دمشق الشام ونواحيها

(١) فى الريحانة ٢/٥٥ ، وانظر تعقيب المحبى ، الذى أثبته فى حاشية الصفحة . (٢) فى ب ، ج : « أشعارهم » ، والمثبت فى : ا . (٣) سى ج : « له وصف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

فهرس

تراجم الجزء الأول

---

(١) ضبط المرادى ، فى سلك الدرر ٤/ ٣٤ « جدى » بفتح الجيم وتشديد الدال ، فى ترجمة محمد بن أحمد ابن عبدالله ، ابن جدى .